



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة باتنة - 1 - الحاج لخضر  
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية  
قسم التاريخ والآثار



## الروافد الوثنية الدينية الرافدية (السومرية والبابلية) وأثرها على النصوص التوراتية

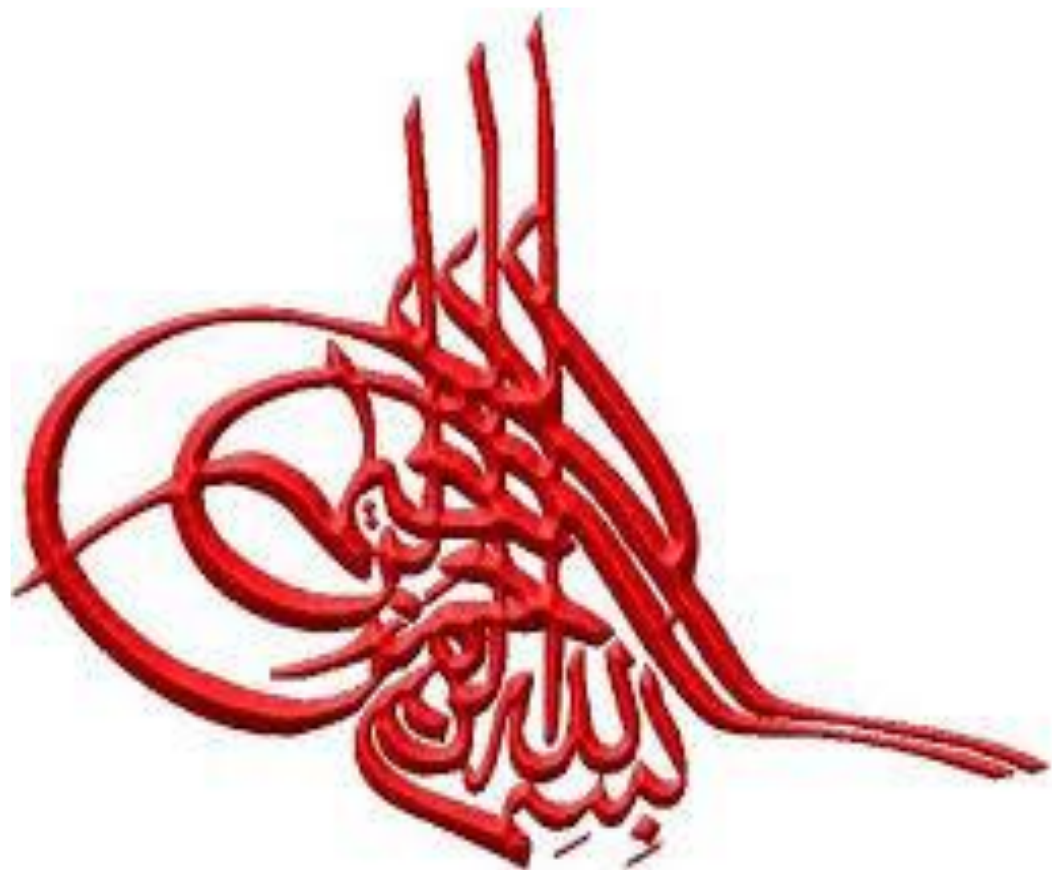
أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ  
تخصص: التاريخ القديم

إشراف الأستاذ الدكتور:  
مسعود شباحي

إعداد الطالبة:  
مليكة منصورية

أعضاء لجنة المناقشة			
الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
عبد الحميد بعيطيش	أستاذ محاضر (أ)	رئيسا	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1
مسعود شباحي	أستاذ	مشرفا ومقرا	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1
السعيد شالقة	أستاذ	عضوا مناقشا	جامعة حمه لخضر - الوادي
الربيع عولمي	أستاذ محاضر (أ)	عضوا مناقشا	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1
لخضر بن بوزيد	أستاذ محاضر (أ)	عضوا مناقشا	جامعة محمد خيضر - بسكرة
التجاني مياطة	أستاذ محاضر (أ)	عضوا مناقشا	جامعة حمه لخضر - الوادي

السنة الجامعية: 2021-2022



# إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبيه الكريم

بداية أهدي هذا العمل المتواضع إلى

روح والدي الكريمين جعل الله مثواهما الجنة

وإلى روح أخي العزيز نورالدين الذي فارقنا منذ خمس سنوات تاركاً وراءه فراغاً رهيباً

وإلى إخوتي وأخواتي

أحمد، سمير، منير، جوهرة، حبيبة و حياة دون أن أنسى جميع أبنائهم بدود استثناء

إلى كل الصديقات

سماح، سليمة، حدة، آمال، هنية، سامية لخضر شاوش، سامية سعدي، عزيزة،

سارة، إيمان، خولة، نسيم، عزيزة، سميرة وسمية نرجس وياسمين.

كما أهدي هذا العمل إلى

كل الزملاء في العمل في متوسطة عمار مكي وعلى رأسهم السيد المدير: قريني الرزقي،

وإلى كل تلاميذتي الأعزاء متمنية لهم النجاح في مساهمهم الدراسي،

وإلى كل الشرفاء في هذا الوطن.

# شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

الشكر لله أولاً، الذي أعطانا من الطاقة لتحمل جهد هذا العمل، وأنار لنا بنوره ظلام

الجهل، وسخر لنا من عباده لإنجاز هذا العمل،

كما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان إلى كل من:

المشرف الحالي، وإلى

الأستاذ الدكتور: بلقاسم رحمان، أطل الله في عمره وحفظه، والذي قدم لي الكثير في

سبيل إتمام هذا العمل رغم انشغالاته الكثيرة

إلى السيد: أحمد الموسوي من العراق الشقيق الذي كان نعم الزميل والمرشد،

باعتباره ابن المنطقة محل الدراسة والذي لم ينخل علي بأي شيء طلبته

بخصوص هذه الدراسة

كما أتوجه في الأخير بالشكر إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذه

الأطروحة.

# مقدمة

تعتبر حضارة وادي الرافدين من الحضارات القديمة حيث أطلق عليها الكثير من المؤرخين مصطلح الحضارة العريقة فهي قائمة بذاتها تطورت من ثقافات عصور ما قبل التاريخ، عرف فيها الإنسان الرافدي أهم مرحلة مرت بها الإنسانية، والتي يطلق عليها ببداية التاريخ باختراع الكتابة والتي استعملت للتسجيل والتدوين والتوثيق في مختلف المجالات، والتي أصبحت الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية، فأدى هذا إلى ظهور حضارة ناضجة بمقومات أساسية تجلت في نظام الحكم والعمارة المدنية والدينية وتشريع القوانين لتنظيم المجتمع.

لقد أدى التطور الحضاري للمجتمع الرافدي إلى انتهاج سياسة التوسع في ظل حكام أقوياء سعوا للسيطرة على العالم القديم، واستغلال ثرواته الاقتصادية والبشرية، صاحب هذا التوسع حروب ضارية انتهج فيها الرافديون سياسة الأسر للشعوب المغلوبة، من بينها الشعب اليهودي، وقد مارست هذه الحضارة تأثيرا واسعا وعميقا على البلدان المجاورة على غرار فينيقيا، وسوريا وفلسطين، وغيرهم في الفترة الأشورية والبابلية وامتد نفوذها إلى الشمال الغربي والشمال وإلى الشرق، ونقل العبرانيون، واليونان والرومان إلى أوروبا الكثير من مؤلفات السومريين والبابليين في مجال الأساطير والقصص التي تناولت مواضيع مختلفة وجاءوا بأفكار اعتمدها كثير من الشعوب المعاصرة واللاحقة.

تشكل الديانة عبر مختلف الحضارات القديمة أهم مرتكزات المجتمعات القديمة، والتي بنيت على أساسها مختلف العناصر الحضارية ومؤسساتها الاجتماعية، وبالتالي ظل عنصر الدين فعالا في المجتمعات الإنسانية القديمة وصانعا للكثير من المظاهر الحضارية، وعليه أحيط باهتمام الباحثين على اختلاف مشاربهم الفكرية ومعتقداتهم الدينية، الوثنية والتوحيدية، وكذا محاولات الربط والمقارنة بين العناصر المكونة لهاتين الديانتين أو المعتقدين.

ولعل من أبرز اهتمامات الباحثين على اختلاف تخصصاتهم هي البحث والمقارنة بين النصوص الدينية الوثنية القديمة، وما جاءت به الكتب المقدسة السماوية مستخدمين الكثير من

المصادر المساعدة على ذلك سواء المادية أو المعنوية، نتج عن هذه الجهود ظهور الكثير من الدراسات وبمختلف اللغات والمناهج.

يرجع عديد الباحثين وجود يهود بلاد الرافدين إلى أكثر من ستة وعشرون قرناً مضت، وأنهم من أقدم الطوائف الدينية التي وجدت بالمنطقة، فتاريخ وجودهم بها يعود إلى الفترة الأشورية البابلية، ولدراسة هذه الحادثة التاريخية يجدر بنا العودة للنص العبري خاصة بعد أن أعيدت ترجمة نصوصه الأصلية، حيث أظهر المختصون نوعاً من التزييف الذي قام به محققو ومترجمو النص التوراتي، والمصدر الآخر هو تلك الكتابات والسجلات الأشورية والتي تذكر الحملات الأشورية التي استهدفت الكثير من القبائل منها العربية، واليهودية في الجزيرة العربية واليمن.

إن الدارس لتاريخ اليهود في بلاد الرافدين سيواجه مصطلحات الأسر البابلي، النفي البابلي، السبي البابلي، والملاحظ أن موضوع السبي البابلي لليهود ظل مجالاً للبحث والتمعن من قبل الباحثين اليهود وغيرهم، حيث شكلت عقيدة الشتات جوهر الشخصية اليهودية عبر العصور، وبالنسبة لشتات اليهود الأول بدأ بعد انقسام المملكة الموحدة بزعامة النبي سليمان عليه السلام إلى مملكتين، إحداهما في الشمال عاصمتها السامرة، والأخرى في الجنوب عاصمتها أورشليم.

والملاحظ أن اليهود في بلاد الرافدين تمكنوا من التأقلم رغم مناخ المنطقة وتقلبات الظروف وكثرة الحروب والغزوات، وأنهم تشبثوا بأرض الرافدين إلى وقت متأخر حيث شكلوا في أواسط القرن 19م نصف سكان بلاد الرافدين حسب عدد من الدراسات.

كانت النصوص التوراتية الموجهة لليهود من زمن موسى إلى زمن ضياع ملكهم، ليتولى الريانيون الأحبار توجيهم بعد ذلك، فكلما تعرض الشعب اليهودي للأسر كلما شعر بحاجته للجوء إلى الماضي، واعتبروا هذه النصوص وسيلة سحرية لجعل الواقع البائس يصغر، ويتضاءل أمام

الذكريات المجيدة، وأصبحت تضطلع بمهمتين أساسيتين هما تغذية العقل والروح (الفكر) معا.

ومن هنا يبرز أمامنا بفعل اهتمامنا بهذا النوع من الدراسات وإطلاعنا على مصادرها الأساسية، وكذا عديد المنشورات المتخصصة، برزت قناعتنا بضرورة البحث في جزئية من هذا الموضوع الواسع مع إعطائه الصّفة التاريخية فاخترنا النموذج الرافدي، والنصوص التوراتية، حيث تأكد لدينا وجود صلة قوية ومباشرة بين النصوص الدينية والأدبية الرافدية وما جاءت به النصوص التوراتية، والتي كانت قد استوعبت واحتوت روافد ومصبات الفكر الديني الرافدي الوثني، وتجلى ذلك في أغلب مضامين النصوص الرافدية، وفي شتى مواضيعها، من هنا كان الرافد الديني الوثني الرافديذا تأثير فعال، حيث لازالت مظاهره في النصوص التوراتية، والتلمودية.

يعتبر اليهود من الأقوام الذين تلاعبوا بتاريخهم، فحذفوا ونقحوا وأضافوا إليه عبر العصور المختلفة، فالصورة النهائية للعهد القديم والتلمود اشترك في وضع معالمها عدد كبير من اليهود عاشوا في فترات مختلفة في أكثر من منطقة واحدة، وأن هؤلاء المؤلفين قاموا بتسجيل الوقائع من وجهة نظر يهودية ضيقة متماشية مع ظروف سياسية قائمة في مناطق تواجدهم.

تحاط النصوص التوراتية بهالة من القداسة حيث سعى مؤلفوها إلى إبعاد أي شك عنها وفرض مضمونها على الحاضر والمستقبل، في حين تحتوي هذه النصوص أحداث تاريخية اصطبغت بصبغة تاريخية، فتشكلت علاقة بين قيمة هذه النصوص التوراتية بوصفها التاريخي وقيمتها باعتبارها مقدسة، وبتريخ قداستها سهل التصديق بها وإبعاد أي شك عنها وتصديق لما ورد فيها من حقائق تاريخية رغم عدم توفرها على سند في هذا المجال، لأن التاريخ لا يعرف حقائق نهائية كما أن الحقائق المكتوبة ليست هي كل الحقائق النهائية.

فلقد دون الأسرى اليهود أسفار التوراة والتلمود أثناء تواجدهم في بابل في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وهم يتجرعون مرارة الأسر مليئين بالحقد والكرهية للأشوريين والبابليين الذين قضوا على كياناتهم السياسية فجاءت كتاباتهم موسومة بهذه المشاعر.



## 1. إشكالية البحث:

تشكل بلاد الرافدين ومنتجاتها الحضارية مادة دسمة لكثير من الدراسات وبمختلف اللغات نظرا لإبداعات إنسانها ومن جهة أخرى نظرا لوفرة مصادرها الأصلية وكثافتها التي شملت كل الميادين ولعل أبرز ما لفت اهتمام الباحثين ذلك التراث الديني الأدبي في شتى صوره، ومن أبرز مظاهره تلك النصوص الأدبية سواء كانت شعرا أو نثرا والتي عاجلت أفكارا دينية عديدة اعتبرها المختصون ثورة في الفكر الديني والعقائدي، حيث تأثرت به الكثير من المجموعات البشرية التي استوطنت هذه المنطقة ومنها العنصر اليهودي العبراني الذي سكن المنطقة في إطار السبي الأشوري والبابلي، حيث أن العبرانيين تأثروا أثناء وجودهم ببلاد الرافدين بالفكر الديني السومري، البابلي، الأشوري، انعكس ذلك في النصوص الدينية اليهودية (التوراة والتلمود البابلي) بشكل واضح فتحلّى التأثير الرافدي الديني في الكثير من النصوص التوراتية.

من هنا فإن الإشكالية الأساسية لهذه الأطروحة هي: كيف كان للروافد الوثنية الدينية الرافدية الأثر في النصوص التوراتية؟.

وقد تفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات المطروحة وهي:

- كيف وصلت الديانة الرافدية إلى العبرانيين؟
- هل كان للسبي البابلي دور في ذلك؟
- ماهو موقف ابحارهم وعلمائهم الدينيون؟.
- كيف كانت الديانة الرافدية رافدا وثنيا فاعلا في النصوص التوراتية؟
- ماهي مظاهر هذا التأثير و تجلياته؟
- هل النصوص التوراتية أصلية؟ وهل التلمود البابلي يعتد به لدى المجامع اليهودية؟

- ماهو موقف العلم الحديث وعلم الآثار والدراسات التاريخية المقارنة من ذلك؟

## 2. أهمية الموضوع:

يعتبر التاريخ اليهودي تاريخ شتات كتب في مناطق مختلفة من العالم، وهو مرتبط بالنصوص التوراتية والتي تعتبر وسيلة توظيفية للوصول لأغراض سياسية محددة، طوعت هذه النصوص لمصلحة اليهود، ذلك أن التاريخ اندمجت فيه مجالات عديدة من التاريخ الاجتماعي والسياسي بأساسيات العقيدة الدينية والممارسات الأخلاقية والنتاج الأدبي والفني، استغله اليهود في نسب الكثير من المنجزات الحضارية إليهم نافين بذلك اقتباسهم من الحضارات التي عاشوا بينها، فلعل الدراسة الموضوعية لهذا الجانب ستوضح وتميز بين الحقائق التاريخية وأباطيلها، وإعادة قراءة تاريخ اليهود أمرا ضروريا لتصحيح أخطاء شاعت في كتب التاريخ.

فهذه الدراسة توضح تاريخ الديانة اليهودية المستمدة من التوراة والتلمود واللذين لهما طابعهما الخاص لكتابتهما في المنفى خلال الأسر الاشوري و البابلي أثناء تواجد اليهود في بلاد الرافدين ومن خلال هذه الأحداث التاريخية يبرز التأثير في العقيدة اليهودية.

## 3. الهدف من الموضوع:

الهدف من هذه الدراسة التعرف على تاريخ اليهود في بلاد الرافدين وكيف استقروا في هذه المنطقة وأثر ذلك على الديانة اليهودية، والتطرق إلى كتابة التوراة والتلمود البابلي في هذه المنطقة الجغرافية والتي تمتعت بحضارة راقية ساهمت في انجازات حضارية امتدت تأثيراتها إلى كل العالم القديم بوجود ملوك كان لهم باع طويل في إنشاء امبراطوريات عظمى قضت على كيانات سياسية بارزة وقوية، كما سأطرق إلى بعض الشخصيات اليهودية التي كان لها أثر في وضع أسس الديانة اليهودية على غرار عزرا الذي يعتبره اليهود موسى الثاني لهم، حيث أعاد لهم أمجادهم الضائعة ولذلك أحاطوه بقداسة كبيرة تفوق قداسة موسى عليه السلام.

#### 4. أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع هو تقديم رؤية أكاديمية في هذا الجانب للمختصين وغير المختصين لفهم عميق لتاريخ اليهود الحاضر وأهم الأحداث التي ميزته بعد استقراء ماضيهم البعيد، ومن الأسباب الأخرى التي دفعتني لإختيار هذا الموضوع هو وجود تناقض في وجهات النظر بين اليهودي وعديد المختصين والباحثين باعتقاد اليهودي أن النصوص التوراتية حقيقة مطلقة، بينما وجهة الرأي الأخرى تراها تزييفا وتحريفا لحقيقة التاريخ.

#### 5. المنهج المعتمد:

تطلبت هذه الدراسة استخدام كل من المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على عرض الأحداث وسردها، وإتباع المنهج التاريخي التحليلي الذي يعتمد على التحليل لتفسير الظاهرة الدينية وربطها بالأحداث والوقائع التاريخية، في ظل المعطيات التاريخية لمختلف المصادر، وكذلك انتهاج المنهج التاريخي المقارن في الاكتشافات الأثرية ومحاولة مطابقتها مع المصادر الكتابية في ظل وجود العديد من المصادر، وكذا مقارنة النصوص التوراتية البابلية.

#### 6. خطة البحث:

وللإجابة عن الإشكالة السابقة والتساؤلات المتفرعة عنها قمت بوضع خطة تتكون من مقدمة وفصل تمهيدي وستة فصول وخاتمة، ففي الفصل التمهيدي حددت فيه الإطار الجغرافي والبشري لبلاد الرافدين لمعرفة مميزات هذه المنطقة باعتبارها كان لها تأثير بارز في أمم عديدة من خلال المنجزات الحضارية التي ساهمت بها في الفترة القديمة.

أما الفصل الأول بعنوان "المعتقدات الدينية الرافدية" فتطرق فيه لضبط مفهوم المعتقد والدين لإعطاء القارئ صورة واضحة عن محتوى هذا الفصل، ليتضمن هذا الفصل أيضا الآلهة السومرية البابلية الرئيسية والآلهة الممثلة للسلطة السياسية، بالإضافة إلى دراسة ظاهرة تأليه ملوك بلاد الرافدين لأنفسهم كظاهرة اجتماعية دينية شملت حقبة زمنية من تاريخ المنطقة، كما أدرجت في هذا الفصل دور المعبد الرافدي باعتباره أولى المدارس والمكان الذي انبثقت عنه الكتابة المسمارية وبتطوره أوجد الكهنة نظاما كهنوتيا مميذا تطور مع تطور الدولة في بلاد

الرافدين، لأبرز من خلال هذا الفصل أهم معتقدات الرافدين من عرافة وسحر وأساطير ولأختمه بخصائص الديانة في هذه المنطقة.

أما الفصل الثاني فحاجت عنوان: "النصوص التوراتية"، فحاولت فيه إعطاء تعريفات لكل من التوراة والتلمود كمصطلحات دينية تاريخية مع التطرق لأسفار التوراة ومباحث التلمود وأنواعه ومكانته بين اليهود لإعطاء القارئ صورة واضحة عن المعتقد الديني وتاريخه لدى اليهود، مع إبراز دور الكاهن عزرا في كتابة التوراة.

أما الفصل الثالث والموسوم: اليهود في بلاد الرافدين من السبي إلى الإستقرار (الإستيطان) فالعودة، تناولتفي هذا الفصل عقيدة اليهود بين التوحيد والوثنية، بالإضافة إلى الحياة السياسية وظهور الممالك اليهودية (مملكة داوود وسليمان عليهما السلام)، وانقسام هذه المملكة إلى شمالية وجنوبية وسقوطهما على يد الإمبراطوريتين الأشورية والكلدانية وتعرض شعبيهما للأسر مع تتبع أوضاع الأسرى في المنفى و المكانة المميزة التي تمتعوا بها في ظل الحكم الأشوري،الكلداني والفارسي، وختمت هذا الفصل بالحديث عن عودة هؤلاء الأسرى إلى أورشليم في مرحلتين قاد المرحلة الأخيرة الكاهن عزرا.

والفصل الرابع فقد عنوانته: "مظاهر أثر المعتقدات الدينية الرافدية في النصوص التوراتية"، فقد تضمن أهم التأثيرات الدينية الرافدية في التوراة والتلمود، فكان هناك وعلى طول هذاالفصل مقارنة بين ما ورد في النصوص السومرية البابليةومثيلتها التوراتية، فجاءت المقارنة شاملة لمواضيع خلق الكون والإنسان، الطوفان، جنة عدن، برج بابل، سرجون وموسى، الموت والعالم الآخر، حاولت فيه استخراج أوجه التشابة بين هذه النصوص.

أما الفصل الخامس والمعنون: "مظاهر أخرى من التأثير الرافدي"، فاحتوى على تأثيرات رافدية أخرى على النصوص التوراتيةفي مجال التشريع والوصايا العشر، والتأثير الوثني والأعياد العبرية وعلاقتها بالرافدية وغيرها من التأثيرات، ويعتبر هذا الفصل تكملة للفصل السابق والذي

حاولت أيضا من خلاله إجراء مقارنة بين النصوص التوراتية والرافدية لاستنباط نقاط التوافق بينها.

الفصل السادس والذي يحمل عنوان: "أثر الأدب الديني الرافدي على النصوص التوراتية"، حيث بدأت بإعطاء لمحة عامة عن الأدب الرافدي والعبري القديم، مع إبراز تأثير الأدب الديني الرافدي على النصوص التوراتية من خلال آداب الحكمة والرتاء.

وبعد الفصل التمهيدي والفصول تأتي الخاتمة والتي خلصت فيها إلى مجموعة من الاستنتاجات تضمنت الإجابة عن الإشكالات وما تفرع عنه من تساؤلات والتي طرحت حول الموضوع، كما أرفقت هذه الرسالة بمجموعة من الملاحق في شكل صور وخرائط لتخدم موضوعنا ولتوضيح بعض الأحداث الواردة في الدراسة.

## 7. المصادر والمراجع:

تتنوع المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، بين المصادر الدينية (الكتب المقدسة) والمصادر التاريخية كالكتابات الكلاسيكية بالإضافة إلى مجموعة من المراجع العربية والمترجمة إلى العربية، والأجنبية تباينت فيها وجهات النظر نظرا لاختلاف عقيدة مؤلفيها (الإسلام، اليهودية، المسيحية) من جهة واختلاف إيديولوجياتهم من جهة أخرى وهي كالتالي:

### أ. الكتب المقدسة:

استعنت في هذه الدراسة بالقرآن الكريم للاستشهاد به في بعض الأحداث وبالرغم من أنه ليس كتاب تاريخ إلا أنه يعطينا فكرة عن بعض معتقدات اليهود، كما اعتمدت على التوراة "كتاب اليهود المقدس"، وهو يعتبر من أقدم المصادر التاريخية، احتوت أخبارا مفصلة عن تاريخ اليهود وشريعتهم، بالإضافة إلى التلمود الشريعة الشفوية لليهود والذي تضمن القواعد الأساسية للديانة اليهودية.

## ب. المصادر التاريخية:

✓ **هيرودوت "Hérodote"** (484 ق.م – 425 ق.م): أشهر مؤرخي الإغريق، لقب بأبو التاريخ، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، قام هيرودوت بتدوين كل ما رآه و سمعه، يقع مؤلفه "التاريخ" في تسعة أجزاء والذي ألفه في حوالي 444 ق.م، تحدث في الجزء الأول منه عن بلاد الرافدين .

✓ **سترابون "Strabon"** (63 أو 64 ق.م – 24م): من أشهر الجغرافيين الإغريق ولد في القرن الأول قبل الميلاد، له عدة مؤلفات منها: مدونات تاريخية، وكتاب "الجغرافيا"، الذي يتكون من 17 جزءاً، حيث ذكر في الجزء السادس عشر منه بلاد الرافدين.

✓ **جوزيف فلافيوس "Josephe Flavius"** (38 م – 100): اسمه العبري يوسف بن ماتيتينا، عاش خلال القرن الأول الميلادي، ولد في مدينة أورشليم، من عائلة مثقفة دينياً، كان أديبا ومؤرخاً وعسكرياً يهودياً، اشتهر بمؤلفاته عن تاريخ اليهود ومناهضته للإمبراطورية الرومانية، ألقى فيها الضوء على الأوضاع في فلسطين خلال القرن الأول الميلادي وانهايار مملكة يهوذا، و ظهور الديانة المسيحية.

## ج. المراجع:

اعتمدت على جملة من المراجع العربية المتخصصة في تاريخ وادي الرافدين و(اليهود) منها: كتابات أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ملامح من التاريخ القديم لليهود القديم، وكتاب حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، والفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبهم وكتاب صابر طعمية، التاريخ اليهودي العام، كتاب نبيل الربيعي، تاريخ يهود العراق (859 ق.م- 1973م)، كتاب رشيد باني الظالمي، الميثولوجيا في النص التاريخي والديني، كتاب باقر ياسين، شخصية الفرد العراقي، فؤاد حسين علي، التوراة الميروغليافية، كتاب مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في العالم القديم، كتاب قيس حاتم هاني الجنابي، كتاب سلوى ناظم، الترجمة السبعينية

للعهد القديم بين الواقع والخيال والأسطورة، كتاب مراد كامل، الكتب التاريخية للعهد القديم، كتاب أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، كتاب الفت محمد جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، كتاب كمال سعفان، اليهود، تاريخ وعقيدة، كتاب يوسف رزق الله، غنيمة نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، كتاب حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني، كتاب وصفي مكسيموس، المرشد الجغرافي للعهد القديم، كتاب إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، كتاب عبود صالح الجاسم، الائتمان والصيرفة في العراق القديم، كتاب عرابي رجاء عبد الحميد، سفر التاريخ اليهودي.

ومن المراجع الأجنبية المترجمة، كتاب موسى والتوحيد لسيغموند فرويد، كتاب موريس بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، كتاب ت. طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، كتاب روجي غارودي، فلسطين أرض الرسائل السماوية، كتاب اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، كتاب أدن شتاينسالتز، مدخل إلى التلمود، كتاب انترمان آلان، اليهود وعقائدهم الدينية وعباداتهم، كتاب بنيامين الثاني، خمس سنوات في الشرق (1846م-1881م)، كتاب اسرائيل فنكلشتاين ونيل إشرسيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، كتاب مكاريوس شاهين، تاريخ الإسرائيليين، كتاب دونالد ريدفورد، مصر وكنعان واسرائيل في العصور القديمة، كتاب إدر جون، الأحجار تتكلم (علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس).

أما أهم المراجع الأجنبية فنجد:

- كتاب صموئيل نوح كريم Kramer.Sumerian.MYTHOLOGY

- وكتاب رادين بول Rdin Paul, la religion primitive (son nature et son origine)

- وكتاب Roux Georges.Ancient Iraq، وغيرها من الكتب الأجنبية.

وقد استعنت بكثير من الموسوعات والقواميس والمعاجم والتي وظفتها في التعريف ببعض المصطلحات الواردة في هذه الأطروحة، كان أهمها قاموس الكتاب المقدس، ومن الموسوعات

التي إعتمدت عليها: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية لمؤلفها عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة لمانع بن حماد الجهني، موسوعة مختصر التاريخ القديم لهارفي بورتير، بالإضافة إلى مجموعة من المعاجم منها: معجم الحضارت السامية لهنري س، عبودي، ومعجم لسان العرب لابن منظور وغيرها.

## 8. صعوبات البحث:

تواجه أي باحث مجموعة من الصعوبات، وفي هذا المقام أسجل مجموعة منها واجهتني في إنجاز هذا الأطروحة وهي:

- يغلب على موضوع الأطروحة طابع الدراسات الدينية المقارنة والذي يصعب الربط بينه وبين الأحداث التاريخية.

- وجود اختلافات بين المصادر والمراجع، وفي بعض الأحيان حتى في المصادر نفسها، فهناك صعوبة في التوفيق بين الآراء المختلفة، وبالتالي تكوين رأي خاص بالباحث، في هذا المجال حاولت قدر المستطاع تحقيق هذا الهدف.

- طغت على الموضوع الصبغة الدينية التي تتطلب وتحتاج إلى مختصين في هذا المجال خاصة في العلوم الشرعية ومقارنة اللغة سواء اللغة العبرية أو السومرية وبخصوص هذه الأخيرة حاولت الاتصال بدكاترة عراقيين لتوفير هذه الخدمة والتي لم تكن متوفرة لدى الجامعات العراقية.

- إن وفرة المادة العلمية أثر في عملية الخروج بإستخلاصات وبالتالي الربط فيما بينها.

- صعوبة التوفيق بين العمل وما يترتب عنه من إلتزامات تجاه المجموعة التربوية (التدريس، الندوات، الملتقيات) والبحث العلمي الذي يتطلب التفرغ والصبر والمثابرة والتنقل.



وفي الأخير أقدم شكري وتقديري لكل من ساعدني أخص بالذكر أساتذتي الكرام في مختلف جامعات الوطن وخارجه على ما قدموه لي من نصائح وتوجيهات، وأتمنى أني قد وفقت إلى حد ما للبحث في مثل هكذا دراسات.

## الفصل التمهيدي: الإطار الجغرافي والبشري لبلاد الرافدين

### 1. الإطار الجغرافي

أ. أصل التسمية

ب. الموقع وأهميته

ج. التضاريس

د. المناخ

و. الأنهار

### 2. الإطار البشري

أ. السومريون

ب. العناصر السامية

1. الأكاديون

2. البابليون

3. الآشوريون

4. الكلدانيون

## 1. الإطار الجغرافي:

تأسست في بلاد الرافدين أهم حضارة في منطقة الشرق الأدنى القديم<sup>(1)</sup>، حيث شهدت هذه المنطقة تطورا وتنوعا حضاريا وتاريخيا عبر مختلف عصورها التاريخية، فكانت بلاد الرافدين الأكثر حظا وغنى بين جيرانها لحيازتها عوامل التقدم والتطور ناهيك عن الموقع الجغرافي الممتاز والخصائص الطبيعية التي كان لها دور بارز في هذا الثراء، والمنجزات الحضارية.

أ. أصل التسمية: يطلق على بلاد الرافدين<sup>(2)</sup> تسمية "ميزوبوتاميا" "Mésopotamia" والتي تعني "أرض ما بين النهرين" فقد أطلقها كل من المؤرخ اليوناني "بوليبوس"<sup>(3)</sup> (208-126 ق.م) والجغرافي "سترابون"<sup>(4)</sup> (63 ق.م-24م)، والمقصود بهذه التسمية المنطقة الواقعة فيما بين نهر دجلة والفرات والتي تمتد إلى المناطق المرتفعة في الشمال ليدخل النهران إلى الهضبة إلى منطقة بغداد الحالية أين يقترب نهر دجلة والفرات من بعضهما لتضيق المسافة بينهما<sup>(5)</sup>.

ومن جهة أخرى فإن كلمة (بلاد ما بين النهرين) التي استخدمها اليونان تتفق مع معناها الاشتقاقي أي المنطقة الممتدة بين نهر دجلة والفرات لتحتوي هذه التسمية فيما بعد المنطقة البابلية وبلاد سومر وحتى المناطق الحدودية المتاخمة دخلت في هذه التسمية<sup>(6)</sup>، وقد تنبّه بعض الكتاب الإغريق إلى قصور لفظ "ميزوبوتاميا" ليضيفوا لفظ "parapotamia" أي خارج النهرين وما حولهما<sup>(7)</sup>.

(1) - الشرق الأدنى القديم: يضمّ كلاً من مصر وبلاد العرب، بلاد الشام، بلاد الرافدين وبلاد فارس (إيران القديمة). ويُطلق هذا المصطلح تأثراً بالتعبير الأوروبي: The ancient Near East. انظر: فتحي محمد الزغيبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ط2، دار النشر للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، 1994، ص 102.

(2) - ه.و.ف. ساكر، البابليون، ط1، تر: سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009م، ص 15.

(3) - Polybius, *Histoire General*, Livre v, tra: M.felix Bouchot, paris, 1847, XI.

(4) - Strabon, *La Géographie*, Livre XVI, tra: Amédée Tardieu, Hachette, Paris, 1980, XXI.

(5) - أحمد أمين سليم، تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى، د.ط، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية، 2000م، ص 21.

(6) - جان كلود مارغرون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ط1، تر: سالم سليمان العيسى، منشورات علاء الدين، سوريا، 1999، ص 22.

(7) - عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ط1، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2012، ص 567.

وعن استعمال هذا الاسم من بعد ذلك فكان بوجه خاص بعد ترجمة التّوراة إلى اليونانية واللغات الأوروبية، فقد ذكرت بلاد الرافدين في التّوراة باسم "أرام نهرائيم"<sup>(1)</sup> أي "آرام النهرين"<sup>(2)</sup>، وكذلك "أرض شنعار"<sup>(3)</sup>، كما ظهرت تسميات جغرافية أخرى لهذه المنطقة منها: بلاد بابل وبلاد آشور. وأول من استعمل هذا المصطلح الكتاب اليونان والرومان وعلى رأسهم "هيرودوت" الذي أطلقه على القطر كلّه أو على الأجزاء الجنوبية والوسطى، كما استعملوا تسمية كلدنة نسبة إلى الكلدانيين<sup>(4)</sup>.

كما أطلق على بلاد الرافدين اسم "العراق"، وقد اختلف الباحثون حول أصل التسمية، حيث يرى البعض أنّ التسمية عربية الأصل ومعناها الشاطئ، فدعيت البلاد القريبة من البحر عراق فأطلق على هذه المنطقة هذا الاسم لأنها على شاطئ دجلة والفرات، كما تعني أيضا الجبل أو سفوح الجبال<sup>(5)</sup>، بينما يرى آخرون أنّ أصل هذه الكلمة يرجع إلى لغة قديمة إما سومرية أو لقوم آخرين من غير السومريين، والذين أقاموا في السهل الرسوبي في عصور ما قبل التاريخ ويدلّل أصحاب هذا الرأي على أنّ الكلمة مشتقة من كلمة أوروك أو انوك التي تعني المستوطن<sup>(6)</sup>، وبهذه الكلمة سميت المدينة السومرية "الوركاء"<sup>(7)</sup>.

ويرى فريق آخر أنّ تسمية "العراق" إنّما ترجع إلى أصل فارسيّ "إيراه" -الساحل- فعربتها العرب بإلحاق القاف فقالوا "إيراق"<sup>(8)</sup>، ثمّ عربت إلى "إيران" و"عراق"، أو تكون مأخوذة من

(1) - سفر التكوين 24:10.

(2) - على أن المقصود بهذا الإقليم في التوراة ليس بالتأكيد الأرض المحصورة بين دجلة والفرات وإنما يرجح النهران المذكورين في التوراة هما نهر الفرات والخابور أو نهر الخابور والبالخ أو كلا النهرين مع الفرات. انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، ج1، شركة بيت الورق للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2009، ص 25.

(3) - سفر التكوين 10:10.

(4) - هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الأول، د.ط، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1996، ص 114.

(5) - ياقوت الحموي، معجم البلدان، د.ط، مج4، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 93.

(6) - تقي الدباغ، البيئة الطبيعية والإنسان (حضارة العراق)، د.ط، ج1، بغداد، 1985، ص 13، 14.

(7) - الوركاء: مدينة سومرية قديمة تقع على بعد 270 كلم جنوب بغداد، و 27 كلم شرق الفرات. ورد ذكر هذه المدينة في كتاب العهد القديم باسم: "أرك". والوركاء استمرار لاسمها القديم "أوروك". انظر: سفر التكوين 10:10، هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، جروس بروس، طرابلس، لبنان، 1991، ص 157. وكذلك انظر: قيس حاتم هاني الجنابي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2012، ص 117.

(8) - ياقوت الحموي، المرجع السابق، ص 94.

الكلمة الفارسيّة "ايراك" بمعنى "البلاد السفلى"-(1) وظهر استعمال كلمة "عراق" في أواخر العهد السّاسانيّ، أي في العصر الجاهليّ فقد ورد هذا الاسم في الشعر الجاهليّ فيقول امرؤ القيس في هذا الشّأن:

ثياب بني عوف طهار نقيّة ... وأوجههم عند المشاهد غرّان  
هم ابلغوا الحي المضللّ أهلهم ... وساروا بهم بين العراق ونجران(2)

كما أطلق العرب على بلاد الرّافدين الشّماليّة أو العليا اسم "الجزيرة"(3)، وأطلقوا اسم العراق على الأقسام الوسطى والجنوبية، وكانوا يميّزونه في بعض الأحيان بنعته بالعراق العربيّ تمييزاً له عن "عراق العجم" (الجزء الجنوبي من إيران)(4)، كما أطلقوا عليه مصطلح "السّواد" نسبة إلى السّهل الرّسوبيّ لحضرته و"أرض بابل" أو "بلاد بابل"(5).

وسكان بلاد الرّافدين لم يطلقوا اسم "عراق" على القطر أو على جزء منه لأنّ ملوكهم في فجر السّلالات كان كلّ منهم يلقّب نفسه بلقب المدينة التي يحكمها، ونتيجة لذلك ظهر مصطلحان هما: بلاد سومر للقسم الجنوبيّ من السّهل الرّسوبيّ، والثاني بلاد أكد للقسم الأوسط(6)، لتظهر تسميّات جغرافيّة سياسيّة أخرى منها بلاد بابل وبلاد آشور(7).

**ب. الموقع وأهميته:** تقع بلاد الرّافدين (العراق) في الجزء الجنوبيّ الغربيّ من قارة آسيا(8)، وتشغل المنطقة الممتدة من هضبة أرمينيا(9) في الشّمال - حيث ينبع نهر دجلة والفرات - إلى غاية الخليج العربيّ في الجنوب، ومن الفرات غرباً حتى ما وراء دجلة شرقاً،

(1) - عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا -، ط 1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، 2004، ص 13.

(2) - ديوان امرؤ القيس، ط 2، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2004، ص 157.

(3) - ياقوت الحموي، المرجع السابق، ص 94.

(4) - طه باقر، المرجع السابق، ص 25.

(5) - ياقوت الحموي، المرجع السابق، ص 94.

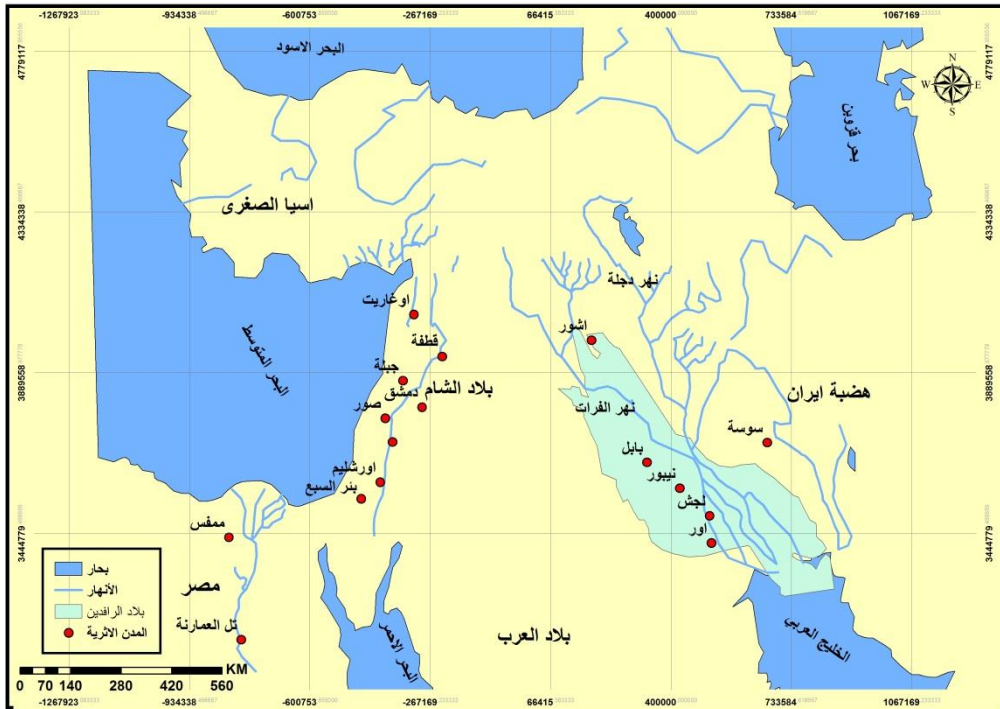
(6) - تقي الديباغ، المرجع السابق، ص 14.

(7) - هيروودوت، المرجع السابق، ص 114.

(8) - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 15.

(9) - أرمينيا: ورد ذكر أرمينيا في النصوص المسامرية الأشورية باسم "أورارتو"، وهي منطقة غير واضحة الحدود، فقد كانت تمتد على كامل المجاري العليا لدجلة والفرات، وأصبحت نتيجة للاجتياحات والحروب تشمل الاراضي الجبلية تركيا الشرقية، للمزيد انظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص 70.

ويعني هذا أنّ بلاد الرّافدين هي أرض النّهرين (الدّجلة والفرات)<sup>(1)</sup> وهي المنطقة الممتدّة بين سلسلة جبال زاغروس<sup>(2)</sup> شرقاً والصّحراء السّوريّة ومرتفعات لبنان غرباً، ومن الشّرق تحدّها منحدرات جبال إيران. [أنظر الخريطة رقم 1]، ولا تقتصر على الحدود السّياسيّة الحاليّة التي اقتطعت بعض أجزاءها لتضمّ إلى دول أخرى هي سوريا وتركيا وإيران<sup>(3)</sup>.



خريطة رقم 1: بلاد الرافدين والشرق الأدنى القديم .

من انجاز الباحثة باستخدام برنامج ArcGIS 10.2، استنادا على المرجع:

الحبيب البقلوطي، بلاد الرافدين القصر المعبد والمجتمع من العصور الحجرية إلى حورابي، د.ط، مركز

النشر الجامعي، تونس، 2007، ص 170.

(1)- محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم، د.ط، مكتبة الاسكندرية، 1977، ص 11.

(2)- جبال زاغروس: سلسلة جبال في آسيا الغربية تمتدّ من تخوم أرمينيا التركية إلى أذربيجان الإيرانية، وتشكّل فاصلاً بين بلاد ما بين النهرين وهضبة إيران، للمزيد، انظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 440.

(3)- Jane McIntosh, *Ancient Mesopotamia, New Perspectives*, ABC, Clio, California, USA, 2004, p 3.

احتل الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين أهمية كبيرة سواء من الناحية الإستراتيجية أو التجارية خاصة في العصور القديمة، حيث يربط القارّات الثلاث: آسيا وإفريقيا وأوروبا (بطريقة غير مباشرة) من جهة، وهو ملتقى طرق القوافل التجارية للاتصال بين البحر المتوسط والمحيط الهندي والشرق الأقصى والهند بالطرق البرية وعن طريق الخليج العربي إلى القارة الهندية من جهة أخرى، ممّا جعله محطة للهجرات المتواليّة للشعوب وغزواتهم المتعدّدة على غرار الشعوب السّامية وغيرها<sup>(1)</sup>.

**ج. التضاريس:** يتميّز سطح بلاد الرافدين بالانحدار من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من السطح:

### 1. المنطقة الجبلية وشبه الجبلية:

تقع المنطقة الجبلية في الجهة الشماليّة والشماليّة الشرقيّة، وهي تمثّل حوالي 20 بالمئة من المساحة الكلية، وتمتد إلى غاية الحدود الإيرانية والتركية والسورية، لتصبح على شكل تلال ومرتفعات عند حدود السهل الرسوبي<sup>(2)</sup>، أمّا المنطقة شبه الجبلية أو المتموجة فتبدأ من سفوح الجبال إلى الغرب والجنوب من المنطقة الجبلية، وتستمر في اتجاهها عبر دجلة حتّى الحدود السورية غربا والهضبة الغربية في الجنوب الغربي<sup>(3)</sup>، وهي صالحة للزراعة خاصة في مناطقها الشماليّة وفيها عاش إنسان العصر الحجري القديم وظهرت بها أولى القرى الزراعيّة<sup>(4)</sup>.

تندرج جبال الرافدين على شكل سلاسل متوازية تقريبا وتكون على هيئة قوس من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقيّ وتتخلل هذه السلاسل الجبلية سهول ووديان خصبة، وتتمييز المنطقة الجبلية بوفرة مواردها المائية وتصبّ روافد دجلة في هذه المرتفعات<sup>(5)</sup>.

(1) - طه باقر، المرجع السابق، ص 33-34.

(2) - قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 97.

(3) - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 17.

(4) - طه باقر، المرجع السابق، ص 40.

(5) - نفس المرجع، ص 40.

## 2. الهضبة الصحراوية:

تمثل 60 بالمئة من المساحة الكلية، يتخللها عدد كبير من الأودية وتنقسم إلى قسمين متميزين من حيث السطح والتربة والنبات والأمطار وهما:

أ. هضبة الجزيرة: تقع في الشمال الغربي من بلاد الرافدين، وتعرف عند المؤرخين العرب بأرض الجزيرة الفراتية وأرض بلاد النهرين العليا، يحدّها شمالاً مرتفعات مكحول - سنجار، ومن الجنوب السهل الرسوبي، ومن الغرب نهر الفرات والحدود السورية، أمّا شرقاً فتحدها جبال حميرين، يتشكّل سطحها من أراضٍ منبسطة تتخللها هضاب وكثبان رملية ومنخفضات (بحيرات) وأودية، تتميز هذه المنطقة بسقوط الأمطار الكافية للزراعة والرعي مما أدى إلى ازدهارها في عصور ما قبل التاريخ، بالإضافة إلى هذا فهي همزة وصل بين الأرض الرافدية وموانئ البحر المتوسط وبلاد الشام والأناضول<sup>(1)</sup>.

ب. هضبة البادية الغربية: وتحاذي مجرى نهر الفرات من الغرب، وهي جزء متمم من بادية الشام وتمتدّ إلى وسط الجزيرة العربية، تربتها كلسية أو رملية لا تساعد على نمو النباتات إلا في الواحات، تتخللها بعض المنخفضات التي تجري فيها الأمطار القليلة، ومن الناحية التاريخية شكّلت هذه المنطقة مصدراً للهجرات البشرية من الجزيرة العربية<sup>(2)</sup>.

## 3. السهل الرسوبي:

يقع في وسط وجنوب العراق ويحيط بنهري دجلة والفرات، ويمتدّ على شكل مستطيل من مدينة سامراء على نهر دجلة ومدينة هيت على نهر الفرات شمالاً والحدود الإيرانية شرقاً والهضبة الصحراوية غرباً، تبلغ مساحته 93 ألف كيلومتر مربع، يبلغ طوله في خط مستقيم من بغداد إلى مصب شط العرب<sup>(3)</sup> 565 كيلو متر، ومتوسط اتساعه بين غرب الفرات وشرق

(1) - قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 98.

(2) - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 19.

(3) - شط العرب: نهر في العراق مؤلف من التقاء دجلة بالفرات قبل مصبهما في الخليج العربي، يبلغ طوله 150 كلم، ويروي مدينة البصرة. من روافده: "القارون" وهو يجر معه كميات كبيرة من الطمي والتراسب شكّلت مع الأيام أرضاً صلبة، انظر: جاسم محمد خلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1965، ص 185.



نهر دجلة 130 كيلومتر، وهو يمثل 20 بالمئة من مساحة بلاد الرافدين، ويعرف هذا السهل أحيانا بسهل الدلتا<sup>(1)</sup>.

**د. المناخ:** تقع بلاد الرافدين في القسم الجنوبي من المنطقة المعتدلة بين دائرتي عرض 30° جنوبا و 37° شمالا، وبين خطي طول 58° و 48° شرقا، وبما أنّ بلاد الرافدين تقع غرب قارة آسيا وبين دوائر العرض وخطوط الطول المذكورة آنفا فإنّ مناخها من النوع الانتقالي بين المناخ الصحراوي الحارّ ومناخ البحر المتوسط المعتدل، فتكون بذلك درجات الحرارة في المنطقة الجنوبية أعلى منها في المناطق الأخرى<sup>(2)</sup>، وكان لكميات المياه الكثيرة التي امتلأت بها الأنهار خلال العصور المطيرة التي عرفتها بلاد الرافدين تأثير على تكوين السهل الرسوبي بما حملته من رواسب الغرين والطمي إلى المنخفض الذي تشكّل فيه هذا السهل<sup>(3)</sup>.

لم يحدث تغيير في مناخ بلاد الرافدين، وتتميّز بوجود ثمانية أشهر غير مطيرة في السنة، وبحلول الشتاء بلياليه الباردة، تحدث العواصف المتقطعة، وفي المقابل لا تتلقّى الأنهار الكميات اللازمة من الأمطار إلى غاية مجيء الربيع عندما تذوب الثلوج في جبال طوروس وزاجروس فتتغذى الروافد بالمياه ثم تأتي الفيضانات الربيعية والتي كانت تمثل خطرا على السهول المنخفضة، ويحدث الفيضان ما بين شهري "نيسان" "أفريل" و"حزيران" "جوان"<sup>(4)</sup>.

**و. الأنهار:** يعتبر نهر دجلة والفرات شريان الحياة لمنطقة بلاد الرافدين، وتعود تسمية الفرات حسب النصوص البابلية إلى أصل سومري يفيد معنى "بورتم" أو "بوراتي" ومنه الاسم بالعربية: فرات أي الرافد أو الماء العذب، وورد نهر دجلة في النصوص المسمارية والسومرية على هيئة "إدكنا" أما الأكادية والبابلية فجاء تحت اسم "ادقلات" أو "ادجلات" وتعني الجاري أو الراوي ومنه جاء الاسم العربي "دجلة"، ويتميّز نهر الفرات بطوله عن نهر الدجلة وبتعرجاته، حيث يبلغ طوله 2940 كلم ويسبب طوله الكبير وعرض مجراه الواسع فيضانات موسمية تستغرق ضعفي فيضانات نهر دجلة، حيث تتدفق ينابيعه من جبال الأناضول في وسط آسيا الصغرى

(1) - سرحان نعيم الخفاجي، التحليل الجيومورفولوجي لمراحل تكون السهل الرسوبي، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، مج 1، العدد 61، 2010، ص 3.

(2) - طه باقر، المرجع السابق، ص 34.

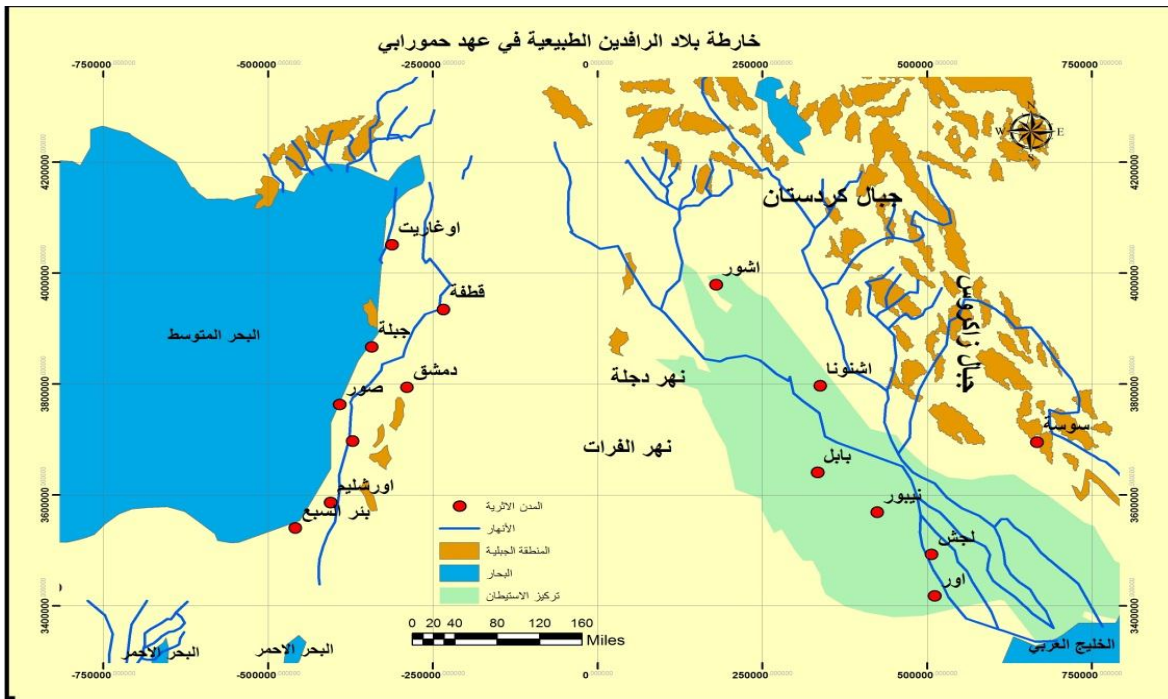
(3) - نفس المرجع، ص 35.

(4) - سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين في العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ط 1، تر: محمد طلب، دار دمشق، سوريا، 1993، ص 21.

وبالتحديد من المناطق التي تقع شمال وغرب بحيرة "وان"، وأهمّ روافده: الخابور والبليخ في المنطقة السورية<sup>(1)</sup>، بينما يبلغ طول نهر الدجلة حوالي 1718 كم ويبلغ طوله حتى مصبه في الخليج العربي حوالي 1750 كلم، وأهمّ روافده: الزّاب الأعلى والزّاب الأسفل ونهر الديالي ونهر الخابور، وتنفجر ينابيعه الرئيسيّة من جبال أرمينيا جنوب غرب بحيرة "وان" في آسيا الصغرى وموسم فيضانه تصاحبه كمّيات هائلة من المياه التي تصبّ في الخليج العربي، وهي تعادل أضعاف كمّيات نهر الفرات<sup>(2)</sup>. [أنظر الخريطة رقم 2].

### الخريطة 2: بلاد الرافدين الطبيعية

من انجاز الباحثة باستخدام برنامج ArcGIS 10.2، استنادا على المرجع السابق:



### الحبيب البقلوطي، المرجع السابق، ص 169.

نشأت في بلاد الرافدين السفلى في المنطقة التي تسمى سومر حضارة اتّسمت بالإبداع، خاصّة فيما يتعلّق بالدين والكتابة وامتدت تأثيراتها لآلاف السنين حتى بعد أن قضت عناصر

(1) - المنطقة السورية: كان اليونان أول من سمى سورية باسمها، مع أن الشاعر هوميروس أطلق على سكانها "الأراميين"، وقد سماها هيروdot "سورية" أيضا وجاراه في ذلك سائر اليونان و الرومان، وقد سميت كذلك نسبة إلى "صور" فابدل حرف الصاد بالسين لعدم وجود حرف "ص" في اللغة اليونانية، للمزيد انظر: أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986، ص 385.

(2) - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 20.

عرقية أخرى على السومريين<sup>(1)</sup>، وانتشرت الحضارة في بلاد الرافدين من الجنوب إلى الشمال، ووصلت إلى مستوى متقدم في الفرات عنها في دجلة<sup>(2)</sup>، ذلك أن الفيضان الذي يجتاح الفرات يكون أقلّ عنفاً من فيضان دجلة مما أدى إلى التركيز على ظاهرة الاستيطان في وادي الفرات دون دجلة<sup>(3)</sup>، لذا فقد تمتع نهر الفرات بقُدسية كبيرة لدى السومريين والأكاديين والبابليين والذين شيّدوا حضارتهم القديمة على ضفافه واعتبروه مصدر للرخاء والحياة وخالق كل شيء، فهو نهر المعابد المقدسة حفرته الآلهة لتنعم البلاد بنعمة مياهه<sup>(4)</sup>.

كان للنهرين دور بارز في حياة سكان بلاد الرافدين، فقد لعبا دوراً بالغ الأهمية في ريّ الأرض وخصوبتها والربط بين أجزائها عن طريق المواصلات والتجارة، وزيادة الترسبات الناتجة عن الفيضانات الموسمية التي تسببت في هجرة الكثير من المدن التي كانت قائمة على مجاري النهرين وإقامة مدن جديدة في ظلّ عدم انتظام فيضاناتها وعنفاً وعدم ملاءمتها لموسم الدورة الزراعية، هذه الظاهرة جعلت سكان هذه المنطقة يبذلون جهوداً كبيرة للسيطرة على نهريّن من أشدّ الأنهار عنفاً وتقلّباً.

إنّ تنوع الوسط الطبيعيّ في بلاد الرافدين أدّى إلى تنوع المناخ فيها، فهذه المنطقة لا تشرف مباشرة على البحر المتوسط، والذي يفصلها عنه حاجز جبليّ فيتسبب في هطول أمطار على الواجهة البحرية، بينما تعاني الجهة الداخليّة من الجفاف أين تبدأ الهضاب والصحراء والسفوح الشرقيّة للسلسلة الداخليّة لجبال لبنان، ومن جهة أخرى فإنّ ارتفاع أراضي الجزيرة العربيّة وجبال طوروس وبدرجة أقلّ جبال زجروس أدّى إلى تساقط الأمطار على أطراف بلاد الرافدين أكثر من المنطقة الداخليّة ولكن ليس بصفة دائمة، أمّا تغذية النهرين فتعتمد على المناطق المرتفعة والتي تكثرت فيها الثلوج والأمطار والجليد في فصل الشتاء وكذا على الأمطار

(1) - أندريه إمار وجانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، ط1، ج1، تر: فريدم. داغر وفولج أوبريجان، منشورات عويدات، بيروت، 1986، ص ص 134، 135.

(2) - أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، د.ط، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2000، ص 27.

(3) - طه باقر، المرجع السابق، ص 37.

(4) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ج1، ص 444.

المخزّنة في الصّخور الكلسيّة، وبفضل هذا استطاع النّهران اجتياز الصّحراء التي تفصلهما عن الخليج العربيّ. (1)

وكانت لطبيعة أرض العراق بمختلف تضاريسها، وبنهرها العظيمين وبينهما الوادي الخصب والدلتا موطناً لحضارة بلاد الرّافدين، وهذه الخلفيّة الجغرافيّة هيأت لإنسان هذه المنطقة الظروف الطّبيعيّة والبيئية الملائمة لتشييد حضارة بعد استقراره واستيطانه في أولى قُراه الزراعيّة على مرّ العصور. (2)

وقد تكيف تاريخ وحضارة الشّعوب التي عاشت في منطقة بلاد الرّافدين مع الظروف الطّبيعيّة لبيئتها، فالهجرات الإنسانيّة لهذه المنطقة تأثّرت بالعوامل الاقتصاديّة والمناخيّة المسيطرة على حياة النّاس، واتّجاهات هذه الهجرات حدّدت خطوط المواصلات خاصّة الرّابطة بين هذه المنطقة والجزيرة العربيّة وسوريّة، وامتلاك هذه الخطوط وما نتج عنه من السيطرة على الحياة كلّها في هذه المنطقة حدّد سير التّاريخ، فتأسّست دول وحضارة هذه الدّول عكست بيئتها، واستمدت منها نواحي قوتها أو ضعفها. (3)

## 2. الإطار البشريّ:

إنّ الحضارة التي قامت في بلاد الرّافدين كانت من إبداع شعوب عديدة أغنى كلّ منها الآخر في مجال الأدب، العلم، والنشاط العمريّ، وكانت الأسبقيّة في كلّ هذه الأمور للسومريّين، كما ساهمت الشّعوب السّامية الأخرى من الأكاديّين والآموريّين (4) والآشوريّين في ازدهار هذه الحضارة وعندما ازدهرت بابل أطلق على تلك الحضارة المركّبة اسم الحضارة البابليّة، التي سعى

(1) - جون كلود مارغون، المرجع السابق، ص 25.

(2) - مجنم أبو الصوف، التاريخ من باطن الأرض، آثار وحضارات وأعمال ميدانية، د. ط، المكتبة الوطنيّة، الأردن، 2009، ص 7.

(3) - سبتيانو موسكاني، الحضارات السّامية القديمة، د. ط، تر: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، 1986، م، ص 41.

(4) - الآموريّون: كلمة نقلت من المصطلح السومري (مارتو) ومن الكلمة الأكديّة (أمورو)، وأطلق عليهم السومريون (أهل مارتو) أي أهل الغرب، وأطلق عليهم الأكديون اسم الآموريّين، استوطنوا بلاد الرافدين خلال العصر الأكدي في المناطق الجنوبيّة، وساهموا في سقوط عصر سلالة أور الثالثة، وأسّسوا عدّة مدن أهمّها: مدينة بابل، كما أنشأ الآموريّون مملكة تُعرف بمملكة (أمورو) في القرن 14 قبل الميلاد، وممالك واسعة الأطراف أشهرها: مملكة بيمحاص ومملكة ماري الأموريّة. للمزيد، انظر: عماد طارق توفيق، القبائل الأموريّة ودورها التاريخي في بلاد الرافدين والشّام، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 2014، ص 197، 198، عيد مرعي، الآموريّون ومملكة الأمورو، مجلة مهد الحضارات، العدد 11، 12، مركز الباسل للبحث والتّدرّس الأثري، سوريا، 2010، ص 17، أحمد إسماعيل، تاريخ بلاد الشّام منذ ما قبل الميلاد حتّى نهاية العصر الأموي، ط3، دار دمشق، 1994، ص 37.

مؤسّسوها إلى التمسك بالكثير من التقاليد الموروثة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد أو حتى قبل هذا التاريخ لتصبح المسيطرة على الحياة الرسمىة والاجتماعية والثقافية والسياسية. (1)

أ. السومريون: هم من الأوائل الساكنين في الجهة الجنوبية من بلاد الرافدين، وكانت إقامتهم طويلة قبل اختراع الكتابة، على أن قدومهم إلى هذه المنطقة كان في الربع الأخير من الألف الرابعة قبل الميلاد، ولا يزال منشؤهم وموطنهم غامضاً. (2)

ظهر اسم سومر في الألف الرابعة قبل الميلاد، عندما هاجرت مجموعات بشرية واستقرت في جنوب الرافدين مشكلة الحضارة السومرية التي تطورت ما بين 3500-2000 ق.م. (3)

وهناك جدل كبير حول جنس وموطن السومريين وغيرهم من الأقوام التي سكنت جنوب بلاد الرافدين فقد تشعبت الآراء حول الموطن الأصلي للسومريين فهناك من يرى أنهم جاءوا عن طريق البحر في العصر السابق للوركاء. وفي عصر العبيد (4)، وسكنوا في البداية دلمون. (5) ثم نزحوا بعد ذلك إلى القسم الجنوبي الذي أصبح يعرف باسم بلاد سومر، لكن هناك رأي آخر يرى أن السومريين قدموا من وراء القوقاز أو من وراء بحر قزوين، وسكنوا في البداية غرب عيلام (فارس) في عصر العبيد وأوائل الوركاء واقتبسوا حضارة بلاد الرافدين التي وصلت تأثيراتها إلى عيلام، فهاجروا إلى المنطقة الجنوبية لبلاد النهرين وسيطروا عليها تدريجياً (6).

(1)-JaneMcIntosh,op.cit, p19.

وكذلك انظر:نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، د.ط، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص39.

(2)-أرنولد تويني، تاريخ البشرية، د.ط، ج1، تر: نيقولا زيادة، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1988، ص92. انظر: عزمي سكر، السومريون في التاريخ، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999، ص27، نائل حنون، حقيقة السومريون، ط1، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2007، ص23، صموئيل نوح كيرمر، من ألواح سومر، د.ط، تر: طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص8.

(3)-René Grousset, *Histoire de l'Asie*, Presses Universitaires de France, Paris 1944, P 7.

(4)-العبيد: تل في بلاد الرافدين السفلى قريبة من مدينة أور عثر في هذا التل على آثار حضارة تعود الى أوائل العصور التاريخية، أنظر: هنري س. عبودي،

المرجع السابق ص593. وانظر كذلك: René Grousset: Op. Cit, p 6

(5)- دلمون: محطة تجارية في الخليج الفارسي في العصور القديمة، وذكرت في الكتابات المسمارية، ويعتقد العلماء أن دلمون هي البحرين حالياً والتي كانت تحتل مكاناً بارزاً في بلاد الرافدين. انظر: موسى كريدي، الموسوعة الصغيرة، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992، ص123، 124؛

محمد بيومي مهرا، تاريخ العراق القديم، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص88.

(6)- محمد بيومي مهرا، المرجع السابق، ص88-89.

على أنّ هذا الاختلاف لا يزال قائماً حول الموطن الأصليّ للسومريّين، وهم من الشّعوب غير السّامية، ويقصد بهم الأقوام التي تكلمت اللّغة السومريّة والتي لا تنتمي إلى أيّ من مجاميع اللّغة الجرزية (السّاميّة) وهي تشكّل مجموعة مستقلة بحدّ ذاتها.<sup>(1)</sup>

وقد طوّر السومريّون أنظمة الرّيّ ومارسوا تجارة الأحجار مع سكّان السّاحل الشّرقيّ للبحر المتوسّط، وتجمّعوا في مدن مثل: أوريدو<sup>(2)</sup>، أور<sup>(3)</sup>، أورك، لجش<sup>(4)</sup>، أوما<sup>(5)</sup>، شوروباك<sup>(6)</sup>، وكان زعماء هذه المدن يسعون للهيمنة على بلاد سومر<sup>(7)</sup>، وعليه فقد انقسم تاريخهم إلى مرحلتين:

**المرحلة الأولى (2600 ق.م - 2400 ق.م):** تشكّلت تلك المدن واحتفظت كلّ مدينة باستقلالها السّياسي مشكّلة دولة المدينة تحت حكم ملك كاهن<sup>(8)</sup>، وخاضت حروباً فيما بينها من أجل السّيطرة على بلاد سومر، وسمّيت هذه المرحلة بمرحلة السّلالة السومريّة المبكّرة<sup>(9)</sup>، وأشهر العدا ما كان بين مدينتي لجش وأوما وانتهى بانتصار الأولى.<sup>(10)</sup>

(1) - قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 121.

(2) - أوريدو: هي منطقة أبو شهرين الحالية، تقع غرب الناصرية بحوالي 10 كلم، وهي عبارة عن مرتفع عالي يبلغ ارتفاعه 12 متراً وهو مستطيل الشكل، مساحته 18750 متر مربع، انظر: عماد عبد العظيم أبو طالب، تاريخ العراق القديم، ط 1، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2015، ص 51، انظر كذلك: René Grousset: Op. Cit, P 8

(3) - أور: موقع أثري لمدينة سومرية تقع في تل المقير جنوب العراق، كانت عاصمة للدولة السومرية حوالي 2100 قبل الميلاد، تقع على مصب نهر الفرات في الخليج العربي قرب أوريدو، حالياً تقع في منطقة نائية وبعيدة عن النهر بسبب تعيّر مجرى نهر الفرات، ويُعتقد أنّها منطقة مولد النبي إبراهيم عليه السّلام، واشتهرت هذه المدينة بمعبد "الزقورة"، انظر: قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 125.

(4) - لجش: إحدى المدن السومرية القديمة، اشتهرت بالزراعة، تقع في محافظة ذي قار في قضاء الديوانية، تبعد عن مركزها بحوالي 16 كلم، وتعتبر من أقدم المدن السومرية. انظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 700.

(5) - أوما: تعرف حالياً تل جوخة، وهي مدينة قديمة في بلاد الرافدين تعود إلى العصر السومري، سكنها السومريون والأكاديون. انظر: قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 128.

(6) - شوروباك: مدينة سومرية قديمة تسمّى حالياً بتل فارا وتعتبر ضمن محافظة "القادسية"، وقد قام الألمان بالتنقيب في هذا الموقع (1902 - 1903) وكذلك نقبت فيه مجموعة من جامعة بلسنفانيا في 1931م، وهي آخر مدينة من المدن الخمس التي قامت فيها سلالات حاكمة قبل حدوث الطوفان حسب آثبات الملوك السومرية، انظر: نائل حنون، ملحمة جلجامش، ط 1، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ص 235.

(7) - هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 593.

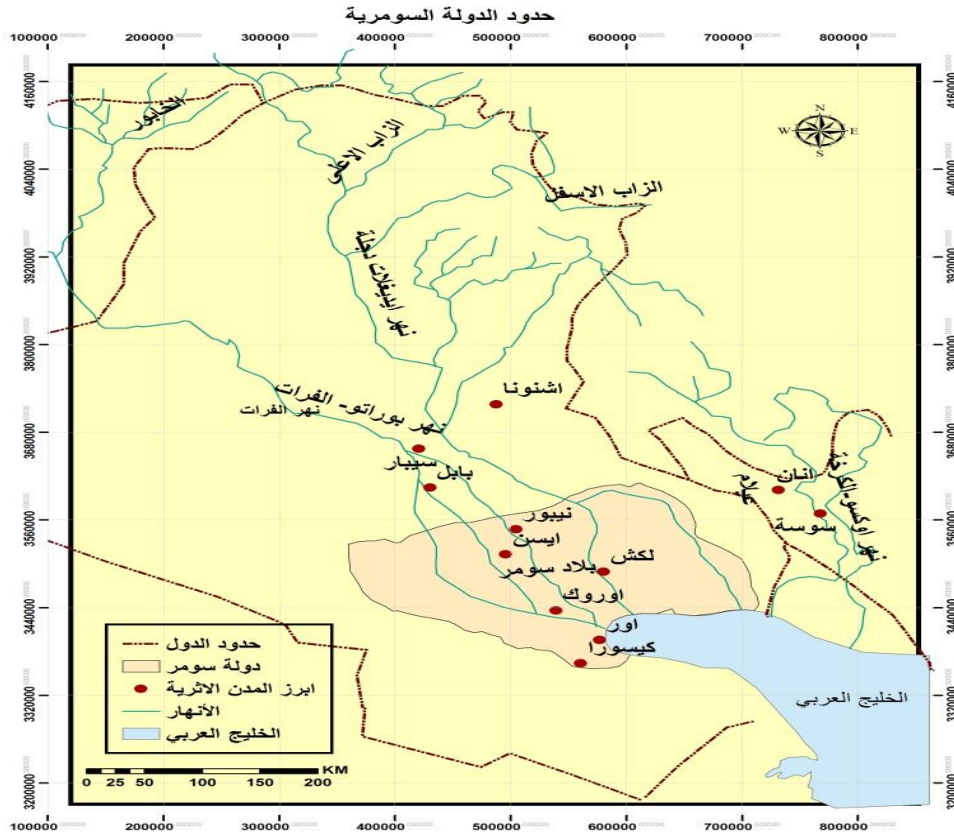
(8) - خزعل الماجدي، متون سومر، ط 1، ج 1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ص 43. أثر كورتن، قاموس أساطير العالم، د. ط، تر: سهى الطريحي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، العراق، 2010، ص 14، 15.

(9) - ك. ماتيفيف و أ. سازونوف، حضارة ما بين النهرين، د. ط، تر: حنا آدم، دار الجهد، دمشق، 1991، ص 8.

(10) - عماد عبد العظيم أبو طالب، المرجع السابق، ص 99.



المرحلة الثانية (2400 ق.م – 2350 ق.م): ويطلق على هذه المرحلة عهد المملكة المتحدة، حيث تمكن ملك أوما (لوغال زاجيري) (لوغال تعني الملك) (2357 ق.م – 2350 ق.م) من الثأر من مدينة لجش واستكمل انتصاره بالزحف نحو المدن الأخرى، وانتهى به المطاف إلى توحيدها متخذاً مدينة أورك (الوركاء) عاصمة لدولته [أنظر الخريطة رقم 3]، لكنّ هذه الدولة لم تعمّر أكثر من ربع قرن حيث سقطت على يد الأكاديين سنة 2350 ق.م، واستطاع الأمير سرجون الأكادي (2350 ق.م – 2294 ق.م) أن يقضي عليها منهيًا بذلك حكم أسرة الوركاء الثالثة لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ بلاد الرافدين<sup>(1)</sup>.



الخريطة رقم 3: الدولة السومرية

من إنجاز الباحثة باستخدام برنامج Arcgis 10.2، استناداً على المرجع: محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 14.

<sup>(1)</sup> -عماد عبد العظيم أبو طالب، المرجع السابق، ص 103.

بروز الأقوام السومرية على المسرح السياسي والحضاري في القسم الجنوبي منذ مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد، بدأ تأثيرهم في هذه المنطقة وإسهاماتهم العديدة والتي اقتبسها الأقوام الذين جاءوا من بعدهم<sup>(1)</sup>.

وكانت الحضارة السومرية منبعاً للحضارات القديمة خاصة الحضارة الأكادية والبابلية والآشورية والتي نقلت بدورها المنجزات السومرية في مجال السياسة وفن الإدارة والعدالة المبنية على مجموعة من القوانين بالإضافة إلى الآداب والديانة<sup>(2)</sup>.

إنّ أول نشأة للأدب السومري في بلاد الرافدين تعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وتعتبر مدوناتهم المعروفة من أقدم النصوص الأدبية التي عرفتها البشرية وهي تقصّ علينا أعمال البطولة التي يقوم بها البطل المعني في الأسطورة<sup>(3)</sup>.

كان مركز الحياة الثقافية السومرية في المدن، أين كانت تتوسطها المعابد وهي نواة حضارتها والمركز فيها، تحيط بها الأسوار الضخمة وفي داخل تلك الأسوار قامت أماكن العبادة ومخازن المعبد والمكاتب يشرف عليها الكهنة الأغنياء، يساعدهم الكتبة الذين كانوا يؤجرون ويرعون أملاك المعابد، وقد قامت هذه المعابد مقام البنوك لأنهم كانوا يقرضون الناس باسم الإله ويتقاضون الأرباح باسمه أيضاً ومن أشهر المعابد: معبد (Enlil) إله الهواء في مدينة نيبور ممّا جعل هذه المدينة مقدّسة بين سائر المدن السومرية<sup>(4)</sup>.

وتعتبر طريقة الكتابة المعروفة بالكتابة المسمارية من ابتكارهم، وبلغت حضارتهم حداً كبيراً من التطور وتميّزت بطابعها الزراعي وبمعبدها الجميلة وكهنتها، وقوانينها وأدبها وأساطيرها الفنية<sup>(5)</sup>.

(1) - طه باقر، المرجع السابق، ص 82، وكذلك انظر: Jane McIntosh, op.cit, p 43

(2) - Danielle le grand, *Dictionnaire chronologique d'histoire Universelle De L'Antiquité et du moyen Age*, p3.

(3) - مازن محمد حسين، الأسطورة في بلاد الرافدين، مجلة بابل، مج 6، العدد 4، 2016، ص 299.

(4) - جيمس هنري برستيد، انتصار الحضارة، د. طتر: أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، مصر، 2011، ص 165.

(5) - صموئيل هنري هوك، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، د. ط، تر: يوسف داوود عبد القادر، دار الجمهورية، بغداد، 1968م، ص 3.



وأصبح الخطّ المسماريّ بعد ذلك منتشرا في كلّ مكان من العالم القديم خاصّة في اللّهجة الأكاديّة البابليّة والآشوريّة<sup>(1)</sup>.

اندمج السّومريّون وفقدوا لغتهم، لكنّ تراثهم الذي تركوه كان له الأثر الكبير على الشّعوب السّاميّة<sup>(2)</sup>، فلم تكن الحرب عائقا في وجه التّفاعل الحضاريّ بين السّومريّين والأكاديّين والشّعوب الأخرى (السّاميّة)، وإنّما نتج عنه استيعاب السّاميّين عناصر عديدة من اللّغة والكتابة السّومريّة.

**ب. العناصر السّاميّة:** توافدت على بلاد النّهرين شعوب ساميّة وذلك في الألف الثالثة قبل الميلاد، والتي نزلت من شبه الجزيرة العربيّة.

## 1. الأكاديّون:

هم من الأقوام السّاميّة التي هاجرت من شبه الجزيرة العربيّة إلى نهر الفرات واستقرّوا في بداية الأمر على ضفة الفرات اليمنى، وقد مارسوا الزراعة التي تعتمد على الرّيّ بشقّ قنوات من نهر الفرات نتيجة لهبوط مستوى النّهر في تلك المنطقة، اضطرّ قسم منهم إلى مغادرة ديارهم والتّوجّه جنوبا والاستقرار على ضفتي مجرى الفرات، وأهمّ مدنهم: سيبار أكد، كوئا وأكشاك وكانت هذه المدن النّواة الأولى لقيام إمبراطورية في تاريخ الإنسانيّة والتي أسّسها سرجون الكبير<sup>(3)</sup>

(1) -حسن فهد حماد، موسوعة الآثار التاريخية القديمة، د.ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن 2003، ص133.

(2) -السّاميّة: نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام الذي ذكر في صحيفة "الأنساب" الواردة في الإصحاح 10 من سفر التكوين (21 - 31) والإصحاح 11: (10 - 26)، واستعمل لفظ السّامي مطبوعا لأول مرة عام 1871م على يد المستشرق الألماني سلوتتسر في مقاله عن الكلدانيين الذي أورده أشيهورن في فهارس الأدب الشرقي والتوراتي (المجلد 8، ص161). والذي جاء فيه (من البحر المتوسط إلى الفرات من أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوبا سادت كما هو معروف لغة واحدة، لهذا كان السوريون والبابليون والعبريون والعرب شعبا واحدا، وكان الفينيقيون (الهاميون) أيضا يتكلمون هذه اللغة التي أوّد أنّ اسمها "اللغة السّامية"، وتولى بعد ذلك أشيهورن نشر هذا المصطلح والدفاع عنه، انظر: سفر التكوين 10: 11، وكذلك: فتحي محمد الرغبي: المرجع السابق، ص104، جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، ج1، جامعة بغداد، العراق، 1993، ص223.

(3) -سرجون الكبير: هو مؤسس السلالة الأكديّة ويعي اسمه (الملك الصادق) أو (الملك الحق) واسمه باللّغة الأكديّة (شرو-كين). يقول سرجون عن نفسه: أنا سرجون الملك العظيم ملك أكد، كانت أمي كاهنة عليا ولم أعرف أبي الذي كان متحوّلا وكان أعمامي يعيشون في التلال، وأصلي من مدينة (أزوفرانو) "الزعرانية" على الفرات، وحملت بي أمي ووضعني سرا وأخفتني في سلة من الحلفاء ورمته في الماء، فلم يغرقني النهر بل حملني إلى "أكي" ساقى الماء فانتشلي بدلوه وربّاني وأنخذي ولدا وعيني بستانيا عنده، وأحبّني "عشتار" و "توليت" الملوكيّة. للمزيد، انظر: طه باقر، المرجع السابق، ص392؛ وكذلك: أحمد سوسة: المرجع السابق، ج2، ص19.

(2350 ق.م – 2294 ق.م) في القرن الرابع والعشرين ق.م، وسميت بالأكدية نسبة إلى عاصمتها (أكد)<sup>(1)</sup>.

والموقع الحقيقي لمدينة أكد غير محدد<sup>(2)</sup>. ويعتبر قيام الأسرة الأكدية في بلاد ما بين النهرين سيادة العنصر السامي بدءاً من هذه المرحلة والتي حققت وحدة سياسية للبلاد وكانت المدن الأكدية تجاور المدن السومرية. [أنظر الخريطة رقم 4].



الخريطة رقم 4: الإمبراطورية الأكدية من انجاز الباحثة باستخدام برنامج ArcGIS 10.2 استناداً على المرجع: سيف الدين الكاتب، سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ القديم، ط6، المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية، سوريا، 2012، ص 50

(1)- حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 45.

(2)- علي ياسين الجبوري، قاموس اللغة الأكدية - العربية، د. ط. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، د. ت، ص 17.

وقد وردت أسماء سامية في أسر الوركاء وأور السومرية، وترد أسماء السومريين في أسر المدن السامية ككيش وسيبار. وهذه المدينة الأخيرة وردت في أسطورة الطوفان السومرية كإحدى المدن الخمس التي أنزلت عليها الملكية من السماء<sup>(1)</sup>.

كان الهدف الأول من الفتوح التي بدأها سرجون الكبير (2350 ق.م – 2294 ق.م) السيطرة على المناطق الغنية بالموارد والمواد الأولية الضرورية لازدهار الحضارة، وهكذا سار على دربه حلفاؤه وكان أشهرهم (نرام سين) (2272 ق.م – 2235 ق.م)، فقد أعاد السيطرة على المدن التي خرجت عن سيطرة أكد، ونتيجة لفتوحاتها الواسعة أضاف إلى لقب (ملك أكد) (ملك الجهات الأربع) وارتبط اقتصاد الولايات الخاضعة له بالعاصمة متبعا بذلك المركزية في تسيير شؤون دولته<sup>(2)</sup>.

كان لهذه التوسعات الأثر الكبير في تاريخ الحضارات البشرية والاتصالات المباشرة بين شعوب منطقة الشرق الأدنى، ونشر حضارة وادي الرافدين في أقاليمه، فبدأ انتشار استعمال الكتابة المسمارية حيث استعارت الشعوب المجاورة الخط المسماري لتدوين لغاتها المختلفة<sup>(3)</sup>.

وتعتبر اللغة الأكادية من أقدم اللغات السامية والتي تكلم بها الساميون القدامى في بلاد الرافدين وانتقلت إلى جميع مناطق النفوذ الأشوري والبابلي، استمرت لأجيال طويلة مشكلة اللغة الثقافية في الشرق الأدنى وحافظت على استقرارها وعرفت في بداياتها باللغة الأكادية القديمة وبمجاورتها للسومرية استعارت منها العديد من المفردات واستمرت لغة علمية ودينية في العهد المسيحي<sup>(4)</sup>.

(1) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 67.

(2) - قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 130.

(3) - طه باقر، المرجع السابق، ص 391.

(4) - هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص 117.

واللغة الأكادية والسومرية تستخدمان إِمّا معا أو منفردتين عند كتابة النصّ المسماريّ وذلك بسبب الاختلاط الاجتماعيّ بين الشّعبيين ويعود الفضل في شهرتها لاستخدامها في تدوين سجلّات سرجون وحلفائه<sup>(1)</sup>.

لقد شارك الأكاديّون في توطيد الحضارة القائمة على الزراعة والتي تركز على الرّيّ الدائم<sup>(2)</sup>. وقد أدخلوا بذلك إلى جنوب بلاد الرافدين الحضارة النهرية التي سمّاها بعض الباحثين بالحضارة النهرية أو الحضارة الإروائية<sup>(3)</sup>.

إنّ هذه التوسّعات الأكادية أدّت بالضرورة إلى انتشار حضارة بلاد الرافدين من أدب وأساطير وقصص ومعتقدات دينية، وقد ساهمت في تحضّر الكثير من الشّعوب البدائية القاطنة على حدود بلاد الرافدين ونشر عناصر هذه الحضارة.

بدأ الضّعف يظهر مباشرة بعد وفاة (نرام سين) (2272 ق.م – 2235 ق.م) الذي خلفه ابنه (شاركليشاري) (2235 ق.م – 2210 ق.م) والذي لم يكن بقوة أبيه حيث انهزم أمام الكوتين<sup>(4)</sup> وبعد وفاته تعاقب على الحكم ستة ملوك لمدة 60 عاما انشغلوا بالصراع على السلطة إلى أن سقطت الإمبراطورية الأكادية على يد الكوتين سنة 2150 ق.م.<sup>(5)</sup>

**العهد السومريّ الحديث:** بقيت معظم المدن السومرية تحت حكم أسرها بالرغم من خضوعها لسلطان الأكاديين أو غيرهم، وانتقل الحكم من أسرة إلى أخرى في المدن المختلفة، وظهر فيها بعض الحكّام الأقوياء من حين إلى آخر ومن هذه الأسر: أسرة لجش الثانية وأسرة الوركاء الخامسة وأسرة أور الثالثة.

(1) - علي ياسين الجبوري، المرجع السابق، ص 17.

(2) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 16.

(3) - طه باقر، المرجع السابق، ص 392.

(4) - الكوتين: نسبة إلى مدينة كوتا الأكادية بالقرب من مدينة كيش، عندما قام سرجون بضي أهالي السامرة استبدلهم بسكان من هذه المدينة (نحو 722 ق.م)، وقد نشأ من المزيح الإثني شعب سامري جديد أطلق عليهم التلمود اسم الكوتين، وتعرف هذه المدينة أيضا باسم الكوت، انظر: هنري س. عبودي: المرجع السابق، ص 727.

(5) - قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 130.

**1. أسرة لجش الثانية: (2230-2113 ق.م):**

استطاع حكامها تحقيق كيان مستقل لمدينتهم، وبدأ دور هذه الأسرة يظهر منذ حاكمها (أوربابا Ur-Baba) (2164-2144 ق.م)، حيث استطاع أوربابا إقامة العديد من المعابد والأبنية لآلهة لجش وقام بشقّ العديد من القنوات لتسيير أمور الزراعة<sup>(1)</sup>، ويعدّ (Gudea) (جوديا) (2144-2124 ق.م) أشهر حاكم في أسرة لجش الثانية، وتمتّع بقدر كبير من الاستقلال عن الكوتين والثروة وقد اشتهر بالورع والتقوى اللذين أكسباه احترام المجتمع السومري، واكتسب شهرته من خلال أنشطته الدينية المتصلة ببناء أو إعادة بناء المعابد الهامة في مدينة لجش. وبعد موته خلفه ابنه (أور نجورسو) ولم يكن مثل والده وكان آخر ملوك هذه الأسرة ناما خني<sup>(2)</sup>.

**2. أسرة الوركاء الخامسة (2120 - 2113 ق.م):**

ظهر في مدينة الوركاء (الزعيم السومري "أتوحيكال" الذي تمكّن من قيادة حرب تحرير بلاد الرافدين من سيطرة الكوتينين<sup>(3)</sup>) ونقل الملكية إلى مدينة الوركاء، ويوضح نقش الملك أتوحيكال جهوده في تخليص البلاد من الكوتينين، وكان لهذا التصّر مكانته بين المدن السومرية وكانت مدينة أور تابعة له، لكن لم ينعم طويلاً بهذا التفوذ إذ انتقلت السيادة على سومر إلى أسرة أور الثالثة<sup>(4)</sup>.

**3. أسرة أور الثالثة: (2113-2006 ق.م):**

ويسمّي كثير من الباحثين عصر هذه الأسرة (أور الثالثة) كآخر أسرة حكمت بعصر الإحياء السومري<sup>(5)</sup>. وقد أسّس هذه الأسرة "أورنمو" (2013-2096 ق.م) الذي قام بحملة عمرانية شملت المدن السومرية، وتعاقب على عرش هذه الأسرة خمسة ملوك أشهرهم:

(1)- أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص 285.

(2)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 299.

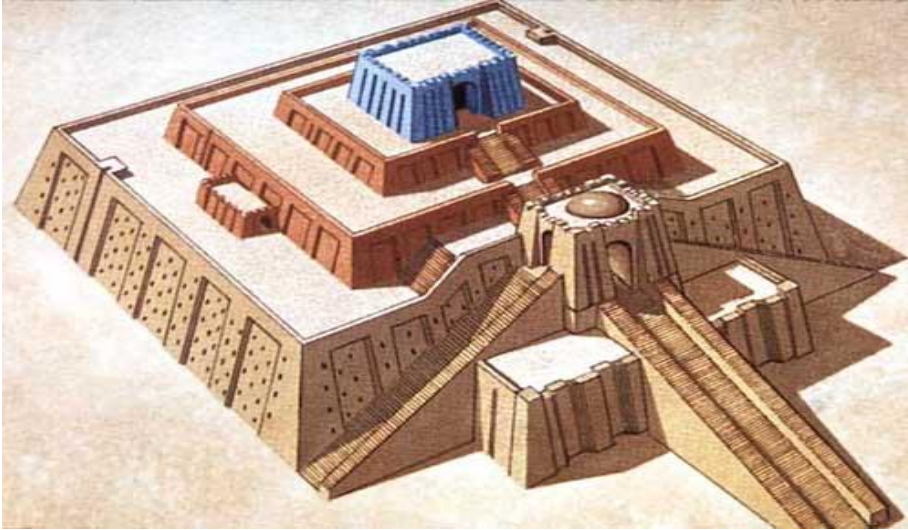
(3)- قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 131.

(4)- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 288.

(5)- قيس حاتم الجنابي، المرجع السابق، ص 132.

مؤسس الأسرة وابنه (شولجي أو شاخ جي) (2095 - 2048 ق.م) وبفضلها خضعت كثير من المدن السومرية والأكادية لأور مما سمح لملوكها بأن يتلقبوا بمثل ألقاب الملوك الأكاديين<sup>(1)</sup>، وأضافت هذه الدولة تجديدات في آفاق السياسة والتشريع ومجالات الصناعة والفن، وكان أورنمو من أقدم واضعي التشريعات المكتوبة والمعروفة في تاريخ بلاد الرافدين (تنظيمات أوركاجينا)<sup>(2)</sup>.

يأخذ المعبد في عهد (أورنمو) وخلفائه شكل البرج المتدرج لأول مرة في تاريخ بلاد الرافدين والشرق القديم وأطلق السومريون اسم الزقورة [الشكل رقم 1] على هذا البناء المتدرج<sup>(3)</sup>.



الشكل 1: الزقورة

MEMO Larousse,ENCYCLOPEDIE,Librairie larousse, 1990, p293

استمسك ملوك هذه الأسرة بالآلهة المقدسة منذ أيام الدولة الأكادية، واستعانت أور في جيشها بالسومريين والساميين، وجمعت بين اللغة السومرية والأكادية في بعض الوثائق الرسمية والأدبية<sup>(4)</sup>.

(1)-عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 651.

(2)-نفس المرجع، ص 652.

(3)-سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص 11.

(4)-عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 654.



ويمثل (إيبي - سن) (2029 - 2006 ق.م) آخر ملوك أسرة أور الثالثة، حيث انتهز العلاميون<sup>(1)</sup> وحلفاؤهم منالقبائل الجبلية الشرقية ما واجهه هذا الملك من ضغط العناصر الأمورية من الغرب. فهاجموا أرض سومر وحاصروا إيبي سن في عاصمته أور وهو كان يحاول إيقاف زحف العناصر الأمورية نحو الجنوب مما أدى إلى سقوط أسرة أور الثالثة وأسر آخر ملوكها<sup>(2)</sup>.

## 2. البابليون:

من القبائل الأمورية، حيث استطاع أحد الشيوخ الآموريين والمسمى (سومر - أبوم) في عام 2000 ق.م أن يستغل النزاع بين سلالاتي إيسن<sup>(3)</sup> ولارسا<sup>(4)</sup> وينفصل بمدينة بابل<sup>(5)</sup> ويعلن نفسه ملكا عليها. مؤسساً بذلك سلالة بابل الأولى الأمورية الطابع والتي كانت النواة لتأسيس دولة بابل الأولى القديمة (2000 - 1530 ق.م)، التي أصبحت القاعدة الحضارية الأولى لبابل التي ذاع صيتها في العالم القديم<sup>(6)</sup>.

وكانت بابل في ذلك الوقت بلدة صغيرة لم تشتهر بعد وكان يسكنها بعض الساميين الغربيين وبقايا الأكاديين، فأصبح لها شأن عظيم وأطلق اسم بابل على القسم الأوسط والجنوبي لبلاد

(1) -العلاميون: نسبة إلى بلادهم المسماة عيلام التي تقع في السهول الجنوبية الشرقية من إيران، وتعرف عند السومريين باسم "نيم" وتعني الأرض المرتفعة أو النجد، أما عند الأكاديين فعرفت باسم "إيلامتو"، وقد أطلق العيلاميون تسمية مختلفة ذكرت في المصادر المسمارية "خابرتي" "خاتامتي" وذكرت في الكتاب المقدس التوراة باسم "عيلام" نسبة إلى عيلام بن سام، أما بالنسبة للمصادر الفارسية تنطق على هيئة "خوز" أو "خوزي" و "خوزية" (سوسانية)؛ للمزيد، انظر: أسامة عيد يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دراسات وأبحاث، ط1، آشور بانبيال للكتاب، العراق، 2015، ص ص 54، 53؛ وكذلك انظر: سفر التكوين 10: 22، 14: 1.

(2) -محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص324.

(3) -إيسن: مدينة في جنوب العراق اليوم في محافظة "القادسية"، تقع بقاياها على نحو 200 كلم جنوب شرق بغداد، ذكرت في الكتابات المسمارية من الألفية الثالثة قبل الميلاد، انظر: قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص133.

(4) -لارسا: يطلق عليها السكان المحليون اسم السنكرة، وهي مدينة سومرية أثرية تقع جنوب العراق ضمن حدود محافظة ذي قار، أسسها الملك "نبولانوم" حوالي 2025-2005 ق.م، وقد أصبحت من دويلات المدن الرئيسية في جنوب العراق، انظر: فؤاد يوسف فرنجي، لارسا مدينة سومرية عبدت إله الشمس، الاثنين 16 فبراير 2009، 19:22.

(5) -بابل: مدينة قديمة على الفرات في بلاد الرافدين على بعد 90 كم جنوب بغداد اسمها السومري: كا-دينجير-ا- و ذكرت هذه المدينة منذ العصر الأكادي (منتصف الألف الثالثة ق.م)، انظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص192.

(6) - خزعل الماجدي، المعتقدات الأمورية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص19.

الرافدين<sup>(1)</sup>. ويرجع اختيار مدينة بابل كعاصمة لأهميّة موقعها الجغرافيّ الممتاز بمجاورتها للطّرق والممرّات التجاريّة الرئيسيّة التي تؤدّي إلى شمال سوريا والبحر المتوسّط ومصر وبلاد عيلام، وهي بذلك تقع في مركز التجارة العالميّ وفي الوقت نفسه تقع على الطّريق المباشر لأيّ غزو يستهدف السّهول الجنوبيّة<sup>(2)</sup>.

وكان أشهر ملوك هذه السّلالة حمورابي (1792-1750 ق.م) الذي قام بحروب متتاليّة لتوحيد أجزاء المملكة وضّم إليها مملكة "لارسا" و"ماري"<sup>(3)</sup> وامتدّت سلطته إلى سوريا وبلاد آشور<sup>(4)</sup>. [أنظر: الخريطة رقم 5].

ولم تقتصر شهرة حمورابي على الأعمال الحربيّة بل امتدت إلى الإصلاحات. والتّشريعات التي قام بها مستفيدا من الخبرة الإداريّة والسّياسيّة التي كوّنّها ملوك أسرة أور الثالثة وملوك "ايسن ولارسا"، وقد أحدثت شريعته مؤسّسات وعبادة جديدة في كلّ أنحاء الإمبراطوريّة<sup>(5)</sup>. وغدت بابل من أغنى المدن والعواصم التي عرفها التّاريخ القديم واتّسعت المملكة البابليّة ثمّ أخذت تسير نحو الزّوال بعد هجوم الحيثيين الجبليّين على بابل فاستباحوها ونهبوها ثمّ عادوا إلى مستوطناتهم في جبال طوروس، فزحف الكاشيون واحتلوا مدينة بابل وأسّسوا سلالة كاشيّة

(1) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 60.

(2) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 299.

(3) - ماري: مدينة قديمة على الفرات الأوسط بالقرب من الحدود السورية العراقية الحاليّة، اسم موقعها اليوم "تل الحريري"، عرفت من خلال اللوائح الملكيّة لبلاد الرافدين باعتبارها مقر السلالة الملكيّة العاشرة بعد الطوفان وما ورد من تلميحات عن اسمها في النصوص السومرية والبابلية وما عُثر عليه من لقي في أماكن مختلفة تذكر اسم المدينة. للمزيد، انظر: هنري س. عبودي: المرجع السابق، ص 763.

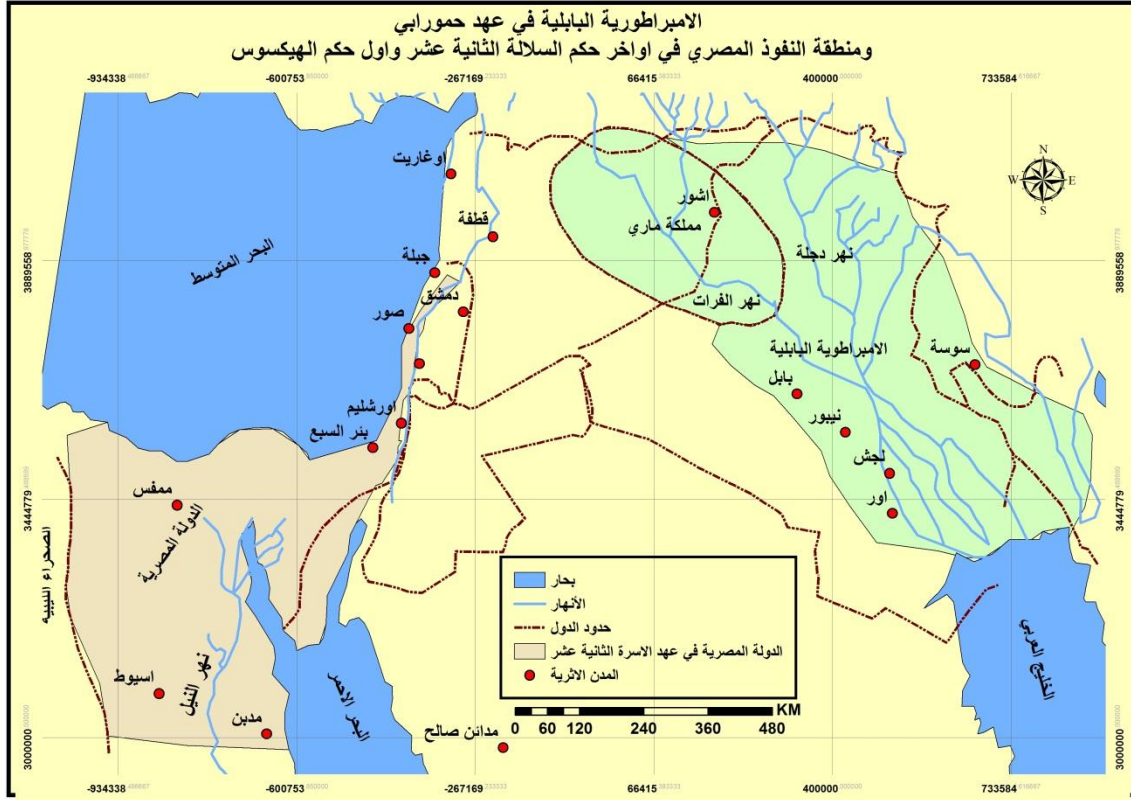
(4) - Barbara A Somervill, *Empire of Ancient Mesopotamia*, Chelsea House Publications, USA, 2009, p 38, 39.

Morten Braten, *Ancient Kingdom Mesopotamia*, wizards of the Coastin, Canada, 2004, p 8.

(5) - دياكوف ونوفاليف، الحضارات القديمة، ط 1، ج 1، تر: نسيم واكيم البيازجي، منشورات علاء الدين، دمشق، د.ت، ص 96، وانظر كذلك: سفر التكوين 14: 1-3، خزعل الماجدي: إنجيل بابل، ط 1، منشورات الأهلية، الأردن، 1998، ص 246.



(مملكة بابل الثالثة) (1595 – 1162 ق.م) ورثت جميع ممتلكات الدولة البابلية القديمة وانتهى حكمهم بغزو العيلاميين للبلاد (1168-1162 ق.م)<sup>(1)</sup>.



### الخريطة رقم 5: الإمبراطورية البابلية الأولى

من انجاز الباحثة باستخدام برنامج ArcGIS 10.2 استنادا على المرجع،

سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص 88.

إلا أنّ الاحتلال العيلاميّ لبابل لم يدم طويلا، إذ انتقل الحكم فيها إلى أسرة قويّة من أمراء إيسن تعرف بأسرة إيسن الثّانية (الأسرة البابليّة الرّابعة) وتمكّن ملكها نبوخد نصر الأوّل (1124-1103 ق.م) من مهاجمة عيلام وتحقيق نصرٍ عليها، وقد اكتسب هذا الملك شهرة واسعة بين معاصريه وبين الأجيال اللاحقة، وقد صار هذا الحدث التّاريخيّ مناسبة عظيمة تغنّى بها سكّان بلاد الرّافدين، وبعد وفاته تعرّضت هذه الأسرة إلى هجومات الأشوريّين من

(1) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 62.

الشّمال وضغوط القبائل الآرامية<sup>(1)</sup> ممّا أدّى إلى سقوط الأسرة ومجيء أسرة بابل الخامسة أو أسرة القطر البحريّ الثّانية، وتتكوّن من ثلاثة ملوك حكموا لمدة عشرين عاما<sup>(2)</sup>.

وزاد تغلغل القبائل الآمورية التي أسست الأسرة البابليّة السادسة ثمّ الأسرة السابعة العيلاميّة والأسرة البابليّة الثّانية<sup>(3)</sup>، فأخذت بابل في الانحدار حتّى سقطت على أيدي الآشوريين خلال العصر الآشوريّ الحديث<sup>(4)</sup> (911 – 612 ق.م).

### 3. الآشوريون:

فرع من الأقوام السّاميّة التي هاجرت من مهد السّاميين وهو الجزيرة العربيّة على ما يقول به جمهور الباحثين، على أنّهم لم يأتوا من الجزيرة العربيّة مباشرة إلى شمال بلاد الرّافدين وإنّما حلّوا في موطن مؤقت بعد هجرة أجدادهم من الجزيرة وانتقلوا إلى الشّمال والتي صارت فيما بعد موطننا ثابتا لهم، وفي هذا المجال يفترض العلماء فرضين أولهما: أنّ الآشوريين جاءوا من الجنوب من أرض بابل معتمدين على التقارب بين اللّغتين الآشوريّة والبابليّة رغم وجود بعض الاختلافات بينهما، وثانيهما أنّ الآشوريين موجة آراميّة جاءت من سوريّة (وهم من السّاميين الغربيين) على أنّ الجدل مازال قائما حول الموطن الأصليّ للآشوريين<sup>(5)</sup>.

واسم الآشوريين مأخوذ من النسبة إلى آشور وهي عاصمتهم وسمي بها إلههم القوميّ آشور، واستطاع الآشوريون منذ استيطانهم في القسم الشّماليّ من بلاد الرّافدين بعد هجرتهم في

(1) - القبائل الآرامية: هي قبائل سامية نزحت من شبه الجزيرة العربية إلى البقاع الخصبة التي جاورتها، وقبل تأسيسهم الإمارات والدول الصغيرة كانوا منتشرين في البادية كالعبرانيين وبقية الأمم السامية، وتنقلوا بين نجد في الجنوب وحدود الشام في الشمال ونهر الفرات في الشرق وخليج العقبة في الغرب، انظر: بولس عباد، الآراميون في الشرق الأردني، د. ط، منشورات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، لوس أنجلوس، كاليفورنيا، 1986م، ص 11.

(2) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 252.

(3) - قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 144. وانظر كذلك:

Sir Leonard Wooley, *Ur Excavations VIII*, The Kassite period and the period of the assyrian king, trustees of the two museums, London, 1965, p. 33-39

(4) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 256.

(5) - طه باقر، المرجع السابق، ص 517.

الألف الرابعة قبل الميلاد إزاحة السكّان الأصليين (السّوبارتيّون). وقبل تأسيس الكيان السّياسي فيها كانت آشور خاضعة لنفوذ الأكاديين ثمّ لأسرة أور الثالثة<sup>(1)</sup>.

اعتبر الآشوريّون أنفسهم الخلفاء الشرعيّين للحضارة السّومريّة والأكاديّة ومنذ الألف الثانية قبل الميلاد تلقّبوا بألقاب ملوك (أكد) العظام<sup>(2)</sup>، وقد مرّ تاريخ الآشوريّين بالمراحل التّاليّة:

### 1. العهد الآشوريّ القديم (2100 – 1530 ق.م):

يبدأ هذا العهد بتأسيس مدينة آشور في حوالي الألف الرّابعة ق.م أو أوائل الألف الثالثة ق.م، وخضعوا للأكاديين وفي العهد البابليّ القديم كوّنوا مملكة مستقلّة، لكنّ حمورابي قضى على استقلالها<sup>(3)</sup>، وأشهر ملوك هذا العهد (شمسي أدد الأوّل) (1860 – 1776 ق.م)، ثمّ تمكّنت آشور من الاستقلال عن بابل وكانت نهاية هذه الدّولة في القرن 16 ق.م على يد دولة ميتاني<sup>(4)</sup> فيما بين النّهرين العليا ليبدأ بذلك العصر الآشوريّ الوسيط<sup>(5)</sup>.

### 2. العهد الآشوريّ الوسيط (1530 – 900 ق.م):

ظلت آشور تحت الحكم الميتاني إلّا أنّ دولة الميتان تعرّضت لهجمات عنيفة من الحيشيين<sup>(6)</sup> خلال القرن الرّابع عشر ق.م، وبدأت تضعف تحت ضرباتهم وتخسر سلطاتها، فظهرت أسرة حاكمة جديدة في الرّبع الثّاني من القرن الرّابع عشر ق.م، وتحالفت هذه الأسرة

(1) -قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 144.

(2) -سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص 39.

(3) -أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ط2، العربي للإعلان والنشر والطباعة، العراق، د.ت، ص 28.

(4) -دولة ميتاني: مملكة تقع شرقي الفرات ضمن الحدود التقريبية الحالية لأرمينيا، أطلق عليها الآشوريون اسم "هانيجالبات". ينتسب شعبها عرقياً إلى الحوريين، وهم من الجماعات البشرية إلى شمال غرب بلاد الرافدين وشكلت ما يعرف بالموجة الهندو-أوروبية. استوطنت هذه الجماعات المناطق الواقعة أعالي نهر الخابور، وتعرف باسم "الحورية"، وقد أسس الحوريون مملكة لهم بعد سقوط بابل الأمورية تدعى ب: "المملكة الحورية الميتانية" وعاصمتها "أشوكاني" والتي لم يعثر على موقعها. وسقطت هذه المملكة نهائيّاً في 1330 ق.م، انظر: توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، ط1، دار دمشق، سوريا، 1985، ص 97.

(5) -قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 145.

(6) -الحيشيين: من الأقوام الهندو-أوروبية والتي نزحت منذ مطلع القرن الثاني قبل الميلاد إلى بلاد الأناضول وما حولها، وقد اختلف المؤرخون حول الموقع الأصلي لهم، إلّا أنّ الرأي السائد أنّهم جاءوا من الشمال من منطقة القوقاز، وقد قام أحد ملوكهم يدعى "مورشيلي" سنة 1595 ق.م بمهاجمة وأسط بلاد الرافدين واحتل مدينة بابل. للمزيد، انظر: هنري س. عبودي: المرجع السابق، ص 343؛ وكذلك: توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 250.

مع الحيشيين ضدّ الميitan، وأقامت في نفس الوقت علاقات مصاهرة مع الأسرة البابليّة (الكاشيّة)<sup>(1)</sup> وكذا مع المصريين وبذلك قد وضعت لنفسها أسس الدّول القويّة<sup>(2)</sup>.

إلا أنّ آشور ظلّت مهذّدة من الخارج بسبب موقعها بين قوى قويّة في حالة صراع مستمرّ من أجل التّوسّع، الأمر الذي جعل آشور في حالة حرب مستمرّة وأصبحت أعظم قوّة حربيّة في العالم القديم وأدخلت في جيشها الخيل والمركبات، وأكسبتهم الحرب الخبرات العسكريّة في مواجهة الأخطار<sup>(3)</sup>.

وقد ظهر في هذا العهد العديد من الأمراء الآشوريّين الأقوياء منهم "آشور أو بلط الأوّل" (1365 – 1330 ق.م) والذي استطاع ضمّ مملكة ميتاني إلى الدّولة الآشوريّة وتوسّعت المملكة الآشوريّة في عهد "أداد نيراري الأوّل" (1295 – 1275 ق.م) وفي زمن "شيلمنصر الأوّل" (1274-1245 ق.م) أو (1265-1235 ق.م) اتّسع نفوذ الدّولة الآشوريّة شرقا وغربا وجنوبا، ثمّ عانت هذه الدّولة تراجعا ما يقارب 130 عاما، لكن استطاع الملك "تجلات بلاصر الأوّل" (1116-1090 ق.م) إعادة هيبة الدّولة وسلطانها ووصلت فتوحاته إلى الشّمال والشرق من بلاد الرّافدين<sup>(4)</sup>.

وبعد موت "تجلات بلاصر الأوّل" عانت آشور ضعفا واستغلت القبائل الأراميّة هذه الأوضاع وبدأت قبائلها في الاندفاع إلى بلاد ما بين النّهرين خاصّة بلاد آشور. فتشكّلت دويلات قويّة في سوريّة منها مملكة حماة<sup>(5)</sup> ودمشق<sup>(6)</sup>، وانتشرت اللّغة الأراميّة في أنحاء بلاد الرّافدين،

(1) -الكاشيون: من العناصر الآسوية التي امتزجت في النصف الأوّل من الألف الثاني بالعناصر الهندو-أوروبية، واتخذ الكاشيون اسمهم من إقليم في شمال عيلام يسمّى (كاش-شن)، وأسسوا سلالة لهم في بلاد الرافدين بعد سقوط الدولة البابلية الأولى، وقد دام حكمهم 430 سنة لتسقط دولتهم نهائيا على يد العلاميين الذين هاجموا بابل في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد أنظر: أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 248، 249.

(2) -عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 755.

(3) -جيمس هنري برستيد، المرجع السابق، ص 200.

(4) -أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 84.

(5) -حماة: مدينة على العاصي بشمال حمص (مدينة سورية قديمة) احتلها الميتانيون عام 1550 ق.م، ومن بعدهم الأراميون حوالي العام 1100 ق.م، ثم الحثيون فالآشوريون عام 720 ق.م. انظر: هنري س. عبودي: المرجع السابق، ص 363.

(6) -دمشق: مدينة سورية تقع في طرف بادية الشام، ورد ذكرها في النصوص المصرية والآشورية وفي كتاب العهد القديم، ضمها داوود إلى مملكة إسرائيل، سكنها الأراميون وجعلوها عاصمة لمملكة آرام دمشق في القرن 10 ق.م، احتلها الآشوريون عام 732 ق.م، ثم البابليون عام 612 ق.م، والفرس سنة

وكانت لغة أهل فلسطين عند مجيء المسيح، وبها كتبت أسفار التوراة واستمرّ هذا الوضع في بلاد آشور حتى ظهور الملك "أداد نيراري الثاني" (911-891 ق.م).<sup>(1)</sup>

### 3. العهد الآشوريّ الحديث (911-612 ق.م):

ويقسم هذا العهد إلى قسمين: الإمبراطورية الأولى ثمّ الإمبراطورية الثانية، تفصل بينهما فترة ضعف وانتكاسة واستطاع الآشوريّون خلالها تأسيس إمبراطورية سامية عظيمة وتمكّنت من السيطرة على منطقة الشرق الأوسط كلّها (آسيا الصغرى وسواحل إيجه ومصر وقيام بالاضافة إلى المناطق الجبلية في الشرق والشمال حتى بلاد أرمينية)<sup>(2)</sup>.

أ. الإمبراطورية الآشورية الأولى (911-746 ق.م): وتبدأ بعهد (أدد نيراري الثاني) (911-891 ق.م) وتنتهي بعهد (أشور نيراري السادس) (753-746 ق.م) والذي عمل على تأمين حدوده الجنوبيّة، ودخل في حرب مع بابل مرّتين انهزم فيهما فاضطر إلى عقد معاهدة حدودية معها، وقام بحملة ضدّ القبائل الآرامية وأعاد لآشور حدودها القديمة<sup>(3)</sup>، وقد حكم في هذه الإمبراطورية أربعة ملوك أشهرهم آشور (ناصربال الثاني) (883-859 ق.م) وابنه شلمنصر الثالث (884-824 ق.م) الذي تمكّن من إخضاع الآراميين والفينيقيين وإسرائيل للجزية كما انتصر على بابل<sup>(4)</sup>.

وقد بلغ الآشوريّون في هذه الفترة من القوّة العسكريّة درجة عالية من التوسع، وقد ساعد ضعف الدولة المصرية والحديثة على تنامي قوّتهم، وأصبحت الإمبراطورية الآشورية تسيطر على الشرق الأدنى واستغلّ الآشوريّون انتشار معدن الحديد في صناعة أسلحتهم وآلات الحصار الضخمة<sup>(5)</sup>.

539 ق.م، واليونان عام 333 ق.م، والأنباط عام 85 ق.م، والرومان عام 66 ق.م، انظر: هنري س. عبودي: المرجع السابق، ص 400؛ وكذلك: سفر التكوين، 14:15، 15:2.

(1) - قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 147.

(2) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 85.

(3) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 319.

(4) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 86.

(5) - طه باقر، المرجع السابق، ص 549.

دخلت آشور مرحلة عانت فيها من حرب أهلية بسبب الثورات والاضطرابات الداخلية واشتغل ملوكها بإخمادها. إلى أن وصل إلى الحكم أشهر وأقوى الملوك وهو (تجلات بلاصر الثالث)<sup>(1)</sup>.

ب. الامبراطورية الآشورية الثانية (745-612 ق.م): وتبدأ هذه الفترة بتولي (تجلات بلاصر الثالث) (745-727 ق.م)، الحكم وقد كان قائدا عسكريا وإداريا فذا قضى على الفوضى والاضطراب السياسي الذي ساد آشور بعد الحرب الأهلية، وقام بفرض الجزية كنوع من السيادة على سورية وفلسطين والمدن الفينيقية وأخضع (مناحيم) ملك إسرائيل (745-736 ق.م)<sup>(2)</sup>، وبذلك أعاد هذا الملك، أمجاد آشور من خلال انتصاراته الحربية، وبعد وفاته ووفاته ابنه "شلمنصر الخامس" (726-722 ق.م) الذي لم يكن له وريث ولي الآشوريون أكبر قوادهم عليهم (سرجون الثاني) (الملك الآشوري العظيم) (722-705 ق.م) والذي أسس أسرة جديدة كانت من أكبر الأسر في العالم القديم، فأخضع الممالك القديمة وضمها إلى دولته من جديد وأضاف إليها مملكة إسرائيل<sup>(3)</sup> وجزيرة

قبرص<sup>(4)</sup> وفلسطين<sup>(5)</sup> وأرمينية وجزءاً من بلاد فارس<sup>(6)</sup>، [أنظر الخريطة رقم 6].

(1)- قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 148

(2)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 382.

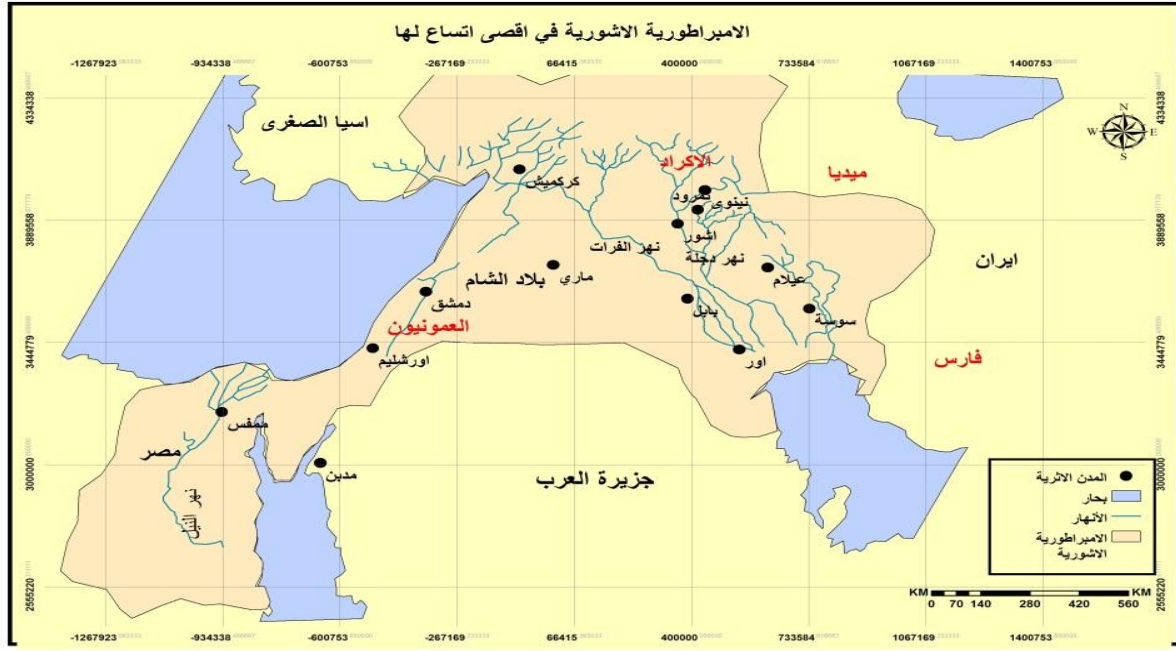
(3)- مملكة إسرائيل: وتسمى أيضا مملكة الشمال، وتضم الأسباط العشرة من أبناء يعقوب عليه السلام (رأوبين، شمعون، زبولون، يساكر، دان، جاد، أشير، نفتالي، يوسف) مع نفر من اللاوين والعلماء والكهنة، ويطلق عليها أيضا مملكة الأسباط العشرة ولاحقا أطلق عليها السامرة وعلى توراهم بالتوراة السامرية، أنظر: أحمد حجاري السقا، نقد التوراة، ط1، مكتبة الناقد، مصر، 2005م، ص 30.

(4)- قبرص: جزيرة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، اشتهرت منذ الأزمنة القديمة بنحاسها، أنشأ الفينيقيون منذ الألف الثاني قبل الميلاد مستعمرات ومدنا ملكية فيها، استطاعت أن تحافظ على استقلالها تحت ظل الحكم المصري مجددا في القرن السادس ق.م، والفارسي أيام داريوس، للمزيد، انظر: هنري س. عبودي: المرجع السابق، ص 671، 673.

(5)- فلسطين: وهي الأرض المعروفة باسم "كنعان"، توافدت عليها القبائل الكنعانية السامية، وشملت أرض فلسطين الحالية والسواحل اللبنانية والسورية على البحر المتوسط، والتي أنشأ عليها الكنعانيون مدنهم التجارية، يحدها حاليا من الشمال لبنان، ومن الشرق سورية والأردن، وغربا يحدها كل من مصر والبحر المتوسط، أما جنوبا فيحدها البحر الأحمر، تحتل موقعا متميزا باعتبارها نقطة اتصال بين قارتي آسيا وإفريقيا، وملتقى الطرق ومفترقاها بين القارات الثلاثة، ومصطلح "كنعان" يعني الأرض المنخفضة، ويرجع أصل الكلمة إلى أصل غير سامي ومعناه الصباغ الأرجواني، وفي الأكديّة تعرف بـ (كناجي)، وفي المسامرية وفي رسائل تل العمارنة (كيناخني)، وبالفيينيقية (كنع) أي المنخفض، وفي العبرية فقد عرفت باسم كنعان، كما ورد اسم فلسطين في العهد القديم في سفر الخروج؛ انظر: محمود نعاة، تاريخ اليهود، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن، 2001، ص ص 20، 23، 24؛ وكذلك: فليب حتي، تاريخ سوريا لبنان فلسطين، ج1، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1957، ص 85، 87؛ سفر الخروج 15: 14، 15، 16، وسفر المزامير 60: 8.

(6)- فارس: استُخدم لفظ "فارس" وإيران للإشارة إلى منطقة جغرافية واحدة، وتعتبر تسمية "إيران" هي الأقدم، حيث ورد لفظ "إستيرانا" فيجا أي موظف الأرسين (الأري تعني النبيل)، وتطورت التسمية لتصبح إيران، وتُطلق على الأقوام الهندو أوروبية الشرقية التي جاءت عند نهاية الألف الثانية وبداية الألف الأولى قبل الميلاد، واستقرّوا في الجزء الجنوبي الغربي من الهضبة الإيرانية، وأطلق العرب عليها تسمية "فارس"، وهي إحدى أقاليم إيران. وظلّ تعبير إيران وفارس





الخريطة رقم 6: الإمبراطورية الآشورية

من انجاز الباحثة باستخدام برنامج ArcGIS 10.2 استنادا على المرجع،  
هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 100.

وآل الحكم بعد ذلك لعدّة ملوك تداولوا على العرش حيث خلف (سنحاريب) (705 – 681 ق.م) أباه سرجون الثاني وتمكّن من الحفاظ على المملكة وخلفه الملك (أسرحدون) (681 – 669 ق.م) الذي سار على نهج آباءه في المحافظة على قوّة الدّولة والتّوسّع في مناطق

مستخدمان لعدّة قرون، فكان أهل البلاد يطلقون عليها "إيران"، بينما الأجانب يطلقون عليها اسم "فارس"، وظلّ الوضع كذلك إلى غاية 1935م حينما طلبت الحكومة الإيرانية مراعاة التّوحيد، وأن يُطلق على البلاد اسم "إيران"، ومنذ ذلك الحين التزمت الدّول بهذا القرار. انظر: أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 346، غوستاف لوبون، حضارة بابل وأشور، د. ط، تر: محمد خيرت الحمّامي، بغداد، د.ت، ص 37،

Mark Healy, *The ancient assyrians*, Osprey Publications, Britain, 1991, P 28.

جديدة<sup>(1)</sup>. وانتقل الحكم فيما بعد لأشور بانيبال الذي أعاد مجد مدينة نينوى<sup>(2)</sup> وآلهة الكلدانيين التي نهبها العيلاميون ويعود له الفضل في إنشاء مكتبة عامرة<sup>(3)</sup>.

وبعد توسّعات الإمبراطورية الآشورية وسيطرتها على الشرق الأدنى القديم بدأ يتسرب الضعف إليها في عهد الملك (أشور بانيبال) (669-629 ق.م) وأظهرت الأقاليم البعيدة التمرد، واستغلّ البابليّون في جنوب بلاد الرافدين الفرصة وأعلن قائدهم (نابويولاصر) (625-606 ق.م) تمرده على الآشوريّين، وفي سنة 614 ق.م تحالف مع الميديّين<sup>(4)</sup>، واستطاع تدمير العاصمة آشور وبعد سنتين احتلّ نينوى (612 ق.م)، كما تمكّن قائد الجيش نبوخذ نصر الثاني من التغلّب على القوّات المصريّة وسيطر بذلك البابليّون على بلاد الرافدين<sup>(5)</sup>.

بالرغم من كون الآشوريّين من أقوى الأمم الحربيّة في العالم القديم وكان وجودها على أساس حربيّ، لكن مع احتكاكهم مع شعوب أخرى وأمم متحضّرة كالحثيّين والميتانيّين والأموريّين والأراميين والفينيقيّين والأرمن توصلوا إلى صنع الآلات من مختلف المعادن كالنحاس الأحمر والبرونز والحديد ونشروا هذه الصناعات في مختلف مناطق الشرق الأدنى<sup>(6)</sup>.

(1)- قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق 147.

(2)- نينوى: عاصمة مملكة آشور، تقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة، كانت موجودة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ووصلت أوج عظمتها في عهد الملك الآشوري "سنحاريب" (705-681 ق.م) الذي قام ببناء قصر فيها وتسويرها. دمرت المدينة عام 612 ق.م في مرحلة انهيار الدولة الآشورية، اكتشفت الحفريات التي جرت منذ عام 1841م عن أطلال القصر والسور ومكتبة آشور بانيبال المسماة. للمزيد، انظر:

Robert JuliusLau ,Stephen Langdon B.D, *The Annals of Ashurbanapal- Ashurbanipal (King of Assyria)*,University of Toronto, 1903,V .

(3)- غوستاف لوبون، المرجع السابق، ص 38، كذلك انظر: هاري ساكرز:،عظمة آشور، ط1، تر: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار رسلان، سوريا، 2008، ص 135؛ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص73، سامي سعيد الأحمد، بلاد بابل تحت الحكم الآشوري، مجلة سومر، العدد 44، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1985-1986، ص55.

(4)- الميديّين: هم أقوام من أصل هندو-أوروبي نزحوا إلى غرب آسيا، ذكرت أخبارهم في لوحة تسجل حملة الملك الآشوري شلمنصر الثاني، ويصف كتاب الفرس المقدس (أبستاق) بلادهم بأنها جنة من الجنان، وكان وصولهم إل الفرس عن طريق توغّلهم من الجنوب، بعدما كانوا يقيمون في إقليم بخار وسمرقند، وأسس ملكهم الأول (ديوبسيس) عاصمة له في واد خصيب وبني فيها قصره. تعرّضت بلاد الميديّين إلى غارات الآشوريّين وتم إخضاعها في مرات عديدة إلى أن استطاع أحد ملوك الميديّين وضع حدّ لهذه الغارات ودمّر عاصمة الآشوريّين وضّمّها إلى مملكته، انظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، ط2، ج2، تر: محمد مروان، دار الجيل للطبع، بيروت، 1973، ص399.

(5)- اسماعيل ناصر الصمادي، التاريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية، ط1، ج3، منشورات علاء الدين، سورية، 2005، ص 7.

(6)- أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 91.



بالإضافة إلى ممارسة الشعب الآشوري للتجارة وعرفوا طرقها، وأصبحت آشور مركزاً هاماً على طريق القوافل الذي ربط بين البلاد الجبلية إلى الشرق منهم وبين البلاد الواقعة في الغرب، بعدما اكتسبوا التقاليد التجارية من أور في عهد سومر وأكاد، وقد عاش الكثير من التجار في جنوب شرق آسيا الصغرى (منطقة أوكيادوكيا)<sup>(1)</sup>، وقد ساهم هؤلاء التجار في نشر حضارتهم إلى البلاد الواقعة في الغرب.

حفظ الآشوريون الكثير من تراث بلاد الرافدين خاصة بعد إنشاء ملكهم سرجون مكتبة في مدينة نينوى، وسار على دربه في هذا التقليد أبناؤه وأحفاده وكان أشهرهم في هذا المجال الملك آشور بانبيال، الذي طالب ولاته في جميع الإمبراطورية الآشورية بالتحري وجمع الألواح الطينية المسمارية القديمة لوضعها والاستفادة منها في مكتبته التي أسسها، وقد ساعدت هذه الألواح الباحثين على معرفة الكثير عن العبادات الخاصة بمنطقة بلاد الرافدين، وأخذت ألواح أخرى صبغة أدبية، علمية وعملية، كما تعامل الآشوريون مع المعاجم البابلية القديمة وزادوا من مفرداتها نتيجة لتوسع صلاتهم بجيرانهم<sup>(2)</sup>.

#### 4. الكلدانيون:

يرجع المؤرخون أصل الكلدانيين إلى المنطقة الجنوبية من بلاد الرافدين، حيث تأسست هناك عدة مدن منذ القرن 18 ق.م أو قبل ذلك على يد سلالة الأمراء والتي عرفت عند المؤرخين بسلالة القطر البحري (سلالة بابل الثانية) وهي من بقايا السومريين وقد استطاع هؤلاء الأمراء بسط نفوذهم على المدن السومرية والأكادية في جنوب بلاد الرافدين<sup>(3)</sup>.

(1) - جيمس هنري برستيد، المرجع السابق، ص 200، وكذلك انظر: إيفانجانيك، تاريخ الآشوريين القديم، ط 1، تر: فاروق إسماعيل، دار الزمان، سوريا، 2008، ص ص 32-33.

(2) - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 817.

(3) - Layard and Other, *The Babylonia Story of The Deluge and The Epic Gilgamish*, British Museum, 1920, p 17 .

وكذلك انظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 525.

وأطلقت على الكلدانيين هذه التسمية نسبة إلى (كلديا) وهي تسمية قديمة لقسم من سومر في بلاد الرافدين السفلى ثم أطلقت بعد ذلك على كامل بلاد بابل<sup>(1)</sup>.

والكلدانيون من القبائل العربية القديمة ويعدهم المؤرخون فرعا من الأراميين نزحوا من سورية إلى جنوب بلاد الرافدين وظهروا لأول مرة في عهد الملك (شمسوايلويا) خليفة حمورابي، وأول ملوكهم (إيلومايلو). ومورست سلطة الكلدانيين على إقليم سومر وأكد<sup>(2)</sup>.

وقد شاع استخدام مصطلح الكلدانيين في المؤلفات الأجنبية والعربية بصياغة الاسم من العهد القديم<sup>(3)</sup> الواقعة على أطراف الخليج الفارسي (Gerha)، كما أشار سترابون في كتابه بأن مدينة الجرعاء (الجرها) كانت موضعا للكلدانيين وتمارس تجارة مزدهرة مع أهل بابل، وأن هناك قبيلة كلدية تسكن قطعة أرضية من بابل وتجاور عرب البادية<sup>(4)</sup>.

انظم إلى القبائل الكلدانية الكثير من الأراميين الذين نزحوا من سورية أثناء ضعف الدولة الآشورية، وكانوا ضمن الشعب الذي تأسست منه الدولة في جنوب بلاد الرافدين، وأصبحوا يتحسبون الفرص لاحتلال بابل والقضاء على الحكم الآشوري فيها. واستطاع أحد ملوكها المدعو (مردوخ بلادان) (703-702 ق.م) أن يقود حملة على بابل ويحتلها لكن الآشوريين استطاعوا استرجاعها وتدميرها<sup>(5)</sup>.

لكن الزعيم الكلداني "نبولاصر" (626-605 ق.م) استغل حالة الضعف التي حلت بالآشوريين وأعلن نفسه حاكما على الجنوب، وأعلن الحرب ضد الدولة الآشورية فأحرز عدة

(1) - هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 720.

(2) - حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 525.

(3) - سفر الأيام الثاني، 36: 17.

(4) - Strabo, op. Cit, VI .

(5) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 92.

انتصارات على الآشوريين واستولى على بابل ليصبح حاكماً عليها معلناً بذلك عن تأسيس الدولة البابلية الكلدانية التي دامت 73 عاماً<sup>(1)</sup>.

وقد لعبت الدولة الكلدانية دوراً مهماً في تاريخ الشرق الأدنى القديم خلال القرن السادس قبل الميلاد. وبلغت أوج ازدهارها في عهد نبوخذ نصر خليفة (نبولاصر) واستطاع احتلال مملكة يهوذا<sup>(2)</sup> بمساعدة الأيديوميين<sup>(3)</sup> بعد أن قطع الاتصال بين مملكة يهوذا ومصر<sup>(4)</sup>.

ويعد نبوخذ نصر الثاني (605-562 ق.م) المؤسس الحقيقي للدولة الكلدانية واستمر حكمه أكثر من 40 سنة بإنجازه العديد من المهام على الصعيدين العسكري والعمرائي، وباستقرار أمور الدولة البابلية الحديثة بدأ توسعته وترسيخ أركان دولته على مناطق سورية والممالك المتفرقة في فلسطين فخضعت له دمشق وصور ومؤاب<sup>(5)</sup> وعسقلان<sup>(6)</sup> وباقي المدن التي أطلق عليها الآشوريون (بلاد حاتي)<sup>(7)</sup>. [أنظر الخريطة رقم 7].

(1) -قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 151.

(2) -مملكة يهوذا: وتسمى أيضاً مملكة الجنوب، حكمها ملوك من نسل داوود عليه السلام، من سبط "يهوذا" (وتضم هذه المملكة سبطا يهوذا وبنيامين) (أبناء يعقوب عليه السلام، بالإضافة إلى نفر من اللاويين والكهنة العلماء والذين استقلوا في مملكة واحدة بعد موت سليمان عليه السلام وانقسام بني إسرائيل، عاصمتها أورشليم، يطلق عليها مفسرو القرآن الكريم اسم، الباء، ويطلق على شعبها العبرانيين وعلى توراتهم: التوراة العبرانية، انظر: أحمد حجازي السقا، المرجع السابق، ص 30.

(3) -الإيديوميين: هم بموجب كتاب العهد القديم ذرية "عيسو" الملقب بأدوم، سكنوا في حوالي 1300 ق.م في الجنوب من البحر الميت، انظر: هنري س. عبودي: المرجع السابق، ص 56.

(4) -حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني، د.ط، المؤسسة العامة للتراث، بغداد، العراق، د.ت، ص ص 68، 69.

(5) -المؤابيين: بموجب كتاب العهد القديم، هم القبائل المنحدرة من مؤاب بن لوط، سكنوا المنطقة الواقعة شرقي بحيرة لوط (البحر الميت). انظر: هنري س. عبودي: المرجع السابق، ص 758.

(6) -عسقلان: مدينة فلسطينية قديمة تقع على البحر المتوسط وهي إحدى المدن الرئيسية بفضل موقعها الجغرافي، وقعت المدينة تحت الاحتلال المصري، الآشوري فالفارسي والاعريقي ثم الروماني وفتحها العرب في سنة 636م، المدينة مهجورة اليوم لكن اطلالها تشهد على ماضيها اللامع، انظر هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 608.

(7) -عصام كامل خمير، مملكة يهوذا بين التدمير والسبي في ضوء الرواية التوراتية والرواية البابلية، مجلة جامعة الشارقة، المجلد 14، العدد 1، 2017، ص 127.



خريطة رقم 7: الدولة البابلية الثانية الكلدانيين.

من انجاز الباحثة باستخدام برنامج ArcGIS 10.2، استنادا على المرجع:

سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص 106.

اقتبس الكلدانيون من الحضارة البابلية كغيرهم من الساميين، وازدهرت على عهدهم التجارة والفنون والصناعة، واهتموا بالدين والأدب، وتقدمت العلوم في عهدهم في مجال الفلك، حيث كانوا ينظرون إلى الكواكب على أنها القوى التي تتحكم في مصير البشر، وسميت آلهتهم الخمسة الرئيسية بهذه الكواكب وانتشرت الديانة الكلدانية في سورية<sup>(1)</sup>، وقد برعوا في فن التطريز وكانوا يقلدون البابليين في أشياء كثيرة لكن تفوقوا عليهم في فخامة الأبنية وأجثة الدولة<sup>(2)</sup>.

(1)-عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 834.

(2)-أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 92.

وتمثلت أهمّ عمائر ومعالم بابل في قصر نبوخذ نصر وبرج بابل وحدائق المدرجات والتي اشتهرت باسم حدائق بابل المعلقة، واعتبرت إحدى العجائب السبع في العالم القديم<sup>(1)</sup>.

وتوالى على حكم بابل بعد نبوخذ نصر أربعة ملوك وهم: أميل مردوخ (561 – 560 ق.م)، نرجال ساأوصر (559 – 556 ق.م)، لباشي مردوخ (556 – 555 ق.م)، نبونيد (555 – 539 ق.م)<sup>(2)</sup>، وفي عهد هذا الأخير بدأت الأطماع الفارسيّة، وكان القائد (قورش) قد أظهر نيّته في ضمّ بابل إلى ملكه كبداية لغزو الهلال الخصيب<sup>(3)</sup>، وفي عام 538 ق.م دخل قورش بابل وحاول إقناع حلفائها بالانضمام إليه وادّعى أنّه جاء لتحرير البابليين وأبدى حبه للإله مردوخ لكسب بعض الكهنة إلى جانبه<sup>(4)</sup>، وقد تطّلع اليهود الذين أبعدها من بابل بأمل لنصر قورش وقد تنبأ أنبيأؤهم بسقوط بابل على يد الملك الفارسي قورش<sup>(5)</sup>.

وكان لهذا الملك ما أراد فقد تمكّن من دخول بابل ولم يغيّر سقوطها شيئاً من مظاهر الحياة فيها. حيث أبقى الفرس للسكّان حريّة ممارسة عقائدهم والاحتفاظ بعاداتهم واستمرّ الحال على ما هو عليه إلى أن انتشرت الثورات في عهد الملك (دارا) فبدأت بابل في الانحدار وفي عهد الملك الفارسيّ (خشارشا) هدم أسوارها ونهب معابدها ودمّر الكثير من مبانيها<sup>(6)</sup>.

بتشكيل الإمبراطوريّة البابليّة القديمة تشكّلت حضارة بابل التي امتصّت كلّ الانجازات السّابقة في بلاد الرّافدين، وصارت بابل مركزاً هاماً تجاريّاً، سياسياً وثقافياً وحافظت على دورها حتّى العهد الهيليني<sup>(7)</sup>، وتوحّدت بابل بعد صراع طويل واستفاد ملوكها من الخبرة الإداريّة والسّياسيّة التي كوّنوها ملوك أسرة أور الثالثة وملوك أيسن ولارسا وتجلّت بوضوح في شريعة حمورابي، التي أحدثت تشريعاته مؤسّسات وعبادة جديدة، طبقت في كلّ أنحاء الإمبراطوريّة (عبادة الإله

(1) -عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 834. وانظر كذلك:

Joachim Ménéant, *BabyLone et la Chadée*, Maisonneuve et Ce, Paris, 1874, p 197-200.

(2) -قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 154.

(3) -محمد بيومي مهرا، المرجع السابق، ص 464.

(4) -Michael Burgan, *Empire of Ancient Persia*, Chelsea House, USA, 2009, P 26.

(5) -سفر اشعيا، 45: 1.

(6) -أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 341.

(7) -العهد الهليني: هي فترة الإغريق القدماء، تميزها لها عن الفترة الهلنستية وتميزت الفترتين بمظاهر حضارية في الفترة القديمة في مجال الدين والأدب والثقافة وغيرها من المجالات، وقد بدأت الفترة الهلنستية بعد وفاة الإسكندر المقدوني سنة 323 ق.م، للمزيد انظر: مصطفى الكاتب، المرجع السابق، ص 97.

مردوخ)، وبعد ذلك جاءت التوسّعات الآشورية والكلدانية لتنتقل وتنتشر كلّ ما أنجز في هذه المنطقة كنوع من التفاعل الحضاري والاحتكاك بين الشعوب إلى الحدود التي وصلت إليها، وقد أحدثت تأثيرا واسعا على البلدان المجاورة، سورية، فنيقيا، فلسطين والحيتيين وامتدت هذه التأثيرات إلى المناطق الشماليّة والشماليّة الغربيّة وإلى الشرق ونقل عنها العبريون، اليونان والرومان الكثير إلى شعوب أوروبا.

إنّ تاريخ ما بين النهرين هو سلسلة من التطوّرات المتتابعة على فترات مختلفة حقّقت تعديلات كثيرة على تركيبة السكّان، فاللغة السومريّة التي سيطرت على أولى مراحل الحضارة الرافديّة سرعان ما حلّت محلّها اللغة الساميّة الأكاديّة في النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد، وانتقال مركز السّلطة في الألف الثالثة من سومر في أقصى الجنوب إلى بابل في الوسط، وفي الألف الثانيّة إلى آشور في أقصى الشمال، صاحبه تغييرات ثقافيّة هامّة، ورغم هذا فإنّ حضارة بلاد الرافدين لم تفقد شخصيّتها التي أثّرت من خلالها على شعوب الشرق الأدنى القديم وغيرهم<sup>(1)</sup>.

ومن المعلوم أنّ للعوامل الجغرافيّة في أيّ بلد الأثر الكبير والواضح في نشوء الحضارة وازدهارها، لكن رغم هذا يبقى الإنسان هو الأساس فيها، باعتبار الحضارة هي نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته من خلال تحدّيه للظروف المحيطة به وتسخيرها لخدمته فيعطي بذلك لحضارته طابعا خاصّا، فالحضارة في بلاد الرافدين أثّرت فيها البيئة الجغرافيّة على سيرها، فأبدع الإنسان الرافديّ جملة من الاختراعات والاكتشافات ووسائل للسيطرة على بيئته الجغرافيّة والحدّ من تأثير عواملها على حياته وتسخيرها لخدمته، فمعرفة العوامل الجغرافيّة في بلاد الرافدين يعطينا صورة واضحة عن تاريخ وتأريخ حضارة إنسان هذه المنطقة وأجزاء الشرق القديم، فقد كانت حياة الإنسان مرتبطة بالأرض وممارسة الزراعة وكميّة الأمطار وتوزيعها الفصليّ وملاءمة المناخ وتقلّباته، إلى جانب الأنهار وما تحدّته من فيضانات وتأثيرها على السكّان، فانعكس هذا على الحياة السياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة والثقافيّة وغيرها من المجالات.

(1) -هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، د.ط، تر: ميخائيل حوري، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص

## الفصل الأوّل:

### المعتقدات الدينية الرّافدية

1. تعريف المعتقد والدين
2. الآلهة السّومريّة البابليّة الرّئيسيّة
3. الآلهة الممثّلة للسلطة السّياسيّة
4. تأليه الملوك لأنفسهم
5. المعبد ودوره
6. الكهنة والنّظام الكهنوتيّ
7. العرافة
8. السّحر
9. الأساطير
10. خصائص الدّيانة الرّافديّة

## 1. تعريف المعتقد والدين:

أ. تعريف المعتقد: تتعدّد المفاهيم والمصطلحات التي تحمل معنى المعتقد، لكنّها تندرج في الأساس تحت خانة الإيديولوجيات والمذاهب سواء الدنيّة في الغالب أو غيرها من المجالات، حيث يتّجه البعض لاستخدامها في المجالات العسكريّة أحياناً.

1. المعتقد لغة: أصل اشتقاق الكلمة من (عقد) وهو نقيض حلّ، وانعقد وتعقد والمعاهد مواضع العقد و العقدة حجم العقد والجمع عُقد، ويقال عقدت الحبل، فهو معقود ومنه عُقدة النكاح، ومنه المعقود وهو خيط ينظم فيه خرزات وتعلق في عنق الصبي<sup>(1)</sup>.

2. المعتقد اصطلاحاً: يرى البعض أنّ المعتقد هو أول أشكال التّعابير الجمعيّة عن الخبرة الدنيّة الفرديّة التي خرجت من حيّز الانفعال العاطفيّ إلى حيّز التأمل الذهنيّ، حيث أنّ توصلّ الخبرة الدنيّة إلى تكوين معتقد هو حاجة سيكولوجيّة ماسّة، ذلك أنّ المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدنيّة شكلها المعقول، والذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها، وتعمل عقول الجماعة على صياغته، في حين تعمل الأجيال اللاحقة على صقله وتطويره، على أنّه من الشّروط الأساسيّة لاستمراره ودوامه إيمان عدد كبير من الأفراد به وإلاّ زال واندثر وفقد تأثيره حتى في نفس صاحبه، ويتألف المعتقد عادة من عدد من الأفكار الواضحة والمباشرة، ترسم صورة ذهنيّة لعالم المقدّسات، وتبرز العلاقة بينه وبين عالم الإنسان وغالباً ما تصاغ هذه الأفكار في شكل صلوات وتراتيل<sup>(2)</sup>.

ويعرفه غوستاف لوبون بقوله: المعتقد هو إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوريّ يُكره الإنسان على تصديق فكرة أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافاً، ويتصف المعتقد بأنّه كلّ ما هو من عمل الإيمان<sup>(3)</sup>.

أما محمد الجوهري فيعطي تعريفاً للمعتقدات: هي تلك الأفكار والأحاسيس التي تحركّ الناس إزاء الظواهر الطّبيعيّة العاديّة والشّاذّة، كتصوّرات الناس عن الزّلازل، البرق، الخسوف،

(1) - ابن منظور، لسان العرب، ط1، ج1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 3003، ص ص 363، 364.

(2) - فراس السواح، دين الإنسان، ط4، منشورات علاء الدين، سوريا، 2002، ص ص 48، 49.

(3) - غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، ط1، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 17.



والشَّهب، .. الخ، وكذلك تصوّرات النَّاس عن بعض التّصوّرات الفيزيقيّة والنّفسيّة، كالأحلام والنّوم والميلاد، والموت ورؤية المستقبل بأنواعها ووسائلها المختلفة<sup>(1)</sup>.

أما أصل المعتقد في اللاتينية فهو (Credentis) وهو فعل مشتق من (CREDERE) ومعناه اعتقد، ولفظ (Croyance) في اللّغة الفرنسيّة فمحرف من الكلمة اللاتينية الأصل (Créance)<sup>(2)</sup>.

مما تمّ عرضه نستطيع القول أنّ المعتقد ما استقرّ في القلب من الإيمان ممّا يتدبّن به الإنسان، واعتقاده بوجود قوى خفية تسيطر على الكون وما فيه، وهي مسؤولة عن الخير والشرّ الذي يلحق به، ويحسّ بضعفه وخوفه اتجاهها، وهذا الإحساس والشّعور لدى الإنسان يؤلّد الفكرة لديه والتي يحوّلها إلى ممارسات فعلية.

### ب. تعريف الدّين:

**1. لغة:** تتنوّع معاني لفظة "دين" في اللّغة العربيّة وتشمل مناحي عديدة من الحياة، حيث يعرفها ابن منظور: الدّين الجزاء والمكافأة، وهو يوم الجزاء، ودانه دينا أي جازاه، كقوله تعالى: "إنّا لمدينون"<sup>(3)</sup>، ومنه الدّيان في صفة الله تعالى والدّين الطاعة، والجمع الأديان، فيقال: دان بكذا ديانة وتدين به ومتدين، والدّين هو الذّلّ كقوله: "دان نفسه" أي أذلّها واستعبدها، بالإضافة إلى عدة معانٍ، كالقرض، السّلطان، الورع وغيرها<sup>(4)</sup>.

وجاء في القاموس: الدّين هو ماله أجل، وأمّا ما لا أجل له فقرض، والجمع أدين، والدّين بالكسر: الجزاء والإسلام، والعادة والعبادة والطّاعة والذّلّ والحساب والقهر والغلبة والاستعلاء والسّلطان والملك والحكم والسّيرة والتّدبير والتّوحيد واسم لجميع ما يُعبّد الله عزّ وجلّ به<sup>(5)</sup>.

(1) - محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبيّة، ط1، ج1، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، 1978، ص 45.

(2) - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، د.ط، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 104.

(3) - القرآن الكريم، سورة الصافات، الآية 53.

(4) - ابن منظور، المرجع السابق، ج13، ص ص 204، 206، وكذلك انظر: صبحي حمودي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت، 2000، ص 502.

(5) - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص 11.

ومن معاني الدين اللغويّ أيضا "المِلَّة"، يقول الأصفهاني في هذا المجال: "والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة لكنّه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة"<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران: الآية 19]، فالدين له معنيان لغويّان أصليّان هما: الطاعة والجزاء، ومعنى الشريعة مستعار من المعنى الأوّل<sup>(2)</sup>.

أمّا إذا نظرنا إلى اشتقاق هذه الكلمة ووجوه تصريفها، فإننا نجد هذه المعاني الكثيرة تعود إلى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة مع وجود اختلاف يسير بينها، والسبب في ذلك أن الكلمة المراد شرحها ليست واحدة، بل ثلاث كلمات أو بعبارة أخرى ثلاثة أفعال، فكلمة "الدين" تؤخذ تارة من فعل متعدّد بنفسه "دان بدينه"، وتارة من فعل متعدّد باللام "دان له"، وأخرى من فعل متعدّد بالباء "دان به"، وباختلاف الاشتقاق تختلف الصّورة المعنويّة التي تعطيها الصيغة فإذا قيل: "دانه دينا" بمعنى ملكه وحكمه وساسه ودبره وقهره وحبسه.. الخ، فالدين هنا موضوعه الملك والتّصرف وما يصاحب الملوك من سياسة وتديبر وقهر، وحكم وجزاء ومن ذلك "مالك يوم الدين"، وإذا قلنا: "دان له" بمعنى أطاعه وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع، وإذا قيل: "دان بالشيء"، فمعناه أنّه اتّخذ دينا ومذهبا، فيقال: "هذا ديني وديدي"<sup>(3)</sup>. ويظهر جليا أنّ كلمة "دين" أصليّة في اللّغة العربيّة عكس ما يعتقد المستشرقون الذين يرون أنّها دخيلة ومعربة من العبريّة أو الفارسيّة<sup>(4)</sup>.

أمّا من النّاحية الشرعية فالدين لا يكون إلّا وحيا من الله إلى أنبيائه الذين يختارهم ويرسلهم أئمة يهدون بأمره كما جاء في كثير من آيات القرآن الكريم<sup>(5)</sup>. أمّا الاشتقاق عند الغرب ففيه جدال كبير، فالبعض يرى أن الأصل الاشتقاقي لكلمة (Religion) والتي تقابلها كلمة "دين" في العربية، مأخوذة من الأصل اللاتيني (Lig)

(1) - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د.ط، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية د.ت، ص 233.

(2) - مصطفى عبد الرزاق، الدين والوحي والإسلام، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص21.

(3) - محمد عبد الله دراز، الدين، د.ط، دار التعليم، الكويت، 1998، ص ص 31، 30.

(4) - نفس المرجع، ص 32.

(5) - القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 29، سورة النحل، الآية : 42، 43، سورة النساء، الآيات: 163، 164، 165، سورة الشورى، الآية: 13، سورة المائدة، الآية: 48، سورة الأنعام، الآيات: 83 - 90.

ويستخرج معظم القدماء (لاكتناس، أغسطس، وسرفيوس) كلمة الدين (Religio) من (Religare)، ويرون فيه فكرة الربط الواجب تجاه بعض الممارسات، وإما الربط الجامع بين الناس أو بين البشر والآلهة، وبنحو عام يبدو أنّ كلمة (Religio) تعني في اللاتينية الإحساس المصحوب بخوف وتأنيب ضمير، بواجب تجاه الآلهة<sup>(1)</sup>.

وفي العصر الحديث تبني هذا الطرح الكثير من العلماء منهم "جيو" و"دي لاجراسري" والذين حدّدوا معنى الدين بأنّه ارتباط جماعة إنسانية بإله واحد أو آلهة متعدّدة، ويستدلّون على رأيهم بأنّ أصل الكلمة ومعناها في الإغريقية (Pistis) يعني إيمان أو رباط<sup>(2)</sup>.

أمّا البعض الآخر فيرون أنّ كلمة "Religion" أخذت من الأصل الاشتقائي

(Leg) ومنه الفعل (Reloger) الدّالة على الأخذ والجمع، أو العدل والملاحظة، أي ملاحظة علامات الاتصال بما هو إلهي، وهي تستدلّ على إمارات وقراءة الفأل والتّطير وأداء الشعائر<sup>(3)</sup>.

ورغم هذا الاختلاف بين العلماء الغربيين حول اشتقاق الكلمة فقد أخذت الكلمة (Religion) المعنيين معا في اللّغات الأوربيّة الحديثة، مع ملاحظة أنّ كلمة "دين" في اللّغة العربيّة تحمل أكثر من دلالة لغويّة مع ثراء المعاني فيها مقارنة باللّغات الأورويّة التي امتازت بالاختصار مع اختلاف الآراء بخصوص المعنى وما يقابلها في اللّغات القديمة.

**2. الدين اصطلاحاً:** تعرّض علماء الاجتماع والفلسفة والأديان إلى تعريف الدين، وكانت اتجاهاتهم مختلفة، ويغلب على أكثرهم الفهم الضيق للدين، والنظرة الظاهرة له، دون التعمق في المدلول الشامل الصحيح له، أو ملاحظة الآثار العمليّة له، فذهب كلّ منهم إلى تعريف الدين من وجهة نظره الخاصّة<sup>(4)</sup>، كما أنّه من الصّعوبة إيجاد تعريف شامل وعمّ لماهية الدين تشمل

(1) - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مج3، ط2، تر: أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001، ص ص1203، 1204.

(2) - Larousse Pierre، «Grand dictionnaire Universel du XIX siècle»، TB، Administration du grand dictionnaire Universel، paris، 1875، p 904

(3) - محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة، ط1، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بيروت، 1991، ص 15.

(4) - محمد الزحيلي، المرجع السابق، ص 16.

الأديان البدائية والمنتكاملة، لخصوصية كل دين من حيث الشعور أو الاعتقاد أو العبادة وبالتالي ليس من السهل وضع مفهوم محدد لمعنى الدين<sup>(1)</sup>.

والدين في الاصطلاح العام، ما يعتنقه الإنسان ويعتقده ويدين به في أمور الشهاداة والغيب، وفي الاصطلاح الإسلامي هو التسليم لله تعالى والانقياد له، والدين هو ملة الإسلام وعقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين من لدن آدم ونوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء<sup>(2)</sup>، كما أنه وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم للصّلاح والفلاح والمآل، وهو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات<sup>(3)</sup>.

وللدين معان عديدة في الفلسفة الحديثة منها: الدين جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جزاء حبها لله وعبادتها إيّاه، وطاعتها لأوامره، كما أنّ الدين أيضا هو الإيمان بالقيم المطلقة والعمل بها، كالإيمان بالعلم أو الإيمان بالجمال، أو الإيمان بالإنسانية، ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل المتعبّد الذي يحبّ خالقه ويعمل بما يشرّعه<sup>(4)</sup>.

أمّا دور كايم (الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي)، فيعرف الدين بأنه مؤسسة اجتماعية قوامها التّفريق بين المقدّس وغير المقدّس، ولها جانبان أحدهما روحي مؤلّف من العقائد والمشاعر الوجدانية، والآخر ماديّ مؤلّف من الطّقوس والعادات<sup>(5)</sup>.

كما ظهرت تعريفات كثيرة للدين في الغرب، انطلاقا من نظرتهم للكنيسة الكاثوليكية وتاريخها في العصور الوسطى، فقد تولت وضع صورة من عندها للعقيدة المسيحية المنزلة والتي كانت تتضمن الوثنية المحيطة بها، وكذا أساطير الأمم المجاورة، ففرضت نظاما على المجتمع المسيحي كالرهبنة ويبيع صكوك الغفران وغيرها، ممّا أدّى إلى إفلاس العقيدة في النفوس،

(1) - أحمد عبد الرحيم السايح، بحوث في مقارنة الأديان، ط1، دار الثقافة، الدوحة، 1991، ص 21. انظر كذلك: كلورد ريفر، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، ط1، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص 32.

(2) - ناصر عبد الله الفغاري وناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط1، دار الصمعيي للنشر والتوزيع، الرياض، 1992، ص 10.

(3) - محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 33.

(4) - جميل صليبا، المرجع السابق، ص 572.

(5) - نفس المرجع، ص 573.

وتمادت الكنيسة بأن فرضت نظريات علمية معينة عن شكل الأرض وطبيعة الكون وعمر الإنسان... الخ، وادعت قدسيّتها لأنها كلمة السماء، ومن خرج عليها فهو كافر، وبسبب هذا التاريخ الفاسد المنحرف قامت الحضارة الغربيّة الحديثة على أساس معاد للدين<sup>(1)</sup>، وقد طالب البعض من الفلاسفة بضرورة تحرّر الدولة من كلّ تأثير للسلطة الدينيّة، وألاًّ تسمح بأيّ تدخّل في أمورها، وفي هذا السّياق يفنّد "سبينوزا" الدّعوة القائلة بأنّ الكتاب المقدّس من وحي الله وتحديّ صحّة ودقّة أسفار العهد القديم منه<sup>(2)</sup>.

ويعرفه هربت سبنسر (فيلسوف بريطاني) بقوله: "الدين هو الاعتقاد بالحضور الفائق لشيء غامض وعصبيّ على الفهم"، أما ماكس مولر (مؤرخ الأديان الألماني) فيرى أنّ الدين هو كدح من أجل تصوّر ما لا يمكن تصوّره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه، إنّهُ توق إلى اللّاهائي<sup>(3)</sup>، في حين يضع مؤرّخ الأديان البريطاني (ب - رادان) "Radin - P" أساسين يقوم عليهما الدين، الأوّل: شعور الإنسان بوجود قوى خارجيّة أقوى منه وتسيطر على كلّ مراحل وجوده، الثّاني: ما يقدّمه من أفعال ومعتقدات ومبادئ ترافق ومرتبطة بهذا الشّعور<sup>(4)</sup>.

كمّا يعرفه فراس السواح بأنّه الأحاسيس والخبرات التي تعرض للأفراد في عزلتهم وما تقود إليه من تصرفات وتتعلّق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة، يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعتبره إلهاً<sup>(5)</sup>، في حين يرى آخر بأنّه اعتقاد وقداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدلّ على الخضوع لتلك الذات ذلاًّ وحبّاً ورغبة ورهبة<sup>(6)</sup>.

بعد استعراضنا لهذه التعريفات المختلفة، أصبح من الصّعب تحديد مفهوم محدّد لماهيّة الدين، لاختلاف وجهات النّظر لدى الدّارسين، لكنّ هذا لا يمنع من أن نقول أنّ مصطلح الدين

(1) - محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانيّة، ط10، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 229.

(2) - عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ط1، ج1، المؤسسة العربيّة للدراسات و النشر، بيروت، 1984، ص 144.

(3) - فراس السواح، المرجع السابق، ص 23.

(4) - Radin Paul- *la religion primitive (son nature et son origine)*, traduit par: metraux gallimard, 5<sup>ème</sup> édition, paris, 1941, P 09 .

(5) - فراس السواح، المرجع السابق، ص 23.

(6) - سعود عبد العزيز الخلف، المرجع السابق، ص 10.

يصلح لكلّ دين سواء أكان سماويًا أو وضعيًا وأنّ الدين اسم لكلّ ما يُعبد به المعبود، سواء كان المعبود هو الله، أو أي معبود من المعبودات.

وللمعتقدات الدنيّة صفة تبعد المعتقدات الأخرى (السياسيّة، الأدبيّة والتجاريّة)، باعتبار المعتقدات الدنيّة تسليما مطلقا بالغيبيات سواء أدركناها أم لم ندرکها، وهي تصديق بصحّة المعارف التي اهتدينا إليها من أنفسنا، أو انتهت إلينا من غيرنا، وبهذا يدخل فيها ما كان صحيحا في الاعتقاد وما كان غير صحيح<sup>(1)</sup>.

## 2. الآلهة السومريّة البابليّة الرئيّسيّة:

إنّ الأساطير التي تعكسها ثقافة أيّ شعب من الشعوب والتي تحتلّ مكانة وأهميّة وذات دلالة، هي تلك التي تبحث في أصل الكون ونشأته وفلسفة الكائنات والخلق وهي تلك القصص الدنيّة التي تهدف إلى توضيح أصل الكون ووجود الآلهة والإنسان<sup>(2)</sup>.

خضعت الديانة الرافديّة إلى تطوّرات عديدة تحت تأثير التحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة، ومن جهة أخرى فإنّ الانتقال من نظام سيادة الأمّ إلى نظام سيادة الأب في الأسرة انعكس على العقيدة الدنيّة، فبعد أن لعبت الآلهة المؤنّثة دورا رئيسيًا، أصبحت معظم الآلهة مذكرة عندما نظّم الكهنة التّصورات الدنيّة، وتعدّدت الآلهة في بلاد الرافدين، فكان لكلّ مدينة وقرية اله أو آلهة خاصّة لتحميها مع وجود آلهة مشتركة في كلّ البلاد<sup>(3)</sup>.

كانت الألوهيّة متخيّلة ككائن سماويّ وأنّ الأرباب والرّبات تشعّ نورا قويًا حيًا، والنصوص السومريّة الأولى تعكس التّصنيف والتنظيم المقدم من الكهنة<sup>(4)</sup>.

في بلاد الرافدين فهتمت الديانة على أنّها خدمة للآلهة والتي كانت تحتاج للغذاء واللباس، وأنّ البشر ليسوا عبيدا لها. وإنّما يماثلونها، وبما أنّ الآلهة مسؤولة عن النّظام الكونيّ

(1) - أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، ط1، ج1، مكة المكرمة، 1981، ص 57.

(2) - مازن محمد حسين، الأسطورة في بلاد الرافدين، مجلة بابل للدراسات الانسانية، المجلد6، العدد4، 2016، ص306.

(3) - Donald AMackenzie, *Myths of Babylonia and Assyria*, The Gresham Publishing Company, London, 1920, p40.

(4) - ميرسيا الياد، تاريخ الشرق الأدنى القديم، د.ط، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص 43.

فعلى كلّ البشر أن يتبعوا أوامرها، وتصدر هذه الآلهة المقرّرات التي تحدّد مصير كلّ كائن وتحديد هذه المقرّرات استكمل بعمل نامتار<sup>(1)</sup> الذي ينشئ ويعلن القرار المتّخذ، وبمناسبة كلّ عام جديد تثبت الآلهة القدر للاثني عشر شهرا التالية، ويبرز هذا التّنظيم من قبل علماء اللاهوت السومريين<sup>(2)</sup>.

كان تدوين الفكر الدينيّ عند السومريين سببا من أسباب ظهور الحاجة للترجمة وكانت النصوص المترجمة تشمل أولاّ التعاليم الدينيّة، بعد أن وضعوا فهارس لأسماء الآلهة، مصنّفة في عمود واحد بدون تعليق أو شرح، ثمّ بدأت تظهر بعد مدّة تعليقات مضمونها من تلك الفهارس، ومن الأساطير الشائعة ظهرت المدائح الدينيّة وأغاني الرثاء والتعويزات ورسائل للآلهة وأدعية التوبة، والابتهالات التي ترافق تقديم القرابين وأخرى لنصرة الملوك<sup>(3)</sup>.

ويعتبر الدين السومريّ أوّل نظام دينيّ في العصور التاريخيّة، ذلك أنّ أديان ما قبل التاريخ افتقرت إلى التّنظيم والوحدة في العقيدة والطّقوس، وكان لظهور الدين السومريّ قوّة روحية عميقة في عصره باعتباره دينا شاملا، امتد تأثيره إلى الأديان الأخرى التي ظهرت بعده<sup>(4)</sup>.

فقد آمن السومريّون بوجود عدد ضخم من الآلهة جميعها كائنات سماوية، والرّمز الذي يعبر عنه الإله يصوّر كنجم ومعناه الحقيقيّ (سما)، أمّا النجوم فكان يعبر عنها بنفس العلامة لكن مكررة ثلاث مرّات، والإله يعرف بنجم واحد وهو الإله الأعظم وهو إله السّماء، والآلهة الأخرى هي التي تكون جيش السّماء<sup>(5)</sup>.

(1)- نامتار: اسم سومري يعني (الشيء الذي يقطع)، و يعني أيضا (القدر - النصب)، وهو الاسم لإله يحدّد قدر الإنسان ونصيبه في الحياة، ويقوم بدور سفير إله الموت (أريشكيغال)، ووفق نصوص التعويد فهو اب (انليل)، وزوجته (خوش بيشا) في الرواية السومرية و(نمتارتو) في الرواية الأكديّة، وهو إله غير محبوب عند البشر لأنّه المكلف بانتزاع أرواحهم، انظر: إدازرد و آخرون، قاموس الآلهة و الأساطير في بلاد الرافدين، د. ط، ج1، تر: محمد وحيد خياطة، دار الشرق العربي، بيروت، د. ت، ص168.

(2)- مرسيا الياد، المرجع السابق، ص 83.

(3)- علي سداد جعفر، بابل والتوراة، جامعة بابل، كلية الآداب، ص 28.

(4)- خزعل الماجدي، متون سومر، المرجع السابق، ص 46.

(5)- ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ط2، تر: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص 138.

ونسب السومريون إلى معبوداتهم سلوكات وعواطف وفضائل إنسانية، لكن رفعوهم عن الجنس البشري بمنحهم الخلود وبأنهم خيرين ورحماء حتى في حالات أخطاء الإنسان، ولا وجود لإله شرير وإنما الشر أساسه أرواح شريرة<sup>(1)</sup>.

ولا يوجد في الآداب السومرية أسطورة تتحدث بشكل مستقل عن نشوء العالم والخلق، وإنما بعض مقدمات الأساطير تضمنت تصورات عن نشوء الكون وخلق الإنسان<sup>(2)</sup>، والتي حاول الكهنة من خلالها حل لغز العالم وكيفية تشكله لضبط العلاقات البشرية ومن أجل الحفاظ على سلامة وتطور الدولة بوضع ديانة رسمية تشمل جملة من المعتقدات، وكان لا بد من وضع دور للعبادة للآلهة والتي تبرز أهميتها بما تحتاجه المنطقة من طعام أو ماء أو حماية<sup>(3)</sup>.

والذين السومري يعتمد على ثلاث الآلهة الكبرى المشكل من الآلهة (أن) (إنليل) و(انكي)<sup>(4)</sup>. وهذه الآلهة عظمتها أغلب الملاحم والأساطير السومرية والبابلية<sup>(5)</sup>، ذلك أن الآلهة السومرية لم تكن متساوية و بنفس الأهمية فهناك إله معترف به من طرف جميع الآلهة كملك وحاكم، مع إعطائهم صورا مجسمة حتى للأقوى والمعروفين بينهم<sup>(6)</sup>.

– **الاله أن (An):** ويعني اسمه في اللغة السومرية (الأعالي، السماء)، ويطلق عليه (أنو) أو (أنوم) في الأكادية<sup>(7)</sup> وهو الإله الأعظم عند السومريين، ملك السماء ورأس الثلاث المؤلف من الإلهين أنليل (الهواء) وكي (الأرض)، وملك السماء هو أب لآلهة السماء لأنه منظم العالم<sup>(8)</sup>. وتصفه التصورات الشعرية الأسطورية في شكل ثور جبّار يُسمع حواراه في الرعد، وكان يعتقد

(1) - ن ل. ديلايورت المرجع السابق، ص 139.

(2) - إدزارد و آخرون، المرجع السابق، ص 112.

(3) - Donald AMackenzie, op. cit, p 41 .

(4) - ميرسيا الياد، المرجع السابق، ص 81.

(5) - فوزي رشيد، الديانة (حضارة العراق)، ج 1، المرجع السابق، ص 1949.

(6) - Samuel Noah Kramer, *THE SUMERIANS*, The University of Chicago Press, 1963, p 116.

(7) - ادزارد وآخرون، المرجع السابق، ص 76.

(8) - هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 30.



أنّ المطر منيه الذي يلقح الأرض (كي Ki) ويتسبب في نمو النباتات<sup>(1)</sup>. وهو ابن الآلهة (نمو) والتي أنجبت (كي)، حيث كان كل من (أن) و(كي) ملتصقين مع بعضهما وغير منفصلين عن أمّهما، فتزوج كل من (أن) و(كي) وأنجبا ابنهما (أنليل) فأبعد هذا الأخير (أن) عن (كي). وقد وردت هذه القصة في أسطورة (جلجامش) في المقدمة.

بعد أن أبعدت السماء عن الأرض

وفصلت الأرض عن السماء

وتم خلق الإنسان

وأخذ (أن) السماء

وانفرد (أنليل) بالأرض

أخذ الإله (كور) الآلهة (اريشكيجال) غنيمة<sup>(2)</sup>

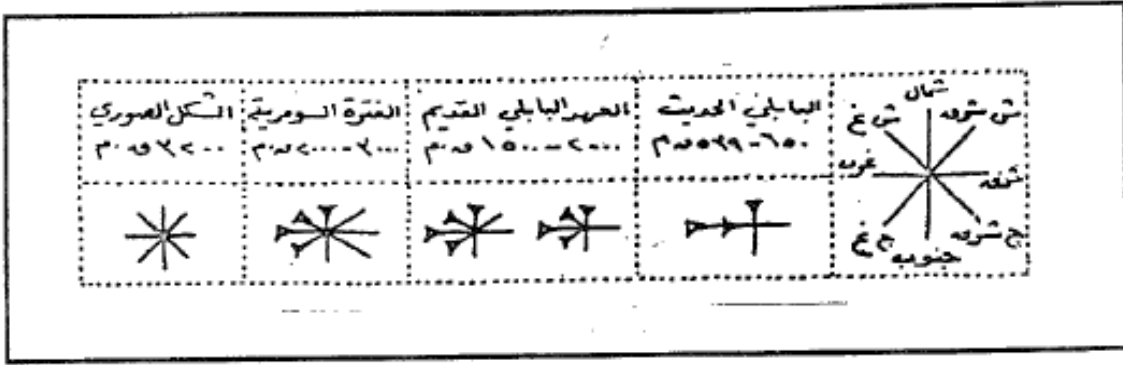
ولم يكن (أن) (أنو) إلها لمدينة معينة، إلا أن مدينتي أوريدو وأوروك كانتا تَخَصَّانه بالعبادة، وباعتباره كأب سماويّ كان يترأس الاجتماعات السماويّة، ويمنح المناصب الكبرى كالمملك والإمارة، رقمه المقدّس في علم الفلك السومريّ (60). وأصبح هذا الرقم مقدّسا وأساسيا للحساب الستينيّ (الساعة 60 دقيقة والدقيقة 60 ثانية، والدائرة  $60 \times 60 = 360$  والدرجة 60 دقيقة<sup>(3)</sup>)، ويكتب اسم الإله (أن) بالعلامة المسماريّة وهي تشبه صورة النجمة ذات الرؤوس الثمانيّة، وبهذه العلامة كتبت كلمة سماء وكلمة إله، وقد استخدمت علامة النجمة هذه كعلامة تسبق أسماء جميع آلهة بلاد الرافدين القديمة (أنظر الشكل رقم 2 ورقم 3)<sup>(4)</sup>.

(1) - فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، ط4، تر: عبد الرزاق العلي و آخرون، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، دمشق، 2017، ص 229.

(2) - سهيل قاشا، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، 1998، ص133.

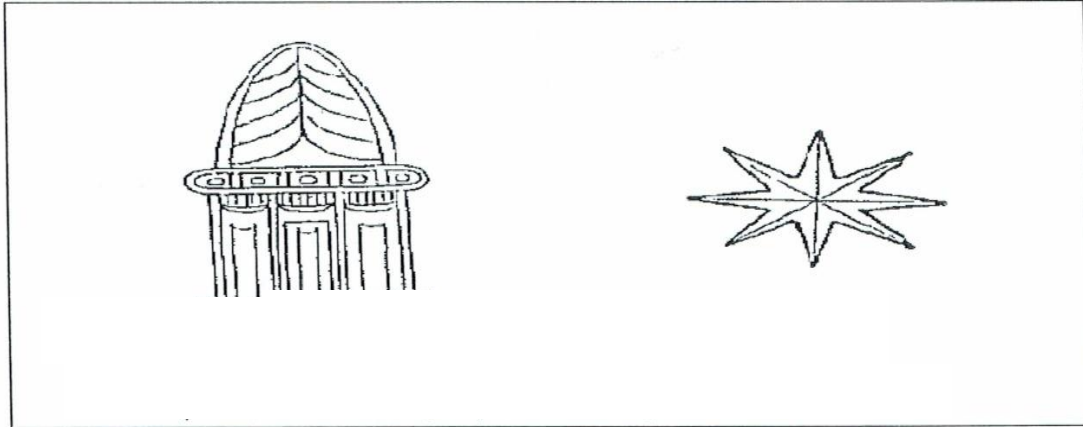
(3) - هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 30.

(4) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 149.



الشكل 2: تطور رموز الإله (أن)

أحمد أمين سليم، حضارة العراق القديم، المرجع السابق، ص 328.



الشكل رقم 3: رمز الإله أنو

خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 89

والإله (أن) رمز لعبادة التوحيد باعتباره إلهًا كونيًا وعالميًا و أطلق عليه اسم (أب الآلهة والبشر) وهو الذي يمنح السلطة والحكم ورموزها. وهو الحاكم الأعلى للآلهة السومرية، وتذكر المصادر أنّ هذه الصّلاحيات لم تدم طويلا، حيث استحوذ عليها فيما بعد الإله (إنليل) في حوالي 2500 ق.م<sup>(1)</sup>، وينحدر من نسل الإله (أن) آلهة عظام (أنو ناكي)، وآلهة ثانويين

(1)-Samuel Noah Kramer,op.cit ,p 118.

(البيجي)، بالإضافة إلى عدد كبير من الجنّ والعفاريت الذين يسكنون العالم الأسفل، و أصبح الإله (أن) مصدرا للخير والشرّ بالنسبة للإنسان والكون<sup>(1)</sup>.

واعتبر الإله (أن) أب جميع الآلهة، وبما أنه كان الملك الأقدم والحاكم فقد اعتبر النموذج رقم واحد والأول لكل الحكام والشارات التي ترمز للملك كالصّولجان والتّاج ورباط الرّأس وعصا الرّاعي وهي شارات تستمد منه. واعتقد السّومريّون أنّ هذه الشّارات كانت موجودة قبل أن يظهر الملك في البشر وأنّ مقرّها السّماء بين يدي الإله (أن) ثم هبطت إلى الأرض، واعتقدوا أنّ قوّة الملك مستمدة من (أن) وهو مصدر السّلطة في مجتمع الآلهة والبشر<sup>(2)</sup>، واستمرّ في عبادته لآلاف السنين من طرف السّومريّين ليفقد أهمّيته وتصبح شخصيته غامضة في مجمع الآلهة ولا يذكر إلّا نادرا في الأناشيد والأساطير<sup>(3)</sup>.

—الإلهة (كي): إلهة الأرض لدى السّومريّين، ابنة الإلهة الأم (نمو)، اتّحدت كي بأنو (السّماء) وأنجبا اله الهواء (إنليل)، عرفت لدى البابليين باسم (ننخرساج) و(ننماخ) و(ننتو) (مامي)، وتبدو هذه الإلهة قديمة ولها ألقاب أخرى وهي: دامكال نونا أي زوجة الأمير الكبيرة، وننتو سيدة الولادة "وماري" وهي العذراء. (كاتوم دوك) إلهة الأطفال، و(بييلتي) إلهة النسل و(أروش) أي الأرض و(أرورو) أي التي تخرج الطّفّل من الرّحم وغيرها من الأسماء<sup>(4)</sup>، وترتبط كي في الفكر السّومريّ (بانليل) و(انكي) في خلق الجنس البشريّ<sup>(5)</sup>.

—انليل: هو اله الهواء والرّيح عند السّومريّين ولد من اتّحاد (أن) و(كي) ثمّ فصل بينهما، تتمتع بالمرتبة الثانية مباشرة بعد الإله (أن)، وكما يمثّله أحيانا في مرتبته ويترأس مع

(1) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 91.

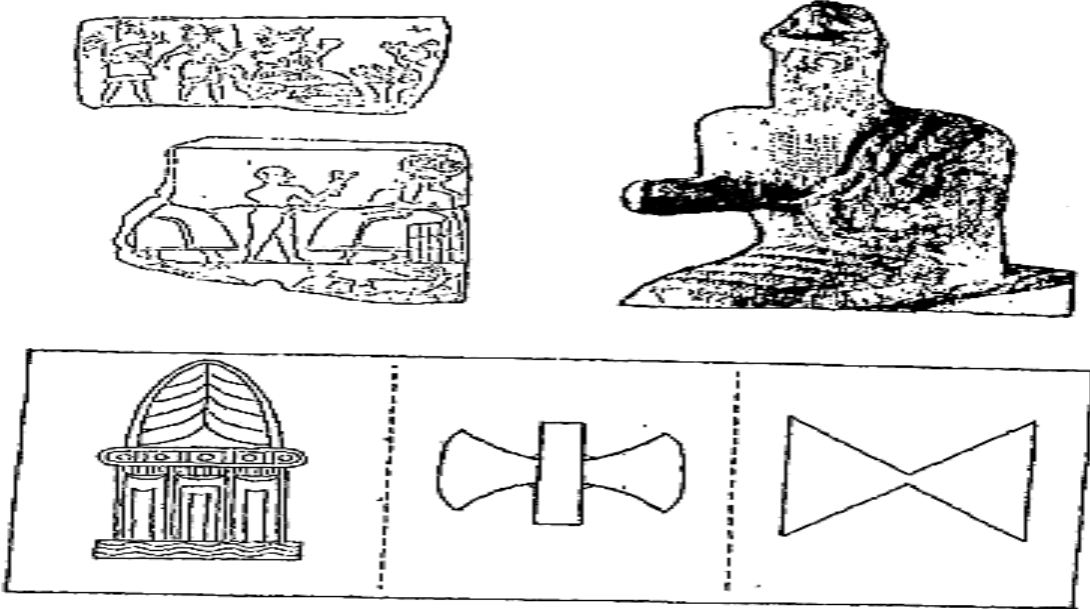
(2) - أحمد امين سليم، دراسات، المرجع السابق، ص 183-186.

(3) - Samuel Noah Kramer, op.cit, p 118.

(4) - الحسيني الحسيني، الأساطير السومرية، ط1، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص 75.

(5) - جيفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 14.

والده مجمع الآلهة . كانت الرّيح كلمته، ينفخها كالعاصفة فتهتز السّماء وتزلزل الأرض، رقمه المقدس 50، مركز عبادته نيبور<sup>(1)</sup>. (انظر الشكل رقم 4).



الشكل رقم 4: الإله إنليل ورموزه

1. تمثال فخاري مطلي باللون الأحمر للإله إنليل

2. نقوش تمثل الإله إنليل و هو يستقبل هدايا الكهنة

3. رموز الإله إنليل

خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 68.

وأطلقت عليه عدة أسماء منها: (سيد جميع الآلهة) " أب جميع الآلهة " وهو مقرّر المصائر في معتقدات السّومريين والذي لا رجعة في قراراته، ويعتبر خالق الفأس أداة العمل<sup>(2)</sup>. وقد ورد في أسطورة " الخلق " ما يمجد هذا الإله:

الرّبّ الذي يملك حقًا، هو الذي أظهر للعيان

الرّبّ الذي لا تبدل في أحكامه

(1) - هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 143.

(2) - سيد القمني ، قصة الخلق أو منابع سفر التكوين، د.ط،المركز القومي لبحوث الحضارة ، 1999، ص 21.

(انليل) الذي يجلب البذور إلى الأرض لزراعتها

تولى برعايته فصل السماء عن الأرض

من أجل أن تنمو الكائنات التي خلقت<sup>(1)</sup>

وفي موضع آخر من نفس الأسطورة يوضح أنّ الأرض أصبحت ملكا (لإنليل) وأن السماء ملك للإله (أن):

بعد أن ابتعدت السماء عن الأرض

بعد أن انفصلت الأرض عن السماء

بعد أن عين اسم الإنسان

بعد أن أصبحت السماء بحوزة (أن)

بعد أن أصبحت الأرض بحوزة (انليل)<sup>(2)</sup>.

ويمثل الإله ( انليل) رمزا لكل الآلهة القويّة التي ظهرت في الحضارات اللاحقة كمردوخ في الحضارة البابليّة وآشور في الحضارة الآشوريّة وبعل الكنعانيّ وزيوس اليونانيّ وجوبيتر الرومانيّ، كما كان له رمزه الخاصّ به. وكانت له ألقاب عديدة: المنتقم الذي يراقب سير القوانين ويعاقب المذنبين<sup>(3)</sup>.

وهو رئيس مجمع الأنوناكي (آلهة الأرض الخمسين) ويأخذ الإله مردوخ جميع هذه الصّفات في الحضارة البابليّة<sup>(4)</sup>. [أنظر الشكل رقم 5]

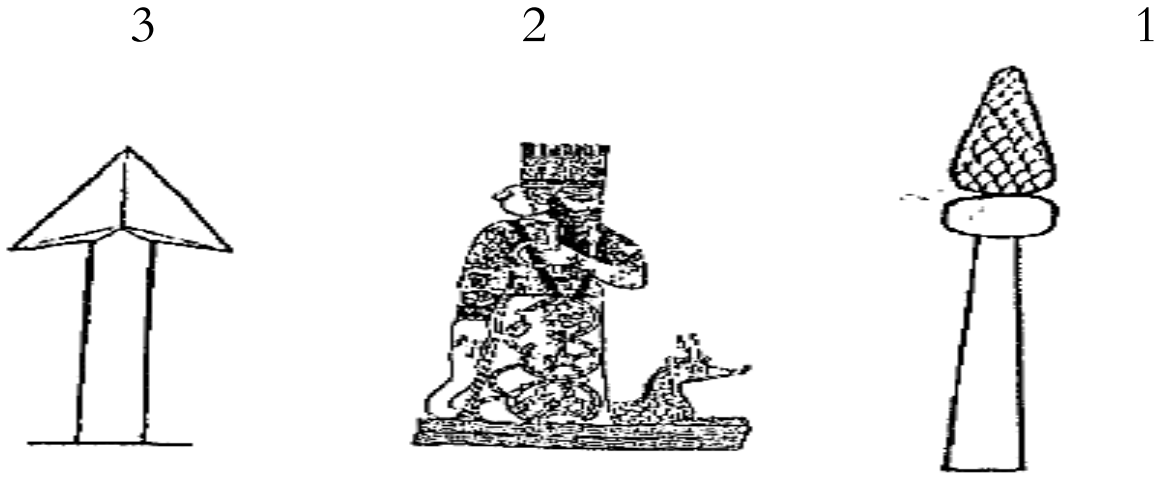
(1) - صموئيل نوح كويمر، المرجع السابق، ص 162.

(2) - نفس المرجع، ص 160. أنظر كذلك:

Dhorme(Edouard),Dussaud (René),*Les religion De Babylonie EtD'Assyrie*,2ed,PUf,Paris,1979,p2.

(3) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 92.

(4) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 93.



الشكل رقم 5: الإله مردوخ ورموزه القديمة

1- رمز مردوخ من العصر الأكدي

2- مردوخ يرافقه كائنه خوش موش

3- رمز مردوخ من العصر البابلي القديم

خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 70

-الإله انكي: ويعني في السومرية سيّد الأرض أو سيّد الأسفل، يقابله في الأكادية اسم (أيا) ويعرف عن هذا الإله بأنّه إله الحكمة وسيد (الأبزو) والتي تصورها الإنسان على شكل محيطات المياه العذبة في جوف الأرض، وهو إله الخير والعذوبة ومانح الخصب ومفجر الينابيع وسفيره (سيمو) تخضع له في المحيطات عفاريت المياه والكائنات الخرافية وترتيبه الثالث وأحياناً الرابع أو الخامس، تضعه النصوص السومرية ضمن مجموعة الآلهة الأربعة (أن، انليل، انكي، الإلهة الأم)، وهو الذي يدير شؤون الكون ويحدّد نظامه لامتلاكه ألواح القدر، بالإضافة إلى تعليمه الناس طقوس التعاويد وهو صديق للإنسان<sup>(1)</sup>.

كان مركز عبادته في اوريدو (إحدى المدن الملكية الخمس)، لقب بالسيّد ذي العين المقدّسة، رمز إليه في البداية بالوعل ثم منح له شكل بشريّ، رقمه المقدس 40 وقد أوكل إليه

(1) - ادزارد وآخرون، المرجع السابق، ص 98.

من طرف انليل تنظيم أمور سومر وتعليم الإنسان أساليب الحياة (الزراعة، الفلاحة، والرعي وغيرها) وذلك بتوكيل الآلهة الصغار للقيام بدوره وجاء ذكر هذا الإله في قصة الطوفان بعدما أخبر الملك زيوسدرا ببناء فلك ينجو به من الطوفان<sup>(1)</sup> [أنظر الشكل رقم 6].

كان الإنسان السومري يرى أن الإله (أنكي) وفي البدايات الأولى ملأ بمنيه مجريي دجلة والفرات، وفي بلاد دلمون يملأ هذا الإله بمنيه المجاري ويغمر منابت القصب ويتم إحياءه بفضلته وقرينته (نينخور ساج) حيث يمنحها ماءها العذب ويزودها بالنباتات، بعد خلقها وتحديد دورها من قبل الإله أنكي الذي يعدّ عند السومريين ناشرا للحضارة والمعرفة وجاء ذكر هذه الأحداث في نصّ يتكوّن من 284 سطرا عثر عليه في مدينة نفر وهي العاصمة الدينيّة لبلاد سومر وكذلك جزء من هذا النصّ عثر عليه في مدينة (أور)، أمّا الجزء الثالث فمجهول المصدر<sup>(2)</sup>.

وتضمّنت هذه القصيدة قدسيّة دلمون بفضل الإله أنكي حيث جاء فيها:

دلمون البلد الطاهر، كما هي سومر، بفضل أنكي

مقدّسة هي المدينة ولكن دلمون أيضا (بلد) مقدّس

مقدّسة هي سومر لكن دلمون أيضا (بلد) مقدّس

دلمون بلد مقدّس إدلمون (بلد) طاهر

دلمون بلد مقدّس دلمون (بلد) سور.

حين أقام فيه مع فريدته

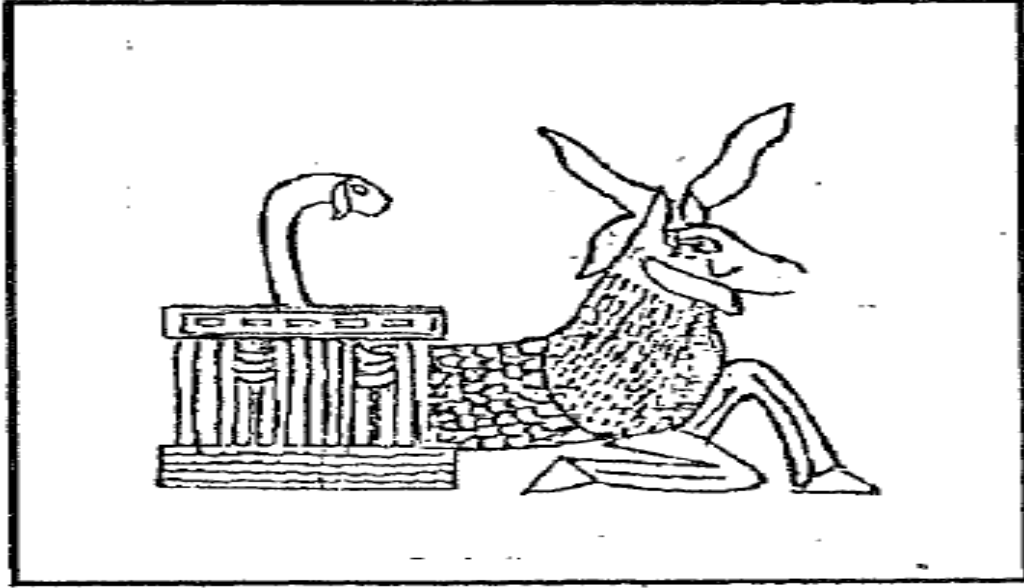
حين استقر فيه أنكي مع قرينته

أصبحت المنطقة (برمتها) طاهرة ومنورة

(1) - هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 143.

(2) - قاسم الشواف، ديوان الأساطير، ط 1، ج 1، دار الساقى، بيروت، 1996، ص ص 23، 24.

عندما استقر في دلمون مع فريدته  
 هذه المنطقة عندما استقر فيها انكي  
 أصبحت هذه المنطقة منورة وطاهرة<sup>(1)</sup>.



الشكل رقم 6: رمز الإله إنكي  
 أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 350.

ميز السومريون بين الآلهة باعتبارهم غير متساوين في المنزلة والأهمية والوظيفة وتمّ القياس على ذلك بالتنظيم السياسي للدولة البشرية، فاعتقدوا أنّ الآلهة تعمل ضمن "مجمع" أو مجتمع على رأسهم ملك. فجاء تقسيمهم على النحو التالي:

**1. آلهة المصائر الكبرى:** وهي الآلهة الكونية صاحبة الأوامر والقرارات النافذة وذات الصلاحيات الواسعة، تهب الملك (وهي مصدر السلطة السياسية والدينية)<sup>(2)</sup> ويضمّ هذا المجلس نوعين من الآلهة:

(1) - قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 27.

(2) - صموئيل نوح كيرمر، المرجع السابق، ص 155، 156.



أ. الآلهة الخالقة: وهي أربعة آلهة (آن، انليل، كي، إنكي).

ب. آلهة الكواكب الثلاثة الكبرى: وهي الإله (نانا) القمر، أوتو (الشمس) (إنانا) كوكب الزهرة.

ويعتبر هذا التقسيم الذي وضعه السومريون اللاهوتيون مهما حيث وبعد تأملاتهم توصلوا إلى أنّ العناصر الأساسية المؤلفة لهذا الكون هي: السماء، الأرض، البحر، الجو (الهواء) واعتبروها هي الآلهة الخالقة، وأنّ بقية الظواهر الأخرى في هذا الكون توجد ضمن أحد العناصر الأربعة لهذا الكون<sup>(1)</sup>.

2. الآلهة الخمسون (العظام): يترأس مجلسهم الإله (انليل) وهم مسؤولون عن الأرض والماء والأرض السفلى. وسمي هؤلاء الآلهة بألهة الأنوناكي<sup>(2)</sup>.

3. الآلهة الثانويون (الإيجيجي): آلهة صغار الشان في الغالب منتشرون في السماء<sup>(3)</sup>.

انتقلت الحضارة البابلية من طور البداوة إلى طور الاستقرار والتحضّر بحلول الساميين بلاد الرافدين، حيث اختلط الشعب السامي بالشعب غير السامي (السومريون)، فتبنوا الكثير من العادات والأعراف والطقوس السومرية وقد تفاعلت عوامل عديدة في تركيبة الحضارة البابلية من دين وأدب وفنّ وقانون، لكن يبقى عنصر الدين أقوى هذه العناصر لارتباط شعوب هذه المنطقة بالدين ويتجلى ذلك في تعدد الآلهة والتي ذكرت في النصوص المختلفة منها المحلية والوطنية، اشتركت مع الإنسان في بعض الصفات لكنها انفردت بالكمال<sup>(4)</sup>.

(1) - صموئيل نوح كريم المرجع السابق، ص 156.

(2) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 81.

(3) - الحسيني الحسيني معدي، المرجع السابق، ص 71.

(4) - ادريس عبيزة، البابليون والأشوريون، دين، حضارة (آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات)، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 2005، ص40.

استطاع البابليون استيعاب عناصر الحضارة السومرية وتطويرها بوضع بصماتهم الخاصة بالسّاميين، وأصبحت الحضارة البابلية تؤثر في جميع المناطق المحيطة بها وغدت بلاد الرّافدين المركز الذي انتشرت منه الأفكار الكونية والأسطورية والعلمية<sup>(1)</sup>.

وقد استفادت هذه الحضارة من التراث السومري والأكادي وأضافت إليه ما يناسب عصرها، حيث أدخلوا إلى الكتابة السومرية علامات التعبير عن أصوات لم تكن متميزة، ومنها التعبير بعلمتين متميزتين عن كل من الجيم والقاف، وصنّفوا قوائم لغوية تجمع بين كلمات سومرية قديمة ومترادفات السامية، وسجّلوا بعض القصص والأساطير السومرية والسامية بأسلوبهم الخاص، وأخذ البابليون بعض عناصر الفكر السومري عن أصل الخلق المادي والمعنوي وأنتجوا نظرياتهم الخاصة منافسين بذلك نظريات السومريين<sup>(2)</sup>.

بهجرة الساميين إلى بلاد الرّافدين، بقيت الآلهة السومرية تحافظ على مكانتها وحالها مع تغيير في أسمائها ووظائفها، حيث أصبحت تحمل أسماء سامية، فبقي مجمع السبعة مقررة المصائر قائما بالإضافة إلى مجمع الخمسين<sup>(3)</sup>، فحل محلّ (آن) (أنو) مصدر كلّ السلطات والأوامر الإلهية وزعيم السبعة مقررة المصائر مجسداً بذلك السلطة المطلقة والقوة العليا<sup>(4)</sup>، أمّا الأرض فأصبح (أرد)، كذلك الإله (أتو) (الشّمس) والذي رفع من شأنه الأكاديون فعُدل اسمه إلى (شمش)<sup>(5)</sup>، والإله (نانا) (القمر) تحوّل إلى (سين) والرّهرة (إنانا) فأطلق عليها اسم (عشتار)، أمّا الإله (انليل) فتحوّل إلى (إنليل) خلال الدولة الأكادية<sup>(6)</sup>، وفي العهد البابلي القديم أزاح الإله (مردوخ) الإله (إنليل) وتقلّد مناصبه وتحلّى بصفاته واستولى على اختصاصات

(1) - سبتينو موسكاني، المرجع السابق، ص ص 73، 74.

(2) - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 713.

(3) - سيد القمني، المرجع السابق، ص 56.

(4) - ختام عدنان علي، آلهة بابل العظيمة، ط1، آشور بانينال للثقافة، العراق، 2018، ص 15.

(5) - خزعل الماجدي، علم الأديان، ط1، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 2016، ص 60.

(6) - سيد القمني، المرجع السابق، ص 56.

الآلهة الخمسين، وسلب الإله (أيا) مهام واختصاصات الإله (انكي)، وفي العهد الآشوري رفع الآشوريون من شأن وقدر الإله (أشور) ومنحوه أعلى المراتب<sup>(1)</sup>.

من الصعب التمييز بين ما يعود للدين السومري والأكادي وما هو بابلي لاستقرار العقائد الأصلية واستمرار استعمال اللغة السومرية في العبادة حتى عندما اختفى السومريون كفاعلين في أحداث بلاد الرافدين<sup>(2)</sup>، كانت بابل دولة دينية بخضوعها لأوامر الكهنة واستمر الحال على ما هو عليه إلى غاية تتويج نبوخذ نصر<sup>(3)</sup>، ويتحلّى الملك بالصفة الشعبية بعد أن يخلع عليه الكهنة الصفة الملكية في حفل عام يجوب فيه شوارع المدينة ممسكا بصورة الإله مردوخ، فيصبح بذلك سيّدا مطاعا<sup>(4)</sup>، ويشعور الملوك بحاجتهم الماسة إلى غفران الآلهة التي تحمي سلطتهم زدودوا المعابد بالأثاث والطعام والعبيد وجعلوا لهم أوقافا من الأراضي الزراعية ومنحت لهم الأسهم من الغنائم الحربية ومن الأسرى وفي حالة انتصار الملك فعليه تقديم الهدايا للآلهة العظيمة<sup>(5)</sup>.

### 3. الآلهة الممثلة للسلطة السياسيّة:

إنّ نظام الملوكية في بلاد الرافدين قام على أساس ديني وتمثّلت العلاقة بين الملك والإله الحامي على أن الانتصار الذي يحقّقه الملك في الحرب يعطيه مكانة مميّزة لمدينته ويكسبه رضى شعبه، ومن الأسباب الرئيسيّة التي أدّت إلى الصّراعات بين دول المدن والتي تعود إلى جذور دينية كانت الرّغبة في الدّفاع عن أرض الإله وتوسيعها، وهذا لا ينفي وجود الدّوافع الاقتصادية، لكنّ العمل العسكريّ يحتاج إلى أساس دينيّ يغرس في نفوس المقاتلين لتحقيق النّصر، وبذلك استغلت فكرة الإله الحامي من طرف ملوك بلاد الرافدين، فنتج عن هذا التناحر

(1) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 61.

(2) - ل. ديلابورت، المرجع السابق، ص 138.

(3) - كامل سغان، معتقدات آسيوية (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان)، ط 1، دار الندى، مصر، 1999، ص 55.

(4) - حلمي محروس اسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته (بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية)، د. ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1997، ص 11.

(5) - نفس المرجع، ص 12.

والصّراعات بين المدن وأنظمتها السياسيّة والقائمة على التّوسعات والسيطرة على الأراضي الزراعيّة ومنابع المياه والطّرق التجاريّة ويحدث كلّ هذا في ظلّ ما يحدث في السّماء<sup>(1)</sup>.

وتجلىّ التّفويض الإلهيّ في بلاد الرّافدين في مقدّمات الشّرائع<sup>(2)</sup> والتي تبرز هذا التّفويض من كبار الآلهة إلى إله المدينة والذي يصدر ملكها الشريعة ثم يفوض هذا الإله بدوره ملك هذه المدينة ليحكم الناس بالنيابة، كما قام رجال الدّين بتنظيم علاقات الآلهة بعضها ببعض واضعين لها أنساباً وزوجات وأبناء وبنات ووزراء وأتباعاً ومبلّغين ومراسلين وخداماً وحاشية<sup>(3)</sup>.

يلجأ الدّين إلى كائنات خالدة لا يراها الإنسان وهي أساس الأحداث وتعتمد عليها الكائنات الأرضية، ويستطيع الإنسان في الديانات التي تكثر فيها الآلهة استعارة أو ترك إله أو ممارسة طقوس معيّنة دون التّخلي عن دينه، وفي كلّ هذا يجب أن يتحلّى الإله أو الآلهة بالقوّة كقيمة أساسية وصفة الألوهية، وتقوم السّلطة الإلهية على عمل شيء ما لذا فالآلهة لها تأثير فعّال في الموضوعات الأسطوريّة<sup>(4)</sup>.

تميّزت الدّيانة في بلاد الرّافدين بالطّابع السياسيّ واعتبرت انعكاساً لما يجري على الأرض من ممارسات سياسيّة، ففي عالم الآلهة كما في عالم السياسة كانت القضايا السياسيّة تناقش وتتخذ القرارات في مجالس تتكوّن من الرّئيس والمستشارين والأعضاء. واصطبغ النّظام السياسيّ بصبغة دينيّة، وأصبحت قوّة الإله مرتبطة بالعاصمة التي تتخذها الدّولة باعتبارها سلطة

(1) - سمير ليلو الطائي، مقدمة في تاريخ العنف السياسي (قراءة جديدة في الفكر السياسي العراقي)، د.ط، دار دجلة، العراق، د.ت، ص 18.

(2) - الشرائع: كان الناتج الحضاري في هذا المجال معتبراً على غرار شريعة أورنامو، لبت عشتار، حمورابي وغيرهم، وقد تجلّى التّفويض الإلهي لهؤلاء الملوك في مقدّمات شرائعهم، فقد جاء في مقدمة شريعة حمورابي مثلاً: "...عندما خصّ "أنو" العظيم ملك "الأنوناكي" و"انليل" سيد السماء والأرض والذي يقسم أقدار الأرض سيادة الشعب الإله مردوخ، وهو أول ابن وليد "أيا"، وعظماءه بين الإيجي، وسميا بابل بلسمها العلي ووضعاه في موقع الصدارة في أنحاء العالم الأربع، وأقاموا له مملكة خالدة ثابتة الأسس راسخة كرسوخ الأرض والسماء، ناداني "أتو" و"انليل" من أجل الشعب ورخائهم باسم حمورابي أي الأمير الذي يخاف الله وأمرني أن أقيم العدل في الأرض: أنظر: سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص 34، وكذلك: مجموعة من المؤلفين، شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ط 2، تر: أسامة سراس، دار علاء الدين، دمشق، 1993، ص 17، جان باتيرو، بلاد الرافدين (الكتابة، العقل، الآلهة)، ط 1، تر: ألبيير أبونا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1990، ص 268، 269، وكذلك: جون هيلينيس، معجم الأديان، ط 1، تر: هاشم أحمد محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص 91، و ف.أ. بيلافسكي، أسرار بابل، ط 1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 2008، ص 15.

(3) - طه باقر، المرجع السابق، ص 330، 370.

(4) - كلود ليفي ستروس، الأنثروبولوجيا البنيوية، د.ط، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص 58.

سياسية في تسيير شؤون البلاد بالإضافة إلى دور إيمان الملك بهذا الإله في تجسيد سلطته الفعلية داخل الدولة، وبتجمع القوى الرافدية في وحدات سياسية حول المدن انعكس هذا على ترتيب الآلهة، فنصدر الإله الرئيسي الصدارة والسلطة والزعامة، واجتمع حوله بقية الآلهة والتي لا تعادله في المرتبة والأقل شأنًا منه تمامًا كما هو الترتيب في القصر الملكي، فظهر بذلك التوافق بين الدين الرسمي مع النظام السياسي، فسيطرت السلطة السياسية على السلطة الدينية باحتفاظ الملك بمنصب الكاهن الأعلى اسميًا وظهرت قدسية النظام السياسي وتجلي ذلك في طاعة أوامرها<sup>(1)</sup>.

ارتقت بعض الآلهة إلى مرتبة آلهة شعب أو مملكة دون أن تبقى منحصرة كآلهة مدينة معينة، ورافق هذا الارتقاء تطورًا في مكانة هذه المدينة التي أصبحت مركزًا سياسيًا ذا أهمية كبيرة وعاصمة للدولة، وهكذا يرتقي الإله الثانوي تزامنًا مع حدث معين وجديد إلى مستوى أعلى فيعلو شأنه ومقامه، لتحدث هذه التغيرات مجريات الأساطير التي تتبدل فيها أدوار الآلهة تبعًا للأوضاع البشرية المتقلبة والمتغيرة<sup>(2)</sup>.

إنّ التحوّل من السلطة والقيادة الدينية خلال حكم أسرة (أور) الثالثة إلى السلطة السياسية كان بمباركة السلطة الدينية نفسها ذلك أنّ دخول بلاد الرافدين في مرحلة التوسع خلال حكم هذه الأسرة والظروف التي استجدت أفرزت الحاجة لقيادة عسكرية أكثر من الحاجة إلى قيادة دينية للمحافظة على الدولة من جهة ومن جهة أخرى حماية الجانب الاقتصادي والمتمثل في حماية الأراضي الزراعية والتي كان جزء كبير منها ترجع ملكيته للمعبد أي السلطة الدينية، فتبنت السلطة السياسية آلهة ترمز إليها أكثر من انتمائها للسلطة الدينية بالرغم من أنّ هذه الآلهة كانت من معتقدات سكان بلاد الرافدين<sup>(3)</sup>.

(1) - سعدون عبد الهادي الأمير الأعرجي، حسين سيد نور، العبادة السياسية في العراق القديم، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد 26، ص 175، 176.

(2) - أندرية إيماروجانين أبوايه، المرجع السابق، ص 29.

(3) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 160.

-الإله نكرسو: ويعني اسمه في اللغة السومرية (سيد كرسو) ومعناه سيد مدينة كرسو وهي إحدى المدن التي شغلتها سلالة (لجش)، وهذا الإله يذكر ضمن أسماء آلهة مقاطعة لجش في قوائم الأسماء المكتشفة في مدينة فارا، ويعتبر هذا الإله من جهة إله الخصب والنمو ويلقب بسيد الحقول ومزارع حقول (انليل) والذي يسهر على أمن واستقرار النظام في الحقل والقناة ومن جهة أخرى فهو إله المعارك والقتال<sup>(1)</sup>.

يمثل هذا الإله تجسيدا للسلطة الحاكمة في مدينة (لجش) والتي ظهرت حوالي 2500 ق.م لعدم ارتباط اسم هذا الإله بأي مظهر من مظاهر الطبيعة أو أي مهمة من مهمات الآلهة الأخرى ولهذا الإله عدد من الإخوة والأخوات عبدوا في مدن منطقة نفوذ مدينة لجش وهم: (نانشيه) مفسرة الأحلام والإلهة (نسابا) الهة الحبوب، الإلهة كاتوم دوك ويعبر عنها بأنها أم جميع الأطفال، الإله (خيندورسكا) والذي يطلق عليه اسم (ايشوم) البطل ومقدم المشورة إلى إله العالم السفلي (نركال)، وزوجة نكرسو هي الإلهة (بابا) أخت الإله (أنو) ويعتبر الإله (انليل) والد نكرسو، ومعبده يطلق عليه اسم (الايينو) ومعناه معبد الخمسين أما رمزه على المنحوتات فهو صورة الطائر المعروف باسم (انزو)<sup>(2)</sup>.

وقد نقشت على مسلة النّسور (مسلة النور) صورة (نكرسو) حامي دولة لجش وهو ينشر شبكته العظيمة وهو يصطاد جيش أوما المعادية، وفي نفس الوقت يهشم الرؤوس الخارجة بدبوسه الحجري<sup>(3)</sup>. [أنظر الشكل رقم 7]

(1) - ادزارد و آخرون، المرجع السابق، ص 171.

(2) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 160.

(3) - طه باقر، المرجع السابق، ص 353.



### الشكل رقم 7 الإله نكرسو

انطون مورتكات، الفن في العراق القديم، د.ط، ج1، تر:

عيسى سلمان وسليم التكريتي، مطبعة الأديب البغدادية، د.ت، ص 147.

- الإله مردوخ: أشهر الألهة عند البابليين وهو من الآلهة القديمة، ارتفعت منزلته في العهد البابلي القديم ونسب إليه خلق الكون والبشر<sup>(1)</sup>، ويعتبر مردوخ أقوى الآلهة، بلغ أوج عزته في عهد حمورابي، ارتبط مصيره بمصير بابل، بدأت عبادته حوالي الألف الثانية قبل الميلاد في معبده الذي أطلق عليه اسم "اسجل" (البيت العالي)<sup>(2)</sup>، وأعطي مردوخ اسم (سيد) وهو

<sup>(1)</sup>-MM.J.Oppert et J.Menant, *Documents Juridique de L'assyrie et de la Chaldee, Maisonneuve et libraires*, Paris, 1977, p 146:

انظر كذلك: حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص108.

<sup>(2)</sup>- ادريس عبيدة، المرجع السابق، ص27.



لقب انليل)، وتحتفل باسمه بابل في الربيع بعيد رأس السنة<sup>(1)</sup> (زاغ موك)، إحياء لذكرى انتصار مردوخ على تيامات وانتمائه إلى العرش الإلهي، وعنى اسمه في اللغة السومرية (عجل اله الشمس)، أما في اللغة البابلية فهو (مار - دوكو) أي ابن الاله دوكو (معنى دوكو التل المقدس وهو مجلس الالهة)<sup>(2)</sup>.

ارتفع شأن بابل خاصة في زمن حمورابي وأصبحت إمبراطورية مترامية الأطراف عاصمتها مدينة بابل مقر عبادة الإله مردوخ الذي ارتفع وأصبح رمزا للسلطة السياسية للدولة البابلية وحظي بتقديس كبير في جميع أنحاء البلاد وبإصدار حمورابي شريعته والذي أوجدت عبادة جديدة في كل أنحاء الإمبراطورية (عبادة مردوخ) الإله الأعظم، وبمساعدة الكهنة وجهودهم خلقوا أساطير جديدة، أضيفت إلى الأساطير السومرية وأحيتها<sup>(3)</sup>، وبما أن الإله مردوخ هو رمز للسلطة السياسية البابلية فقد أسندت إليه مهام عديدة، فاعتبر إله الحكمة وإله طرد الأرواح الشريرة وشافي الأمراض وسيّد القنوات والحقول والإله الحاكم وجالب الضياء.

ولإله مردوخ رموز عديدة، فقد جسّد في بابل على شكل حيوان مركّب من أعضاء عدّة حيوانات مختلفة يدعى هذا الحيوان المركّب في اللغة البابلية (الموشخوشو) بالإضافة إلى رموز أخرى مختلفة، [أنظر الشكل رقم 8]<sup>(4)</sup>.

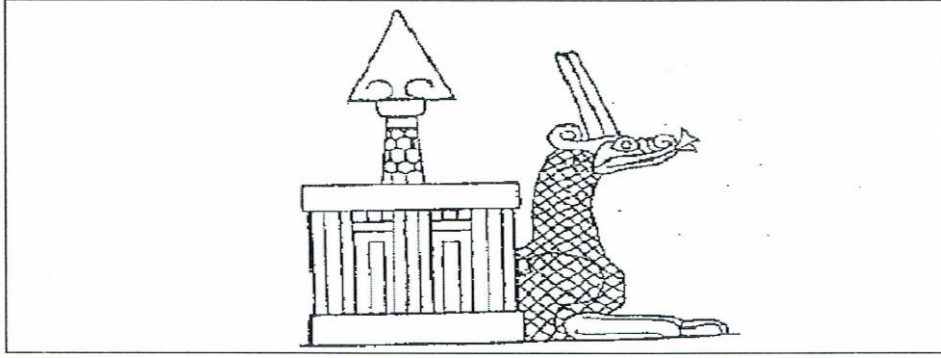
(1) - عيد رأس السنة: ويدعى عيد (الأكيو)، وهو من أهم الأعياد التي يحتفل بها في بابل، اكتسب شهرة كبيرة في العهد السومري، و يقام تكريماً للآلهة المحلية في المناطق المختلفة، لكن في بابل له مكانة كبيرة تتناسب مع مكانة و عبادة الاله مردوخ وكذلك لأهمية العاصمة، كان يحتفل به في أوقات مختلفة قبل العصر البابلي القديم عند الاعتدال الخريفي و الذي يعد ابتداءاً للسنة الجديدة، و للاكيو عيدان: عيد الخريف، و عيد الربيع وهذا الاخير هو الذي يحتفل به في بابل بعد حكم حمورابي، و تدوم مدة الاحتفال 12 يوماً في أول نيسان (أفريل) حيث تجري الاحتفالات وتتلى ملحمة التكوين البابلية مرتين على شكل تمثيلية درامية، و في اليوم الخامس منه يقوم الملك بالجلوس أمام تمثال مردوخ و تنزع عنه شاراته الملكية ويتلقى صفة قوية من الكاهن الأعظم للمعبود و الذي يقوم بشد أذنيه فيخر الملك راکعاً لتمثال مردوخ، كما يضم هذا العيد مراسيم الزواج المقدس وتقدم الأضاحي (كبش الفداء) و تشعل النيران نحو الذنوب و الخطايا، انظر: مارغريت روثن، المرجع السابق، ص 129، 130، حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، د. ط، دار الفكر اللبناني، د. ت، ص 77، 78، محمد حسين الأمين، اكيو أو رأس السنة البابلية وعقيدة الخلود و البعث بعد الموت، ط 1، أشور بانبيال للكتاب، بغداد، 2018، ص 7-9.

(2) - دياكوف وكوفاليف، المرجع السابق، ص 109.

(3) - سعدون عبد الهادي الأمير الأعرجي، حسين سيد نور، المرجع السابق، ص 177.

(4) - دياكوف وكوفاليف، المرجع السابق، ص 96.





الشكل رقم (06): الإله مردوخ ( القرن 8 ق. م )  
خزعل الماجدي، " بخور الآلهة "، المرجع السابق، ص: 193.

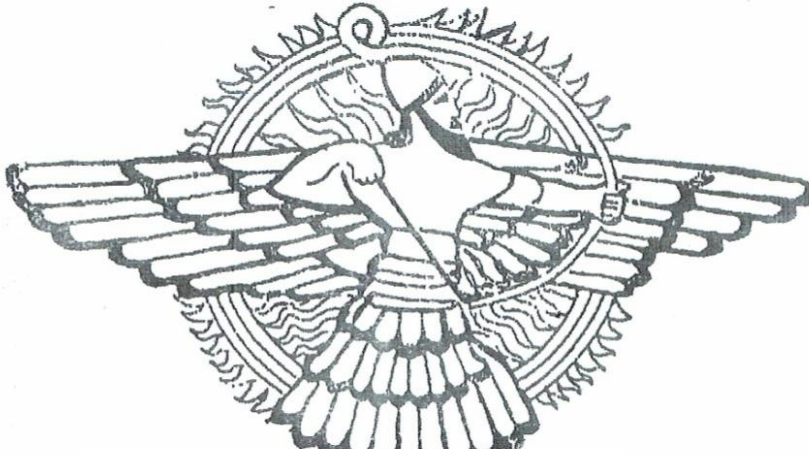
الشكل رقم 8: رمز الإله مردوخ من العصر البابلي القديم (القرن 8 ق م)  
خزعل الماجدي، "بخور الآلهة، ط1، الأهلية للنشر و التوزيع، الأردن، 1998 ص 193

–**الإله آشور**: هو الإله القومي للآشوريين وسميت عاصمة مملكة الشمال على اسم هذا الإله. وفي مرحلة سيطرة الآشوريين على بلاد الرافدين منح رجال الدين الآشوريون صلاحيات مردوخ للإله آشور، واستبدلوا اسم مردوخ باسمه في نصّ قصّة الخليقة<sup>(1)</sup>، وفي القرن التاسع عشر قبل الميلاد أصبح الإله آشور مساويا لوالده (انشار)، فارتفعت مكانته فوق جميع الآلهة، ومنذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد شبّه الآشوريون الإله آشور بالإله (انليل)، وأصبحت له ألقاب هي نفسها ألقاب (انليل)<sup>(2)</sup>، وفي عهد الإمبراطورية الآشورية نعت بصفات عديدة منها: سيّد العالم، الخالق ومنظم الكون ووليّ الآلهة<sup>(3)</sup>. [أنظر الشكل رقم 9]

(1) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 162.

(2) - جان باتيرو، المرجع السابق، ص 261.

(3) - دياكوف وكوكوفاييف، المرجع السابق، ص 102 .



الشكل رقم 9: الإله آشور

محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 218

إنّ التّغيرات السياسيّة التي حدثت في بلاد الرّافدين بتجميع القرى في وحدات سياسيّة حول المدن قد أثّر على الآلهة أيضاً، فالمدينة التي تكون لها الرّعاية تفرض إلهها في السّلطة وهذا بتعاقب مختلف الدّول التي قامت في هذه المنطقة ويتزعم إله من الآلهة السّلطة السياسيّة، فغطّى النّظام الدّينيّ النّظام السياسيّ لاعتقاد النّاس أنّ كلّ ما يجري على الأرض يجري ما يمثله في مجلس الآلهة، فهذا الأخير كان يترأسه (انليل)، وفي بعض الأحيان وفي حالات الاضطرابات يترأسه (أنو) بحضور الإله (انكي - أيا) وتدور المناقشات تحت سلطة هذا الثّالوث حول القضايا الهامّة والتي تخصّ الكون وينتج عنها تحديد مصائر جميع الكائنات، فكانت الأمور تُوجّه وتساس بقرارات من الآلهة ويتمّ الإعلان عن المصائر من طرف الإله الأعظم على لوح المصائر، والذي يكون تحت سلطته العليا كدليل على زعامته، فكان تمثيل الآلهة انعكاساً سماويّاً للنّظام السياسيّ على الأرض<sup>(1)</sup>.

#### 4. تأليه الملوك لأنفسهم:

(1) - جان باتيرو، المرجع السابق، ص 260.

من الصَّعب معرفة الأسباب التي أدَّت إلى ظهور عبادة الملوك، وقد يكونون هم أنفسهم من شجَّع على هذه العبادة<sup>(1)</sup>، فاتَّخذ سرجون أو حفيده نرام-سين لقب ملك الجهات الأربع (لاتَّساع المملكة الآكاديَّة وسلطتها)، ويعبَّر هذا اللقب عن مدلول دينيٍّ لتثبيت السُّلطة السياسيَّة وهو لقب خاصٌّ بالآلهة العظام الذين خلقوا هذا العالم وما فيه، وبانتحالهم هذا اللقب أصبحوا ممثِّلين لهؤلاء الآلهة في السَّيطرة على العالم، وعمد سرجون إلى إدخال اسم الملك في العقود القانونيَّة مع أسماء الآلهة وجعل من القضاة موظَّفين يعيِّنهم الملك وهم يحكمون باسمه، وقام بإدخال تقويمٍ جديدٍ عمِل به في كلِّ أرجاء المملكة بعد أن كانت كلِّ دولة مدينة تتبَّع تقويمها وأشهرها وأعيادها الخاصَّة بها<sup>(2)</sup>.

ويعتقد أنَّ (نرام-سين) حفيد سرجون اعتبر إلهاً وعبد في حياته ووضع أمام اسمه إشارة الإله وترسمه المنحوتات وعلى رأسه خوذة بالقرنين (رمز الألوهية)، وهذا التَّقديد لا يوجد في العصر السُّومريِّ القديم حيث لم يعبد أيُّ ملك خلاله<sup>(3)</sup>، لتنتقل ظاهرة تأليه الملوك وتعمُّم خلال أسرة أور الثالثة (العصر السُّومريِّ الحديث) عند نهاية حكم أورنامو.

فقد وردت أسماء ملوك هذه السُّلالة وأمامهم شارة الآلهة وهم يلبسون الخوذ ذات القرنين مع تقديم النِّدور بالطريقة نفسها التي تقدِّم للآلهة مرفوقة بالتراتيل، وأقيمت معابد للملوك المؤهَّلين مع تقديم الأضاحي فيها، وأصبحت تماثيل الملوك مساويةً للآلهة منذ عهد شوسين<sup>(4)</sup>. [أنظر الشُّكل رقم 10]

(1) - سامي سعيد الأحمد، الإدارة ونظام الحكم (حضارة العراق)، ج2، المرجع السابق، ص 14.

(2) - طه باقر، المرجع السابق، ص 387.

(3) - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 12.

(4) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 195.



الشكل رقم 10: الملك نرام سين

MEMO Larousse,op .cit,p680 .

وبانفصال السّلطة السّياسيّة عن السّلطة الدّينيّة وظهور الملكيّة الفرديّة واقتصاد القصر الناتج عن التّطوّر الاقتصاديّ في نهاية الألف الثّالثة قبل الميلا دحيث امتلك ملوك هذه الأسر أراضي المعابد والتي أخضعت لسلطتهم وخصّصوا لها النّساء والعبيد إلى جانب الأحرار في العمل، وبتسيخ الاقتصاد الملكيّ وامتلاك الملك للعقار تتمّع البلد سياسيًا بالمركزيّة، وإرساء سلطتهم ألّه ملوك أسرة أور الثّالثة أنفسهم وأعلن شوسين وابنه إلهين، وجسدت الأعمال الفنيّة العائدة إلى تلك الفترة تسليم الآلهة إشارات السّلطة الملكيّة وإماراتها إلى ملك سومر وأكاد<sup>(1)</sup>.

ومع سيطرة السّلطة السّياسيّة على المعبد انتقلت عبادة الملوك من سلالة لجش وأور الثّالثة إلى مدن العصر البابليّ القديم "ايسن" و"لارسا" وأصبح النّاس يقسمون بملوك هاتين السّلالتين وأقيمت على شرفهم التّراتيل والأعياد ودخلت أسماءهم على أسماء النّاس الشّخصيّة<sup>(2)</sup>.

(1) - دياكوف وكوفاليف، المرجع السابق، ص92.

(2) - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص14.

إنّ الملك في بلاد الرافدين استمدّ سلطته على الأرض من الآلهة وقد ساعده ذلك على السيطرة وفرض حكمه وإرساء قواعد دولته، لكن خلال عصر حمورابي تحلّى هذا الملك عن صفة الألوهية والتي نادى بها من سبقوه أوحى من كان معاصرا له (نرام-سين)<sup>(1)</sup>، فمسلّته التشريعية المعروفة باسمه تظهره و هو يرتدي قبعة عادية لا تحمل قرني الألوهية، وكان اسم حمورابي يرد وهو خالٍ من أيّ رمز يشير إلى تأليهه، ولم يقيم المعبد بتقدّيس شخصه، وكان يزعم أنّه ممثّل الآلهة والتي اختارته من بين البشر ليقوم العدل باتّباع أوامر الآلهة<sup>(2)</sup>، [أنظر الشكّل رقم 11].



الشكّل رقم 11: حمورابي البابلي يحيي الإله شمش -إله الشمس-

MEMO Larousse, op.cit, p 681.

وجدت آراء عديدة لتفسير ظاهرة تأليه ملوك بلاد الرافدين لأنفسهم من بينها اعتقاد سكان هذه المنطقة أنّ الملوكية هبطت من السماء، وهو نظام ملكي مقدّس تحتكم إليه الآلهة نفسها، وهذا النظام موجود منذ الأزل وقبل أن يمارسها أيّ أحد على الأرض، وأصبح هذا المعتقد من الأسباب الرئيسية التي أوجدت تأليه الملوك<sup>(3)</sup>، بينما يرى البعض الآخر أنّ

(1) - اندري إمار وجانين أوبوايه، المرجع السابق، ص 142.

(2) - هورست كلينكل، حمورابي البابلي وعصره، ط 1، تر: محمد وحيد خياطة، دار المنارة للدراسات والنشر، سوريا، 1990، ص 175.

(3) - سعدون عبد الهادي الأمير الأعرجي، حسين سيد نور، المرجع السابق، ص 179.

سبب التآليه يعود إلى عدم وجود توازن بين الطبقة الحاكمة والطبقة الدينية فلجأت الطبقة الأولى للتآليه ليمكن الملك من التحرر من هيمنة الكهنة، ويمكن الملك من إخضاع طبقة الكهنة لسلطته، فتحوّل هذه الطبقة لخدمة الملك باعتباره إلهًا، ويرجع فريق آخر سبب التآليه إلى أنه عندما يتحد الملك مع الإله في الزواج المقدس<sup>(1)</sup> الذي يقام في عيد رأس السنة في طقس ديني، فإن الأطفال الذين ولدوا من هذا الزواج هم الذين ألهوا أنفسهم عندما أتحت لهم الفرصة لذلك عندما تسلّموا الحكم لاعتقادهم أنهم ولدوا من أبوين أخذوا الصفة الإلهية عند تكوينهم<sup>(2)</sup>.

## 5. المعبد ودوره:

تركزت الحياة الدينية السومرية على عبادة إله المدينة المسيطر على كل ما فيها، ويعتبرون أنّ الإله هو سيد المدينة الحقيقي والذي يختار وكيلًا عنه يسمونه "إشاكو"، يتولى الحكم ويعهد إليه باسم الإله رعاية شؤون الأهالي، فجمع بذلك الحاكم بين السلطة السياسية والدينية<sup>(3)</sup>، وارتقى لمرتبة الآلهة وخصّ لنفسه الكهنة والمعابد<sup>(4)</sup>.

تعتبر المؤسسة الدينية أولى المؤسسات التي قادت المجتمعات البشرية، والأسس الدينية هي القاعدة التي بنيت عليها المؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع، باعتبار الدين عنصراً أساسياً لتنظيم حياة الإنسان وطريقاً لإدارة الحياة السياسية، الاجتماعية، الدينية والاقتصادية والعلمية<sup>(5)</sup>.

لقد تمّ ابتكار الكتابة لممارسة عملية تتعلق بإدارة شؤون المعبد وأملاكه الواسعة، بالإضافة إلى إدارة شؤون القصر الملكي، وتعدت الاستفادة من الكتابة إلى أصحاب

(1) - الزواج المقدس: الذي يكون بين الملك الذي يمثل الإله تموز وكاهنة تمثل الإلهة عشتار، أنظر: سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 53 - 55.

(2) - فانتن موفق شاكور، الملوك المؤطون في العراق القديم، مجلة التربية و العلم، العراق، المجلد 20، العدد 4، 2013، ص 4.

(3) - رؤوف شهباني، تاريخ الأديان القديم، ط1، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، 2011، ص 116.

(4) - انظون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، د. ط، تر: توفيق سليمان علي عساف، مكتبة المهتدين الاسلامية، د. ت، ص 108.

(5) - سعدون عبد الهادي الأمير الأعرجي، حسين سيد نور، المرجع السابق، ص 169.



الإقطاعيات الزراعيّة الكبيرة والتّجار في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، وبدأت بعد قرون من ظهور الرّقم الكتابيّة الأولى النّصوص الأدبيّة في ثقافة وادي الرّافدين على شكل نصوص أسطوريّة وصلوات وتراتيل، بالإضافة إلى النّصوص الملحميّة التّاريخيّة وموضوعها الصّراع بين المدن السّومريّة فيما بينها والملاحم الشّعريّة الطّويلة وظهر آداب الحكمة والمراثي والمناظرات<sup>(1)</sup>.

وكان المعبد الأساس الذي تشعبت منه مختلف مجالات الحياة، واختراع الكتابة ناتج عن المعبد، حيث احتضن هذا الأخير أولى المدارس في التّاريخ وظلّ الاهتمام فيه بشؤون التّعليم عبر مختلف مراحل حضارة بلاد الرّافدين، وخضع المجتمع في هذه المنطقة لسلطة الكهنة والتي امتدّت إلى إدارة جوانب الحياة الدّينيّة،الاقتصاديّة، والسّياسيّة، وفي العهد السّومريّ (عصر فجر السّلالات السّومريّة) ظهرت أولى التّنظيمات السّياسيّة، حيث تمّ دمج السّلطتين الدّينيّة والسّياسيّة واعتماد السّلطة السّياسيّة على الأسس الدّينيّة باعتبار هذه الأخيرة نشأت قبل المؤسّسة السّياسيّة<sup>(2)</sup>، حيث أكّدت المصادر المسماريّة أنّ ظهور المؤسّسة الدّينيّة كان في منتصف الألف الخامسة قبل الميلاد<sup>(3)</sup>. وبعد تطوّر العلاقات الاقتصاديّة توسّعت الدّولة وبدأت تتشكّل الإمبراطوريّات والتي يكون فيها عدد من المدن تحت سيطرة ملك كاهن يؤسّس كيانا سياسيّاً واقتصاديّاً<sup>(4)</sup>.

وقد احتاج الإنسان السّومريّ إلى تكاثف القوى البشريّة مع القوى الإلهيّة عن طريق وسيط بشريّ يتحلّى بصفات مميّزة ليكون على علاقة جيّدة مع الآلهة فتشكّلت بذلك الرّئاسة البدائيّة لإدارة شؤون الجماعة في مواجهة أخطار الطّبيعة، وإدارة شؤون الرّيّ والزّراعة والتّخفيف من نتائج الكوارث، ثم تقاربت هذه الجماعات لتشكّل مجتمعا متّحدا يترأسه شخص كفاء

(1) - فراس السّواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، د. ط، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، د. ت، ص 7.

(2) - سعدون عبد الهادي الأمير، حسين سيد نور، المرجع السابق، ص 170.

(3) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 184.

(4) - رؤوف شهباني، المرجع السابق، ص 112.

يقوم باختيار معاونيه، وتطوّرت هذه الإدارة من الحالة المؤقتة إلى حالة دائمة، فأدّى هذا إلى سلطة الوسيط وتحوّله إلى كاهن وحاكم كبير وتحوّل ذلك المجتمع القرويّ إلى مجتمع معبدي<sup>(1)</sup>.

واعتبر المعبد مركزا للإدارة الاقتصادية والسياسية في الدولة، وكانت حكومة المدينة السومرية (الدولة) في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد كهنوتية، فالأرض والسكان ملك لإله المدينة (الملك) وهو الكاهن في نفس الوقت ووكيل الإله على الأرض، وبما أنّ الآلهة خلقت الإنسان لخدمة الإله، فكلّ السكان خدّم للإله، وسمّي الإنسان الذي يعمل وكيلا عن الإله (إنسيّ) (Ensi)<sup>(2)</sup>.

وأصبح الإله إقطاعياً بما يقدمه الناس إليه من قرابين وندور وتضحيات وهبات وبتراكمها زادت قدرات الكاهن الحاكم الوسيط(الملك)، وبدأ يتحوّل إلى ملك مطلق التّفوذ وانصرف بمرور الزمن للعمل السياسيّ لمواجهة المجتمعات الأخرى والتي تحوّلت أيضا إلى ممالك تاركا أتباعه ينوبون عنه في التّعامل مع الإله<sup>(3)</sup>.

كان القسم الأكبر من الأرض ملكا للمعبد، ووكيل الإله مع مجموعة من الكهنة مسؤولون عن إدارة شؤون المعبد، وظلّت الملكية الخاصة للأراضي نادرة حتى عصر السّلالات الباكرا بتحويل الملوك الأقوياء ملكيات الأراضي العامة إلى ملكيات خاصة لصالح عائلاتهم، فأدّى هذا إلى الفصل بين السلطة الدينية والدينيّة<sup>(4)</sup>، وأدّى انصراف الملك للعمل السياسيّ إلى ظهور أتباع ينوبون عنه في التّعامل مع الإله فتشكّلت ثلاث طبقات في المجتمع السومريّ:

– الطبقة الإدارية: (الجهاز الحكومي: الملك وحاشيته ومعاونوه ورجال حاشيته).

– طبقة الكهنة – طبقة الشعب<sup>(5)</sup>

(1) – سيد القمني، المرجع السابق، ص 11.

(2) – سيتون لويد، المرجع السابق، 1993، ص 169.

(3) – سيد القمني، المرجع السابق، ص 12.

(4) – سيتون لويد، المرجع السابق، ص 169.

(5) – سيد القمني، المرجع السابق، ص 12.



والكهنة يتولون شؤون المعبد والعبادة، وكان الرئيس الإداري للمعبد هو سنغة Sanga، واجبه الحفاظ على مباني المعبد وموارده المالية، والرئيس الروحي للمعبد هو الإله (باعتبار أن كل مدينة سومرية لها إلهها الخاص)، يلي الإله الروحي الفئات الكهنوتية، ومن بينها: غودا guda و(ماه) Mah وايشيب (ishib) وغالا (gala) ونيدينجير nindingir.<sup>(1)</sup>

وبالرغم من انفصال السلطة السياسية عن السلطة الدينية، فإن المؤسسة الدينية حافظت على طابعها السياسي وقامت بأعمال عديدة من بينها: الاهتمام المتزايد بشؤون التعليم منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد بغية نشر تعاليمها الدينية وجذب الناس إليها، وبالمقابل سعت السلطة السياسية لإقامة مكتسبات كبيرة لاستقطاب العلماء والأدباء خدمة لأهدافها السياسية، وتأرجحت العلاقة بين السلطتين فإذا تمتعت السلطة السياسية بقوتها، التزمت السلطة الدينية حدودها التي رسمت لها، فإذا دب الضعف في النظام السياسي تدخلت السلطة الدينية في شؤون السلطة السياسية.<sup>(2)</sup>

اعتقد سكان بلاد الرافدين بأن الآلهة هي التي تختار الملك وتحدّد له وظائفه، وافتخر بعض الملوك باختيار الآلهة لهم من بين الكثير من الناس، فقد اعتقد كل من الملك (أوروكاجينا وجوديا) أن يد الإله قد اختارهم واعتبر الكثير من الملوك أنفسهم أبناء الآلهة، وقد يقع الاختيار على شخص معين ليس من السلالة الملكية لكن تتلمس فيه الآلهة الكفاءة والقدرة فتعطيه الحكم والملك كما جاء في أسطورة سرجون الأكادي<sup>(3)</sup>.

كان المعبد طوال مسيرة حضارة وادي الرافدين أحد الأقطاب الرئيسية في النظام الاجتماعي، الاقتصادي، والسياسي باعتباره مركزا تقام فيه الطقوس والشعائر من احتفالات

(1) - صمويل نوح كيرمر، الديانة البابلية (موسوعة تاريخ الأديان)، تر: محمود منقذ الهاشمي، ط4، دار التكوين للتأليف و الترجمة والنشر، دمشق، 2017م، ص289.

(2) - سعدون عبد الهادي الأمير الأعرجي، حسين سيد نور، المرجع السابق، ص172.

(3) - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 11.

ومناسبات دينية وتقديم النذور والقرايين وإقامة الصلوات، وقد كان أيضا مركزا اقتصاديا واجتماعيا فعّالا لممارسته الحياة العامة والتي بلغت أوجها في عصر فجر السّلالات.

وقد شهد المعبد باعتباره مركزا ثقافيا وفنيا تطورا كبيرا، ففي البداية أقيم في السهل وسط البيوت السكنية على مرتفع من الأرض، ويكون المعبد أكبر الأبنية في المدينة وأبرزها، لكنه تطوّر وأصبح برجا رفيعا عرف بالزقورة وكان بداية لبناء الأبراج المتدرّجة في بلاد الرافدين وأهمّهما برج بابل<sup>(1)</sup>.

كان بناء المعبد يتم بصورة جماعية بعد إنجاز الرسوم التخطيطية على الألواح الطينية، واعتقد السومريون أنّ شكل المعبد من تصميم الآلهة (نزلت عن طريق الأحلام) لكن من المرجح أنّ البناء هم الكهنة باعتبارهم مديري المعبد<sup>(2)</sup>.

يعتبر المعبد السومري والبابلي مركز العبادة ويتكوّن من قسمين: محراب لشعار الإله أو تمثاله ومنضدة مصنوعة من الآجر، وتطوّر المعبد لاحقا حيث أصبحت له صالة في الوسط يحيط بها عدد من الغرف وتمّ وضع المذبح في مواجهة منضدة القرايين مقابل أحد الجدران القصيرة وزينت جدرانه الآجرية الطينية<sup>(3)</sup>.

## 6. الكهنة والنظام الكهنوتي:

إلى غاية نهاية التاريخ البابلي لم تكن هناك فوارق بين الموظفين في القطاع المدني والديني فكثيرا ما تقلد الملك منصب الكاهن الأكبر لإله المدينة التي يحكمها وتلقب الملوك بكهنة الآلهة، كما حمل الملوك والأمراء والأميرات لقب الكاهن الأعلى لإله معين، وتطوّر الحياة

(1) - الزقورة : الصرح المدرج المؤسس فوقه معبد وقد اختلفت الآراء في سبب تشييدها لكن أغلب الباحثين يرى انها تعبر عن فكرة السمو والعلو أي فكرة البيت السماوي وترى المدرسة الألمانية انه مسكن الإله الخاص عند نزوله من السماء، انظر: طه باقر، معابد العراق القديم، مجلة سومر، مج3، ج1، الحكومة العراقية، 1948، ص 12.

(2) - عزمي سكر، المرجع السابق، ص 71.

(3) - صموئيل نوح كريم، المرجع السابق، ص 284.

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تطوّرت المعابد وبرزت طبقات من الكهنة<sup>(1)</sup>، ليتشكل النظام الكهنوتي في بابل وآشور من فئات رئيسية هي:

**أ. الكهنة أصحاب المراتب الرفيعة (السانكا):** ومنهم الحبر الأعظم (الاينو) وهو رئيس المعبد وكاهنه الأعظم، يتم اختياره بطقوس محدّدة ومعينة ويعدّ اختياره لهذا المنصب حدثا ذا أهمية كبيرة، بالإضافة إلى الكاهنة العليا (اينتوم) والتي تشرف على الكثير من الكاهنات وهنّ العنصر النسويّ في الزواج المقدّس، وهنّ الحقّ في الزواج دون السّماح لهنّ بإنجاب الأطفال، وقد كان الملوك في بلاد الرافدين يعيّنون بناتهم لهذا المنصب منذ عهد سرجون الأكادي<sup>(2)</sup>.

**ب. كهنة القدّاس:** وهم الذين يشرفون على الاحتفالات ومنهم الأويكالو (الحرس) المسؤولون على حراسة بوابة المعبد بفتحها وغلقها، وهم يقرأون الطّقوس المصحوبة بالتّراتيل المناسبة<sup>(3)</sup>.

**ج. الكالو:** انحصرت مهام هذه الفئة في تلاوة التّراتيل المصحوبة بالموسيقى من أجل التّرويح وتهدئة قلوب كبار الآلهة، واستعملت لهذا الغرض عدّة أدوات موسيقية منها الطّبيل (ليليسو)، وتشارك هذه الفئة في احتفالات ومهرجانات السنّة الجديدة<sup>(4)</sup>.

**د. البارو:** ومعناها (الرّائي) وهي فئة من الكهّان قديمة وظيفتها استطلاع الفأل تقوم بإعداد الرّزنامة ورصد الأهلة والكواكب وتحديد أيّام السّعد والنّحس، وقد ذكرت هذه الفئة في مراسلات ملوك آشور<sup>(5)</sup>، ويعتمد البارو في عمله على ثلاثة عناصر وهي: الآلهة، وعلى صلته بالآلهة (لأنّه أحد رجال المعبد)، وعلى العلامة (الظّاهرة)، لكونه يعرف الظّواهر المختلفة

(1) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص366.

(2) - سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ط1، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013، ص ص50، 51.

(3) - نفس المرجع، ص51.

(4) - فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، المرجع السابق، ص345.

(5) - نفس المرجع، ص 346.

(طبيعية، حيوانية، إنسانية، فلكية، حلمية)، فهو يستطيع تحليل الظاهرة التي ستحلّ بالإنسان، وتضطلع هذه الفئة بتفسير الأحلام ومرافقة الملك في حملاته<sup>(1)</sup>.

**هـ. الأشيبو:** كما يطلق على هذه الفئة اسم (مشماشمو) وهو المعزّم والسّاحر ويعتبر الوسيط بين الإنسان المريض والإله، وهو المضطلع على الوسائل الشيطانية<sup>(2)</sup>، والأشيبو هو المسؤول عن مبدأ التعويض (بأخذ حمل ووضعه بجانب المريض في فراشه، وتقرير سكنين نحاسية على رقبة المريض ليذبح به بعد ذلك الحمل ويقوم أهل المريض بالبكاء وتقديم الأضاحي الجنائزية إلى الآلهة<sup>(3)</sup>).

**و. قدشتو:** تطلق هذه التسمية على فئة النساء التي تدخل الكهنوت وقد شكلت النساء جزءاً مهماً في المعابد الكبرى، وكان من عادة الملوك أن يهبوا بناهم للعمل ككاهنات لخدمة المعبد<sup>(4)</sup>، وقد أعطت شريعة حمورابي مجموعة من الحقوق لهذه الفئة حيث تضمنت المادة 181 منه: "لو كرّس أب ابنته للآلهة خادمة أو بغيّاً مقدساً أو نذراً ولم يقدم لها مهراً، تأخذ حصّة من أملاك أبيها بمقدار الثلث بعد وفاته، لكن لها حقّ الانتفاع فقط بهذه الأملاك أثناء حياتها لأنّ تركتها من حقّ إخوتها<sup>(5)</sup>، ووظيفة هذه الفئة هي القيام بالزواج المقدّس (البغاء المقدّس)، وقد نذرن أنفسهن للآلهة وقد أطلق عليهن اسم (عشتاريتو)، لانتسابهن لمعبد عشتار في مدينة الوركاء مقر كاهنتهن الرئيسيّة وهن ثلاث فئات: الحبيسات، بنات اللذة، العاهرات<sup>(6)</sup>.

**ي. النّارو:** وهذه الفئة خاصّة بالنّذب والبكاء إمّا على الإله (تموز) أو الأشخاص المتوفّين<sup>(7)</sup>.

(1) - خزعل الماجدي، بخور الآلهة، المرجع السابق، ص 244.

(2) - نفس المرجع، ص 203.

(3) - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 52.

(4) - فراس السواح، المرجع السابق، ص 346.

(5) - مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص 121.

(6) - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 55.

(7) - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 52.

كما يتواجد في المعبد صغار الكهان وموظفو المعبد، بالإضافة إلى الحراس والبوابين والموظفين الموكل إليهم تقديم القرابين (حاملو السكاكين)، وكذلك توجد فئة مهمتها حمل العرش الذي يحمل الآلهة في الموكب<sup>(1)</sup>.

كانت الكهانة وراثية، ينقل الأب لابنه جميع الأسرار والمعلومات التي تتعلق بهذه الوظيفة ولم يتم تطبيق نظام عدم الزواج على الكهنة البابليين، ويخضع الكاهن في العادة لتدريبات طويلة في جميع المجالات (تعلم الكتابة، إتقان اللغة والطقوس)، وهي مهمة شاقة يلتزم فيها الكاهن بضرورة كتمان معرفة أسرار الطقوس التي تعلمها لأنه من المحظورات التي حرّمها كبار الآلهة (أنو، إنليل، إيا)، على غير الكهنة، ويخضع الارتقاء في الرتب الكهنوتية للفترة الزمنية التي تدرب فيها الكاهن<sup>(2)</sup>.

وكان الكهان يقومون بوظيفتهم عراة في بداية الأمر لكنهم استبدلوا هذه العادة بارتدائهم اللباس التقليدي (اللون الأبيض)، لكن لباس الكاهن يتميز في مناسبات معينة باللون الأحمر (ربما لإخافة الأرواح الشريرة)، بالإضافة إلى ارتدائهم أقنعة حيوانية عند إقامة طقوس التعازيم أو التعاويذ، وكانوا يؤمنون بأن الآلهة تأكل قرابين الطعام وتشرب الخمر المقدم لها<sup>(3)</sup>.

## 7. العرافة:

وهي التنبؤ بالغيب (الغيب يشمل الماضي أو الحاضر أو المستقبل)<sup>(4)</sup>، والعرافة في بلاد الرافدين اقترنت بالدين والتقاليد وكان الهدف من ممارستها الاتصال بالآلهة لمعرفة ما تقدّره من خير أو شر للفرد والمجتمع، وتطلق بالسومرية تعابير عديدة على العراف منها: "i-zu" ومعناها الذي يعرف، وبالأكادية اسم (بارو)، ويطلق على كبير العرافين اسم (راب باري)، وباعتبار العراف كاهنا فهو على صلة وثيقة بالمعبد وفي نفس الوقت مرتبط بالقصر الملكي فهو في مهمة

(1) - جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ط2، تر: سليم طه التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986، ص469.

(2) - فراس السواح، المرجع السابق، ص346.

(3) - فراس السواح، المرجع السابق، ص347.

(4) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص239.

استشارية لدى الملك قبل اتخاذ القرارات الحاسمة لمعرفة إرادة ومشئئة الآلهة، ومن جهة أخرى فهو مرتبط مع الجيش وعملياته العسكرية ويتقدمه في الحروب<sup>(1)</sup>.

في الحضارة البابلية يعتبر الإله شمش إله العدل وأيضا إله العرافة والتنجيم<sup>(2)</sup>، بالإضافة إلى الإله (أدد) إله الطقس<sup>(3)</sup>، ويشترط في الشخص الذي يمارس العرافة أن يكون طاهرا وسليم الأطراف والحواس وذا صحة جيدة وأن يخضع لدراسة طويلة في هذا المجال، وآمن البابليون أنّ تفسير الأحداث من طرف العرافين يتم عن طريق الوحي من الآلهة فوضعوا فيهم ثقهم لتنبؤاتهم التي أصدروها للملوك في الماضي وساعدتهم في التغلب على الأزمات التي واجهتهم وأن التكهّن بالغيب قد كشفته الآلهة (لإنكي) أحد الملوك الأسطوريين قبل الطوفان<sup>(4)</sup>.

وتنقسم العرافة تبعا للطريقة التي تستعملها إلى قسمين:

أ. الطريقة العملية: يستعمل العراف عدّة وسائل عملية للاتّصال بالقوى العليا وهي:

1. ضرب القداح: عبارة عن سهام صغيرة (مثل الأزام عند العرب) استعملها البابليون للتعرّف على آراء الآلهة في أمور عديدة<sup>(5)</sup>.

2. سكب الزيت في الماء: يضع العراف إناء فيه ماء ثم يسكب عليه قليلا من الزيت ويدقق الملاحظة في اتجاهات بقعته وهو يطفو فوق الماء، فإذا اتّجهت هذه البقعة نحو الشرق فهذا فأل حسن، أمّا إذا لم تتشكّل البقعة فهذا نذير شؤم<sup>(6)</sup>.

(1) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 370.

(2) - رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، ديانات الشرق الأوسط، ط2، تر: مفيد عرنوق، منشورات علاء الدين، دمشق، سوريا، 2006، ص321.

(3) - دزارد وآخرون، المرجع السابق، ص63.

(4) - جورج كونتينو، المرجع السابق، ص ص 465، 475، 477.

(5) - فاضل عبد الواحد علي، العرافة والسحر (حضارة العراق)، ج1 المرجع السابق، ص 198.

(6) - نفس المرجع، ص 198.

3. تصاعد الدخان: يقوم العراف بحرق البخور وأنواع من الأعشاب وفي نفس الوقت يراقب انبعاث الدخان<sup>(1)</sup>.

4. فحص الكبد: آمن البابليون أنه في حالة التضحية بجدي أو بنعجة فإن الإرادة الإلهية تتضح في كبد الأضحية وعليه تتبين نوايا الإله في هذا العضو<sup>(2)</sup> لإيمانهم بوجود علاقة بين الإله الذي تقدم إليه الأضحية والحيوان حيث يصبح هذا الأخير جزءا من الإله ومن الذين يأكلون منها، فتساوي روح الإله روح الحيوان أو أن روح الحيوان تتجسد في روح الإله، وعليه يمكن للعراف أن يتعرف على روح الإله وإرادته من خلال دراسة كبد الأضحية، ويشترط في الأضحية أن تكون سليمة وخالية من العيوب<sup>(3)</sup>.

ب. الطريقة غير العملية: وتعتمد على الظواهر الطبيعية الموجودة في الكون ولا يتدخل الإنسان في حدوثها، ويستعمل فيها عدة وسائل:

1. التنجيم: انتشر التنجيم في بلاد الرافدين كوسيلة من وسائل التنبؤ بمراقبة حركات الكواكب السماوية، ونتج عنه تطور علم الفلك عند البابليين والأشوريين، فوضعت المراصد على أبراج المعابد وسموا مجموعات الكواكب أسماء انتقلت إلى اليونانيين بعد ذلك، وارتبط الفلك بالدين وسخر لخدمته<sup>(4)</sup>، يقوم العراف بمراقبة الشمس والقمر والنجوم (الموقع، الشكل، اللون)، وحركة الرياح والهدف من كل هذا استنتاج الفأل والتعرف (التنبؤ) بالمستقبل سواء للملك أو على مستوى الشعب<sup>(5)</sup>.

2. الظواهر العرضية: يقوم العراف بمراقبة سلوك وحركة الطيور والحيوانات والحشرات، فإذا دخل كلب أبيض إلى القصر فهو ينبئ بأن حصارا سيلحق بالمدينة، وأما دخول الجوارح من

(1) - فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 198.

(2) - جورج كونتينو، المرجع السابق، ص 474.

(3) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 371.

(4) - محمد خليفة حسن محمد، تاريخ الشرق الأدنى وحضارته، د.ط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، 1998، ص 120.

(5) - فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 198.

الطيور إلى البيت فهو ينذر بموت صاحبه، والصراصير فأل سيء على البيت الذي تتواجد فيه، بالإضافة إلى ملاحظة الشذوذ الذي يصاحب ولادة الأطفال والحيوانات لاستخلاص الفأل الذي قد يحدث سواء في البيت أو المدينة منها<sup>(1)</sup>.

**3. الأحلام:** ترتبط الأحلام عادة بالفترة الليلية ويتولّى تفسيرها عرّاف متخصص (البارو) حيث يقوم بدراستها من خلال الصور الرمزية التي تحتويها، ومن ثمّ ترجمتها واستنتاج ماكتبته الآلهة في المستقبل<sup>(2)</sup>، وفي اعتقاد سكان بلاد الرافدين أنّ الآلهة تتصل بالتقاء منالناس عن طريق الأحلام وتخبرهم من خلالها الأحداث التي ستلحق بهم، وحينما تتأزم الأمور يسعى العرّاف إلى التماس هذه المنحة بلجوئه إلى مكان مقدّس والنوم فيه ليخبره الإله بالمستقبل عن طريق الحلم<sup>(3)</sup>، ويطلق على العرّاف الذي يتولّى تفسير الأحلام اسم (الشائيلو) بالسومرية<sup>(4)</sup>.

## 8. السحر:

باعتبار الدين وسيلة استعطاف للآلهة أي تلك القوى التي لها قدرات تفوق قدرات البشر، فيترسّخ الإيمان القاطع لدى المؤمن بإمكانيات الآلهة الواسعة في تسيير هذا الكون والكائنات التي تعيش فيه بما في ذلك الحياة البشرية، يتأسس الدين من عنصرين أساسيين هما: الجانب النظري والذي يتجلى في الإيمان بالقوى العليا، والجانب الآخر هو التطبيقي أو العملي الذي يظهر في ممارسة الطقوس لاسترضاء هذه الآلهة، لكن في السحر الأمر يختلف عنه في الفكر الديني، فقد يشترك السحر مع الدين في وجود قوى عليا لكن يختلف عنه في الطريقة التي يتبعها، فالساحر لا يتوسّل هذه القوى بل يرغمها على تحقيق إرادته هو<sup>(5)</sup>، والسحر يخلو من الأسطورة بينما الدين يتضمّن الإيمان أو المعتقد والطقس والأسطورة<sup>(6)</sup>.

(1) - ل. ديلابورت، المرجع السابق، ص 155، 156.

(2) - جان باتيرو، المرجع السابق، ص 151، 163.

(3) - ل. ديلابورت، المرجع السابق، ص 156.

(4) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 378.

(5) - جيمس جورج فريزر، الغسن الذهبي، ط 1، تر: نايف الخوص، دار الغرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2014، ص 79.

(6) - خزعل الماجدي، بخور الآلهة، المرجع السابق، ص 33.



فنشوء السّحر يعود لاستعانة الأفراد به على اكتساب القوى الخفيّة (القوى الحيويّة) وقوى شرّيرة تهدّدهم، وعلى هذا الأساس يوجد نوعان من السّحر: السّحر الأبيض أو الحلال والسّحر الأسود أو الخبيث، اختصّ بالأوّل جماعة احترّفوا هذه المهنة المعترف بها ويطلق على الشّخص الواحد منهم (الكاهن الطّبيب)، وظيفته الاتّصال بالقوى الخفيّة لتجيبه عن سؤال معيّن (لتشخيص المرض مثلاً)<sup>(1)</sup>، والهدف الرئيسيّ من السّحر هو أن يفرض الإنسان إرادته على الطّبيعة و على الإنسان وعلى العالم الذي لا نراه ولا ندركه بحواسنا ليتسّى له تحقيق السّيادة عليهم<sup>(2)</sup>، والسّاحر يعتمد في كلّ هذا على ثلاثة أسس: الأوّل إيمان السّاحر وثقته بنفسه وبإمكانيّاته وفعاليتها، والثاني إيمان المريض المعالج أو الضحيّة التي يمارس عليها السّحر بقدرة السّاحر، والثالث ثقة المجتمع في السّاحر وبقدراته الكبيرة<sup>(3)</sup>.

يقوم السّحر على مبدأين هما: قانون التشابه حيث أنّ الجزء يشبه الكلّ ويطلق على هذا النوع سحر التّجانس أو المحاكاة، حيث يرى السّاحر أنّ هناك تشابهاً بين جزء من النّهر والنّهر بأكمله، وربط العلاقة بين جزء من التّراب أو النّار أو الهواء بالمكان الذي تظهر فيه هذه الأشياء<sup>(4)</sup>.

فكان يطبّق هذا القانون في حياته حيث يقوم برسم الحيوان المراد صيده ويقوم بطعنه ليتمكن من صيده، ويقوم برش الماء على الأرض في انتظار هطول المطر<sup>(5)</sup>، أمّا القانون الثّاني فهو قانون الانتشار أو الاتّصال والذي يطلق عليه سحر العدوى<sup>(6)</sup>، وينصّ هذا القانون على وجود علاقة بين شيئين توجد صلة بينهما، فالإنسان كان يرى أنّ البذور المتواجدة في النّبتة أو الثّمرة تعطي النوع النّبتيّ نفسه فهناك علاقة بين الجزء والكلّ، فاستنتج أنّه يمكن التّأثير على الجزء الذي يعطي الكلّ، فيرى السّاحر أنّه باستطاعته أن يلحق الأذى بأيّ شخص

(1) - هوير ديشان، البيانات في إفريقيا السوداء، د.ط، تر: أحمد صادق حمدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص76.

(2) - كولن ولسن، الإنسان وقواه الخفية، ط2، تر: سامي خشبة، دار الآداب، بيروت، 1978، ص27.

(3) - كلود ليفي ستروس، المرجع السابق، 1977، ص27.

(4) - جيمس جورج فريزر، المرجع السابق، ص29.

(5) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص183.

(6) - جيمس جورج فريزر، المرجع السابق، ص29.

إذا حصل على شيء يعود إليه كقطعة من ثيابه أو جزء من شعره أو قلامة من أظفاره أو ضرس مخلوع، ويقوم بعد ذلك السّاحر بممارسة سحره على هذه الأجزاء منطلقاً من أنّ ما سيحدث على الجزء فسيحلّ على الكلّ، لاعتقاده باستمرار العلاقة بين هذا الجزء وجسم هذا الشخص حتّى بعد الانفصال<sup>(1)</sup>.

وقد كان الإنسان من خلال الطقوس السحرية التي يمارسها يتقمص ظاهرة طبيعية محدّدة أو شيئاً معيّنًا تفرضه الحاجة الملحة لوجوده كنزول الأمطار أو زيادة المحاصيل الزراعيّة وتكاثر الحيوانات، وأدّت هذه المعتقدات إلى لجوء الإنسان إلى رسم الحيوانات على جدران الكهوف لاعتقاده أنّ هذه الصّور ستجعل هذه الحيوانات تحت السيطرة في الواقع إيماناً منه بمبدأ التشبيه<sup>(2)</sup>.

مارس إنسان بلاد الرافدين السّحر باعتباره وسيلة دفاعية لإيمانه أنّ الكون تسكنه العفاريت الحيرة والشّرية وأنّ هذه الأخيرة هي أبناء الآلهة الذين همهم مردوخ، أمّا الخيرون فهم أولاد (انو) و(انيل وايا) ويملكون أجنحة، ويفوق عدد العفاريت الشّرية الحيرة وأشكالهم تماثل الوحوش المخيفة المرعبة وأشرس هذه الفئة (الاتوككو) الأشرار، يطلق عليهم السبعة غير متميّزي الجنس، كما توجد فئة الأشباح (نوع من العفاريت) وهم عبارة عن أرواح الموتى الذين ماتوا ميتة عنيفة أو الذين كانوا يعيشون بنجاسة على الأرض أو الذين دفنوا بطريقة غير لائقة<sup>(3)</sup>.

إنّ الإشارات الأولى للسّحر والسّحرة تعود إلى ملوك ما قبل الطوفان (ألوليم) و(أنسياري) واللذين سلّمهما الإله (أيا) المعرفة والقوى السحرية، وتطوّر السّحر في بلاد الرافدين بتطوّر المجتمع فيه وانتقاله من اقتصاد رعويّ إلى اقتصاد زراعيّ، وبنشوء المدينة تداخل السّحر مع الدين رغم الاختلاف بينهما، وكانت معظم النصوص السحرية سومرية الأصل وقد أعيد كتابتها

(1) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 184.

(2) - فاضل عبد الواحد علي، المعتقدات الدينية (موسوعة الموصل)، ط 1، مج 1، دار الكتابة والطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، 1991، ص 28.

(3) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 184.

في العصر البابلي القديم باللغة الأكادية، وأطلق على السحر في اللغة البابلية اسم (كشفو) (أوكيشبو)، كما أطلق على السّاحر (كاشبو) وعلى السّاحرة (كاشاتبو) وتركزت أعمال السّحرة بالدرجة الأولى على تسخير الأفراد ليقعوا تحت سيطرتهم السّحرية<sup>(1)</sup>.

مورس السّحر في بلاد الرّافدين تحت سيطرة إلهين من الآلهة العظام هما الإلهان: أياومردوخ، بالإضافة إلى معاونيهم وجندهم من الجن الصّالحين، وفي عهد العصر البابلي القديم تسلّم مردوخ صلاحيّات والده (أيا إله المعرفة والذي كان محباً للبشر)، وكان مردوخ يستنجد بأيا كلّما استعصى عليه الأمر، وعرف الكاهن الذي مارس السّحر باسم (ماشماشو) أو (الأشيبو)، ويعني هذا المصطلح (الكاهن الذي يقرأ التّعاويز)، واكتسب سلطته الفعلية من خلال تعبده، واعتبر نفسه ممثلاً لآلهة السّحر، وعند ممارسته لعمله يصيح وهو يتلو: "الأشيبو الذي خلق في أوريدو، مدينة أيا المقدّسة، أنا هو"، ثمّ تلي هذه العبارة مجموعة من الكلمات المخصّصة للشّعائر لطرد العفاريت، ويرتدي الكاهن (المعزّم) رداء أحمر لأنّه اللون الواقى من الأرواح الشرّيرة، كما أنّه قد يرتدي جلدا يشبه السمكة ليؤكّد ارتباطه وصلته بالإله (أيا) إله المياه والهاوية<sup>(2)</sup>.

وكانت نصوص المقلو والشّوربو السّحرية من أبرز وأهمّ النّصوص البابلية، وكانت تمارس في مواجهة السّحر الأسود لإبطال مفعوله، وقد شكّل السّحر في بلاد الرّافدين جزءاً من نظام الدولة وأجهزتها، فيحيط الملك بلاطه بالسّحرة والعرفانين والمنجمين، واعتبر الطّب ممارسة عمليّة للسّحر<sup>(3)</sup>، وقد نسبت إلى العفاريت الشرّيرة مسؤولية الكسوف التي يتعرّض لها القمر لأنّها تقوم بمهاجمته، بالإضافة إلى معاقبة البشر واختيارها العيش في الأماكن المقفرة<sup>(4)</sup>.

(1) - جان باتيرو، الديانة عند البابليين، ط1، تر: وليد الجادر، جامعة بغداد، 1970، ص 158.

(2) - جورج كونتينو، المرجع السابق، ص 484.

(3) - رياض عبد الرحمان أمين الدوري، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، منشورات الهيئة العامة للآثار والتراث، بغداد، 2009، ص 56.

(4) - لابات وآخرون، المرجع السابق، ص 157.

كما توجد فئات أخرى من العفاريت منها: الألو، الشيدو والعالو، وتدلّ هذه التسميات على القوّة التي تتمتع بها، كما أطلقت أوصاف على نوع آخر من العفاريت مثل: القساة والطائرين بالفضاء، لاخنخازو (الماسك)، الرابيصو (المنتظر)، اللاباسو (الدّاحر)، الليلو وأثناه الليلتو (الروح الليلية)، بالإضافة إلى الأدمو والتي تمثل أرواح الموتى، والتي غادرت أجسامهم بعد الموت وتلحق الضّرر بالأحياء، وعفاريت التّامرنو التي تسبّب مرض الطاعون والأمراض الخبيثة، وهناك عفاريت أخرى خاصّة بأمراض الرّأس والحُمى، واعتقد سكان بلاد الرّافدين أنّ رأس الشّرّ كلّه تيامات التي انتصر عليها مردوخ<sup>(1)</sup>.

كما آمن الرّافديّون بخطر العين الحاسدة والتي يترتّب عنها أضرارٌ جسيمة على الإنسان، ولتفادي هذه الأخطار (النّاتجة عن العفاريت والعين الحاسدة) لجأ السّاحر إلى استعمال التّعاويد<sup>(2)</sup> كوسيلة لممارساته السّحرية لإيمانه بأنّ السّحر طريقة فعّالة للدّفاع عن النّفس وفي نفس الوقت صراع ضدّ الشّرّ<sup>(3)</sup>، وتصنع التّعويدة التي يطلق عليها أيضا التّميمة أو الحجاب من مواد مختلفة كقطع الملابس أو أدوات الرّينة، وتكمن قوتها إمّا في المادّة التي صنعت منها أو الطّلاسم والكلمات التي تتضمّننها، ويطلق على التّعويدة في البابلية (الشّيتو)، ويتقلّدها حتّى الآلهة، فقد لبسها مردوخ في معركته مع تيامات وكانت من الطّين الأحمر في حين كان يمسك بيده نباتا لإبطال سمّها<sup>(4)</sup>.

وفي أسطورة هبوط عشتار إلى العالم الأسفل يظهر تهديدها لحارس هذا العالم وفي حالة عدم فتح أبوابه أنّها سترسل الموتى وتطلق سراهم على الأحياء، ويتّضح من هذا مدى الفزع

(1) - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 72.

(2) - التّعاويد: نصوص تدخل في باب السّحر، إلا أن البعض منها احتوت نصوصاً أدبية تمجد الآلهة والتي يستعبد بها السّاحر، و توضع عادة لطرده الجن الشريرة المؤذية والمسببة للأمراض الجسدية والعقلية للأفراد وكذلك تستعمل لإبطال مفعول السّحر الضار وهي في اعتقاد سكان بلاد الرّافدين تجلب الحظ، وقد قسمت التّعاويد إلى أنواع عديدة منها ما كان على شكل رقم طيني ومنها ما جمع بين الكتابة والرّسوم ترجع للعصر البابلي القديم، كما توجد تعاويد تعرف ب: لاماشتو وهي الروح الحارسة وتمثل إلهة الحظ وتجسد الحماية للإنسان ومعابد المدينة وقد عثر على العديد منها في القبور. انظر: رياض عبد الرحمان أمين الدوري، المرجع السابق، ص 88، 89.

(3) - نفس المرجع، ص 56.

(4) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 189.

والمخاوف التي يبديها البابليون من الأرواح والتي تضمّنتها تعاويذهم ورقاهم وهي ماميّز الديانة البابليّة<sup>(1)</sup>.

اكتسب السّحر البابليّ شهرة كبيرة واقتبست الأمم المجاورة منه الكثير في الفترة القديمة، فقد نشأ علم السّحر والتنجيم في بابل وانتشر في أرجاء المملكة الرومانية، ثمّ تعدّتها إلى مناطق أخرى، عرف ذلك من تتبّع القوانين السّحرية (القرن 16م) وكان فيها كلمات بابلية محرّفة<sup>(2)</sup>، وقد اشتهرت بابل في التّوراة بفنّ السّحر، وقد أرجعت خرابها إلى الانتشار الكبير لهذا الفنّ (السّحر) وعلم الكهانة اللّذين تسبّبا في هلاك شعبها، ووردت نصوص تبين التأثير الكبير في الديانة اليهوديّة للسّحر والتنبؤ، فقد جاء على لسان النّبّي اشعيا: "قفيفي رقاك وفي كثرة سحورك التي فيها تعبت منذ صباك، ربّما يمكنك أن تنفعي. ربما ترعين. قد ضعفت من كثرة مشوراتك. ليقف قاسمو السماء الرّاصدون النّجوم المعروفون عند رؤوس الشّهور ويخلصونك ممّا يأتي عليك"<sup>(3)</sup>، و"قاسمو السّماء" هو الاصطلاح العبريّ الذي يدلّ على "المنجمين"، بينما يدلّ "المعرفون عند رؤوس الشّهور" على وظيفة تتمّع بها البارو وهي تعيين أيّام السّعد والنّحس من الشّهر، وعلى أيّام أشعيا كان علم التنجيم قد مرّ عليه زمن طويل خضع فيه لتطوّر كبير، وربّما يكون من أقدم الأساليب للتعرّف على إرادة الآلهة ومشيتها<sup>(4)</sup>.

كما كان لهذه الشّهرة نصيب في القرآن الكريم حيث جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَٰ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَانِ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ

(1) - جيمس هنري هوك، المرجع السابق، ص 30.

(2) - شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم، ط1، تر: محمد كرد علي، الدار العالمية للكتب و النشر، الحيزة، مصر، 2012، ص 29.

(3) - سفر اشعيا 47: 12، 13.

(4) - رياض عبد الرحمان أمين الدوري، المرجع السابق، ص 242.

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَمَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

## 9. الأساطير:

تروي الأساطير أحداثاً رئيسية، تهدف من خلالها إلى شرح سبب وجود العالم على هيئته الحالية، وهي غير مبنية على أسس علمية (الحقيقة العلمية)، تحدد الأساطير الرموز الخاصة بالدين، الأخلاق، الاقتصاد، والتي يجب على المجتمع الالتزام بها، وهي تضم مجموعة من القيم والمعارف التي ترسم هوية أي جماعة بشرية، ويضم علم الأساطير مجموعة كبيرة من الأساطير التي تنتمي لثقافة واحدة يتم جمعها دون الاهتمام بتناسك مواضيعها، ومن مميزات الأساطير التناقض من حيث المعنى (الأساطير الثانوية لا تدرج ضمن الأسطورة الرئيسية)، بالإضافة إلى أنها كتبت عبر عصور مختلفة من طرف مؤلفين أغلبهم مجهولون، ويعتمد الدين على الأساطير باعتبار هذه الأخيرة من أركان الإيمان، وتلعب الشخصيات الخيالية دوراً بطولياً في الأساطير، حيث يتداخل التاريخ والخرافة والأخلاق دون تقديم تفسيرات، وهي تعتمد على اللغة التي تفرض الشكل والكلمات المستخدمة فيها، ويعبر عن الفكر الأسطوري على شكل قصائد<sup>(2)</sup>.

كان النتاج الحضاري لبلاد الرافدين كبيراً، حيث خلفت الحضارة فيها تراثاً أديباً متنوعاً وأصيلاً، امتاز بالقدم الموهل في التاريخ حتى عند مقارنته مع آداب الحضارة المصرية، فترجع أقدم النصوص السومرية المعروفة إلى الألف الثالثة قبل الميلاد (وهي أسطورة انكي ونخرساك)، وبدأ التدوين في هذه المنطقة بعد مرور حوالي ألف عام من اختراع الكتابة، ذلك أن الأدب القديم كان ينقل شفويًا ولا يقرأ، وبعد حوالي 2000 ق.م، وبانتشار الكتابة أصبحت الحاجة ملحة لتدوين هذا الأدب الذي تناول جوانب عديدة من حياة سكان المنطقة، حيث تطرق إلى أفكارهم وممارساتهم، الحياة، الموت، الخلود، أصل الوجود، الخير، الشر والعدالة الاجتماعية، القيم

(1) - سورة البقرة، الآية 102.

(2) - كلوديفي ستروس، المرجع السابق، ص 99، 100.

والتقاليد، الممارسات الاجتماعية، الحياة الروحية والعاطفية وغيرها<sup>(1)</sup>. وقد شاع عن البابليين عدّة أساطير منها: **القصص الملحمية والأساطير السومرية البابلية**<sup>(2)</sup>:

والتي تتعلّق بخلق الكون والإنسان وعالم ما بعد الموت، ومن أشهر النصوص المسمارية المتعلقة بأساطير التكوين نذكر نصّ "حينما في العلي" الذي يروي قصّة الخليقة البابلية، والذي يخبرنا عن آلهة العالم الأكثر قدما وطريقة حكمها وتسيير شؤونهم وكذلك كيف خلقت البشر<sup>(3)</sup>، وتعرف هذه الأسطورة في اللغة البابلية ب: "إينوما إيليش" أو "حينما عيليش"، وقد سماها بعض الباحثين رقم "الخليقة سبعة" لأنها دونت بالشعر البابلي على سبعة ألواح من الطين<sup>(4)</sup>.

وسميت كذلك بملحمة الخليقة (إينوما إيليش) بمعنى "عندما في الأعالي" نسبة للكلمات الأولى منها ودعاها المؤرّخون المعاصرون "نشيد الخلق"، وهناك اختلاف حول تاريخ اكتشاف ألواحها الطينية السبعة في قصر الملك الأشوري "بانيبال"<sup>(5)</sup>، على أنّ أول من ترجم بعض أجزاءها الباحث "جورج سميث" عام 1876<sup>(6)</sup>، وتعتبر هذه الأسطورة مصدرا مهما وأساسيا لأغلب أساطير التكوين في العالم القديم ويستدلّ بما جاء فيها أنّ زمن تأليفها يرجع لعهد أسرة بابل الأولى وإلى عهد "حمورابي" على وجه الخصوص<sup>(7)</sup>.

(1) - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 159.

(2) - Roux Georges. *Ancient Iraq*. Third édition, Iraq. 2000, P 86.

(3) - ستيفاني دالي، أساطير من بلاد ما بين النهرين - الخليقة، الطوفان، كلكامش، وغيرها، ط 1، تر: نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، 1975، ص 275.

(4) - طه باقروأخرون، تاريخ العراق القديم، المرجع السابق، ص 9.

(5) - كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط 1، ج 2، مكتبة النافذة، الجيزة، 2006، ص 53.

(6) - طه باقر، المرجع السابق، ص ص 72، 73.

(7) - خزعل الماجدي، انجيل بابل، المرجع السابق، ص 14.

ومن أشهر الأساطير أيضا "ملحمة جلجامش"<sup>(1)</sup> التي تعتبر "أوديسة العراق الخالدة"<sup>(2)</sup>، فهي تعتبر أقدم نوع من أدب الملاحم البطوليّة في تاريخ الحضارات، وتعدّ أطول وأكمل ملحمة عرفتتها حضارات الشرق الأدنى القديم، عثر عليها في مكتبة "آشور بانبيال" فينينوى، كما عثر في مدن أخرى على بعض الألواح الطينية التي تكوّن أجزاء منها، ويرجح أنّ أول تدوين للملحمة البابليّة كان في العصر البابليّ القديم في حدود (2000 - 1530)، وأنّها صارت بشكلها النهائيّ المعروف حاليّا في الفترة من (1500-1250 ق.م)، ويمكن تقسيم الملحمة لثلاثة أجزاء رئيسيّة، يتضمّن الجزء الأوّل أعمال "جلجامش" ومغامراته، أمّا الجزء الثاني فقد ذكرت فيه قصّة "الطوفان"، والجزء الأخير عرف وصفا للعالم السفليّ أو عالم الأرواح.<sup>(3)</sup>

## 10. خصائص الديانة الرافدية:

كان لحضارة بلاد الرافدين أثر في حضارات العالم القديم لاسيما في مجال الدين الذي كان الدافع لتلك الحضارات البشريّة والموجّه لها والسبب في إنجازات مهمّة، سياسيّة وفنيّة وأدبيّة وفكريّة وعمرانيّة وغيرها<sup>(4)</sup>، وتبرز جليّا ظاهرة عبادة نفس الآلهة لدى سكان بلاد الرافدين وإن تغيّرت الأسماء، حيث مارسوا معتقدات وطقوسا طراً عليها التّصوّر الناتج عن الانتقال من حضارة إلى أخرى مع المحافظة على الجوهر خلال العصور التاريخيّة التي مرّت بها المنطقة، وتناقلتها الأجيال المتعاقبة والتي توحى بالاستمراريّة والتّواصل مستلهمة من الحضارة السّومريّة في كثير من الأحيان<sup>(5)</sup>، وقد اتّصفت الديانة الرافديّة بمميّزات جعلتها تنفرد بخصائص عديدة إلى جانب خاصيّة الاستمراريّة، ومنها:

(1)- جلجامش: شخصية تاريخية ورد اسمه واسم والده وأخيه في إثبات الملوك السومري، وهو خامس ملوك سلالة الوركاء الأولى حكم لمدة 126 سنة، انظر: سهيل قاشا، المرجع السابق، ص 195.

(2)- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق، ص 60.

(3)- أحمد أمين سليم، تاريخ العراق، المرجع السابق، ص 452.

(4)- شيماء ماجد الحوي، الآلهة وصفاتها في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العدد الأول، 2017م، ص 2.

(5)- طه باقر، ديانة البابليين والآشوريين، ج 1، مج 2، مجلة سومر العراقية، 1946م، ص 18.



-التشبيه: حيث تظهر ظاهرة التشبيه في هذه الديانة، والتي يطلق عليه مبدأ التأنس أو مذهب المشبهة، فيتجلى الإله بالصّفات البشرية الروحية والمادية، فتجسد الآلهة على شكل صورة لها أعضاء وفكر إنسانيّ لكن تتفوّق على الإنسان باعتبارها كائنات خالدة لا تموت عكس البشر<sup>(1)</sup>، وهي تتزوّج ولها أطفال وبيوتها المعابد<sup>(2)</sup> وتميّزة عنهم بامتلاكها القوة، وهي موكلة بجزء خاصّ من الكون لتسيّر شؤونه<sup>(3)</sup>، ورغم تفوّق الآلهة وسموّها وسيطرتها المطلقة على البشر إلا أنّها تقع في الخطأ وعلى سبيل المثال ما وقع في أسطورة (انليل ونليل) السالفة الذكر، لكن تبقى الآلهة منزّهة عن البشر حتّى لو رفع الحجاب بينها وبينهم، فقد حدّدت أنواعا من البشر في التعامل معها (أحد الحكماء أو الأتقياء أو الملوك)<sup>(4)</sup>، ولا يمكن للإنسان مهما بلغ من سعة التفكير والإدراك أن يبلغ جزءا من عقل الآلهة إذ نجد هذا من خلال النصّ التالي:

إن أفكار الآلهة بعيدة عنّا

بعد أعماق الأرض والسّماء

يتعدّر علينا إدراكها،

ولا أحد يستطيع فهمها<sup>(5)</sup>

تفوّق عالم الآلهة القائم بذاته والمتكوّن من قوى تفوق القوى الجسميّة والعقليّة للبشر، ويشكّل هذا العالم مملكة غير مرئية تمارس الإكراه على البشر للاعتراف بوجودها والإيمان بعظمتها، لما تخفيه لهم من مفاجآت مفزعة ومفرحة، لذا فالسومريّون والبابليّون ركّزوا على طاعة الأوامر الإلهية وجعلوها نقطة أساسيّة في حياتهم وقاموا بالطّقوس والشّعائر والعبادات والتزموا

(1) - فتحي محمد الزغبى، المرجع السابق، ص 119.

(2) -Edouard(Dhorme),Op.Cit, 14.

(3) - صموئيل نوح كيريم، من ألواح سومر، المرجع السابق، ص 154.

(4) - فاضل عبد الواحد علي، سومر أسطورة و ملحمة، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 2000م، ص59.

(5) -جين باتيرو، المرجع السابق، ص 257.

بتقديم القرابين، ليظهر مدى تأثير الدين في النفس البشرية وعواطفها ليستمر هذا التأثير في العصور اللاحقة ليطال الديانات التوحيدية أيضا<sup>(1)</sup>.

– **الحيوية:** اعتقد سكان بلاد الرافدين بوجود قوى وأرواح في جميع ظواهر الطبيعة، فتمثلت الآلهة السومرية والسامية في الظواهر الطبيعية البارزة في هذا الكون والتي تؤثر في حياة الناس مثل الكواكب: كالقمر، الشمس، بالإضافة إلى الظواهر الطبيعية المختلفة كالصواعق والعواصف<sup>(2)</sup>.

– **التعدد:** فقد تعددت الآلهة في بلاد الرافدين وذاعت بذلك صفة الشرك على غرار الديانات الوضعية القديمة، وترجع هذه الظاهرة لتخصيص إله لكل ظاهرة طبيعية، وباعتبار هذه الظواهر كثيرة ومتعددة تزامن هذا مع كثرة الآلهة، فتجاوزت بذلك الآلاف، وبتطور بلاد الرافدين اجتماعيًا وسياسيًا وتشكيل الكيانات السياسية، وانتقال المنطقة من دويلات المدن إلى تأسيس الإمبراطوريات الكبرى دعت الضرورة للجوء إلى عملية انتخاب الآلهة الكثيرة وتحديد الأهم من بينها والمهم وتنظيمها في مجامع وإعطائها صفات ووظائف لتحديد العلاقة فيما بينها<sup>(3)</sup>.

فتذكر كتابات الملوك الآشوريين جداول طويلة بأسماء الآلهة مثل: آشور، السيد العظيم، أب الآلهة، أنو، أنليل، أدد، مردوخ، نابو، ونركال وعشتار الآلهة السبعة العظام التي تقف إلى جانب الملك، وضمت قوائم الآلهة في بلاد الرافدين حوالي 600 إلى 800 إله، ووضع البابليون جداول بأسماء آلهتهم وقسموا شؤون الكون على الآلهة الكبرى منها أو على مجموعات، ليحكم كل قسم منه إله أو مجموعة من الآلهة، إلى جانب تخصيص آلهة لتنظيم شؤون الحياة<sup>(4)</sup>، فلم تصل بذلك الديانة الرافدية إلى مفهوم التوحيد لإله معين، بل عرفت ظاهرة التفريد، التي تعتمد على

(1) – صلاح سلمان رميض الجبوري، أدب الحكمة في وادي الرافدين، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000م، ص ص 166، 167.

(2) – سبتينو موسكاني، المرجع السابق، ص 75. وكذلك انظر: طه باقر، المرجع السابق، ص 18.

(3) – فتحي محمد الرغبي، المرجع السابق، ص 122.

(4) – شيماء ماجد الجبوري، المرجع السابق، ص 5. انظر كذلك: جورج كوتنينو، المرجع السابق، ص 407.

عبادة إله معين والاعتقاد بأنه أكبر جميع الآلهة ويتميز بصفات معينة لا تتوفر في بقية الآلهة الأخرى والتي تكون أقلّ شأنًا منه<sup>(1)</sup>.

لقد نشأت الحضارة في بلاد الرافدين كنتيجة لعملية الاستيطان المتواليّة والمعقّدة، والتفاعل بين السومريين والساميين، وكان عامل الدين هو المسيطر على كلّ أركان الحياة الإنسانيّة، والآلهة الساميّة هي إلى حدّ كبير آلهة سومريّة امتزجت وتفاعلت مع بعضها البعض بمرور الزمن واختلاف الأحوال السياسيّة، فجسد الدين والمعتقد عند الرافدين فكرة الإنسانيّة نحو الكمال الدائريّ المستوحى من الإله عندهم وهذه الإنسانيّة تدلّ على شدّة التماسك العقائديّ الآتي من الدين ذي الأثر المهمّ في تنظيم حياة المجتمع<sup>(2)</sup>.

ارتبطت الآلهة بظواهر الطبيعة والحياة<sup>(3)</sup>، فالغريزة الدنيّة مشتركة بين كلّ أجناس البشريّة حتّى أشدّها همجيّة وأقربها إلى الحيوانيّة، والاهتمام بالألوهيّة وبما فوق الطبيعة هو أحد النزاعات العالميّة، فتاريخ البشريّة حافل بكثير من النصوص والآثار التي تبين لنا أنّ النّاس قد شغلهم المسائل المصيريّة حول الحياة وما بعد الموت<sup>(4)</sup>.

في بلاد الرافدين ساهمت العوامل الطبيعيّة خاصّة ما تعلق بالأمطار والمياه في ظهور الفكرة الدنيّة التي تعتمد في طقوسها على العوامل الطبيعيّة والنظر إلى الماء على أنّه أساس الحياة، وفي هذه المنطقة اعتقد الإنسان أنّ الخلق الأوّل قد وضعته الآلهة وأنّ الأنشطة التي يمارسها الإنسان هي نماذج أوليّة فعلتها الآلهة، وأصبحت فيما بعد فعلا إنسانيا حاول فيها الإنسان تقليد الآلهة، وتحولت هذه الأنشطة إلى طقوس يؤدّيها الإنسان تمجيّدا للآلهة، فكانت أنشطة الإنسان المتعلّقة بالسلم والحرب أنشطة لخدمة الآلهة وتتمّ بإرادتها، وتنوّعت هذه الأنشطة في شعائر وطقوس

(1)-Francois Lenormant, *Histoire Ancienne de L'Orient jusqu'aux Guerres Medique*, 9<sup>ème</sup> Edition, A Levy Libraire Editeur, Paris, 1887, P230.

(2)-صالح جبار القريشي، دراسة في مقارنة الأديان في المعتقدات العراقية، د.ط، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، د.ت، ص 12.

(3)-عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، د.ط، دار النهضة العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، د.ت، ص 143.

(4)-محمد حمدي زقروق، العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان، مجلة الأزهر المجانية، رجب، 1415هـ، ص 12.

دينية بالإضافة إلى أنشطة أخرى اعتقد أنّها دينية رغم أنّ أهدافها الظاهرة قد تكون اقتصادية واجتماعية أو غيرها.<sup>(1)</sup>

كان لطبيعة أرض بلاد الرافدين وقسوتها الأثر الكبير في معتقدات سكّانها واتّجاهات تفكيرهم، فجاءت الأساطير والقصص مليئة بالصراع والحروب من أجل البقاء وانعكس هذا على أسلوب حياتهم باعتقادهم أنّ العقاب والجزاء لا يكون إلا في الحياة الدنيا لما واجهوه من قسوة وكفاح من أجل العيش خلافا لاعتقادات شعوب أخرى، اعتقدت بالحياة الثانية بعد الموت على غرار المصريين الذين شيّدوا الأهرامات الضخمة والمدافن الكبيرة، واستخدموا التّحنيط للحفاظ على جثث موتاهم.

(1) - محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص 111.

## الفصل الثاني: التوراة قراءة في التاريخ والمضامين

### I. التّوراة

1. المصطلح

2. تاريخ التوراة

3. أثر عزرا في كتابة التّوراة

4. لغة التوراة

5. الأسفار الخمسة

6. موقف القرآن الكريم والمسلمين من التّوراة

### II. التّلمود

1. تعريفه

2. أقسام التلمود

3. أنواع التلمود

4. قداسة التلمود وأهميته

### III. لمحة عن الفكر الدينيّ البابليّ في النّصوص التّوراتيّة

كان الدين أسلوباً فعالاً وعملياً في حياة الشعوب، استغلّه العبرانيون في وضع نصوصهم المقدسة، التي جمعوها فيها الكثير من المآثر لنشر قناعاتهم العديدة بين اليهود والتي أصبحت ثابتة بينهم، علماً أنّ الباحثين التوراتيين قد اختلفوا فيما بينهم حول جمع وضبط مادة هذه النصوص وتوقيتها، وأنّ هذه النصوص لم تكتب بيد مؤلف واحد في عصر واحد لجمهور واحد، بل تداول على التدوين مؤلفون كثيرون في عصور مختلفة لجماهير متعددة، وأنّ هذه العملية امتدت إلى أكثر من ألف عام.

إنّ تاريخ اليهود القديم الذي تضمّنته النصوص التوراتية وضعه كتاب عاشوا في بابل بعد وقوع أحداثه بمئات السنين معتمدين في رواياتهم على قصص تناقلتها أجيال من أسلاف اليهود الذين اندمجوا مع سكان البلاد الأصليين من: كنعانيين وحموريين وحيثيين وبابليين وأشوريين وكلدانيين.

## I. التوراة:

### 1. المصطلح:

كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد، ويقصد بها الأسفار الخمسة والتي تنسب إلى موسى عليه السلام، وهي جزء من العهد القديم الذي يطلق عليه تجاوزاً اسم (التوراة)، والعهد القديم<sup>(1)</sup> أو

<sup>(1)</sup> - العهد القديم : عبارة عن مجموعة مؤلفات متفاوتة بطول النصوص وبالنوع كتبت خلال فترة تعدد تسعة قرون وبلغات مختلفة انطلاقاً من روايات شفوية، ويقسمه أحبار اليهود إلى : 1- الناموس ( التوراة أو الشريعة ) ويشمل الأسفار الخمسة والتي أصبحت رسمية منذ 440 ق.م وأطلق عليها منذ القرن الثاني للميلاد اسم البنتاتوك.

<sup>(2)</sup> - الأنبياء (نبيم) وتضم: أ- الأنبياء المتقدمون : يشوع، القضاة، صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول والثاني، ب- الأنبياء المتأخرون وهم : أشعيا، أرميا، حزقيال، ج- الأنبياء الصغار (الإثنا عشر ) وهم: يوشع، يوثيل، عاموس، حيقوق، عوبيديا، ويونان، ميخا، ناحوم، وشفيا وحجي زكريا، وملاخي.

<sup>(3)</sup> - الكتابات وتضم : المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد الأناشيد، راعوت، والمرثي والجامعة، استر، دانيال، عزرا، نحميا وأخبار الأيام الأولى والثانية. ويطلق اليهود عدة تسميات على العهد القديم منها: الأسفار القانونية "تناخ" ويكتب (ت، ن، ك) وهي الحروف الأولى من الكلمات "توراة"، "نبيم"، "كتوبيم" (الكتابات) وكذلك: "المقرا" لأنهم مطالبون بقراءته بالإضافة إلى تسميته عندهم ب "المسورت" وهو النص المقدس المروي عن الأسلاف أنظر: MEMO Larouse, Op.Cit, p304.

موريس بوكاي، أصل الانسان بين العلم والكتب السماوية، د.ط، تر : فوزي شعبان، منشورات دار سيجار ، فرنسا، 1981، ص146، محمد بيومي مهران، بنو اسرائيل، د.ط، ج1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص12، علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الاديان السابقة للإسلام ، ط1، ج3، مكتبة نضرة مصر بالفجالة ، مصر، 1964م، ص 14، وكذلك : محمود عبد الرحمان قده ، الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرفهم ، عرض ونقد، مجلة الجامعة الاسلامية الشارقة ، العدد 111، ص 334.

التوراة تميزا له عن العهد الجديد كتاب المسيحيين المقدّس، وتضمّ التوراة شرائع وعقائد اليهود<sup>(1)</sup>، ويقصد بها أيضا الوصايا والتعاليم والشريعة والنّاموس والقانون<sup>(2)</sup>.

وقد تكون كلمة التوراة مشتقة من كلمة (تارا) بمعنى: يلقي بالقرعة لمعرفة مشيئة الله، ولم يكن للكلمة معنى محدد، فقد استخدمت بمعنى "وصايا" أو "شريعة" أو "علم" أو "أوامر". وفي القرن 6 ق.م صارت تعني الشريعة بشكل عامّ ثمّ أصبحت تشير إلى البنتاتوك<sup>(3)</sup>، أو شريعة موسى (في مقابل أسفار الأنبياء وكتب الحكمة والأناشيد)، أمّا حاليًا فتستخدم الكلمة للإشارة لمخطوط أسفار موسى الخمسة الذي كتب باليد ويحفظ في تابوت العهد<sup>(4)</sup> في المعبد اليهودي والذي يعرف "بلفائف الشريعة"، واستمرت دلالة الكلمة لتصبح تعني العهد القديم مقابل تفسيرات وأوامر الحاخامات والنّواهي التي دوّنت في التلمود<sup>(5)</sup>، وتضمّ التوراة في اعتقاد اليهود الشريعة أو التعاليم التي قام موسى عليه السّلام بإبلاغها لقومه في سيناء بعد خروجهم من مصر<sup>(6)</sup>.

## 2. تاريخ التوراة:

قبل أن تصبح التوراة مجموعة أسفار كانت عبارة عن تراث شعبيّ حفظ في الذاكرة، ترتل إنشادا في بني إسرائيل كبقية الشعوب، خاصة وأنّ شعب إسرائيل مرّ بظروف مختلفة تأرجحت بين السّلم والحرب. وما رافق هذا من حماس ويأس وما نتج عنه من أناشيد عديدة تبرز هذه التقلّبات، كأناشيد الموائد وأنشودة نهاية الحصاد وأناشيد ترافق العمل، وأناشيد الزّواج والحداد والحرب وأنشودة ديورا<sup>(7)</sup>.

(1) - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 11.

(2) -The Bible new Revised Standard version The Hebrew Bible with Apocryphal, Deuterocanonical books, Zaine Ridling, Ph D Editor, United States of America 1989, p19.

(3) -البنتاتوك : نسبة الى كلمة (بتا) اليونانية والتي تعني العدد خمسة، انظر: سعود عبد العزيز خلف، دراسات في الاديان اليهودية والنصرانية، ط 1 ، مكتبة أضواء السلف، الرياض ، السعودية ، 1997 ، ص 65 .

(4) -تابوت العهد: من مقدسات بني اسرائيل وهو عبارة عن صندوق من الخشب يزعمون ان الله امرهم بصنعه بشكل معين وخاص وكانوا يجعلونه في قبلتهم عند صلاحهم ولما شيد سليمان الهيكل وضعه في حجرة صغيرة أطلق عليها (قدس الأقداس) ودمر نبوخذ نصر جميع هذه المقدسات بعد غزوه للمملكة يهوذا ، انظر : سعود عبد العزيز الخلف، المرجع السابق ، ص 71 .

(5) - عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، مصر، 1975، ص ص 143، 144

(6) - حدي عبد العال، الملة والنحلة في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط 1 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت، 1989 م ، ص 41.

(7) - سفر القضاة: 5.

ويرى بعض العلماء أنه ربما في القرن العاشر قبل الميلاد وضع النصّ اليهودي للأسفار الخمسة والتي نسبت فيما بعد إلى موسى عليه السلام، وقد صدر هذا النصّ عن مملكة يهوذا في الجنوب، وتضمّن مرحلة أصول الخلق حتى موت يعقوب عليه السلام، وفي نهاية القرن التاسع قبل الميلاد ومنتصف القرن الثامن قبل الميلاد وبازدهار النبوة في مملكة الشمال وانتشار تأثير النبيين ايليا واليسع، عرف هذا العصر بعصر النصّ الإلهي للأسفار الخمسة وضمّ الأحداث المتعلقة بإبراهيم ويعقوب عليهما السلام، ودوّنت في هذا العصر كتب يوشع والقضاة، ويعتبر القرن الثامن قبل الميلاد عصر الكتابة عاموس ويوشع في مملكة الشمال واشعيا وميخا في مملكة يهوذا (سنة 721 ق.م)، وانتهى هذا العصر بسقوط مملكة إسرائيل (السامرة) لتصبح مملكة يهوذا وريثة لها، وإلى هذا العهد تنسب مجموعة الأمثال لتحدّ النصوص اليهودية والإلهية<sup>(1)</sup> من الأسفار الخمسة في كتاب واحد لتؤلّف التوراة ويجرّر سفر التثنية في هذه الفترة تقريبا<sup>(2)</sup>.

وفي النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد، تبدأ نبوة أرميا ويأخذ عمله الشكل النهائي بعد قرن من الزمن، وقبل التّفي إلى بابل (598 ق.م) تظهر بشارة صفنيا وناحوم

(1) - النصوص اليهودية والإلهية: توصل الكثير من العلماء في دراساتهم النقدية التاريخية للعهد القديم بوضع فرضية اطلق عليها اسم (الفرضية الوثائقية) تتبعت أصول الأسفار الخمسة الأولى وجاءت نتائجها أن الأسفار الخمسة من الكتاب المقدس قد تم تأليفها من أربعة مصادر مستقلة عن بعضها البعض وهي: اليهودية، الإلهية، التثنية والكهنوتية.

- المصدر اليهودية (اليهودي): وتم تأليفه حوالي 750 ق.م في مملكة يهوذا و أخذ هذا الاسم نسبة الى يهود (اسم الاله).

- المصدر الإلهيمي (الله): والذي تم تأليفه حوالي سنة 770 ق.م في مملكة الشمال وقد تم ادماج المصدرين اليهودي والإلهوي في مجموعة واحدة سنة 650 ق.م تقريبا.

- التثنية: والذي أعلن عن العثور عليه في زمن الملك يوشيا (ملك يهوذا) عام 620 ق.م.

- المصدر الكهنوتي فيعود تاريخه الى زمن عزرا (وادمج في المصادر الأخرى حوالي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد).

وحسب هذه الفرضية فإن ترتيب الأسفار يكون على النحو التالي: الأنبياء، الأسفار التاريخية، الأسفار الخمسة، لكن عند جمع العهد القديم، تم البدء بالأسفار الخمسة ثم بعد ذلك أضيفت بقية الأسفار بمراعاة الترتيب المنهجي حسب مادتها لا حسب ترتيب التأليف، وقد سادت هذه الفرضية سنوات عديدة دون معارضة، لكن بتقدم العلم والبحوث وبروز أدلة أثرية جديدة خاصة عند مقارنة العهد القديم بمصادر أخرى كأرض الرافدين والمصادر الأوجاريتية وغيرها، اتضح وجود تأثير لهذه المصادر على العهد القديم، وبذلك عدلت المصادر التي اعتمد عليها في كتابة التوراة، انظر: توماس ل. طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ط1، تر: صالح علي سوداح، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ص 9، سبتينو موسكاني، المرجع السابق، ص 157، 158، محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 87-88، زلمان شازار، تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، د.ط، تر: أحمد محمود هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000، ص 121، 122.

Frank Moore Cross, *Canaanite Myth and Hebrew Epic Essay in the History of the Religion of Israel*, Harvard University Press, USA, 1773, p 323.

و: Adolphe Lods, *Les Prophetes d'Israel et les débuts du Judaisme*, Editions Albin Mechel, Paris, 1969, p 22.

(2) - موريس بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، ط3، تر: الشيخ حسن خالد، الكتب الاسلامية، بيروت، 1990، ص 88، 87.



وحقوق بالإضافة إلى نبوة حزقيال، وبسقوط (أورشليم) عاصمة مملكة الجنوب سنة 585 ق.م. يحرّر سفر حزقيال بعد موته من طرف مجموعة من الكتبة الذين ورثوه روحياً وهؤلاء الكتبة هم الذين دوّنوا سفر التكوين الذي امتدّ من الخلق حتى موت يعقوب عليه السلام في طبعة ثالثة كهنوتية<sup>(1)</sup>.

إنّ الأسفار التي يضمّها العهد القديم على صورتها الحالية قد تمّ اختيارها من طرف الأخبار بعد الأسر البابليّ من بين الكثير من الكتب التي كانت تنسب إلى موسى عليه السلام، وأنبياء بني إسرائيل بعد تعرّض دولتهم للدمار وتفرّق الناجين من القتل على يد نبوخذ نصر، وخوفاً من أحبارهم وزعمائهم من فقدان اليهود لشخصيتهم وذوبانهم في مجتمعات أخرى عزموا على عقد مجمع لهم في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد، وقاموا بتجميع ما توفّر لديهم من تراث ديني وقاموا بتقنيته وكتابته باللغة اليونانية<sup>(2)</sup>. والتي عرفت بالترجمة السبعينية<sup>(3)</sup> ليعقد بعد ذلك مجمع آخر بفلسطين سنة 95م تقريبا، الهدف منه مراجعة ما كتب في الإسكندرية، فساد الانقسام لدى اليهود في هذا المجمع والاختلاف بين

(1) - مورس بوكاي، المرجع السابق، ص 89.

(2) - حمدي عبد العال، المرجع السابق، ص 66.

(3) - الترجمة السبعينية: وهي الترجمة اليونانية للتوراة أي ترجمة السبعين رئيسا و يطلق عليها أيضا الترجمة اليونانية السكندرية ويعتبر اليهود هذه الترجمة حدثا مقدسا و عظيما في تاريخهم ، وقد تمت هذه الترجمة بطلب من ديميتريوس امين مكتبة الإسكندرية من الامبراطور بطليموس فيلادلفوس (285-247 ق.م) بترجمة خمسة كتب الخاصة بالقانون اليهودي (أسفار موسى الخمسة ) الى اللغة اليونانية (كانت هذه اللغة لغة الكتابة والحديث في جميع البلاد اليونانية الأصل وفي مستعمراتها). بالإضافة الى كونها لغة الآداب والثقافة والعلوم في كثير من البلاد الغير يونانية ، خاصة في بلاد الرافدين والشام وفلسطين وشمال افريقيا فاستجاب الامبراطور لطلبه وأرسل إلى اليعازر الكاهن الأكبر في أورشليم طالبا منه ارسال نسخ من هذه الكتب مع رجال (أكفاء للقيام بالترجمة ، فأجابه اليعازر وبعث اليه 72 سبطا من كل سبط الإثني عشر وكان اليعازر على رأسهم ومعه نسخة من التوراة وتمت الترجمة في جزيرة فرعون بالإسكندرية ، وخصص بطليموس لكل عالم سكننا مانعا الاجتماع بينهم. وكان تحت امره كل عالم كاتب خاص به وماهر في اللغة اليونانية مخذرا اياهم في حالة وجود اختلافات في الترجمة أن مصيرهم الإعدام و التعذيب وتمت هذه الترجمة في 72 يوما وقام ديمتريوس بكتابة النص الذي تم الاتفاق عليه وتليت هذه الترجمة في المجمع اليهودي الذي أقره واعتبرت هذه التوراة مقدسة واستمر نفوذها حتى القرن السابع ميلادي و النصوص المتداولة والأساسية في العالم المسيحي (اليونانية) هي نصوص المخطوطات المحفوظة تحت اسم (مخطوطات الفاتيكان) في مدينة الفاتيكان (سنا) في المتحف الانجليزي، هي تعود للقرن الرابع ميلادي، انظر : سلوى ناظم، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، د.ط،العراق، 1988، ص.18، كذلك: موريس بوكاي ، المرجع السابق ، ص 24 ، على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص 12.

الفريسيين<sup>(1)</sup> والصدوقيين<sup>(2)</sup> الذين رفضوا الأسفار المكتوبة باليونانية، فيما تقبلها أحبار الإسكندرية الذين اعترفوا بها، وقبلوا الكثير من هذه الأسفار التي لم يعترف بها الفريسيون والصدوقيون وأضافوها إلى الأسفار المقدسة فنتج عن هذا الاختلاف نسختان من الكتاب المقدس<sup>(3)</sup>.

وجاء في كتاب التوراة في العهد القديم أنّ موسى كاتبها، وقد وضعها في التابوت مع لوحين<sup>(4)</sup>، وظهر في بني إسرائيل بعد ذلك عبدة الأصنام والفجرة والكفرة، وفي عهد سليمان قام بفتح التابوت الموجود في الهيكل فلم يجد التوراة ووجد فقط اللوحين<sup>(5)</sup>.

وبوفاة سليمان (عليه السلام) انقسمت المملكة إلى مملكة الشمال ومملكة الجنوب، مملكة الشمال: يرأسها يربعام الذي أدخل الوثنية إلى المملكة بصناعته عجولين من ذهب لشعبه لعبادتهما باسم إله إسرائيل، محدداً بذلك أعيادا وكهنة لهذا الغرض وسار على دربه خلفاءه الذين حكموا من بعده، فبعث الله إليهم الكثير من الأنبياء، كان أعظمهم "إيليا" والذي تنبأ في أيام (أحاب) (ملك مملكة إسرائيل) بزوال المملكة على يد الآشوريين، حيث سقطت عاصمتها السامرة في أيام آخر ملوكها "هوشع" وقام شلمنصر بسبي الأسباط العشرة (نسلهم) إلى بلاد الرافدين وبقيت مملكة يهوذا لمدة 130 سنة بعد سقوط مملكة إسرائيل، والتي كانت تضم هيكل سليمان وقد دخلتها الوثنية بدورها فتوالى الأنبياء عليها، وكان أعظمهم "اشعيا" الذي سعى إلى هدايتهم

(1)-الفريسيين: من الكلمة العبرية "بيروشميم" أي المعزولون، وكانوا يلقبون أيضا بلقب "حبريم" أي الرفاق أو الرماء وكذلك بلقب الحاخابيم (الحاخامات) أو الفقهاء وهم أيضا الكهنة الذين يشير إليهم المسيح عليه السلام، والفريسيون حزب سياسي على أيام المسيح يضم المثقفين والمتعلمين والمتفقهين في الدين، انظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 283.

(2)-الصدوقيون: بالعبرية "صدوقيم" نسبة إلى صدوق كبير الكهنة في عهد سليمان عليه السلام، والصدوقيون جماعة أو طبقة دينية تعود أصولها إلى قرون سابقة للمسيح عليه السلام وهي طبقة الكهنة المرتبطة بالهيكل وعبادته، تقوم بتحصيل الضرائب وهدايا من الشعب اليهودي مما حولهم إلى استقرائية وراثية، وهم لا يؤمنون بالعالم الآخر ويؤمنون فقط بالشرعة المكتوبة، انظر: عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص 240.

(3)-نسخ الكتاب المقدس: هناك على الأقل نسختان متداولتان للكتاب المقدس هما: الطبعة البروتستانتية وحسب هذه العقيدة فإن العهد القديم يتكون من 39 سفرا وهي بذلك لا تعترف بأسفار (الأبوكريفا) (الأسفار المحذوفة) والكنيسة البروتستانتية تتبع يهود الاسكندرية في ترتيبهم للأسفار وتقسيمها حيث رتبوا الأسفار حسب موضوعاتها بإتباع النظام اليوناني ومعتمدين على الترجمة السبعينية، فيتكون العهد القديم في هذا المذهب من 39 سفرا أما الطبعة الأخرى فهي الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية فهي تعترف بالأسفار المحذوفة وتضيفها إلى العهد القديم والتي عددها 14 سفرا فيصبح مجموعها 53 سفرا، للمزيد انظر: فتح محمد الزغي، المرجع السابق، ص 53، وكذلك: محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد، ط 1، مجلة البيان، الكويت، 2003، ص 60.

(4)- سفر الخروج 25 : 21.

(5)- سفر الملوك الأول 8:9.

ليفشل ويتمكن نبوخذ نصر ملك بابل من الاستيلاء على أورشليم بعد حصارها فأحرقت المدينة والهيكل وكان هذا على يد آخر ملوكها "صدقيا" وقد قام نبوخذ نصر بسبي شعبها إلى بابل<sup>(1)</sup>.

وقبل سقوط مملكة يهوذا تولى الحكم فيها الملك "يوشيا" (629 ق.م - 598 ق.م) الذي أراد العودة إلى اتباع التوراة، مبديا رغبته في انقاذ مملكته من الأوضاع المتردية التي آلت إليها، وكان الكاهن "حلقيا" معاصرا له فادّعى بعد 17 سنة من حكم "يوشيا" أنه عشر على نسخة من التوراة في الهيكل وأعطاهما للكاتب شافان، رغم ذلك فإنّ الباحثين لا يقبلون بادّعاء "حلقيا" إذ يرون أنّه من المستحيل أن لا يراها غيره وإتّما انتهر فرصة ميل "يوشيا" للإصلاحات وقدمها له<sup>(2)</sup>.

يرى الكثير من العلماء أنّ أسفار العهد القديم قد تمّ جمعها لأول مرة في بابل، وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد وظهر الكثير من كتابها، فكان أبرزهم الكاهن عزرا<sup>(3)</sup> الذي ارتبط اسمه بتدوين التوراة<sup>(4)</sup>، ويعده اليهود نبيا من الأنبياء (الآخر وينم) (التالين) وله في العهد القديم سفر خاص به ورد فيه "عزرا" "الكاهن الكاتب" كاتب كلام وصايا الرب<sup>(5)</sup>.

ظلت التوراة على مدى ما يقرب ألفي عام تنسب إلى موسى عليه السلام وأنها كتبت بيده وقد نادى بهذا الرأي كل من المؤرخ اليهودي "فلافوس جوزيف" (38-100م) والفيلسوف الإسكندري فيلون (20 ق.م - 45م) والإنجيلي القديس يوحنا، في حين ظهر رأي مخالف لهذا الطرح تزعمه كل من (بن عزرا) في القرن 12. ليتطوّر الأمر في القرن 16م. أين

(1) - مراد كامل، الكتب التاريخية للعهد القديم، د.ط، معهد البحوث والدراسات العربية، فلسطين، 1968، ص 11

(2) - احمد شبلي، مقارنة الأديان اليهودية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، 1988، ص 251.

(3) - عزرا: هو عزرا بن سرايا بن عزرا بن حلقيا بن شلوم بن حادوق بن احيطوب بن أماريا بن عزريا بن مريوث بن زوحيا بن عزف بن بعثي بن ابيشوخ بن فينجاس بن اليعازر بن هارون الكاهن، وهو كاهن لقب بالكاتب كان موظفا في بلاط الامبراطور الفارسي (ارتخستا) ومستشارا له على الطائفة اليهودية في بلاد الرافدين منذ السبي البابلي، حظي بثقة كبيرة لدى الامبراطور حيث استطاع الحصول على مزايا ومطالب كثيرة من الامبراطور من بينها نيل العفو عن اليهود والسماح لهم بالعودة الى اورشليم وإقامة حكم ذاتي لهم هناك وإقامة مجتمعهم على التقاليد العبرانية، أما العلاقات الخارجية فيوالون الفرس ويخضعون لها، انظر: سفرعزرا 7: 1، 2، 3، 4، 5، وكذلك سفر نحما 12: 33، وكذلك: عبد الملك بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ط15، مجمع الكنائس بالشرق الأدنى، بيروت، 2011، ص24.

(4) - احمد شبلي، المرجع السابق، ص 251.

(5) - أحمد ايش، التلمود كتاب اليهود المقدس، تقدم: سهيل زكار، د.ط، دار قتيبة، دمشق، د.ت، ص26.

ظهر نقد وإنكارا أن يكون موسى كاتب التوراة. فقد أشار إلى هذا الصّراع كلّ من (كارل شتات)، وفي 1678م نشر الكاهن (ريشتارد سيمون) كتاب (التاريخ النقدي للعهد القديم)، وضّح فيه لا معقوليّة في تاريخ الأحداث الواردة في التوراة إلى جانب التّكرار والغوص في السّرد مبرزا اختلافا كبيرا في الأسلوب المستعمل نافيا أن تكون كتابة الأسفار الخمسة ترجع إلى رجل واحد<sup>(1)</sup>.

يرى الكثير من العلماء أنّ موسى لم يكتب التوراة بل مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمان طويل، وأنّ موسى كتب سفرا آخر فثمّة استحالة أن يكتب موسى ويذكر في التوراة باستعمال ضمير الغائب، مع التأكيد على أن سفر موسى أقلّ بكثير من الأسفار الخمسة، وأنّ موسى لم يكتب سفر التثنية لأنّه لم يعبر نهر الأردن<sup>(2)</sup>.

### 3. أثر عزرا في كتابة التوراة:

يجمع نقاد الكتاب المقدّس على أنّ العهد القديم جمع في بابل أوّل مرّة باللّغة الآرامية وظهر في القرن الخامس الميلادي<sup>(3)</sup>، ويعتبر عزرا جامع هذه الأسفار وكاتب التوراة، وقد وضع تشريعات باسم "يهوه" ليحكم قبضته على هذا الشعب ويمنع انصهاره وذوبانه في المجتمعات التي يعيش فيها معتمدا في تدوينه على ما حفظ في ذاكرته وذاكرة الكهنة، يقول السّمؤال بن يحيى المغربي (570هـ): "فلما رأى عزرا أنّ القوم أحرق هيكلمهم وزالت دولتهم وتفرّق جمعهم ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق بها هذه التوراة التي بأيديهم الآن، ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة وزعموا أنّ النور إلى الآن يظهر على

(1) - روجي غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، د.ط، تر: قصي اتاسي وميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، د.ت، ص80.

(2) - باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ط1، تر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005م، ص ص 258-260، سفر يشوع 8: 32، التكوين 22: 14، سفر التثنية 3: 1 - 13، 9: 31، 27، سفر العدد 5: 1 - 12، 31: 1 - 14، وانظر كذلك: فؤاد حسين علي، التوراة الميروغلفية د.ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص ص 42، 43،

H.H.Rowley, *The Growth of the Testament*, Hutchinson University Library, London, 1967, p 18.

(3) - فريديريك ديليتش، بابل والكتاب المقدس، ط1، تر: ايرينا داود، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1998، ص 10.

قبره في بطائح العراق لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم، فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله<sup>(1)</sup>.

تميّز عزرا بإخلاصه ونشاطه لصالح طائفته التي كان على رأسها كاهنا، ووثق اليهود المعاصرون فيه من نبلاء وكهنة وبقية الشعب ولم يجرؤ أحد على معارضة الإصلاحات التي قام بها، فبعد العودة مباشرة قام بقراءة ناموس موسى أمام اليهود وتفسيره بمساعدة اللاويين معتمدا في ذلك على الترجمة الآرامية للأصل العبراني، واعتبره اليهود زعيما ومؤسسا أسس نظم اليهودية المتأخرة التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد<sup>(2)</sup>.

يعتبر عزرا مؤسس الديانة اليهودية وهو الذي غير الدين اليهودي، فقد سعى إلى تنقية الجنس العبري واعتباره جنسا مقدسا، ورفع اليهود إلى مرتبة موسى عليه السلام وقائدا على أورشليم، وغرس في هذا الشعب العنصرية والانغلاق بعدما وجد لديهم القابلية لذلك معللا جنوحه إلى هذه الطريقة بالظلم الذي تعرّض له شعبه أثناء السبي، جاء في سفر عزرا: "لأننا عبيد نحن وفي عبوديتنا لم يتركنا إلهنا بل بسط علينا رحمة أمام ملوك فارس ليعطينا حياة لنرفع بيت إلهنا ونقيم خرابته وليعطينا حائطا في يهوذا وأورشليم، والآن فماذا نقول يا إلهنا بعد هذا لأننا قد تركنا وصاياك، التي أوصيت بها عن يد عبيدك الانبياء قائلا: إنّ الأرض التي تدخلون لتمتلكونها هي أرض منجسة بنجاسة شعوب الأراضي بنجاساتهم التي ملأوها بها من جهة إلى جهة بنجاستهم، والآن لا تعطوا بناتكم لبنيتهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيتكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لتتشدّدوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد، وبعد كلّ ما جاء علينا لأجل أعمالنا الرديئة وآثامنا العظيمة، لأنك قد جازيتنا

(1) - السموأل بن يحيى المغربي، افحام اليهود، وقصة إسلام السموأل، د. ط، تح: محمد عبد الله الشراوي، مكتبة الزهراء، جامعة القاهرة، د. ت، ص 137.

(2) - عبد الملك بطرس وآخرون، المرجع السابق، ص 24، انظر كذلك: سفر نحيا 8: 8.

يالهنّا أقل من آثامنا أعطيتنا نجاة كهذه. أفعود ونتعدّى وصاياك. ونصاهر شعوب هذه النّجاسات أما تسخط علينا حتّى تفنينا فلا تكون بقية ولا نجاة" (1).

فكرّس بذلك عزرا الانعزاليّة لشعبه عن بقية العالم وبدأ يبثّ فيه فكرة الجنس النّقيّ "فقام عزرا الكاهن وقال لهم: إنكم قد خنتم واتّخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرّبّ إله آبائكم واعملوا لمرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النّساء الغريبة" (2)، وعن هذه العنصريّة يقول السّمؤال بن يحيى المغربيّ: "وكان أئمتهم قد حرّموا عليهم مؤاكلة الأجنبيّ أعني من كان على غير ملّتهم وحظروا عليهم أكل اللّحمان من ذباجة من لم يكن على دينهم لأنهم أعنى علماءهم وأئمتهم - علموا أنّ دينهم لا يبقى عليهم في هذه الجلوة مع كونهم تحت الدّلّ والعبوديّة إلّا إذا صدوهم عن مخالطة من كان على غير ملّتهم وحرّموا عليهم مناكحتهم والأكل من ذبائهم. ولم يمكنهم المبالغة في ذلك إلّا بحجّة يتدعونها من أنفسهم ويكذبون بها على الله تعالى" (3).

انتهج عزرا والكهنة هذه العنصريّة بعد أن لاحظوا أنّ أبناء السّبي لم يعودوا يهتمّون بعنصريّة الأحرار في السّبي ولم يلتزموا بتعليماتهم، حتّى أنّ بعض الأحرار أنفسهم لم يلتزموا بكثير من التّوجيهات، والدليل على ذلك أنّهم تزوّجوا بغير اليهوديّات (4)، ويمكن أن نطلق على مرحلة العودة من بابل اسم "إسرائيل بعد السّبي"، حيث اصطحب عزرا معه جماعة من اليهود ومعهم جماعة من الكهنة لمباشرة الواجبات المقدّسة في هيكل أورشليم وحمل معه المال والكنوز والمجوهرات التي أخذها من اليهود الباقيين في بابل ومن الإمبراطور "قورش" لتجهيز الهيكل وترميمه، وتضمّنت تشريعاته فصل المعتنقين للدّيانة اليهوديّة عن بقية البشر (5)، ولكي

(1) - سفر عزرا 9: 9-14.

(2) - سفر عزرا 10: 10-11.

(3) - السّمؤال بن يحيى، المرجع السابق، ص 162.

(4) - سفر عزرا 10: 18.

(5) - إبراهيم مامات، حميم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة، ط 1، تر: رشاد عبد الله الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،

2001، ص 19.

يجنب شعبه الذوبان في الشعوب الأخرى الأكثر منه عدداً وقوةً وباتجاهه العنصري الذي اعتبره شرطاً للبقاء، قام بدعوة أبناء السبي دون غيرهم ومارس عليهم سياسة الترغيب تارة من خلال التعيين في المناصب (الحكم والقضاء)، والترهيب تارة أخرى كممارسة الحبس ومصادرة الأموال<sup>(1)</sup>.

#### 4. لغة التوراة: كتبت أسفار الديانة اليهودية<sup>(2)</sup> وفي شرحها وترجمتها إلى ثلاث لغات

هي: العبرية والآرامية واليونانية.

—اللغة العبرية: وهي لغة كنعان<sup>(3)</sup>، وهي تطلق على لغة فرع واحد من العبريين وهو فرع بني إسرائيل، وكذلك باعتبار الأمم العبرية تتألف من بني إسرائيل وأمم أخرى (كآل آدوم، وآل مؤاب، وآل عمون) ويطلق اسم اللغة العبرية على لغة بني إسرائيل وحدهم، وقد تطورت هذه اللغة وتأثرت بمؤثرات خاصة الظروف السياسية والتي أثرت بدورها على الوحدة الإسرائيلية واستقلالها وعلاقة شعبها بالأمم الأخرى وعلى ثقافته ولغته بهذا الاحتكاك، فأدى هذا إلى دخول مفردات وقواعد وأساليب جديدة على اللغة العبرية التي مرت بعصرين متميزين<sup>(4)</sup>.

أ.العصر الأول: والذي مرّ بدوره بمرحلتين أساسيتين هما:

#### المرحلة الأولى: وتبدأ من نشأة هذه اللغة (حوالي القرن 14 ق.م) إلى أواخر القرن 13 ق.م

وكانت اللغة العبرية فصيحة يتكلم بها بنو إسرائيل وتعدّ هذه المرحلة سابقة لنفي بابل<sup>(5)</sup>.

(1) -أحمد معاذ علوان، أثر عزرا في الديانة اليهودية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الشارقة، المجلد 23، العدد 2008، ص75، ص134.

(2) -اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من ابراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط (بني اسرائيل) الذين أرسل الله اليهم موسى عليه السلام ليكون لهم نبيا وكتاب التوراة، واليهودية منسوبة الى الشعب (اليهودي) وقد اختلف في اصلها ، قد تكون نسبة الى يهوذا أحد ابناء يعقوب وعممت على الشعب على سبيل التغليب، أنظر: مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة مج1، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،الرياض، السعودية، 2003، ص495.

(3) - سفر اشعيا 18:19.

(4) - علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 11.

(5) -علي عبد الواحد علي وافي، المرجع السابق، ص11..

**المرحلة الثانية:** يبدأ في هذه المرحلة تأثير اللغة الآرامية في اللغة العبرية، وتأتي هذه المرحلة بعد النفي البابلي وأطلق على العبرية في هاتين المرحلتين (العبرية القديمة) أو عبرية العهد القديم.<sup>(1)</sup>

**ب. العصر الثاني:** يبدأ بانقراض اللغة العبرية من التخاطب من بني إسرائيل وحل محلها اللغة الآرامية، وتفوقت هذه اللغة على اللغة العبرية في فلسطين وانتشرت في بلاد الرافدين وسوريا وأصبحت لغة التخاطب في هذه المناطق فتشكّلت لهجة آرامية لدى الكهنة وصارت تعرف بالعبرية، واستعار الكهنة في البداية الحروف القديمة ثم لجأوا إلى استعمال الخط السامري، وبعد النفي البابلي كتبت التوراة بلغة مقتبسة من الآرامية وأصبحت تعرف بأرامية التوراة<sup>(2)</sup>.

واستعمل الخط المربع الذي يطلق عليه الخط الآشوري وقد استخدمه عزرا في كتابة العهد القديم<sup>(3)</sup>، وترجمت التوراة بعد ذلك من أصلها العبري إلى اللغة اليونانية (الترجمة السبعينية) ومن هذه اللغة ترجمت أسفار العهد القديم والجديد إلى اللغة اللاتينية وعن اللغة اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم.

## 5. الأسفار الخمسة:

وهي التي تحتوي على القوانين والشرائع وعلى تاريخ البشرية وتراثها منذ ظهور الإنسان إلى غاية وفاة موسى عليه السلام، وتمتد هذه الفترة حوالي 3000 سنة أو أقل<sup>(4)</sup>، وتضمّ الأسفار الخمسة: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين (الأخبار)، سفر العدد، سفر التثنية<sup>(5)</sup>:

(1) -علي عبد الواحد علي وافي، المرجع السابق، ص 11.

(2) - أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، د.ط، دار الأمل للنشر والتوزيع، اردن، 2003م، ص31.

(3) - فؤاد حسين علي، المرجع السابق، ص16.

(4) - فلافيوس يوسيفوس، ضد ايون، آثار اليهود القديمة، ط1، ج1، تر: محمد حمدي ابراهيم، الكتاب المصري للمطبوعات، القاهرة، 2007، ص26، زلمان شازار، المرجع السابق، ص 23.

(5) - غازي كامل السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط1، دار الجليل، الأردن، 1994م، ص31.



أ. سفر التكوين (Genesis) يتكوّن من 50 إصحاحاً، ويتضمّن قصّة خلق العالم وتكوينه بالإضافة إلى خلق الإنسان، وقصّة خطيئة آدم وخروجه من جنة عدن (هذه الجنة حسب معتقدات بني إسرائيل موجودة في الأرض) وحياته وخروجه من الجنة وأولاده حتّى الطوفان، ثمّ نشأة الشعوب من بعده، كما يتضمّن هذا السفر قصّة إبراهيم ورحلاته، ويروي قصّة يوسف وما حدث له مع إخوته ودخول يعقوب وبنيه مصر<sup>(1)</sup>.

ب. سفر الخروج (Exodus): يقع في 340 إصحاحاً ويروي قصّة بني إسرائيل في مصر واضطهادهم، وظهور موسى النبيّ وحواره مع فرعون وخروجه ببني إسرائيل من مصر، ويروي أحداثاً وقعت في هذه الفترة ونزول التوراة على موسى، ويستمر هذا السفر في سرد الأحداث حتّى وصول موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى أبواب بلاد كنعان وينتهي بموت موسى عليه السلام<sup>(2)</sup>.

ج. سفر اللاويين أو الأحبار (Leviticus): جاء في 27 إصحاحاً، يتحدّث معظمه عن شؤون العبادات وخاصة ما تعلق ب: الأضحية، القرابين، المحرّمات من الحيوانات والطيور واللاويين من نسل (لاوي) أو (ليني) (Lévi) أحد أبناء يعقوب، ومنهم موسى وهارون واللاويون هم سدنة الهيكل والمشرفون على شؤون المذبح، والقوامون على الشريعة اليهودية<sup>(3)</sup>.

د. سفر العدد (Nemeri): يقع في 36 إصحاحاً، وهو معنيّ بعدد بني إسرائيل ويتضمّن توجيهات وحوادث جرت فيهم بعد الخروج<sup>(4)</sup>، ويذكر أولاد يعقوب وأولاد أولادهم إلى زمن بني إسرائيل في "سيناء"، ويتضمّن هذا السفر بعض الأمور التشريعية: كحادثة ذبح بقرة بني إسرائيل الصّفراء وقصّة قارون<sup>(5)</sup>.

(1) - حمدي عبد العال، المرجع السابق، ص 41.

(2) - محمود عبد الرحمان قدح، المرجع السابق، ص 332.

(3) - علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 15.

(4) - سعود بن عبد العزيز الخلف، المرجع السابق، ص 65.

(5) - احمد حجازي السقا، المرجع السابق، ص 57، 58.

و. سفر التثنية: (Deuteronomium): ومعناه تكرير الشريعة وإعادة الأوامر والتواهي عليهم مرة أخرى<sup>(1)</sup>، فضمّ معظمه أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب السياسية وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات، وسمي كذلك لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها لبني إسرائيل<sup>(2)</sup>، كما يطلق عليه أيضا (تثنية الاشتراع)<sup>(3)</sup> ويقع في 34 أصحاحا وينتهي بوفاة موسى عليه السلام فنتهي التوراة<sup>(4)</sup>.

## 6. موقف القرآن الكريم والمسلمين من التوراة:

ذكرت التوراة في القرآن الكريم بأنها كتاب أنزل على سيدنا موسى عليه السلام، فقد جاء في سورة الإسراء: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَنَحَّضُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾<sup>(5)</sup> كما جاء في سورة آل عمران ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾<sup>(6)</sup>، كما يقرّ القرآن بأن ما جاء في التوراة التي بين يدي اليهود فيها كثير منالتحريف، قال عزوجل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾<sup>(78)</sup> فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ<sup>(79)</sup>»(7).

كما يجمع جمهور المسلمين على أنّ التحريف لحق بالتوراة، ويرون أنّ اليهود يقرّون أنّ التوراة كانت على عهد مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر، كما يقرّون أيضا أنّ السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق منهم جميعا على تبديل 13 حرفا من التوراة في الإسكندرية، وهناك اتّهام

(1) - محمود عبد الرحمان قدح، المرجع السابق، ص 334.

(2) - علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 15.

(3) - احمد حجازي السقا، المرجع السابق، ص 60.

(4) - محمو د عبد الرحمان قدح، المرجع السابق، ص 334.

(5) - سورة الإسراء، الآية 2.

(6) - سورة آل عمران، الآية 2، 3، 4.

(7) - سورة البقرة، الآية 78، 79.

من اليهود بأنّ السّامريّين حرفوا مواضع من التّوراة وزادوا عليها وأنقصوا، والسّامريّون يدّعون ذلك أيضا عليهم<sup>(1)</sup>، ويدعم العلماء المسلمون رأيهم في ظاهرة التّحريف في التّوراة باحتوائها على نصوص لا يجوز نسبتها إلى الأنبياء من ذلك قولها عن النّبيّ لوط: " وصعد لوط من صوعر وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنّه خاف أن يسكن في صوعر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالتالبكر للصّغيرة: "أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل كعادة أهل الأرض. هلمّ نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحي من أبينا نسلا"<sup>(2)</sup>، فرقدت معه البنت الكبرى ثمّ الصّغرى وحملتا منه ولدين هما موآب وعمون<sup>(3)</sup>، فهل يعقل أن يسمح الله بهذا على نبيّه وتصبح هذه الحادثة من القصص يذيعها عنه و تحكيها الأمم وتتلوها الأجيال.

كما يدعم المسلمون رأيهم بما ورد في قصّة الدّيح الذي يدّعي اليهود بأنّه إسحاق عليه السّلام فقد جاء في التّوراة: "فقال: "خذ ابنك وحيدك الذي تحبّه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك"<sup>(4)</sup>، ويتجلّى التناقض بين هذه الآية حيث أنّ الله أمر إبراهيم عليه السّلام أن يذبح إسحاق وآية أخرى يخبره أنّه سيولد له ولد وهو إسحاق وستكون له ذريّة: "فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم معه عهدا أبديّا لنسله من بعده"<sup>(5)</sup> وغيرها من النّصوص الدّالة على التّحريف.

ويرجع علماء المسلمين سبب تحريف اليهود للتّوراة إلى أنّ علماء وأخبار اليهود يعلمون أنّ التّوراة التي بين أيديهم ليست التّوراة التي أنزلت على موسى بن عمران البتّة لأنّ موسى صان التّوراة عن بني إسرائيل ولم يبتثها فيهم خوفا من اختلافهم من بعده في تأويلها المؤدي إلى

(1)- ابن القيم الجوزية، هداية الحباري في أجوبة اليهود والنصارى، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص 101.

(2)- سفر التكوين 19: 30.

(3)- سفر التكوين 19: 31 - 38.

(4)- سفر التكوين 22: 2.

(5)- سفر التكوين 17: 19.

انقسامهم أحزاباً، فسلمها إلى عشيرته أولاد لاوي<sup>(1)</sup>، والدليل على ذلك قول التوراة: "وكتب موسى هذه التوراة وسلمها لكهنة بن لاوي حاملي تابوت عهد الربّ ولجميع شيوخ إسرائيل"<sup>(2)</sup>، ثم أمرهم موسى قائلاً: "في نهاية السبع سنين في نهاية ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال. حينما يجيء جميع إسرائيل ليظهروا أمام الربّ إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كلّ إسرائيل في مسامعهم"<sup>(3)</sup>، ليسرد اليهود في خاتمة سفر التثنية السبب الذي أدى بموسى إلى تدوين التوراة حيث جاء فيه: "فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها. أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب: "خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت الربّ إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم. لأنّي أنا عارف تمرّدكم ورقابكم الصلبة. هو ذا وأنا بعد حيّ. معكم اليوم قد صرتم تقاومون الربّ فكم بالحريّ بعد موتي"<sup>(4)</sup>، في حين يرى جمهور المسلمين أنّ الأئمة اللاويين (الهاروثيين) هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم نبوخذ نصر وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس، ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم، حيث كان كلّ واحد من اللاويين يحفظ فصلاً منها فزالت دولتهم وتفرّق جمعهم، وأنّ عزيز هو من قام بالجمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ولقّ هذه التوراة التي بين يدي اليهود<sup>(5)</sup>.

## II. التلمود:

### 1. تعريفه:

اسم عبريّ معناه التعاليم، وهو عبارة عن مجموعة من التقاليد اليهوديّة المختلفة مع بعض الآيات من الكتاب المقدّس، ويزعم اليهود بأنّ هذه التقاليد أعطيت لموسى (عليه السلام)

(1) - ابن القيم الجوزية، المرجع السابق، ص 103.

(2) - سفر التثنية، 31: 9.

(3) - سفر التثنية، 10، 11.

(4) - سفر التثنية 31: 24 - 27.

(5) - ابن القيم الجوزية، المرجع السابق، ص 103.

حين كان على جبل (طور) وتداولها هارون واليعازر ويشوع وسلّموها للأنبياء ثم انتقلت عنهم إلى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثاني الميلادي<sup>(1)</sup>.

والتلمود كلمة مشتقة من كلمة "لوميد" العبرية التي تعني "دراسة" وهي شبيهة بكلمة "تلميذ العبرية"<sup>(2)</sup>، وهو عبارة عن مؤلف واسع في الأدب الديني اليهودي، يتضمّن حقبة تاريخية تمتدّ من القرن الثالث قبل الميلاد وتنتهي أواخر القرن الخامس الميلادي<sup>(3)</sup>، ويعتبر موسوعة تتضمّن الدين والشريعة والتأملات الميتافيزيقية والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية<sup>(4)</sup>، يشار للتلمود عادة بعبارة "شاش" وهي اختصار للتسمية العبرية "ششاه سندرايم" وتعني المباحث الستة<sup>(5)</sup>.

**2. أقسام التلمود:** يعتبر التلمود أحد أهمّ الكتب المقدسة الدينية عند اليهود، وهو النتاج الأساسي للشريعة الشفوية ومصدر أساسي للتشريع يتألف من قسمين رئيسيين هما:

**1. المشنا (Mishnah):** هي أول مجموعة مكتوبة للشريعة الشفوية، حيث تمّ ترتيبها في العديد من النصوص الشفوية وتصنيفها واصطلاح على هذه المجموعة من التشريعات اسم "المشنا" ومعناها التثنية والترديد<sup>(6)</sup>.

انتقل القانون الشفهي من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل ومن معلّم إلى تلميذ عن طريق التعليم الشفهي، فتطلّب تنظيمه وترتيبه بشكل معيّن من أجل تسهيل عملية الحفظ والتي كانت سهلة في البداية عندما ارتبط القانون الشفهي بالقانون المدوّن (التوراة)<sup>(7)</sup>.

(1) - عبد الملك بطرس وآخرون، المرجع السابق، ص 24.

(2) - عبد الوهاب المسيزي، المرجع السابق، ص 141.

(3) - هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 281.

(4) - عبد الوهاب المسيزي، المرجع السابق، ص 141.

(5) - مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في العالم القديم، ط 1، دار القلم بيروت، 1995، ص 25.

(6) - هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 281.

(7) - ادوين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ط 1، تر: فنيثا الشيخ، دار الفرقد، بيروت، 2006، ص 49.

لكن باتّساع نطاق الدّرس والتّعليم ظهرت صعوبة الحفظ<sup>(1)</sup>، خاصّة عندما تطوّر القانون الشّفهيّ في ميادين عديدة مبديا تجاوزه نطاق الآيات التّوراتيّة التي هي مصدره، فأصبح ضروريًا أن تصنّف التّفاصيل الكثيرة في أنواع تكون شاملة بالإضافة إلى تصنيف المواضيع في مجموعات مرقّمة، فكان على الحكماء أن يبحثوا عن قواعد لهذا الغرض لتسهيل الفهم والسّماح بإدخال عناصر متعدّدة لتنظيم المادّة، وكان الاستهلاك الأوّل للشّريعة الشّفويّة قد بدأ في فترة الأزواج<sup>(2)</sup> على يد "هليل" و "شماي" نهاية القرن الأوّل قبل الميلاد (آخر زوجي الحاخامات<sup>(3)</sup>)، واللّذين اهتمتا بتخطيط المشنا وتجميعها وتقسيمها إلى أقسام مختلفة.

وجاء بعدهما "رابي عقيبا" منتصف القرن الأوّل الميلاديّ وبداية القرن الثانيّ الميلاديّ، ثم تلاه مئيري القرن الثانيّ الميلاديّ ثمّ يهوذا هناسي (132-217م) فاستفاد ممّن سبقوه، فجمع المشنا وحرّرها في شكلها النّهائيّ الذي اجمع عليه معظم اليهود<sup>(4)</sup>، في ستّة مجلّدات سمّاها "ششه سيدريه مشنة" أي كتب المشنة الستّة<sup>(5)</sup>.

أ. لغة المشنا: وهي تطوّر للغة العبريّة القديمة ومنشأ العبريّة الحديثة، تأثرت باللّغة الآراميّة واليونانيّة واللاتينية والفارسيّة إلى حدّ تجلّي التأثير في الألفاظ وكذا في الأسلوب ب بروز ألفاظ وتراكيب ومصطلحات غير موجودة في العهد القديم<sup>(6)</sup>، فضلا عن التأثير اللّغوي البابليّ والعربيّ<sup>(7)</sup>.

(1) - ألفت محمد جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، د.ط، مطبعة عين شمس، مصر 1978م، ص92.

(2) - الأزواج: سميت هذه الفترة بفترة الأزواج لأن حاخامات اليهود كانوا يتعاقبون على جمع المشنا وتنظيمها اثنين اثنين وتقع هذه الفترة بين العصر المكابي والهيرودي (150-30 ق.م) وهي فترة جاءت بعد السبي البابلي بزمن طويل، انظر: التلمود ترجمة متن التلمود (المشنا) ، القسم الأوّل - زراعيم : الزروع، تر: مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط1، دار طيبة للطباعة، الجزيرة ، 2008، ص11.

(3) - الحاخامات: كلمة عبرية تعني، الرجال الحكماء أو العقلاء وكانت تطلق على المعلمين الفريسين أنظر: عبد الملك بطرس وآخرون، المرجع السابق، ص163.

(4) - التلمود، المرجع السابق، ص 11.

(5) - شمعون مويال، التلمود أصله وآدابه، ط1 ، الدار الثقافية للنشر ، مصر، 2004، ص51.

(6) - الفت محمد جلال، المرجع السابق، ص 67.

(7) - مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص17.

يطلق على المشنا لغة الحكماء والعلماء، وهي لغة كانت متداولة على الألسن اليهودية في نهاية عصر المقرأ<sup>(1)</sup> واقتصرت اللغة المقرائية على ميدان الكتابة خاصة الأمور الدينية، فبرز بذلك دور الحاخامات في استخدام اللغة العبرية تزامنا وتوافقا مع الحياة اليومية، حيث تم المزج بين لغة العهد القديم واللغة العامية (حيث يجد العامة صعوبة كبيرة في التعبير بلغة العهد القديم). فقام الحاخامات بجعل لغة المشنا تعلو على لغة العامة وتكون في نفس الوقت دون لغة العهد القديم<sup>(2)</sup>، حيث أنه بعد السبي البابلي اختلفت لغة العامة عن اللغة الأصلية فامتزجت اللغة الدارجة بخليط من اللغات فأصبح من العسير عليهم فهم بعض الألفاظ الواردة في التوراة<sup>(3)</sup>، وتعدّ المشنا أهمّ مادون باللغة العبرية وبعد الانتهاء من تدوين العهد القديم، امتازت بأسلوب نثريّ فيه الكثير من الألفاظ الأجنبية<sup>(4)</sup>.

### ب. أقسام المشنا: وتنقسم المشنا إلى ستة أقسام وهي:

**1. القسم الأوّل: "قسم الزروع أو البذور":** ويتألف هذا القسم (الكتاب من 11 سفرا، ويتضمّن القوانين التوراتية الخاصة بالزراعة من الجانب الديني والاجتماعي<sup>(5)</sup>، سواء ماتعلق بالحقل أو المزروعات<sup>(6)</sup>، ويركز في شرح الأحكام التوراتية المتعلقة بحقوق الفقراء والكهنة في محصول الأرض إلى جانب تنظيم حراثة الأرض والبحث في الصلوات والعبادة والأعشار والتشريعات الزراعية<sup>(7)</sup>، وعناوين المباحث الإحدى عشر هي كالآتي:

(1) - المقرأ: وهي التوراة سميت بهذا الاسم لأنها كتاب الله المقروء ويطلق على الذين يقرأون التوراة: القراءون مفردا قراء وهو داعية ديني لأنه يعتبر حامل لدعوة التوراة، ويعد القراءون أكبر فرقة دينية تقابلها فرقة الربانيون وهم الأحرار انظر: عبد المنعم الحفنين، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1980، ص 172.

(2) - التلمود، المرجع السابق، ص19.

(3) - شمعون مويال، المرجع السابق، ص 11، وكذلك انظر:

Herbert Danby, *The Mishnah: Translated from the Hebrew with Introduction and Brief Explanatory Notes*, Clarendon Press, Oxford, 1933, xvii

وكذلك انظر: L'ABBÉ L. CHIARINI, *Le TALMUD de BaByLone*, Vol1, Lyon, 1831, P.3.

(4) - إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1929، ص89.

(5) - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص331.

(6) - التلمود، المرجع السابق، ص 12.

(7) - أحمد ايش، المرجع السابق، ص29.

1. البركات (براخوت): يتناول الأدعية والصَّلوات وكلّ البركات الخاصّة بكلّ عمل يقوم به اليهوديّ وأوقاتها ، وجاءت مباحث هذا السّفر في 9 فصول .
2. زاوية أو ركن الحقل: يتناول الشرائع التي تحدّد الحدود بين الحقل والأحكام الخاصّة بالحصاد وجني الثّمار والمتبقي منها في زوايا الحقل للفقراء والمساكين.
3. المشكوك في إخراج عشره من المحاصيل: يتضمّن الأحكام الخاصّة بالمحاصيل الزراعيّة وإخراج أصحابها العشر وتوضيح الأنواع المعفاة وأحكام الشراء والبيع.
4. الخلط أو التّهجين: يشتمل على الفصل والنّهي عن الخلط بين النّبات أو الحيوان أو زراعة صنفين في حقل واحد أو الجمع بين جنسين من المواد في ثوب واحد.
5. السنّة السابعة أو السنّة: يتناول القوانين المتعلّقة بإراحة الأرض وتحريم جني الثّمار في هذه السنّة.
6. تروموت: التّقدمات والتّبرعات: يتناول القوانين الخاصّة بالتّبرعات والنّدور من المحاصيل الزراعيّة التي تقدّم للكهنة.
7. مصوروت "العشور": يحدّد العشر الأوّل (يتحصّل الكهنة على عشر محصول الحقل).
8. معسر شين (العشر الثّاني): العشر الثّاني يأتي بعد العشر الأوّل والذي ينتفع به صاحب المحصول للحجّ.
9. قرص العجين: يحدّد مقدار العجين الذي يعطى للكاهن والذي يوضع من خلال الحقل.
10. عوله – العزلة: يتناول تحريم الثّمار خلال السّنات الثّلاث الأولى، على أن تخرج في السنّة الرّابعة زكاة الرّبّ، وفي السنّة الخامسة تصبح لصاحبها .



11. بكوريم (بواكير الثمار): يختصّ بقوانين و أحكام تقديم الثمار الأولى من المحاصيل للهيكل وملازمة طقوس وشعائر معينة<sup>(1)</sup>.

## 2. القسم الثاني: قسم المواسم والأعياد:

يتناول هذا القسم أحكام السبوت والأعياد ومختلف المناسبات الدينيّة وقواعد الطقوس المنظمة للاحتفالات الدينيّة الخاصّة بكلّ عيد أو مناسبة دينيّة ، وأحوال المعبد استعدادا للاحتفال بهذه المناسبات المقدّسة بالإضافة إلى شرح كيفية التقويم العبرانيّ لتحديد الأشهر القمرية من السنّة الميلاديّة لتحديد الأعياد اليهوديّة اعتمادا على الشرائع اليهوديّة وشروح الحاخامات وتفاسيرهم<sup>(2)</sup>، ووردت هذه الأحكام في اثني عشر مبحثا وهي:

1. السبوت: وحدّد فيه كيفية الاحتفال فيه وما يحرم فيه من الأعمال، ويتمّ الاستعداد له من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس عيزوفين.

2. (تداخل الحدود): هو امتداد لسفر (شبات) ويحدّد لليهوديّ الأحكام الخاصّة.

3. عيد الفصح: يضبط هذا السفر الطقوس والشعائر التي تمارس في هذا العيد وما يرافق الصلوات والمواصفات الخاصّة بالقرابين والدّبائح.

4. (شقاليم - الشواقل): يفصّل في الأموال الواجب دفعها للمعبد ومال التكفير وشرائع تبادل النّقود ومواعيدها والرّهان.

5. يوما- اليوم: يتناول الطقوس والشعائر الخاصّة بالاحتفال بيوم الغفران وأحكام الصيام في هذا اليوم لأنّه يعدّ مكفّرا للذنوب.

6. سوكا (المظلة): يتحدّث عن عيد المظال والصلوات والأدعية فيه.

<sup>(1)</sup>-Josheph Barclay, *Herbrew Literature*, Colonial Press, New York, 1901, P4.5

وكذلك انظر: التلمود، المرجع السابق، ص 23-26، مويال شمعون، المرجع السابق، ص 87-89 .

<sup>(2)</sup>- التلمود، المرجع السابق، ص 13. وكذلك انظر: شمعون مويال، المرجع السابق، ص 90.

7. بيتسا - البيضة: ويعرف بـ: "يوم طوف" أي "يوم طيب" كناية عن العيد، وبين الحلال والحرام في المواسم والاحتفالات الدينية.

8. روش هشنا - رأس السنة: يتناول الأحكام الخاصة بالتقويم العبري وكيفية تحديد رأس السنة.

9. تغيت - الصيام: (بين الأحكام الخاصة بالصوم).

10. مجلا - اللفافة: محوره سفر أستير والذي يقرأ في عيد البوريم.

11. موعيد قطان - العيد الصغير: يوضح الأحكام الخاصة بالأيام التي تقع بين اليوم الأول والأخير من عيد الفصح والمظال والاحتفالات والطقوس المرافقة.

12. حجيجا (زيارة الهيكل وتقديم العيد): يتعلّق بالقرابين في العيد وزيارة الهيكل ثلاث مرّات في السنة<sup>(1)</sup>.

3. القسم الثالث: قسم النساء ناشيم:

يختصّ بقوانين الزواج والطلاق وحلف اليمين والتّدور والوصايا ويتضمّن سبعة أسفار<sup>(2)</sup> وهي:

1. يفاموت - الأرامل - يعالج قضية الأرملة والتي يجب أن يتزوّجها أخ زوجها وينسب أوّل المواليد للزوج المتوفّي والأحكام المرافقة لهذا الزواج.

2. كتابات عقود الزواج: يتضمّن الخطوات التشريعية لإتمام الزواج وما يترتّب عن ذلك من حقوق وواجبات.

3. نذاريم (النّدور): يتضمّن الأحكام المتعلقة بالنذر وأشكالها وكيفية آدائها وأنواعها.

(1) - التلمون، ترجمة متن التلمود، القسم الثاني، موعيد: الأعياد، المرجع السابق، ص23-27.

(2) - أحمد ايش، المرجع السابق، ص29، وكذلك انظر: الفت محمد جلال، المرجع السابق، ص68

4. التذير (الناسك): يتناول الأحكام الخاصة بمن ينذر على نفسه وما يحرم عليه من الأعمال والطقوس المرافقة لتأديّة النذر.

5. سوطا (الخائنة): يتضمّن الأحكام الخاصة بالمرأة الخائنة والعقوبة التي تتعرض لها بالإضافة إلى الأحكام الخاصة بالخروج للحرب وأحكام مباركة الكهنة للجمهور.

6. جعلين (وثائق الطلاق): وفيه تناقش القوانين المتعلقة بوقوع الطلاق وشروطه وأنواعه.

7. قدوشين (الخطبة): يتناول طقوس ومراسيم خاصة بالخطوبة وما يترتب عنها من حقوق وواجبات بالإضافة إلى كيفية جلب العبيد والأراضي والعقارات والحيوانات، وكذا بعض المسائل الأخلاقية<sup>(1)</sup>.

#### 4. القسم الرابع:

يتألف من عشرة أسفار تشتمل على التشريع المدنيّ والجزائيّ، وطريقة عمل المحاكم وحلف اليمين<sup>(2)</sup>، ويطلق عليه اسم الخلاص ويتكوّن من أربعة أجزاء:

الجزء الأول: يضمّ المباحث الأولى المعروفة بالأبواب: الباب الأول، الباب الأوسط، الباب الأخير ويتضمّن هذا الجزء (الأبواب) القانون المدنيّ وما يتصل به من معاملات تحكم سلوك الأفراد داخل المجتمع.

الجزء الثاني: ويضمّ مباحث: مجلس القضاء الأعلى، الجلدات، الحلف، وتدور الأحكام حول القانون الجنائيّ وما يترتب عنها من عقوبات.

الجزء الثالث: يتناول الأحكام المتعلقة بالعقوبات مع غير اليهود ويضمّ مبحث -العبادة الوثنية-.

(1) - التلمود، ترجمة متن التلمود، القسم الثالث، ناشيم: النساء، المرجع السابق، ص 23-29، وكذلك انظر: شعون مويال، المرجع السابق، ص 92.

(2) - نفس المرجع، ص 93.

الجزء الرابع: يضم مجموعة من التعليقات والحكم والوصايا الأخلاقية، وتمثلها مباحث الشهادات، الآباء، القرارات<sup>(1)</sup>.

## 5. القسم الخامس (قداشيم - المقدسات):

يبحث شعائر التضحية والهيكل والخصوم ويتألف من أحد عشر سفراً، وهي:

1. الذبائح: يضم أحكام تقديم الذبائح الحيوانية وشروط الذبح والتقبّل وطريقته.

2. تقدمات الطعام: أحكام تقديم الطعام والشراب وأنواعهما.

3. الذبائح الدنيوية: يتناول أحكام الذبائح التي تذبح في المناسبات العادية والمحرم منها، بالإضافة إلى الأحكام الخاصة بالفريسة وهبات الكهنة.

4. الأبقار: تتعلق أحكامه بالمواليد البكر من الحيوانات بمختلف أنواعها.

5. التقديرات: وهي خاصة بقواعد تقديم المال للفداء، وما يتوجب على الإنسان الذي لا يستطيع الوفاء بنذره بالإضافة إلى أحكام اليوبيل<sup>(2)</sup>.

6. البديل أو العوض: يختص بالتشريعات المتعلقة باستبدال الذبائح المخصصة للنذر بذبائح أخرى والشروط اللازمة لذلك، بالإضافة إلى موضوع استبدال تقدمات التكفير عن الذنوب ومصير الذبائح المستبدلة وطرق تقديم الذبيحة الجديدة.

7. القطع: يتعلق بأحكام اتخاذ قرار القطع ضد اليهودي المرتكب للآثام متعمداً.

8. يعالج مسألة انتهاك المحرمات والمقدسات وتدنيس الأشياء التابعة للهيكل أو المذبح مع توضيح طرق التكفير.

(1) - التلمود، ترجمة متن التلمود، القسم الرابع - تزيق (الأضرار)، المرجع السابق، ص 17 - 21. وكذلك انظر: شعون مويال، المرجع السابق، ص 94.

(2) - التلمود، المرجع السابق، ص 95.

9. التقدمة اليومية: يتضمّن طريقة تقديم القرابين في الهيكل صباحا ومساء.

10. المقاييس: يتحدّث عن مقاييس الهيكل ومواصفاته.

11. الأعشاش: ذبائح الطيور، وهو خاصّ بالفقراء سواء مذنبين أو غير مذنبين، ويشرح

هذا السفر طريقة تقديم الطيور كقرابين<sup>(1)</sup>.

## 6. القسم السادس (طهاروتي-الطهارات):

ويتضمّن أحكام الطهارة الشعائريّة وجاء في اثني عشر سفرا<sup>(2)</sup>، وقد قسّمت إلى أجزاء وهي: الجزء الأول والموضوع الأساسي فيه مصادر النجاسة، الجزء الثاني اشتمل الأشياء التي تتأثّر بالنجاسة، أمّا الجزء الثالث فموضوعه طرق التّطهير من النجاسة وتضمّن المباحث التالية:

1. مبحث الأدوات: يتعلّق بالأحكام الخاصّة بالأدوات والأواني والأمتعة التي تتنجّس.

2. الخيام: موضوعه النجاسة المترتبة عن جثّة في المسكن وتأثيرها على المسكن والجماد بالإضافة إلى الحديث عن أحكام المقابر.

3. البرص: موضوعه مرض البرص ومراحله وأعراضه، ليختتم هذا المبحث بنظام الطهارة للمريض وما يترتّب عنه من طقوس وشعائر.

4. البقرة: وتتضمن الأحكام المتعلقة بالبقرة الحمراء التي تقدّم من أجل التّطهير برمادها بعد أن يتعرّض لطقوس معيّنة مع الشّروط الضّروريّة الواجب توفّرها في هذه البقرة.

5. التّطهيرات: يتناول النّجاسات التي تنتهي بغروب الشّمس.

(1) - التلمود، ترجمة متن التلمود، القسم الخامس - قداشيم: المقدسات، المرجع السابق، ص 27.

(2) - أحمد إيش، المرجع السابق، ص 29.

6. الآبار (المطاهر): موضوعها المياه المختلفة ووردت فيه أحكام طهارة المياه ونجاستها وكيفية تطهيرها.

7. الحيض: أحكامه خاصّة بنجاسة النساء أثناء الحيض وما هو الواجب الذي يقمن به وكيفية معاملتهن في هذه الفترة، بالإضافة إلى أحكام تتعلق بنجاسة الدم وأنواعه ودم الولادة.

8. إعداد الأطعمة: ويعرف هذا المبحث بمبحث السوائل، ويختصّ بإعداد الحبوب والفاكهة والثمار عن طريق سعة السوائل.

9. السيّلان: يعالج الأحكام التي تتعلّق بالنجاسة الناتجة عن إفرازات بعض الناس في بعض الحالات المرضيّة.

10. الغاطس: أحكامه تتعلّق بالاغتسال من النجاسة في النهار والتي لا يتطهّر منها إلاّ بعد غروب الشمس.

11. اليدين: يذكر قواعد غسل اليدين مع تحديد كمّيّة المياه اللاّزمة، ويبيّن الأحكام التي تطبّق على نجاسة اليدين فقط،

12. سيقان الثّمار وقشورها: ترد فيه الأحكام الخاصّة بنجاسة ألياف وقشور وسيقان الثّمار، وتطبيق قانون وقوع النجاسة على الكلّ، حتّى ولو وقعت على جزء منها كأوراق الزّيّتون وقشرة البصل، كما عدّد أحكام نجاسة الألبان وأقراص العجين<sup>(1)</sup>.

(1) - التلمود، ترجمة متن التلمود، القسم السادس - طهاروت - الطهارات، المرجع السابق، ص 32-45. وكذلك انظر: شمعون مويال، المرجع السابق، ص 97-100.

2. الجمارا: وهي مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي جرت في المدارس العبرية بعد الانتهاء من تجميع المشنا، وهي عبارة عن الشروح والاستنتاجات التي بناها العلماء المتأخرون كنتيجة عن نصّ المشنا (التتمة)<sup>(1)</sup>، ويطلق على هؤلاء العلماء اس (إيمورائيم)<sup>(2)</sup>.

بعد أن أنهى (يهودا هناسي) وضع المشنا وتبويبها في ستة أقسام، نشطت مراكز البحث الديني اليهودي في وضع الشروح وتفسير نصوص المشنا، وكان في فلسطين طائفة من العلماء عرفت بـ (التنائيم) حملت على عاتقها شرح أحكام المشنا و تدوين قوانينها، وتمّ الانتهاء من هذا العمل في طبرية في فلسطين تحت رعاية الحبر الكبير "يهودا بن شمعون" الملقب (الربن الأقدس 135-220م)، لتظهر طائفة ثالثة عرفت (الأمورائيم) (الأساتذة المحدثين)، والذين أخذوا يدرسون المشنا ويعلقون عليها و يشرحون متونها، تناولوا شرائع اليهود وتقاليدهم وطقوسهم وتاريخهم، وعندما اشتدّ ضغط واضطهاد الرومان في فلسطين على اليهود، توقف عمل العلماء على الدراسة والبحث بحرية، فهاجر العديد منهم إلى العراق أين كان يسود الأمان والحريّة الدينيّة، وفي هذا الجوّ استطاع (الأمورائيم) أن يشرحوا المشنا شرحا مفصّلا وأهمّ بكثير من شرح علماء فلسطين<sup>(3)</sup>.

### 3. أنواع التلمود:

نتج عن شرح المشنا أنّ الجمارا قد وضعت من طرف مدرستين الأولى في فلسطين والثانية في العراق، ممّا نتج عنه وجود تلمودين وهما:

أ. التلمود الأورشليمي: تركّزت أهمّ مراكز البحث في فلسطين في كلّ من طبرية وقيسريّة وزفوريّة أو "سفوريّة"، وهذه المناطق تقع في شمال فلسطين<sup>(4)</sup>، ينسب اليهود هذا

(1) - عبد الملك بطرس وآخرون، المرجع السابق، ص 16.

(2) - الإيمورائيم: اشتقت من (أمر) في اللغة العبرية أي قال وهم العلماء المتخصصون في تفسير التقاليد الشفهية المتوارثة عن (التنائيم) (المعلمون)، انظر: لويس جنزيرج، أساطير اليهود، ط 1، تر: حسن حمدي، دار الكتاب العربي، دمشق، 2007، ص 13.

(3) - أحمد حجازي السقا، المرجع السابق، ص 63، 64، و كذلك انظر:

Josef Barclay.op.cit.,P 8.9

(4) - التلمود البابلي، مج 1، ط 1، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2011، ص 24، وانظر كذلك: التلمود، المرجع السابق، ص 16.

التلمود إلى أورشليم على الرّغم من أنّها خلت من المدارس الدّينيّة بعد تدمير الهيكل، فانقلت الحاخامات إلى المدن السّالفة الذّكر لإنشاء مدارسهم فيها، وتدوين التلمود يرجع الفضل فيه إليهم وإلى علماء أورشليم نفسها، وإنّما أطلق هذا المصطلح (الأورشليمي) على سبيل إطلاق الجزء على الكل<sup>(1)</sup>، وكان الفراغ منه في أواخر القرن الثالث الميلادي<sup>(2)</sup>، والأصحّ هو تسميته التلمود الفلسطينيّ، ويطلق عليه يهود العراق "تلمود ارتس يسرائيل" وأحيانا يطلق عليه تلمود أهل الغرب<sup>(3)</sup>.

**ب. التلمود البابليّ:** وسمّي كذلك "تلمود أهل الشّرق"، ويجب التذكير بقوّة البحث الدّينيّ في العراق منذ السّبي البابليّ على يد نبوخذنصر (605 - 562 ق.م)، حيث أصبحت العراق منذ ذلك الحين تسمّى "بابل"<sup>(4)</sup>، وتركّزت أهمّ مراكز البحث في المدرسة الشّرقية في ثلاث مناطق، هي: نهر دعة في إقليم بلاد الرافدين في شمال العراق، وبلدة سورة القريبة من بغداد، ثمّ بلدة غانية والمعروفة "قومباديثا" وتقع بالقرب من بلدة سورة<sup>(5)</sup>.

من أشهر أحبار العراق "أبا أريخا" الذي أسّس مدرسة سورة و"مار صموئيل" مؤسس مدرسة "قومباديثا"، واختتم هذا التلمود على يد الحبر "أش" والذي توفّي سنة 427 م، و"رينيه بن هناء" المتوفّي سنة 490 م، لتنتهي فترة "الأمورائم" وتبدأ مرحلة "السّبورائيم"<sup>(6)</sup>، واستمرّ عملهم بين 500 - 550 م، وتجلّت أعمالهم في التعليق على التلمود وتنظيم أبوابه وفصوله بالشّكل المعروف إلى اليوم، لتظهر طبقة أخرى معروفة ب"الغاؤونية"<sup>(7)</sup>، وتجلّت أعمالها في إصدار الفتاوى الدّينية ليهود الشّرق والغرب<sup>(8)</sup>. وتعدّ الجمارا في التلمود البابليّ شرحا

(1) - ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ط7، دار النفائس، بيروت، 1989، ص28.

(2) - أحمد حجازي السقا، المرجع السابق، ص64.

(3) - أحمد ايش، المرجع السابق، ص30.

(4) - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص331.

(5) - التلمود البابلي، المرجع السابق، ص16.

(6) - السبورائيم أ والسافورائيم: طبقة القصاص والشارحين والمذكرين والوعاظ وهم تلاميذ الأمورائيم، انظر: لويس جنز برج، المرجع السابق، ص13.

(7) - الغاؤونية: مشتقة من الغاؤونيم وهي كلمة عبرية جمع "غاؤون" والتي كانت تطلق على الريانيين رؤساء المدرستين الدينتين اليهوديتين في بابل (سورا وقومباديثا)،

انظر: أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ص10.

(8) - أحمد حجازي السقا، المرجع السابق، ص64.



متواترا على مدى سنين عديدة، استنبطت فيه أحكام التوراة وكيفت مع الواقع اليهودي، وعندما تأسست اليهودية الحاخامية، ومع بداية القرن الثاني قبل الميلاد تشكلت برئاسة سلطة هلاهائية<sup>(1)</sup>.

انتقل مركز الثقل من فلسطين إلى بابل، حيث تفوّقت المراكز البابلية هناك، وأصبح فقهاء اليهود في بابل هم قادة اليهود، وغدت مراكزهم التعليمية مركزا للتشريع والفتوى، وكانت لغة التلمود البابلي الآرامية التي كانت سائدة في ذلك الوقت<sup>(2)</sup>، وتعدّ المشنا في التلمود البابلي هي نفسها في التلمود الأورشليمي، لكن الجمارا في التلمود البابلي هي أربعة أضعافها في التلمود الفلسطيني، ويدلّ هذا على أنّ التلمود الأورشليمي ظلّ ناقصا لا يشرح إلا بعض المشنا فقط، وربما ترجع أسباب ذلك إلى الاضطرابات التي عاشتها فلسطين، وتحوّل أورشليم إلى عاصمة مسيحية بعد اعتراف "قسطنطين" بالمسيحية (306-337م)، فتناقصت المدارس الدينية اليهودية واعتبرت الديانة اليهودية معادية للديانة المسيحية<sup>(3)</sup>.

ويعتبر التلمود البابلي الأكثر تداولاً عند اليهود، وعند ذكر التلمود بمفرده، فالمقصود منه التلمود البابلي، لذا حظي بتقدير كبير عند اليهود، فالجمارا في هذا التلمود نتيجة وخلاصة لأكثر من 300 سنة للمشنا في المدارس البابلية، حيث تمّ صياغتها من طرف زعماء الجالية اليهودية بأرض بابل حوالي 550م، واستمرت عملية الجمع والتحرير لفترة 250 سنة التالية، والكثير من المتن لم يبلغ شكله النهائي إلا عام 700م<sup>(4)</sup>.

ويلاحظ أنّ بعض المفاهيم القانونية في التلمود البابلي تعكس أثر القانون الفارسي، كما أنّ التلموديين يختلفان في بعض الأحكام، فمثلا الموقف من الوثنيين في التلمود البابلي

(1) - هلاهائية: من الكلمة الهالاخاة وأصل الكلمة آرامية ومعناها الطريق القويم، وفي التاريخ الحديث يقصد بها: الضريبة أو القاعدة الثابتة ومدلولها الفقرة الواحدة المتضمنة سنة واحدة من الفقهيات التشريعية، ثم أصبحت الكلمة تشير إلى الجانب التشريعي اليهودي، وعند استخدام الكلمة بالمعنى الدقيق فهي تشير إلى الصياغة المجددة للشريعة اليهودية في مقابل: 1-المدارش: بمعنى الدراسة والوعظ الذي يعتمد الاستشهاد بالتوراة والبحث عن المعاني الحقيقية، 2- الهاجداه: التي تعتمد على الوعظ عن طريق القصص، مع ملاحظة أن المشنا تحتوي على الهالاخا أكثر من الهاجداه، بينما الجمارا فإن الهاجداه أكثر فيها من الهالاخاه، والهالاخاه مصدرها الشريعة المدونة والشفوية والعرف الساري بين اليهود، انظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 409، وكذلك انظر: أحمد أحمد ابيش، المرجع السابق، ص 26.

(2) - شمعون مويال، المرجع السابق، ص 10.

(3) - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 338، 339.

(4) - نفس المرجع، ص 339. وكذلك انظر، أحمد ابيش، المرجع السابق، ص 33.

متسامح لأنّ أوضاع اليهود في بابل كانت جيّدة، فقد جاء في التلمود البابليّ: "أنّ الأغيار خارج فلسطين لا يمكن اعتبارهم من الوثنيين، كما لا يحرم بيع السلع للوثنيين في أيّام العيد الوثنيّ"، عكس التلمود الأورشليميّ الذي يحرمها قبل ثلاثة أيّام التي تسبق العيد، ومن أهمّ التطوّرات التي دخلت على الشريعة اليهوديّة ما جاء في التلمود البابليّ أنّ "شريعة الدّولة هي شريعتنا"، وقد ورد فيه دعاء خاصّ يتلى أمام ملوك الأغيار: "مبارك هو الذي منح مخلوقاتهنّ شيئا من جلاله" (1).

4. قداسة التلمود وأهميته: من الملاحظات الأولى يبدو التلمود تطبيقا لأحكام التوراة، رغم الاختلاف الكبير بينهما، في الشروح والمناقشات والأمثلة والروايات والمحاولات الكثيرة التي يريدون انتهاجها لتطبيق الوصايا والفرائض التوراتيّة (2)، فتحوّلت الاجتهادات وتعاليم الحاخامات ورجال الكهانة الدنيّة اليهوديّة والتي كان مصدرها مقدّسا إلى أهميّة وقداسة دنيّة فاقت المصدر الدنيّ الأمّ (التوراة)، وأصبح اليهوديّ مؤمنا إيمانا بهذا الكتاب، ويسعى جاهدا لتطبيق تعاليمه المختلفة.

استغلّ الحاخامات هذه الميول فسعوا إلى غرس وزرع الحماس العاطفيّ القائم على الدّين عند الجماعة اليهوديّة، فيؤمن اليهود إيمانا قاطعا بأنّ موسى قد تلقّى شريعتين إحداهما مدوّنة هي التوراة، والأخرى شفويّة (المشنا) (3)، "وجاء في أحد أسفار التلمود: "تلقّى موسى التوراة في سيناء والتي سلّمها إلى يشوع وقام هذا الأخير بتسليمها إلى الشيوخ الذين سلّموها بدورهم إلى الأنبياء الذين سلّموها إلى رجال المجمع الكبير" (4).

يتبوأ التلمود مكانا مقدّسا عند اليهود بتعاليمه الصّارمة، وانعكست قدسيّته على الحاخامات، وصار من احتقرهم استحقّ الموت عكس من احتقر أقوال علماء التوراة، لأنّ في اعتقاد اليهود أنّ أقوال علماء التلمود أفضل ممّا جاء في توراة موسى، وقد كان لهؤلاء

(1) - أحمد ايش، المرجع السابق، ص 33، 34..

(2) - كامال سغان، اليهود تاريخ وعقيدة، د.ط، دار الاعتصام للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، د.ت، ص 146.

(3) - صابر طعمية، التاريخ اليهودي العام، ط3، ج1، دار الجليل، بيروت، 1991، ص 111، وكذلك انظر: Josepf Barclay, op.cit, p8.

(4) - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 320.

الحاخامات دورٌ بارزٌ في هذه المعتقدات بما أشاعوه بين شعبهم من أقوال مثل: "أَنَّ الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما تكون هناك مسألة لا يمكن حلّها في السّماء" (1)، وتمادى أحدهم بقوله: "أعلم أنّ أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء"، وذكر آخر: "أَنَّ من يقرأ التّوراة بدون المشنا والجمارا فليس له إله" (2).

وقد جاء في التّلمود: "أَنَّ تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها بأمر الله"، وزعموا أن الله لا شغل له في اللّيل غير تعلم التّلمود مع الملائكة والشّياطين في بيت السّماء، وقد وقع اختلاف بين الرّبّ وعلماء اليهود في مسألة، وبعد أن طال الخلاف، قرّروا إحالته إلى أحد الحاخامات الرّبّانيين ليفصل فيه، فاضطر الرّبّ أن يعترف بخطئه (3).

استطاع التّلمود أن يلعب دور الموحد للشّعب اليهودي، على المستوى الفكريّ والعملّي، وأن يكون له تأثير بارز في هذا المجتمع، وساهم في بقاءه دون أن يذوب في معتقدات أخرى، وأصبح يضاهي التّوراة وفي أحيان كثيرة يتفوّق عليها، وطبعت مؤلفاته على مدى أجيال عديدة تغلغت لروح اليهودي وشغلت تفكيره، ومن تعاليمه استمدّ كيانا جديدا وأصبحت هذه التّعاليم تترجم في الحياة اليوميّة وهي مشبّعة بما جاء في التّلمود، وأصبح هذا الأخير هو صانع اليهود ومعلّمهم الأكبر ومصدر عقائدهم وشرائعهم، كما امتدّ تأثيره إلى يهود اليوم حيث يعتبرونه بعد التّوراة قوّة روحية وأخلاقية تجمعهم، فالكثير من الشّعائر الدّينية وقوانين الزّواج في المجتمع اليهودي مستقاة من التّلمود بكثرة، لاعتقادهم بأنّ التّلمود هو الذي أوجد الصّياعة النّهائية للعقائد الدّينية اليهودية (4).

(1) - كامل سغفان المرجع السابق، ص 146.

(2) - أحمد شلي، اليهودية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1988، ص266.

(3) - كامل سغفان، المرجع السابق، ص146.

(4) - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص349.

### III. لمحة عن الفكر الديني البابلي في النصوص التوراتية

تؤكد المعطيات التاريخية بمختلف مصادرها أنّ التوراة بنصوصها، وأسفارها احتوت على معلومات هامة عن منطقة الرافدين، وذلك بفعل التأثير على الفكر الديني اليهودي في مجال الأساطير أو القصص والمعلومات التي تضمنتها نصوص التوراة، منذ أسطورة بدء الخليقة إلى غاية نهاية العالم.

ولقد أكدت الدراسات التاريخية أنّ التوراة<sup>(1)</sup> لم تكن مكتوبة في بابل، ولم تكن موجودة لديهم أيام السبي البابلي، وبالتالي كان هناك تأثير بابلي على الديانة اليهودية، فجاءت متأثرة بمختلف مصادر الثقافة والحضارات البابلية، بل إنّ الكثير من اليهود حاكوا الوثنية في الكثير من مظاهرها.

ومن هنا يطرح عديد الباحثين<sup>(2)</sup> سؤالاً جوهرياً حول هل يمكن اعتبار أنّ الفكر الديني الرافديّ ترجم في النصوص التوراتية؟ حيث تذهب الدراسات المقارنة إلى أنّه في البداية كانت ترجمة شفوية للموروث الحضاري الرافديّ، خاصّة ما تعلق بقضاء حاجات الناس الضرورية، وكلّ ما له علاقة بالمعاملات المختلفة.

ولقد ساهم اختراع الكتابة، والنضج اللغوي الرافديّ، في تنشيط حركة التدوين في شتى المجالات، ومنها ما تعلق بالجانب الدينيّ، فظهر ذلك في آلاف النصوص الدينية الرافدية السومرية-البابلية، وبالتالي عدّ ذلك أهمّ الإنجازات التي حقّقها الفكر الإنسانيّ.

إنّ النصوص التوراتية جاءت بمضامين تراجم القصص البابلية والسومرية القديمة، حيث سجّلنا تشابها واضحا بين التلمود وشريعة حمورابي.

ولقد تضمّنت أسفار التوراة معطيات عديدة ذات طابع تاريخيّ حول بلاد الرافدين، ذلك أنّ اليهود أخذوا عن الحضارة الرافدية الكثير، سواء من حيث الأساطير والقصص أو المعارف

(1)-William G. Dever, Archeology Review: *The Western Cultural traditions Is at risk*, The BAS Library, 2006, p26-76.

(2)- علي سعد جعفر، الفكر الديني البابلي مترجم في نصوص التوراة، موسوعة الحلة، كلية الآداب، جامعة بابل، ص ص 1-9.

التي احتوتها نصوص التوراة، بل إن إحدى القصص الدينية السومرية تقدم لنا أقدم وصف لقصة الطوفان حيث أن أسطورة الطوفان تظهر ملك شوروباك كأنه بطل الطوفان، وفي التقليد البابلي الأشوري نجد قصة جلجامش أي نظير (أوتونانيشتم) ونوح في الكتاب المقدس<sup>(1)</sup>.

ويذكر الباحثون أن الرافديين كانوا يتناقلون هذه القصص شفويًا إلى غاية اختراع الكتابة، وبذلك تم تدوينها في نصوص، حتى أن منتقدي التوراة يتهمون اليهود بأنهم استولوا على نصوص دينية سومرية وبابلية قديمة وذلك بعد الأسر البابلي، وأن ما ورد في التوراة متناقض من أشعار ومزامير، وشرائع...، أخذت من مصادر أدبية قديمة لمختلف الحضارات التي تأثر بها كتبة التوراة سواء كانت معتقدات دينية أو عادات وتقاليد اجتماعية مارسوها في بابل وكنعان<sup>(2)</sup>.

ولقد قبل اليهود بذلك، حيث اقتبسوا ما ينفعهم، وحذفوا ما تعارضه قناعاتهم، كما وجدت قصص مستلهمة من الحكمة البابلية في مدينة مجدو الفلسطينية، حيث استنسخها الكتاب المحليون وترجموها<sup>(3)</sup>.

والملاحظ أن اليهود تأثروا بأداب حضارة وادي الرافدين مما انعكس على تطور معتقداتهم الدينية الأساسية وذلك بسبب كثرة الاقتباسات من الحضارة الرافدية نتيجة تواجدهم في بابل، عقب حملة نبوخذ نصر على فلسطين 598 ق.م<sup>(4)</sup>.

من هنا فإن التوراة تشكلت من تدوينات متعاقبة لأصول من موروثات شفوية قديمة، وتحديدًا القصص الشفوية، والروايات الشعبية، إضافة إلى الملاحم والأساطير التي تناقلتها ذاكرة الأجيال من يهود وأضافوا الكثير من النصوص ذات الصبغة القصصية الخيالية، حتى أصبحت تلك القصص ذات طابع أسطوري<sup>(5)</sup>.

(1)-سفر التكوين: 7.

(2)-عباس سليم، تأثير المعارف البابلية في الفكر الديني اليهودي، التلموذ أمودجا، مجلة الآداب، ج1، كلية الفنون، جامعة بغداد، 2018، صص 518-528.

(3)-علي سداد جعفر، المرجع السابق، ص ص 8-9.

(4)-إياد محمود حسين، أثر المعتقدات البابلية على التوراة، شبكة البصرة، 2006، ص 20.

(5)-مازن محمد حسين، الفكر الأسطوري الرافدي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 6، 2016، ص 23.

ولقد اطلع اليهود على الكثير من المميّزات في نصوص العقيدة البابليّة خاصّة أثناء أسرههم، حيث درسوا تلك الكتب الدينيّة التي احتوت على أساطير، وثقافة العراق القديمة، فكان التأثير البابليّ واضحاً على العهد القديم.

ويذكر عدد من المختصّين أنّ التّرجمة الدينيّة الأولى في العصور القديمة جاءت في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين في التّوراة الآتية من (1) إلى (9) في أرض بابل، كذلك أكّدت الوثائق المكتشفة أنّ هناك تشابهاً كبيراً بين القصص التّوراتيّة وما ورد في الألواح السّومريّة، أو تلك الواردة في ملحمة جلجامش التي روت لنا قصّة الطّوفان، علماً أنّه وجدت روايات بابليّة ذكرت الطّوفان تشبه الرواية التّوراتيّة<sup>(1)</sup>.

ومن النّاحية الأثريّة دلّ النّصب الذي عثر عليه الأثريّون في سوسة وما جاء فيه من شريعة حمورابي أنّ الأسفار الخمسة وهي التكوين والخروج واللّاوين، والعدد والتّثنية ذات أصول بابليّة حيث كانت الشّريعة البابليّة مصدرها، وفي سنة 1872 أعلن العالم الأثريّ جورج سميث<sup>(2)</sup> أمام جمعيّة الآثار التّوراتيّة في لندن عن اكتشاف ألواح فخاريّة ورقم طينيّة في مدينة نينوى ذكرت تفاصيل مشابهة لأدقّ التفاصيل حول قصّة الطّوفان التي جاءت في التّوراة في سفر التكوين، وهذا يدلّ أنّ التّوراة أخذت هذه الرواية من الوثائق المسماريّة، ممّا يؤكّد على وجود فعل أو ترجمة لتلك النّصوص الدينيّة، ممّا أنهى نظريّة أنّ التّوراة هي المرجع الأساسيّ والوحيد في قراءة تاريخ الشرق القديم.

إنّ الدّارس للنّصوص التّوراتيّة سيجد أنّها حوت معلومات هامّة عن تاريخ الرّافدين، حيث أخذ اليهود الكثير من العناصر الحضاريّة وضمّنها في توراتهم، وبالتالي فالديانة اليهوديّة أدخلت الكثير من الطّقوس البابليّة الوثنيّة.

الملاحظ أنّه بعد الأسر البابليّ اتّجه اليهود إلى التّجسيم والتّشبه، والانقسام والتّعدد، ودلّ تاريخهم الديني على تعدّد أنبيائهم بفعل تجدد الشّرك فيهم، وكذلك يذكر بعض الباحثين أنّ

(1) - سفر التكوين: 1-9.

(2) -George Smith, *The Chaldean Account of Genesis*, london, 1977, p 31- 74

عبارة العجل والكبش ظلّت متواصلة وراسخة في ذهنيّاتهم منذ أن كانوا في مصر، حيث ظل هذا الحيوان رمزاً لإلهم<sup>(1)</sup>.

في حين يذكر باحثون آخرون أن مبدأ الألوهية سواء كانت تذهب إلى التوحيد أو إلى التعدد لم تكن عميقة الجذور في نفوس اليهود، ذلك أن الأمور المادية والتطلع إلى الأسلوب النفعي في الحياة كان أكثر ما يشغلهم، وعليه فاليهودية اهتمت بكل ما هو مادي نفعي أكثر من إهتمامها بالقضايا الإيمانية فمجال تفكيرها تركز على الجانب الديني أكثر من الجانب الإيماني الغيبي، وما وراء الحياة الدنيا والعالم الحاضر هو مجالها<sup>(2)</sup>، كما أن حياتهم الاجتماعية تأثرت بالتعاليم الدينية المستمدة من الفكر الديني البابلي الوثني.

إن الدارس للتوراة يجد وأنها تحمل الكثير من صفات الآلهة الوثنية بسبب رغبة اليهود في الإقتباس الحضاري، ذلك أن الوثنية نمت وترعرعت مع أكثر الشعوب تحضراً، فالوثنية تسرّبت إلى اليهود فاختلطت بأفكارهم وامتزجت بعبادتهم<sup>(3)</sup>.

وهنا نسجل أن الديانة الرافدية القديمة تميزت بكونها نسبت إلى آلهتها صفات البشر الروحية والمادية، فالرافديون القدماء نقلوا إلى آلهتهم كل الأفعال التي يمارسها البشر. سواء كان ذلك في حياتهم الخاصة أو العامة كنزوات البشر وأخطائهم المختلفة، ولقد الآلهة الرافدية تمثل أسوأ جوانب الطبيعة البشرية وأفضلها مع انتشار ظاهرة تعدد الآلهة<sup>(4)</sup>.

والملاحظ أن اليهود لم يتأثروا بدمج صفات الآلهة الرافدية في دينهم، بل عبدوا الآلهة الرافدية البابلية أيام السبي البابلي، وذلك بسبب تأثرهم بالأفكار الوثنية وضعفهم أمام اغراءات العبادات البابلية التي ضمنوها في نصوص التوراة، مما يؤكد صحة ما ذهب إليه أغلب العلماء

(1) - محمد فهد القيسي، قصة الخليفة بين الألواح المسماوية والكتب السماوية، ط1، تموز للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، 2011، ص ص 20-22.

(2) - محمد فهد القيسي، المرجع السابق، ص ص 20-22.

(3) - زينون كاسيدو فسكي، الواقع والأسطورة في التوراة، ط1، تر: حسان ميخائيل إسحاق، دمشق، 1990، ص ص 18-20-90.

(4) - كيرا إدوارد، كتبوا على الطين، ط2، تر: محمود حسين الأمين، بغداد، 1964، ص 216.

والمؤرخين أن البابليين كان لهم الأثر الأكبر على الديانة اليهودية أثناء فترة السبي البابلي، ذلك أنهم أثناء تلك الفترة بدأوا في جمع نصوص العهد القديم متأثرين بالتراث الديني الوثني الرافدي، خاصة إصاق صفة الآلهة البابلية بألهتهم<sup>(1)</sup>.

من هنا نخلص إلى أن التوراة تشكل سجل تاريخي ديني يمثل فترة هامة من تاريخ وادي الرافدين القديم، خاص ببابل، فهي نصوص بابلية دينية مترجمة إلى اللغة العبرية، ناقلة الفكر الديني الوثني البابلي إلى ما يلائم الفكر الديني اليهودي، لهذا رأى البعض بأن تسمى بالتوراة البابلية وليست اليهودية.

(1) - كيبيرا إدوارد، المرجع السابق، ص 216.



## الفصل الثالث:

اليهود في بلاد الرّافدين من السّبي إلى الاستقرار

(الاستيطان) فالعودة

عقيدة اليهود بين التّوحيد والوثنيّة

أ. الحياة السّياسيّة و ظهور الممالك اليهوديّة:

1. مملكة النّبّي داوود عليه السّلام

2. مملكة النّبّي سليمان عليه السّلام

ب. السّبي الأشوريّ وانهيار المملكة الشّماليّة

ج. أوضاع اليهود الأسرى في العهد الأشوريّ

د. السّبي البابليّ وسقوط مملكة الجنوب

هـ. أوضاع اليهود في العهد البابليّ

و. اليهود في ظلّ الحكم الفارسيّ في بلاد الرّافدين

ي. عودة اليهود من السّبي

## 1. عقيدة اليهود بين التوحيد والوثنية:

يذكر أغلب المؤرخين أن الوجود اليهودي في بلاد الرافدين يعود إلى عهد الإمبراطورية الآشورية (911-612 ق.م)، وذلك حين قاموا بحملات على فلسطين، ونقلوا أسراهم إلى شمال العراق.

والملاحظ أن اليهود في كتبهم التي يعلمونها لصغارهم، أو التي ينشرونها بين الناس عن تاريخهم القديم " أن الشعب اليهودي نزح من بلاد الرافدين (العراق) إلى فلسطين (كنعان) في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد بقيادة ابراهيم عليه السلام ولم يكن عددهم يتجاوز 4000 شخص<sup>(1)</sup>، هذه المعطيات ومثيلاهما تدرس في الغرب على أنها حقائق تاريخية من قبل مختصين في التاريخ القديم وأكثرية متعصبين للتوراة والتعاليم التلمودية.

والملاحظ أن الدراسات اليهودية، وحتى الدراسات العربية تذكر أن يهود الرافدين يعودون إلى عصر ابراهيم عليه السلام دون أن يذكروا أين كان هؤلاء اليهود في عصره، بل إنهم حددوا حتى عدد اليهود الذين هاجروا معه، وبالتالي قضية السبي تعني أن اليهود عادوا إلى الوطن الذي نشأوا فيه، فأحمد زكي بدوي يذكر "رحل ابراهيم متزعما الأسرائيليين (اليهود) إلى فلسطين"<sup>(2)</sup>، بل إن وزارة الثقافة العراقية جاء في أرشيفها " إن ابراهيم وأهله هاجروا من مدينة أور في العراق سنة 1806 ق.م، وكان عددهم في هذه الهجرة قليل.... وقد انتهت هذه الهجرة عام 1656 ق.م"<sup>(3)</sup>، وكذلك الأستاذ محمد رشيد الفيل صاحب الدراسات الجغرافية التاريخية فيذكر أن تاريخ اليهود يبدأ بسفر ابراهيم من أرض الكلدانيين إلى أرض كنعان<sup>(4)</sup>.

وقد اعتاد العديد من المؤرخين خاصة العرب منهم الجمع بين هجرتين يهوديتين، هجرة ابراهيم الخليل من بلاد الرافدين (العراق) وهجرة موسى وجماعته من مصر، إلا أن هجرة ابراهيم وقعت

(1) - سولاف، كيف نما الشعب اليهودي، بغداد، 2015، ص 25.

(2) - أحمد زكي بدوي، تاريخ التطور الديني، القاهرة، 1945، ص 33.

(3) - اميل الغوري، فلسطين عبر ستمين عاما، ط2، دار النهار للنشر، لبنان، 1972، ص 44.

(4) - محمد رشيد الفيل، اليهود وعلم الأجناس، ط1، بغداد، 1994، ص 82.

في القرن 19 ق.م قبل هجرة جماعة موسى بسبعة قرون، وسبب هجرة ابراهيم دعوته لعقيدة التوحيد والتبشير بها بين مواطنيه الوثنيين، وهجرته كانت تحت ضغط السكان ورجال الدين، وهي حسب عديد الدراسات تشبه هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، في حين هجرة موسى وجماعته من مصر إلى كنعان والمعروفة بالخروج جاءت في القرن 13 ق.م، وتذكر التوراة أنها كانت بسبب الإله (يهوى) لليهود يأمرهم بالهجرة إلى كنعان وإبادة سكانها، ويحل اليهود محلهم، وظل المؤرخون اليهود وحتى عديد الكتاب العرب يصفون ابراهيم الخليل ب: "اليهودي الأول مؤسس الشعب اليهودي"<sup>(1)</sup>.

إلا أن الدراسات المقارنة والكشوفات الأثرية توصلت إلى العديد من الحقائق وهي:

1. أن ابراهيم الخليل ظهر في القرن 19 ق.م<sup>(2)</sup>.

2. لم يظهر اليهود على مسرح التاريخ إلا في عهد موسى عليه السلام في بداية القرن 13 ق.م<sup>(3)</sup>.

3. أن اليهود ظهروا لأول مرة في العهد الأشوري في نهاية القرن 8 وبداية القرن 7 ق.م عندما تم ترحيلهم إلى بلاد آشور، أي بعد عصر ابراهيم الخليل ب1200 سنة، وبعد النبي موسى ب600 سنة<sup>(4)</sup>.

بل إن التوراة تذكر أن ابراهيم لم يهاجر بمفرده من بلاد الرافدين (العراق) بل كان معه ساراي إمرأته، ولوط ابن أخيه<sup>(5)</sup>، وليس هناك معه 4000 مهاجر، وكذلك فإن يعقوب حفيد

(1)-Klaperman Gilbert and Libby, *The Story of the Jewish People*, Published by berhman house inc, 1969, U.S.A, p 13.

(2)-Werner Keller, *the bible as history*, London, 1983, p 69 .

- R. de vaux, "les patriaches Hébreux et l'histoire", *Revue Biblique*, 72, Paris, 1965, P5-28 .

(3)- فيليب حتي، *تاريخ سورية ولبنان وفلسطين*، د.ط، ج 1، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، 1951، ص 178.

(4)- أحمد سوسة، المرجع، ص ص 242، 269.

(5)- سفر التكوين 12: 1، 24: 4-5

إبراهيم الذي هو اسرائيل يصف نفسه وجده بالآرامي التائه فكيف يكون إبراهيم واسحاق ويعقوب آراميين ويهود؟، ثم لو كان ابراهيم قد قاد اليهود وعددهم 4000 شخص فكيف يكون آراميا تائها بحسب وصف حفيده يعقوب له؟، ولو كان هناك يهود في زمن إبراهيم الخليل فهذا يعني أن اليهود سبقوا يعقوب الذي هو اسرائيل، ولا يمكن عندئذ أن تكون كلمة يهود مرادفة لبني اسرائيل هذا إذا سلمنا أن اليهود من ذرية يعقوب (اسرائيل).

ولذلك فإن قولهم بوجود اليهود في زمن إبراهيم هو التأكيد على عدم انحدارهم من صلب إبراهيم، وإنما ينحدر هو وإسرائيل من أرومة أخرى وبالتالي من تكون؟، وإذا كان هناك يهود من غير عشيرة إبراهيم فكيف ينتمون إليه بحسب مآثر التوراة؟ ولو كان هناك يهود قادمين إبراهيم إلى أرض كنعان هل كان بإمكانه أن يزوج ابنه من إحدى بناتهم وتقر عينه بدلا من ارسال عبده إلى آرام النهرين أي عشيرته ليأخذ له زوجة منها<sup>(1)</sup>، وكذلك فعل اسحاق عندما أوصى ولده يعقوب بأن يذهب إلى حران ليأخذ له زوجة من هناك<sup>(2)</sup>، وكلاهما فعلا ذلك لكي لا يتزوجا من بنات كنعان<sup>(3)</sup>.

وكلمة (يهود) أو (اليهودي) اعتبرها الكتاب مرادفة لبني إسرائيل (عهد إبراهيم وإسحاق ويعقوب)، لم تستعمل إلا بعد عهد النبي موسى حيث نسب إلى مملكة ومنطقة يهوذا (586-931 ق.م) لذلك فهي تسمية متأخرة<sup>(4)</sup>، واستعمل مصطلح يهودي لأول مرة في العهد البابلي عندما كان اليهود في الأسر، فمنذ ذلك التاريخ استخدموا تسمية اليهود نسبة إلى مملكة (يهوذا)<sup>(5)</sup>، ذلك أن أكثرية الأسرى ينتمون إلى هذه المملكة، ولأول مرة وردت هذه التسمية (يهودي) في زمن الملك الأشوري (سنحاريب) (705-681 ق.م) عندما تحدث عن

(1)- سفر التكوين 24 ، 37.

(2)- سفر التكوين 28 : 1 - 2.

(3)- سفر التكوين 24 : 37 ، 28 : 1.

(4)- أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، د.ط، بغداد، 2000، ص21.

(5)- أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 21، كذلك أنظر :

انتصاراته على مملكة يهوذا فوصف (حزقيا ) ملك يهوذا (حزقيا اليهودي) أي المنتسب لليهود<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أن العديد من الكتاب ألفوا استعمال كلمة يهود نسبة إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب<sup>(2)</sup>، في حين أن الواقع اليهود لم يكونوا موجودين في عهد يعقوب، وابنه يهوذا وأنهم وجدوا بعد ظهور النبي موسى عليه السلام أي بعد عهد يعقوب بأكثر من 600 سنة، وعليه شاع استعمال اسم اليهود بعد السبي البابلي نسبة إلى مملكة يهوذا<sup>(3)</sup>.

ويذكر الكثير من المختصين ان اليهود اعتبروا بلاد الرافدين (العراق) وطنهم الأصلي لاقتناعهم أنهم نزحوا منه مع إبراهيم الخليل إلى كنعان، بل ذهبوا أبعد من ذلك عندما قالوا أنهم هاجروا من كنعان إلى الجزيرة العربية بعد أن شردهم الرومان في القرن الأول الميلادي<sup>(4)</sup>، وبالتالي فالجزيرة العربية موطنهم الثاني حيث يقول أحد علمائهم "إن أكثر الباحثين يتفقون على أن الجزيرة العربية هي موطن اليهود الأصلي إلا أن الدراسات الحديثة تؤكد أن يهود العرب هم عربا بالأصل وتهودوا فيما بعد لكنهم ظلوا محافظين على قوميتهم ولغتهم، دون أن تكون لهم صلة بيهود كنعان، وما ميزهم عن القبائل العربية هو المعتقد الديني<sup>(5)</sup>."

لقد كان اليهود على عقيدة التوحيد، وكذلك على عقيدة الاختيار الإلهي لبني إسرائيل وعقيدة توريث الأرض لإبراهيم ونسله من بني إسرائيل وكذا عقيدة المخلص المنتظر، ويذكر أخبار اليهود وفلاسفتهم أنّ اليهود يؤمنون بأنّ الله واحد وأنّ العبادة تليق به وحده، وهو منزّه عن التّجسيد، وهو الأوّل والآخِر، وهو عالم بأحوال البشر، وأنّه يجازي الذين يحفظون وصاياه،

(1) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 21.

(2) - Pritchard . J, *Archaeology and old testament* , princeton , 1952 ,p157.

(3) - علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الملل والأديان، موقع الدرر السنية ، 1433هـ، ص 120.

(4) - أحمد سوسة ، المرجع السابق، ص 22.

(5) - E.M , Burns , *Wedtern civilisation* ,N Y , Norton ,1982 , p 98.

ويعاقب من يخالفها، وأنّ هناك حياة بعد الموت، وأنّ اليهود يؤمنون بشريعة موسى وهي غير قابلة للنسخ ومن كتبهم العهد القديم (تناخ)<sup>(1)</sup>.

لقد عرف اليهود عبر تاريخهم تسميات عدة مثل العبرانيين، والإسرائيليين وبني إسرائيل واليهود، وتذكر الدراسات المتخصصة أنّ تسمية إسرائيل يعود إلى ورود ذكرهم في التّوراة، وتسمية اليهود الذين هادوا أو أصبحوا يهودا من اليهود الذين عاشوا في عهد النّبي صلي الله عليه وسلم، أمّا لفظة عبري فتشير إلى عبور (البحر الأحمر) عند خروجهم من مصر مع موسى عليه السّلام، أو لعبور نهر الأردن عند دخولهم فلسطين من الشّرق، وينسب أجدادهم الأوائل إلى إبراهيم عليه السّلام، ويرى بعض الباحثين أنّ لفظة عبري مشتقة من عابر، وهو أحد أسلاف إبراهيم عليه السّلام، أو من اسم إبراهيم عليه السّلام، حيث كان اسمه (إبرام) أو (برام)، ومنه اشتق اسم (إبراني) أو (عبراني)، وعبرانيون، وإسحاق، ويعقوب، وإلى الجدّات مثل سارة، وراحيل وأبنائهم<sup>(2)</sup>.

ووفقا للتّوراة فإنّ الله اختار شعبا يسير على تعاليمه وهو شعب إبراهيم عليه السّلام، وأنّ الله قطع عهدا بأن يجسّد ذلك في ذريّة يعقوب (بنو إسرائيل)، كما تذكر التّوراة أنّ إبراهيم عليه السّلام من نسل سام بن نوح عليه السّلام بعد الطّوفان، وتسلسله العاشر، وأنّه عاش في بابل الوثنيّة وعندما تبين صدقه وإخلاصه جاء الأمر بمغادرة "أور" الكلدانيّة مع أخيه لوط، وافترقا في بلاد (حاران)، فاستقرّ لوط في الأراضي المحيطة بنهر الأردن، ولمّا بلغ ظهر له الله، وأعلن له عهده، وأن يجعله إماما، وجعل أساس العهد أن يختتن كلّ ذكر من ذريّته لتكون علامة للطّاعة ودواما للعهد<sup>(3)</sup>.

وتشير الدّراسات الأثريّة إلى أنّ الختان عادة قديمة لدى عدد من الشّعوب القديمة، حيث أنّ الرّسوم المنحوتة على جدران معبد الكرنك دلّت على قدم هذه الظّاهرة حيث تعود حسب

(1) -نبيل الريبي، تاريخ يهود العراق (859 ق.م - 1973 م)، ط1، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 2017، ص17.

(2) - رشيد باني الظالمي، الميثولوجيا في النص التاريخي والديني، ط1، مؤسسة العارف للمطبوعات، دمشق، 2011، صص100، 99.

(3) - سفر التكوين 17: 13، 14.

الرّسم إلى 1300 ق.م، في حين رجّح البعض أنّها تعود إلى 2300 ق.م، وتجرى في المعابد من قبل رجال الدّين<sup>(1)</sup>.

تميّزت حياة بني إسرائيل في مصر بالرّفاه تحت رعاية أخيهم يوسف، الذي خصّص لهم أراضي زراعيّة في شرق الدّلتا (أرض جاسا)، من الشّرقية حاليًا، إلّا أنّهم عانوا فيما بعد من الاضطهاد والعنصريّة، وهنا كان ظهور موسى انتصارًا لهم، حيث التقى النّبيّ شعيب وتزوّج ابنته، ثمّ تمّ اختياره من طرف الله ليرسله ليخلّص بني إسرائيل من الظّلم، إضافة إلى قصّة موسى وفرعون، وقصّة العجل المصنوع من الدّهب في غياب موسى عليه السّلام<sup>(2)</sup>.

### أ. الحياة السّياسيّة وظهور الممالك اليهوديّة:

1. مملكة النبي داوود عليه السلام (1010-971 ق.م): تذكر دراسات المؤرّخين اليهود أنّ كلاً من داوود وسليمان عليهما السّلام كانا ملكين ولم يكونا نبيّين، وذلك ما يتعارض مع عقيدة المسلمين<sup>(3)</sup>، فقد كان داوود في بداية أمره مساعدا عسكريًا لشاؤول (طالوت)، ممّا دفعه للتخلّص منه غير أنّه، وسبب ذلك شجاعة داوود و مهارته وكفاءته، فهرب إلى بيت لحم في الضّفّة الغربيّة لنهر الأردن، وتذكر التّوراة أنّ داوود كوّن زمرة مسلّحة للغزو، وأنّه عمل مع زمرته في خدمة الفلسطينيين، الذين يحاربون بني إسرائيل، ودارت معركة بين بني إسرائيل والفلسطينيين قتل فيها الملك شاؤول في معركة جليوع<sup>(4)</sup> سنة 1004 ق.م، وقتلوا ثلاثة من أبنائه، إلّا أنّ أبناء قبيلة يهوذا ساحوا داوود، بل وعيّنوه ملكًا عليهم<sup>(5)</sup>.

وتذكر المصادر اليهوديّة أنّ داوود في نهاية عهده وسّع من رقعة مملكته، وهي أوسع مملكة في التّاريخ الإسرائيليّ وتمكّن من بناء مؤسّسات دولته، واتّخذ أورشليم مركزًا لحكمه، وعرفت

(1) - عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 142.

(2) - سفر الخروج 3 : 1 - 8، انظر كذلك: حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج9، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ص 528.

(3) - بنيامين الثاني، خمس سنوات في الشرق 1846-1881، مشكان، العراق، 2010، ص32.

(4) - جليوع: جبل في فلسطين في منطقة سبط يساكر جرت فيه معركة بين الفلسطينيين والملك شاؤول خسرها هذا الأخير قتل فيها ابنه يونانان، انظر

هنري س. عبودي المرجع السابق، ص 318.

(5) - سفر صموئيل الأول 31 : 1 - 8.

بمدينة داوود، وأنه أعاد تابوت العهد الذي أحذه الفلسطينيون وأعادته إلى أورشليم<sup>(1)</sup>، ويذكر بعض المؤرخين أنه أراد بذلك أن تكون هذه المدينة مركزاً لتجمع الأسباط الاثني عشر، أما عن امتداد هذه المملكة، فقد امتدت من جبل الكرمل وتل القاضي إلى جبل الشيخ شمالاً وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوباً، وإلى الصحراء شرقاً، وتعدّ حسب عدد من المصادر أعظم اتّساع حقّته مملكة إسرائيلية، ثمّ أقام علاقات طيبة مع جيرانه الفينيقيين في لبنان وساحل فلسطين الشمالي، وبعد وفاته خلفه ابنه سليمان<sup>(2)</sup>.

والملاحظ هنا أنّه رغم وفاته فإنّ رمزه المشهور نجمة داوود ظلّت من أهمّ رموز هويّة الشعب اليهودي، ففي عقائد الشريعة اليهودية ترمز النجمة السداسية إلى الأيام الستة التي خلق الله فيها الكون، كما ورد في الإصحاح الأول من سفر التكوين من العهد القديم، ويمثّل اليوم السابع قلب النجمة السداسية، وغالباً ما تعرف بنجمة داوود، وتذكر بعض الدراسات أنّ الدرع الذي استعمله الملك داوود في المعارك أثناء شبابه كان درعاً قديماً وأنه قام بلفه بشرائط من الجلد على هيئة نجمة سداسية، في حين تذكر دراسات أخرى أنّ رمز النجمة السداسية هو رمز التحرير اليهودي من عبودية 400 سنة قضاها في مصر، فالشكل المثلث للهرم يدلّ على التّصوّر الشّامل للسلطة، أمّا الهرم المقلوب فيعني الخروج عن السلطة<sup>(3)</sup>.

وتذكر بعض المصادر أنّ أقدم دليل أثريّ هو عبارة عن نجمة سداسية عشر عليها على شاهد قبر في مدينة (تورينتو) شرق إيطاليا وأنها تعود إلى القرن الثالث للميلاد، وتذكر مصادر أخرى أنه عندما تمّ العثور على أقدم نسخة من الكتاب المقدّس اليهودي في سانت بطرس برج (مدينة روسية) تاريخه يعود إلى 1010م، وأنّ هذا الكتاب مزين بنجمة داوود، ونفس النجمة زيّت بها مخطوطة قديمة للكتاب المقدّس المعروف باسم (التناخ) في طليطلة سنة 1307م، بل إنّ

(1) -نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص 18.

(2) - رشيد باني الظالمي، المرجع السابق، ص 115. وكذلك أنظر، نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص ص 20، 21، 22.

(3) - نفس المرجع، ص 21.



مؤسس الحركة الصهيونية (تيودور هرتزل) جعل منها رمزا لهذه الحركة في مؤتمر بازل، وأصبحت شعارا رسميا لإسرائيل<sup>(1)</sup>.

## 2. مملكة النبي سليمان عليه السلام (970-932 ق.م):

لقد تولّى الحكم بعد وفاة والده داوود، وتذكر المصادر اليهودية أنه في عهده بدأت مملكة أبيه تنقسم، ففرّق الأسباط وتمزّق عقد رابطهم الذي حافظ عليه أبوه، وأصبح حكمه يقوم على المداينة والتّفاهم، ومن ذلك أنه استعان بفرعون مصر (شيشنق) للانتقام من الكنعانيين وحرّق مدينة جازر (مدينة كنعانية قديمة)، وأصبح بذلك لمصر نوع من النّفوذ، وقد تعايش مع الشّعوب المجاورة له، كالموآبيين، العمونيين، الآدوميين، الصّيدويين والحثيين، حتّى أنّ بعض الدّارسين يرى أنّ النبيّ سليمان تزوّج من 700 امرأة مع 300 من السّوّاري، ولعلّ أهمّ انجاز حقّقه النبيّ سليمان هو بناء الهيكل الذي عرف باسمه (هيكل سليمان) بمساعدة صديقه الصوريّ (أحيرام) بالعمال المهرة، واستغرق البناء 7 سنوات وبلغ عدد عمّاله حوالي 30000 عامل من الكنعانيين، ومواده فينيقية، وعليه نقوش كنعانية لذلك يرى الباحثون أنّ بني إسرائيل انتقلوا من عبادة يهوه (إله اليهود) في خيمة<sup>(2)</sup> متنقلة إلى عبادته في هيكل حجريّ، والملاحظ أنّ فرعون مصر هجم على مملكة يهوذا ونهب كنوز الهيكل، ونفس العمل قام به (يوآش) ملك المملكة الشماليّة، وكذلك انطيوخ الرابع (164-295)، ثمّ بومبي الإمبراطور الرومانيّ وكذلك براسوس<sup>(3)</sup>.

رغم ذلك فلقد تمّ بناء هيكل ثانٍ من قبل الملك هيروود (27 ق.م) الذي عينه الرومان حاكما يحمل لقب ملك، إلّا أنّ تيتوس الإمبراطور الرومانيّ هدمه سنة 70م، ويرى رجال

(1) - تيودور هرتزل، الدولة اليهودية، د.ط، لندن، 1896، ص ص 17، 18.

(2) - الخيمة: في الشريعة اليهودية كانت تدل على كل بناء له سقف سواء كان طبيعيا أو صناعيا، أنظر: الحاخام عادين شتينزلتس، معجم امصطلحات التلمودية، ط 19، تر: مصطفى عبد المعبود السيد، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، مصر، 2006، ص 17.

(3) - نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص ص 22، 23.

الذين اليهود أنه لابد من إعادة بناء الهيكل من جديد، ويرى آخرون منهم موسى بن ميمون أن الهيكل لم يبنى بأيدي بشرية، ولكن جميع اليهود مذنبون بسبب ملامستهم للمقابر والموتى<sup>(1)</sup>.

استمر حكم النبي داوود وابنه سليمان حوالي 80 عام، وتذكر المصادر أنه بعد وفاة النبي سليمان اجتمع ممثلو قبائل بني إسرائيل الإثني عشر في شكيم قرب نابلس لمبايعة (رحبعام) بن سليمان، إلا أن ممثلي عشر قبائل رفضوا مبايعته لأنه لم يعدهم بتخفيض الضرائب، ووافقوا على (يربعام) بن نباط من قبيلة أفروديم ملكا وأطلقوا اسم إسرائيل على مملكتهم وعاصمتها شكيم (ثم ترزة فالسامرة)، وتقع شمال فلسطين، حيث استمرت من (923-721 ق.م)، والملاحظ أن التوراة تصف ملوك وزعماء هذه المملكة بأنهم كانوا جميعا عصاة آثمين إلى درجة لا تقبل التسامح، كذلك ملوك يهوذا لم يكونوا على طاعة وولاء كامل لله<sup>(2)</sup>.

والجدير بالذكر أنه في عهد الملك (يربعام الثاني) (785-745 ق.م) وهو ثالث ملوك سلالة يهوذا توسعت مملكته على حساب الأدميين، لكن ذلك لم يدم طويلا أمام ظهور الملك الأشوري تجلات بلاصر الثالث (745-727 ق.م)، مما قلص من توسع الملك يربعام الثاني، بل إن كلاً من الملك شلمنصر الخامس (726-722 ق.م) ومن بعده سرجون الثاني (722-705 ق.م) قاما بتأديب الملك "هوشع" آخر ملوك بني إسرائيل، وقضى على دولته سنة 721 ق.م<sup>(3)</sup>.

**ب. السبي الأشوري وانهايار المملكة الشمالية:** تعرّض اليهود للسبي والنفي على يد الآشوريين، فقد قام الملك "تجلات بلاصر الثالث" بقيادة حملة كبيرة على مجموعة من الممالك آنذاك وألحقها بدولته، في حين تعرّض سكان هذه المناطق للترحيل، وطبق الآشوريون سياسة الإبعاد وإعادة تعمير الأراضي، وكان لهذه السياسة أهداف عديدة من بينها: توسيع الإمبراطورية وغرس الإرهاب والرعب في نفوس المنهزمين باتّباع أسلوب الأسر للأهالي وتدمير القرى وإزالتها من الوجود لمنع أي مقاومة من طرفهم، ومن الناحية الاقتصادية فتجنيد المنفيين

(1) -نبيل الريعي، المرجع السابق، ص 23.

(2) - شاهين مكاريوس، تاريخ الاسرائيليين، د.ت، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 25.

(3) - رشيد باني الظالمي، المرجع السابق، ص 23.

داخل الجيش سيجلب قوّة بشرية إضافية وأساليب عسكرية جديدة مع ضرورة إخضاعهم للرقابة المستمرة، إلى جانب توفير اليد العاملة في القطاع الزراعي خاصة في المناطق المفتوحة أو الخالية من السكان لزيادة الإنتاج، في هذا المجال سار "تجلات بلاصر" إلى تطبيق سياسته الجديدة في مملكة إسرائيل حيث أنّ سجلاته تذكر أنّ عدد المنفيين قد بلغ 13500 شخصا، وإذا سلّمنا أنّ هذه الأرقام حقيقية فهي تبين أنّ التهجير كان على نطاق واسع<sup>(1)</sup>.

ب وفاة "تجلات بلاصر الثالث" خلفه "شلمنصر الخامس" فسار على درب والده متبع سياسته تجاه مملكة إسرائيل التي كان يحكمها الملك "هوشع" (732-724 ق.م) الذي امتنع عن دفع الجزية التي كانت مقررة كلّ سنة لملك آشور، وتحالف مع فرعون مصر (تف نخت)<sup>(2)</sup> إلا أنّ التوراة تذكره بالاسم "سو"<sup>(3)</sup>، فما كان من شلمنصر إلا أن قاد حملة على مملكة إسرائيل وحاصر السامرة ليقترحها ويقوم بعد ذلك بتهجير جزء من سكانها إلى مناطق آشورية بعيدة لتوطينهم وفي نفس الوقت قام بجلب سكان آخرين من مناطق أخرى لتوطينهم في السامرة<sup>(4)</sup>.

وبعد وفاة "شلمنصر الخامس" تولّى الحكم من بعده "سرجون الثاني" الذي قضى على مملكة إسرائيل وقد اتّبع سياسة من سبقوه في تهجير سكانها، والمصادر الآشورية<sup>(5)</sup> تذكر أنّ الملك "سرجون الثاني" قام بسبي (27290) من سكان السامرة وأرسلهم إلى بلاد الرافدين، وعرف ذلك عند المؤرخين بالسبي الآشوري الذي كان سابقا للسبي البابلي (587 ق.م)

(1) - فنكلشتاين ونيل إشرسيلرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، د.ط، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2007، ص 32، وكذلك انظر: سفر الملوك الثاني 15:29.

(2) - باقر ياسين، شخصية الفرد العراقي، (ثلاث صفات خطيرة تناقض التسلسل، الدموية)، ط3، دمشق، 2013، ص 55.

(3) - سفر الملوك الثاني 17: 4، 5، وهناك خلاف حول اسم الفرعون (سوا) وربما يقصد به الفرعون (اوسركون الرابع) (730-715 ق.م) من الأسرة الثانية والعشرون، انظر: محمد بيومي مهران، إسرائيل، ط1، ج2، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999م، ص216.

(4) - إسرائيل فنكلشتاين وشر نيل سيلبرمان، المرجع السابق، ص269، وكذلك انظر: سفر الملوك الثاني 17: 24..

(5) - طه باقر، المرجع السابق، ص566. وكذلك انظر: دونالد ريدفورد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، ط2، تر: بيومي قنديل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص394

للمملكة الجنوبية بحوالي قرن ونصف، ويذكر أحد المؤرخين قيام سرجون بنقل سكان السامرة إلى آشور، وأنه أحضر سكان بلاده للعيش في السامرة<sup>(1)</sup>.

تولّى الحكم بعد "سرجون الثاني" ابنه "سنحاريب" (705 - 681 ق.م)، وامتاز حكمه بتنامي الاضطرابات في أطراف الإمبراطورية وامتنتت الأقاليم عن دفع الجزية لأشور على غرار كل من ممالك (عفرون، لاخيش، صور، صيدا)<sup>(2)</sup>، كما تحالف ملك بابل "مردوخ بلادان" (702 703 ق.م) مع ملك يهوذا "حزقيال" (715 - 686 ق.م) الذي كان يتلقى الدعم من مصر التي أرادت استعادة سيطرتها ونفوذها في المنطقة<sup>(3)</sup>، وقد سعى النبي "اشعيا" إلى تحذير "حزقيال" من عواقب هذا الأمر، لكنّ هذا الأخير لم يكثرث للأمر<sup>(4)</sup>.

استمر الملك "حزقيال" في تمردّه على المملكة الآشورية وكانت مصر تشجعه على ذلك ووسّع في تحالفاته مع الدول المجاورة، وبدأ في حفر قناة طولها (1700 قدم (518 متر) في الصخر ليوفّر الماء للسكان في حالة حصارها من طرف الآشوريين، مما أثار غضب "سنحاريب" فقام سنة 701 ق.م بحملة كبيرة على مملكة يهوذا مصمّما من خلالها على تدميرها والقضاء عليها، فدخل الجيش الآشوري مناطق الرّيف وعات فيها فسادا، وبالرغم من أنّ "سنحاريب" لم يقيم بإسقاط أورشليم، لكنّه أجبر ملك يهوذا مجددا على دفع الجزية والاعتراف

(1) - إدرجون، الأحجار تتكلم، (علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس)، ط4، تر: عزت زكي، دار النشر الأسقفية، القاهرة، مصر، 2000، ص 110.

(2) - عقرون: إحدى المدن الفلسطينية الرئيسية، ذكرت على مسلة "سنحاريب" التي يروي فيها انتصاراته في الشاطئ الفلسطيني قرابة العام 700 ق.م، انظر هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 613.

- لاخيش: مدينة كنعانية قديمة يرجح أن يكون موقعها في تل الدوير في الجنوب الغربي من بيت جبرين، انظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 745.

- صور: مدينة فينيقية تأسست في الألف الثالث ق.م فوق جزيرة صغيرة قريبة من الشاطئ، كانت صور مدينة مزدهرة تابعة لصيدا في عصر تل العمارنة وقد تحالفت مع مصر لتتحرر من هيمنة صيدا في القرن الرابع عشر ق.م وحاولت صور التحرر من الهيمنة الآشورية بتأمرها مع يهوذا و مصر، وفرض عليها شل منصر الثالث الجزية، لكنها حاولت التمرد من جديد فحاصرها "سنحاريب" و"أسرحدون" و"أشور بانيبال"، لتستسلم في الأخير للكلدانيين على يد نبوخذنصر الثاني سنة 573 ق.م. انظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 552، 553.

- صيدا: الاسم الحالي لمدينة صيدون الفينيقية، وهي مدينة على شاطئ البحر المتوسط، دمرها "أسرحدون" الآشوري في سنة 678. انظر هنري س. عبود، المرجع السابق، ص 557.

(3) - عصام كامل مخيمر، المرجع السابق، ص 127.

(4) - سفر اشعيا 20.

له بالسيادة الآشورية وعليه أن يبعث بناته ونساء القصر إلى "سنحاريب" مع كنوز ثمينة بعد العودة إلى نينوى<sup>(1)</sup>.

وتذكر المصادر الآشورية أنّ الملك "سنحاريب" قد أسر خلال حملته على "يهودا" حوالي 150 إلى 200 أسير من عظماء هذه البلاد ورجالها ونسائها، واستولى على الكثير من الغنائم، وأعطى المدن التي استولى عليها لخصمه ليضعف مملكة "يهودا"<sup>(2)</sup>، وبعد اغتياله تولّى الحكم ابنه "أسرحدون" (680-669 ق.م)، ويعتبره الدارسون من أقوى ملوك آشور، حيث كان الملك "منسي" ملك يهوذا يرسل إليه الخشب والحجارة لبناء قصره في نينوى عاصمة الآشوريين، أمّا في عهد (أشور بانيبال) (669-626 ق.م) فقد اتّبع سياسة أبيه (أسرحدون)، حيث فرض السيطرة على كلّ من مصر وفلسطين<sup>(3)</sup>.

وبعد وفاة "حزقيال" اعتلى العرش ابنه "منسي" ثمّ خلفه "أمون" الذي تولّى الحكم لمدة عامين فقط، ليخلفه "يوشيا" (640-609 ق.م)، لتسقط الدولة الآشورية على يد الكلدانيين سنة 612 ق.م<sup>(4)</sup>.

**ج. أوضاع اليهود الأسرى في العهد الآشوري:** اتّسمت المعاملة الآشورية للأسرى اليهود بتوزيعهم وتشتيتهم في عدّة أماكن متفرّقة ومنعزلة وبعيدة، حتّى لا يتمكّنوا من التّجمّع في مكان واحد وبالتالي القضاء على أيّ أمل لديهم في العودة إلى المناطق التي رُحلوا منها، فاختار لهم الآشوريون المناطق الشماليّة الجبلية في بلاد الرافدين<sup>(5)</sup>، وتذكر أغلب الدّراسات أنّهم استقروا في كردستان، وكونوا قرى خاصّة بهم واندمجوا مع المجتمع هناك، ومنهم من اندمج مع السكّان الوثنيين والمسيحيين عند ظهور المسيحيّة، ومارسوا الزراعة وتربية المواشي، وانتشروا في المناطق الرافديّة، وعملوا في صياغة الذهب والتّجارة والحيّاكة<sup>(6)</sup>.

(1) - عصام كامل مخيمر، المرجع السابق، ص 129، 128.

(2) - إدر جون، الأحجار المرجع السابق، ص 114.

(3) - نفس المرجع، ص 118، 117.

(4) - روجي غارودي، المرجع السابق، ص 138.

(5) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 31.

(6) - عبد الكريم فيصل، يهود العراق ماضيهم، مستقبلهم، مجلة دنيا الوطن، فلسطين، العدد 12، 2004، ص 6.

كان عدد الأسرى قليلا قدره بعض الباحثين بحوالي 3000 نسمة<sup>(1)</sup>، مع وجود اختلاف بين المؤرخين في إحصاء عدد اليهود في العراق في مختلف الفترات التاريخية، من ذلك يذكر الرحالة الإنجليزي (ولستد) أنّ عددهم في بغداد بلغ حوالي 7000 يهودي سنة 1830، وفي مطلع القرن التاسع عشر قدر عددهم بـ 2500 أسرة يهودية في بغداد، وفي التسليماتية 300 أسرة، وهم موجودون بنسب مختلفة في مدن أخرى<sup>(2)</sup>، ولقد حافظ اليهود على وجودهم في المنطقة على مرّ العصور، ولم يتعرّضوا إلى التّفّي والاضطهاد، أو الهجرة إل الخارج في الفترة التاريخية<sup>(3)</sup>.

**د. السبي البابليّ وسقوط مملكة الجنوب:** ظهرت الإمبراطورية البابليّة (الكلدانيّة) بعد سقوط الإمبراطوريّة الآشوريّة، وبلغت دولتهم مراحل متطوّرة ومزدهرة من تاريخها في عهد "نبوخذنصر الثاني" (605 – 562 ق.م) خليفة "نبواصر" (626 – 605 ق.م) والذي استطاع خلال حكمه احتلال مملكة يهوذا بمساعدة "الأيدوميين"<sup>(4)</sup> بعد قطعه الاتّصال بينها وبين مصر<sup>(5)</sup>، فالتّوراة تذكر أنّ "نبوخذ نصر" هزم الجيش المصريّ بقيادة الملك "نخاو الثاني" (610-595 ق.م) في معركة "قرقيش" قرب نهر الفرات كما أخضع بلاد سوريا، وأجبر ملك "يهوذا" على الاعتراف بالسيادة الكلدانيّة "على أراضيها"<sup>(6)</sup>، وقد مرّ الاحتلال بمرحلتين:

**- المرحلة الأولى في سنة 597 ق.م:** وتمّ فيها احتلال المملكة وإلقاء القبض على حاكمها (يهوياكين) وعين مكانه عمه الملك "صدقيا"، والذي عاهد على تقديم فروض الطّاعة والولاء

(1) - يوسف رزق الله غنيمه، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924، ص 49.

(2) - نبيل الريبي، المرجع السابق، ص 30. وكذلك انظر: الحنبلي أبي العلا عبد الحي ابن عماد، شذرات في أخبار من ذهب، د. طبع، بيروت، 1996، ص 82.

(3) - يعقوب يوسف كوريه، يهود العراق تاريخهم، أحوالهم هجرتهم، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ص 5.

(4) - الإيدوميين: إحدى الجماعات السامية التي كانت تقطن أرض كنعان، ويعدون الأعداء التقليديون للإسرائيليين، حارهم شاول، وضم داود أجزاء من أرضهم، واستمر سجال الحرب بين الطرفين إلى أن تمكن هركاتوس (رئيس كهنة بني اسرائيل) من هزيمتهم وتحويلهم عنوة، ومنذ ذلك الحين أصبحوا جزءا من الشعب اليهودي وكان هيرود ملك اليهود أدوميا. انظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 63.

(5) - روجي غارودي، المرجع السابق، ص 138.

(6) - التوراة، سفر الملوك الثاني 24: 6. وكذلك انظر: أحمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 326.

والجزية لـ "نبوخذ نصر" وتمّ خلال هذه المرحلة ترحيل الحاكم السابق وأفراد عائلته ومجموعة من السكّان إلى بابل<sup>(1)</sup>.

-المرحلة الثانية في سنة 586 ق.م: وفيها أعلن "صدقيا" التمرد، فجهز نبوخذ نصر حملته على مملكة يهوذا وكان على رأس جيشه، فاحتلّ أورشليم وقام بتخريبها وأحرق الهيكل وبيوت الملك والأعيان، وقاد العديد من الأسرى إلى بابل ليلتحقوا باليهود الذين تمّ سبيهم في المرحلة الأولى<sup>(2)</sup>.

تمّ العثور قرب بوابة "عشتار" على 300 لوحة أثرية تحمل كلّ منها تاريخاً، وفي إحدى هذه اللوحات والتي كانت تؤرّخ سنة 592 ق.م ودوّنت عليها قائمة بالأوامر التي كانت تعطى لأسرى بابل ومنهم الملك (ياهوياكين)<sup>(3)</sup>، وتذكر الدراسات التاريخية أنّ ظاهرة التمرد ضدّ السيطرة الكلدانية بدأت آنذاك في المناطق الخاضعة للكلدانيين، من ذلك أنّ ملك مصر (خفرع) (570-589 ق.م) كان من المحرضين على النفوذ الكلداني، ولقي هذا التحريض استجابة لدى مملكة يهوذا التي تحالفت ضدّ بابل الكلدانية<sup>(4)</sup>.

وتذكر المصادر الدينية أنّ النبيّ "أرميا" طلب من الملك "صدقيا" عدم مقاومة بابل والخضوع لسلطة ملكها لأنّها مشيئة الرّب، وكلّما اقتربت جيوش بابل من "يهوذا" زاد "أرميا" من تحذيراته للملك "صدقيا"، وخاطب بني إسرائيل حتّى لا يقاوموا ملك بابل، واعتقد "أرميا" أنّه لا فائدة من محاربة بابل، لأنّ الرّب يريد أن يعاقب مملكة يهوذا، وشعبها لما اقترفوه من

(1) - حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني، د. ط، المؤسسة العامة للتراث، بغداد، العراق، د. ت، ص 68، 69. وكذلك انظر: سفر الملوك الثاني 24: 15، 16، 17.

(2) - أحمد سوسة، العرب واليهود، المرجع السابق، ص 93. وكذلك انظر: سفر أرميا 40: 11، سفر الملوك الثاني 25: 1، فقد ورد في سفر أرميا أنّ الأسرى قد تمّ على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى (597 ق.م) عدد الأسرى 2023، المرحلة الثانية (589 ق.م) وعدد الأسرى بلغ 832 أسير، المرحلة الثالثة (581 ق.م) وعدد الأسرى 745 أسير، فيكون بذلك مجموع الأسرى 4600 أسير، بينما نجد في سفر الملوك الثاني أنّ عدد المسبيين على يد نبوخذ نصر سنة 597 ق.م، 8000 أسير من مملكة يهوذا.

(3) - نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص 35.

(4) - رشدي البدروي، أنبياء بني إسرائيل، ط 1، ج 5، مصر، 2001، ص 369.

الشّرور والمفاسد<sup>(1)</sup>، في حين يذكر بعض المؤرّخين أنّ "أرميا" أراد من وراء دعوته للاستسلام التقليل من الخسائر التي ستلحق قومه لأنّهم لن يتمكنوا من تغيير مشيئة الله<sup>(2)</sup>.

وأثبتت الدّراسات الأثريّة وقوع تدمير كامل لمدينة "لخيش" سنة 588 ق.م وعثر على أنقاض محترقة دلّت على حرق المكان بأكمله، وتمّ الكشف عن مقبرة جماعيّة ضمت حوالي ألف من القتلى، وعليه سيطرت بابل على جنوب مملكة يهوذا<sup>(3)</sup>، ثمّ حاصر (نبوخذ نصر) مدينة أورشليم لمدة 18 شهرا حتّى نفذت مؤونتها وهرب ملكها (صدقيا) وعائلته ليلا، لكنّ الجيش الكلدانيّ قبض عليه في "أريحا"، وأمر بقتل أولاده أمام عينيه وكبار رجال مملكته، وقلعت إحدى عينيه و قيّد بالسّلاسل وأرسل إلى بابل<sup>(4)</sup>.

بإقدام "نبوخذنصر" على تدمير هيكل سليمان، أصيب اليهود بصدمة كبيرة، واعتبروه حدثا عظيما أكبر من تدمير أورشليم نفسها، فللهيكل رمزيّة و قدسيّة هامة لليهود، إضافة إلى قيمة الهيكل باعتباره موخّدا لهم على عبادة واحدة، وبسقوط أورشليم على يد قائد جيش الملك "نبوخذ نصر" "نيوزردان" دمر هيكل الملك سليمان وأتت الحرائق على جميع مكّوناته ومحتوياته بما فيه تابوت العهد ومحتوياته، ومنها نسخة التّوراة الأصليّة التي دوّنها النّبي موسى بيده<sup>(5)</sup>، وهذا ما آلم اليهود كثيرا، حيث يرى بعض المؤرّخون أنّ بعض الحاخامات رأوا في هدم الهيكل عقابا لهم على ما اقترفوه من ذنوب، وأخذ بهذا الرّأي المسيحيّون الذين اعتبروا اليهود قد ارتكبوا ذنبا بإنكارهم نبوّة المسيح بن مريم<sup>(6)</sup>.

(1) - سفر أرميا 32: 1، 2، 3.

(2) -رشدي البدرأوي، المرجع السابق، ص 369.

(3) -نفس المرجع، ص 370.

(4) -فلافيفوس يوسفوس، تاريخ اليهود، ط1، تر: الراهب انطونيوس الأنطوني، شركة الطباعة المصرية، 2006، ص 13. وكذلك انظر: سفر إرميا 39: 7 - 1.

(5) -رشدي البدرأوي، المرجع السابق، ص 372.

(6) - انترمان آلان، اليهود وعقائدهم الدينيّة وعبادتهم، ط1، تر: عبد الرحمان الشيخ، مصر، 2004، ص 264.



هـ. أوضاع اليهود في العهد البابلي (الكلداني): اختلفت آراء المؤرخين حول عدد اليهود الذين تمّ سبيهم إلى أرض بابل، فبعض الآراء تذهب إلى أنّ عددهم بلغ 70000 يهودي، ولم يُترك إلاّ المساكين والمزارعون<sup>(1)</sup>، ومن جزاء هذا السبي انتشر اليهود في عدّة دول كبابل، آشور، مصر، وكوّنوا جماعات عديدة وعرفوا بيهود الشتات، واختلطوا بالعديد من الشعوب<sup>(2)</sup>، ويذكر أحد الباحثين التقاء أسرى السبي البابليّ بأسرى السبي الأشوريّ قائلاً: " إنّ قوافل من السبي البابليّ شاهدوا أبناء جلدتهم جالية ضخمة من أعقاب "شلمنصر وسنحاريب، وأسرحدون" فتعانقوا معانقة أعزّ الإخوان، وتعاونوا في مفاهم على حفظ كيانهم وصيانة تقاليدهم من كلّ مسّ"<sup>(3)</sup>.

وفي العصر الكلدانيّ سيق العديد من اليهود إلى بابل<sup>(4)</sup>، كان أكثرهم من القادة والطبقة المثقفة، وقد لاقوا معاملة طيبة وكانت لهم الحرية في ممارسة شعائرهم الدينيّة<sup>(5)</sup>، ومنحت لهم مستعمرات أقيمت خصيصاً لهم، فكانت لهم مؤهلات ساعدتهم على الحفاظ على تراثهم القوميّ، اندمجوا في الحياة اليوميّة البابليّة، وزاول البعض منهم التجارة، الصناعات والزراعة، وظلّ فريق منهم يشدّه الحنين لأورشليم<sup>(6)</sup>، فنشأ بينهم زعيم روحيّ "حزقيال" الذي كان يبعث فيهم الإيمان<sup>(7)</sup>، وقد حاول بعض المتديّنين منهم الحفاظ على هويّتهم اليهوديّة خوفاً من تأثيرات الحضارة البابليّة، خاصّة عقائد البابليين الوثنيّة، حيث عمل هؤلاء المتديّنون على دعوة اليهود إلى الحفاظ على تماسكهم وكيانهم المميّز، وحسب المؤرخين فإنّ هذا الأمر أدّى إلى ظهور شخصيّة "الرابي" بين يهود الشتات<sup>(8)</sup>.

(1) - فلافيوس يوسيفوس، المرجع السابق، ص 14.

(2) - نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص 39، 40. وكذلك انظر: وصفي مكسيموس، المرشد الجغرافي للعهد القديم، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، الإسكندرية، 1994، ص 108.

(3) - يوسف رزق الله غنيمّة، المرجع السابق، ص 49.

(4) - سفر الملوك الثاني 25:11.

(5) - رشاد الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة (عن كتاب فون ناجوت جلوب: السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين)، ط 1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2001، ص 130.

(6) - اسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، د. ط، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1968م، ص 6.

(7) - سفر حزقيال 26:1.

(8) - نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص 41.

ويجمع الكثير من المؤرخين أنّ أكثرية اليهود في فترة السبي البابلي حقّقوا نجاحا كبيرا في مجال الزراعة والتجارة، وجمعوا المال الوفير، ووظّفوه للسيطرة على الجميع، حيث أصبحوا في مدّة قصيرة أغنى سكّان المنطقة، وساهموا في الكثير من أمور الدولة خاصّة عن طريق الصّيرفة، ووضعوا خبرتهم في خدمة الحكّام منذ فترة السبي البابلي<sup>(1)</sup>، ويذكر المؤرّخون بعض أسماء المصارف المشهورة مثل مصرف (أولاد مرشوع في فترة 400-460 ق.م)، وهي مؤسّسة ماليّة كبيرة عرفت باسم (إيجيبي) وتعني (عندي أو بجوزي)، مركزها بابل<sup>(2)</sup>، وكان لهذه المؤسّسة فروع في العالم القديم، تقوم بالتعاملات الماليّة المختلفة، وعقد الصّفقات العقاريّة، وتجارة الرقيق، وإقراض المال بالرّبا وتحويل الأموال (الحوالات) من مدينة إلى أخرى<sup>(3)</sup>.

ويذكر المؤرّخون أنّ تلك المؤسّسة بلغت قمّة مجدها في عهد (نبوخذنصر)، ثمّ تخصّص أحفاد هذه المؤسّسة (إيجيبي)، في الصّيرفة والائتمان ويلاحظ أنّ هذا التّوجه الاقتصاديّ حتّت عليه نصوص التّوراة والتلمود، حيث ألتّ على ضرورة اهتمام اليهود بالمال وجمعه<sup>(4)</sup>.

و. اليهود في ظلّ الحكم الفارسيّ في بلاد الرافدين: شهدت المملكة البابليّة (الكلدانيّة) أزهى عصورها في عهد الملك (نبوخذنصر)، حيث بوفاته سنة 562 ق.م حلّ الضّعف بهذه الإمبراطورية وكان آخر ملوكها (نابونييد) ضعيفا وكثرت عليه التّمردات، ولم يتمكّن من السيطرة عليها بعد أن توسّعت رقعتها<sup>(5)</sup>، وبالمقابل عاصر الملك الفارسيّ (قورش)، الذي تمكّن من هزيمته وحقّق انتصارا كبيرا على الجيوش البابليّة، ودخل بابل دون قتال، إلا أنّ بعض المصادر تذكر أنّه دخل المدينة بتواطؤ الكهنة اليهود سنة 538 ق.م<sup>(6)</sup>.

(1)-محمد علي رضا آل جاسم، الإئتمان والصيرفة في العراق القديم، ط1، بمطابع دار التضامن، بغداد، 1964، ص 15.

(2)-يعقوب يوسف كوريه، المرجع السابق، ص 36، 35.

(3)-محمد علي رضا آل جاسم، المرجع السابق، ص 15. وكذلك انظر، نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص 42.

(4)- أحمد سوسة وآخرون، "اليهود العراقيون لمحات تاريخية"، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد 22، جامعة بغداد، 1977، ص 190.

(5)-رجاء عبد الحميدعراي، سفر التاريخ اليهودي، ط1، الأوائل للنشر و التوزيع، دمشق، 2004، ص 231.

(6)-نفس المرجع، ص 232، 233.

استطاع هذا الملك الملقب بـ (قورش العظيم) أن يكون إمبراطورية قوية في القرن السادس ق.م، فهو مؤسس المملكة الأخمينية المعروفة باسم (أسرة الملوك العظام)، تميّزت فترتها حسب المؤرخين بأنها من أزهى الفترات في تاريخ فارس، حيث تمكن (قورش) من تنظيم الجيش أحسن تنظيم، وتحقيق انتصارات كبيرة، ووصف بالحارب النبيل، ذلك أنه رغم قوته وسيطرته إلا أنه كان متسامحاً مع أعدائه، فلم تكن من مميّزاته تدمير ونهب البلدان التي يسيطر عليها، كذلك وصف بأنه ترك لمختلف الشعوب الخاضعة له حرية ممارسة معتقداتهم وطقوسهم الدينية، فلم يخرب المعابد، وتذكر بعض الدراسات أنه ساهم بماله في المحافظة على أضرحة هذه الشعوب، مما جعل البابليين يلتقون حوله لأنه أحترم آلهتهم وحافظ على معابدهم<sup>(1)</sup>.

انتقلت المدن الخاضعة لبابل والتي بها اليهود إلى سلطة (قورش) الذي أبدى تسامحاً كبيراً تجاه اليهود، وفي سنة 538 ق.م، أصدر مرسوماً يضمن لليهود السبي العودة لفلسطين وإعادة بناء الهيكل، الذي دمّره (نبوخذ نصر) سنة 587 ق.م، إلا أن الأقلية منهم الذين وافقوا على العودة<sup>(2)</sup>، وأغلبهم فضّلوا البقاء في بلاد الرافدين خاصة وأنهم طوّروا أعمالهم وأصبحوا أثرياء<sup>(3)</sup>، والملاحظ أنه خلال هذه الفترة من تاريخ اليهود في بلاد الرافدين ظهر جزء كبير من الأدب اليهودي، وانتشار العديد من الحلقات التلمودية، والمؤسسات الثقافية اليهودية، والتي أصبحت مركزاً أساسياً تجمع فيه هدايا بلاد فارس وبلاد الرافدين وبلاد العرب لبناء هيكل أورشليم<sup>(4)</sup>.

وتجمع الدراسات أنّ اليهود كانت حياتهم مستقرة بشكل كبير، خاصة وأنّ الفرس عاملوهم بالحسنى، حيث منحوهم الحرية الدينية وامتيازات أخرى عديدة، فاشتغلوا في التجارة، الزراعة وأعمال أخرى، وأصبحت أوضاعهم مريحة، ولقد سار الفرس على خطى

(1) - هارفي يورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 1991، ص 154، وكذلك انظر: الدر جون، المرجع السابق،

ص125، ول ديورانت، المرجع السابق، مج1، ص 403، عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص189.

(2) - ول ديورانت، المرجع السابق، ص 403.

(3) - نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص 52.

(4) - خلدون ناجي معروف، الأقلية في العراق، 1921-1952، ط1، ج1، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، 1975، ص31.

البابليين في التعامل مع اليهود، فعينوا رئيسا منهم يدير شؤون يهود السبي، ويذكر عدد من المؤرخين أنّ اليهود استمروا في طاعة الفرس بعد وفاة الملك (قورش)، فأغدقوا عليهم الأموال، بل أنّ الملك (قورش) تزوج من "أستير" سنة 479 ق.م، وجعلها ملكة على بلاد فارس، رغم أنّها من يهود السبي<sup>(1)</sup>.

وفي العهد الفارسيّ حققت المؤسسة الدينيّة والثقافيّة اليهوديّة تقدّما كبيرا، مستغلّين التسامح العامّ الذي ساد المنطقة، ومنهم من حقّق الكثير من الاستقلاليّة في مختلف شؤونهم العائليّة والدينيّة، ممّا مكّنهم من تحرير التلمود البابليّ وأسسوا معاهد علميّة ودينيّة مثل: سور وقومبيثا، ونظّموا حياتهم تحت زعامة رئيس الطائفة (الأكسيلاخ)<sup>(2)</sup>.

**ي. عودة اليهود من السبي:** تمثل عودة اليهود إلى فلسطين حدثا هامّا في تاريخهم فالعودة الأولى كانت سنة 538 ق.م، بمساعدة الملك الفارسي (قورش)، إكراما لزوجته اليهوديّة "إستير"، وقدّرت بعض المصادر عددهم بـ (49697) شخصا<sup>(3)</sup>، ولقد تمّت العودة بعد القضاء على مملكة بابل، حيث سمح قورش لليهود بالعودة إلى فلسطين، وكان قائد اليهود العائدين هو (زروبابل) حفيد (ياهوياكين) ملك "يهوذا"<sup>(4)</sup>، وقدّرت التوراة عدد العائدين بـ: 42360 فرد، ومن الكهنة: 4487، من اللاويين: 74، أمّا العبيد والإماء فبلغ عددهم 7357 فرد<sup>(5)</sup>.

أمّا عودتهم الثانيّة فكانت سنة 458 ق.م، وقادهم فيها "عزرا" وهو كاهن نسبه إلى أليغازر بن هارون النبيّ، تلقّى الكثير من التبرّعات والهدايا لترميم الهيكل، وقد حاول الكاهن "عزرا" إصلاح أمور اليهود في فلسطين، بعد العودة الثانيّة من بلاد السبي<sup>(6)</sup>، فعمل على

(1) - فلافيوس يوسيفوس، المرجع السابق، ص 17. وكذلك انظر: أبو مشقر إباد، اليهود في العالم العربي، يهود العراق، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، 1994، ص ص 11 - 19.

(2) - نفس المرجع، ص 20.

(3) - نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص 54، وكذلك انظر: فلافيوس يوسيفوس، المرجع السابق، ص 17.

(5) - رشدي البدرائي، المرجع السابق، ص 415.

(6) - أحمد معاذ علوان حقي، المرجع السابق، ص 125، وكذلك انظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 418، نبيل الربيعي، المرجع السابق، ص 57.

تنقية اليهود من العناصر الدخيلة للحفاظ على نقاء العرق اليهودي<sup>(1)</sup>، أصبح اليهود الذين عادوا من بابل أو الذين بقوا في فلسطين يعانون من التعب ومن مقاومة الغزاة، وصاروا مستعدين للقبول بأي حكم يفرض عليهم من الخارج، إذا منحهم الحرية الدينية، والملاحظ أن اليهود ينقادون وفق أحكام التوراة، وانتظموا في دولة دينية يتحكم فيها رجال الدين الكبار، إضافة إلى ناسخي التوراة ومفسريها، ورواة التراث الشفوي<sup>(2)</sup>.

وفي أثناء الحكم اليوناني حاول السلوقيون فرض عبادة الإله (بعل شامين) (إله السماء) كإله عالمي، إلا أن اليهود رفضوا ذلك بشدة، بل قاوموا ذلك بثورة شاملة، عرفت بثورة (المكابيين) (143-141 إلى 129 ق.م) وانتزعوا استقلالهم<sup>(3)</sup>.

ويذكر المؤرخون أن اليهود في عهد حكام الإغريق لم يتمتعوا بحسن المعاملة التي كانوا عليها في العهد البابلي والفرسي، لكن بالرغم من ذلك تمتعوا بالحرية والتسامح وعدم التجنيد أو فرض قوانين تخالف عقيدتهم<sup>(4)</sup>، وبعد سقوط السلوقيين بالعراق، وسقوط بابل تحت حكم البارثيين الفرس عام 140 ق.م، كانت حياة اليهود هانئة، حيث ازداد عددهم وكانت لهم مدن خاصة بهم، إضافة إلى هروب الكثير من فلسطين إلى بابل بسبب الظلم، وفي هذه الفترة قوي نفوذهم وأسسوا مدناً، وحصلوا على قدر كبير من الحكم الذاتي والحرية الدينية، وشيدوا مدارس ومعاهد دينية، وعملوا في مختلف المهن<sup>(5)</sup>.

يعتبر التاريخ اليهودي تاريخ شتات، حيث كتب أغلبه في مواطن السبي، لتعرضهم في مراحلهم التاريخية للنفي على يد أمم عديدة مثل: الأشوريين والبابليين والرومان، كما هاجر العديد منهم أو فروا إلى بلاد أخرى كمصر وشبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا وبلاد فارس ليكون تاريخهم بذلك متقطعاً لفترات كثيرة، فتاريخهم لا وجود له في فلسطين (أورشليم) أثناء

(1) - أحمد معاذ علوان حفي، المرجع السابق، 126، وكذلك انظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 418، موسكاني، المرجع السابق، ص 206.

(2) - رشوان نسيم، موجز تاريخ العراق، أورشليم، القدس، ط 1، بغداد، 1998، ص 17. انظر كذلك: نبيل الريبي، المرجع السابق، ص 58.

(3) - نفس المرجع، ص 59.

(4) - رشوان نسيم، المرجع السابق، ص 22.

(5) - ول ديورانت، مج 2، المرجع السابق، ص 526. وكذلك انظر: أرنولد توينبي، الحضارة الهلينية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003،

ص 206، ويل ديورانت، حياة اليونان، المرجع السابق، مج 2، ج 2، ص 528.

تواجههم في مصر زمن يعقوب ويوسف عليهما السلام ماعدا زمن الخروج على يد موسى عليه السلام، ليتواصل هذا الغياب من زمن الخروج إلى قيام دولة داوود وسليمان عليهما السلام، لأنه في عهد القضاة كان اليهود (الإسرائيليين) بدوا رحلا ينتقلون من مكان إلى آخر، لينتقل مركز الحياة اليهودية من أورشليم إلى أشور وبابل زمن السبي<sup>(1)</sup>.

ليعيش التاريخ اليهودي فترات أخرى من التقطاع في العصرين الفارسي واليوناني والروماني، كما يعتمد الكثير من المؤرخين اليهود في كتاباتهم التاريخية على ظاهرة الاضطهاد، وفي أحيان كثيرة يؤرخون بعصور يؤمنون بأنها تمثل الاضطهاد الذي ذاقه الشعب اليهودي، فحادثة الخروج اعتبروها رمزا ومعلما تاريخيا لخلاصهم من العبودية في مصر، بالإضافة إلى حادثة السبي الأشوري والبابلي والروماني وتستعمل لتقسيم العصور التاريخية اليهودية "عصور ما قبل السبي وما بعد السبي" وكذا خراب الهيكل الأول والثاني<sup>(2)</sup>.

بسقوط أورشليم ومملكة يهوذا بدأت التأثيرات على الديانة اليهودية، فقد تم إحراق الهيكل وتمزقت المملكة وتفرقت سكانها الذين نجوا من الموت بين أسير وفار إلى البلاد المجاورة، فالتطورات التي حدثت بين المنفيين في بابل ساهمت في تطوير اليهود لأساليب جديدة من التنظيم والعبادة في بابل، فتعرضت أسفار التوراة وأسفار التاريخ التنبوي إلى إضافات حتى وصلت إلى شكلها النهائي، فالتاريخ التنبوي الذي يروي تاريخ بني إسرائيل من نهاية التيه في البرية إلى الغزو البابلي لأورشليم يتوقف فجأة<sup>(3)</sup>، ليظهر كتاب ومؤلفون آخرون للكتاب المقدس على غرار: أرميا، هوشع، عاموس وأشعيا وغيرهم، كتاباتهم مليئة بنزعة العودة والتمسك الشديد بالطقوس القربانية ونظام الكهنوت<sup>(4)</sup>، ليتغير مصطلح مملكه "يهوذا" إلى "يهودا" ضمن الإمبراطورية الفارسية، وشعب يهوذا الذي يستبدل بكلمة اليهود<sup>(5)</sup>.

(1) - محمد خليفة حسن، التفكير التاريخي والحضاري عند الشعوب العربية السامية، د. ط، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، 2000م، ص 179.

(2) - نفس المرجع، ص 181.

(3) - إسرائيل فنكلشتاين، المرجع السابق، ص 353.

(4) - اسماعيل راجي الفاروقي، المرجع السابق، ص 8.

(5) - مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص 354.

إنّ التّواجد اليهوديّ في بلاد الرّافدين جعل جلّ المؤرّخين يؤيّدون فكرة أنّ الدّيانة اليهوديّة بدأت في السّبي البابليّ، وأنّ لا تاريخ لهم قبل ذلك، وعليه فاليهود بعد ذلك مارسوا شعائرهم الدّينيّة، وواصل كهنّتهم أعمالهم الدّينيّة بتحرير فصول التّوراة، والتّمهيد لتدوين التّعالم اليهوديّة المعروفة باسم التّلמוד البابليّ<sup>(1)</sup>، حتّى قال البعض: "إنّ السّبي البابليّ كان عاملاً قويّاً في تطوير الدّيانة اليهوديّة"<sup>(2)</sup>، وبالتالي فتعاليم اليهوديّة خرجت من الفكر البابليّ، وأنّ التّوراة التي بين أيدي اليهود اليوم غير التّوراة التي نزلت على موسى باللّغة المصريّة قبل أكثر من 800 عام من اليوم<sup>(3)</sup>.

تأسّست ديانة جديدة في الأسر البابليّ، وأصبحت حياة بني إسرائيل بعد النّفي أكثر تنظيماً حسب تعليمات الفريسيّين<sup>(4)</sup>، كما تمّ وضع تاريخ اليهود وأعيدت صياغة التّشريعات القديمة لأنّ أغلب الأسرى في اعتقادهم كانوا مرتدّين عن دينهم قبل النّفي وهو ما دفع الكهنة إلى دراسة الشّريعة دراسة منظمّة وظهور رغبتهم في نشر هذه الأسفار خاصّة بعد إضاعتها، فقاموا بترتيبها في ثلاثة أقسام: التّوراة، الأنبياء، الكتابات لنقلها للأجيال القادمة، واقتنع الشعب العبريّ أنّ "يهوه" هو الإله الأوحّد لهذا العالم وكلّ البشر، ومن جهة أخرى بأنّ كلّ ما أصابهم من مصائب وشقاء هو نتيجة حتميّة لابتعادهم عن دينهم فيجب عليهم العودة إلى الله، فتعمّقوا في دراسة الشّريعة معلّلين تجربتهم القاسيّة بأنّها تطهير لهذا الشعب.

(1) - يعقوب يوسف كوريه، المرجع السابق، ص 8. وكذلك انظر: الخيران رشيد، الأديان والمذاهب بالعراق، ط1، بغداد، 2005، ص 112.

(2) - أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 112.

(3) - نفس المرجع، ص 112. وكذلك انظر: الخيران رشيد، المرجع السابق، ص 114.

(4) - أحمد معاذ علوان حقي، المرجع السابق، ص 123.

## الفصل الرابع:

مظاهر أثر المعتقدات الدينيّة الرافديّة

في النصوص التوراتيّة

1. خلق الكون والإنسان
2. الطوفان بين الأساطير الرافديّة (السومريّة البابليّة) والنصوص التوراتيّة
3. جنّة عدن بين الأصول الرافدية والنصوص التوراتيّة
4. برج بابل بين النصوص الرافديّة والبحوث الأثريّة والنصوص التوراتيّة
5. سرجون وموسى بين النصوص الرافديّة والرّواية التوراتيّة
6. الموت والعالم الآخر في الأساطير الرافديّة والنصوص التوراتيّة



لقد كان للحضارة الرافدية أثر واضح وعميق في مختلف مظاهر حضارات شعوب الشرق القديم، ومن أبرز التأثيرات الواضحة تلك التي تضمّنتها النصوص التوراتية، والمعتقدات العبرانية، فالدارس المتفحص لمضامين الأسفار التوراتية يلاحظ التأثير الواضح في سفر التكوين، الذي حوى العديد من الأفكار الدينية ذات الأصول السومرية و البابلية، مما دفع بالكثير من العلماء المختصين في الحضارة الرافدية إلى التأكيد على أنّ النصوص التوراتية مليئة بالأثر الرافدي<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أنّ هذا التأثير الرافدي، وكذا التأثير العبراني بالحضارة الرافدية ظاهر في النصوص التوراتية، مما جعل العلماء يتساءلون عن كيفية وصول هذا التأثير العقائدي وتأثيره على عقيدة العبرانيين، وأسجل هنا نقاشاً دار بين عدد من المختصين حول كيفية انتقال العقيدة الرافدية إلى العبرانيين، وهنا نلاحظ أنّ العهد القديم قد أورد في سفر نحemia<sup>(2)</sup> أنّ إبراهيم عليه السلام كان أصلاً من "أور" الكلدانية، وبالتالي يذهب أصحاب هذا الرأي إلى دور رجال الدين الأوائل في نقل المؤثرات الرافدية، أمّا الفريق الآخر من الباحثين فإنهم يؤكدون على ظاهرة التشابه بين النصوص التوراتية، السومرية والبابلية، وهذا ما هو إلاّ تعبير عن الوحدة الحضارية بين الرافديين والعبرانيين<sup>(3)</sup>.

ويؤكدون على أنّ الأنبياء الأوائل جاءوا من منطقة وادي الرافدين حسب نصوص التوراة<sup>(4)</sup>، وبالتالي كانوا حاملين للموروث الديني والحضاري الرافدي، مما انعكس في سفر التكوين، وحسب أصحاب هذا الطرح فإنّ ذلك يدلّ على أصالة اشتقاقها فليست سرقة، وأنّ التوراة لم تخفِ الأثر الرافدي، إلاّ أنّها جلبت انتباه الكثير من العلماء في عديد القصص التوراتية (مثل قصّة نمرود، وقصّة برج بابل، وجنة عدن....)، ويؤكدون على أنّ المهاجرين قد كانوا على تفوّق حضاري كبير، أثروا به الحضارة الرافدية، كلّ ذلك ذكرته التوراة (الإصحاح الأوّل من سفر التكوين)، إلاّ أنّ الجدل يتطوّر أكثر بظهور فريق آخر يشكك في النصوص

(1)-Samuel Noah Kramer, *The Sumerians*; University of Pennsylvania Press, 1961, p33- 40

(2)- سفر نحemia 9 : 7.

(3)-خالد موسى عيد، إبراهيم الخليل، بين أور الكلدانية والدولة دراسة في النصوص التوراتية، جامعة الكوفة، كلية الآداب، د.ت، ص 161.

(4)- سفر يشوع 24 : 15، كذلك انظر: جيمس فريزر، الفلكور في العهد القديم، د.ط، تر: نبيلة ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972، ص ص 234، 235، جون إيدر، المرجع السابق، ص 52.

التوراتية القائلة بأن إبراهيم الخليل جاء من أور، الواقعة في جنوب العراق، في حين يشير أثريون إلى أنّها تقع في شمال غرب وادي الرافدين وتحمل اسم "حاران" وليس في الجنوب<sup>(1)</sup>. وكذلك سفر التكوين يذكر مدينة ناحور، ويستمرّ النقاش حول هذه المدينة من حيث القيمة وأصولها وموقعها، ففي وثائق ماري اكتشف العلماء أنّ هناك صلة بين هذه الوثائق وأباء الشعب العبري، إذ من الناحية الزمنية ترجع هذه الوثائق إلى القرن التاسع عشر والنصف الأوّل قبل الميلاد، وهي فترة معاصرة قليلاً أو كثيراً للإطار الزمنيّ لقصص الأباء، ومن الناحية الجغرافية وردت منطقة آرام النهرين عدّة مرّات في هذه الوثائق، كما تبرز مدينة ناحور وحاران وهي المواطن القديمة للأباء حسب التوراة<sup>(2)</sup>.

إضافة إلى الطريقة الأولى التي ذكرناها حول كيفية وصول المعتقد الرافديّ إلى العبرانيين، فإنّ الباحثين يذكرون أيضاً أنّه كان للعلاقات التجارية والسياسية<sup>(3)</sup> والحروب دور هامّ في نقل تلك المؤثرات، ويعدّ الأسر البابليّ عاملاً أساسياً في تحقيق تلك التأثيرات<sup>(4)</sup>، وهنا نذكر أنّه نظراً للموقع الجغرافيّ لبلاد الرافدين وبلاد الشام في الفترة القديمة، فإنّ مختلف المصادر تؤكّد على وجود علاقات تجارية بين المنطقتين، شملت مواد تجارية عديدة ساهمت في نقل الأثر الرافديّ إلى المنطقة.

وتذكر دراسات عديدة أنّ الأثريين توصلوا إلى الكشف عن جزء من رقيم يتضمّن نصّاً من ملحمة "جلجامش" في منطقة "مجدو" بفلسطين، دلّ ذلك على وجود من يقرأ الخط المسماريّ، على أنّ ملحمة "جلجامش" تؤرّخ بالقرن 14 ق.م<sup>(5)</sup>.

إنّ تواجد العبرانيين في بلاد الرافدين يعود إلى ما يعرف بالأسر الأشوريّ البابليّ، ممّا جعل العبرانيين على صلة مباشرة بالحضارة الرافديّة، خاصّة وأنّه في عام 597 ق.م سقطت مدينة أورشليم في يد الجيش البابليّ، وتمّ أسر الملك "ياهويكين وأتباعه"<sup>(6)</sup>.

(1) - التكوين 24: 2 - 4، كذلك انظر: جون إدر، المرجع السابق، ص 53، سيد القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، د.ط، مؤسسة مدبولي الصغير، مصر، د.ت، ص 29، ف.ب. ماير، حياة إبراهيم وطاعة الإيمان، د.ط، تر: القس مرقس داود، مكتبة الحبة، مصر، د.ت، ص 10.

(2) - سفر التكوين 24: 10، 11، وكذلك انظر: ابراهام ملمات، المرجع السابق، ص 117.

(3) - هاري ساكر، المرجع السابق، ص 308، 309.

(4) - فاضل عبد الواحد علي، من سومر إلى التوراة، ط 2، وزارة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1996، ص 191.

(5) - نائل حنون، ملحمة جلجامش، المرجع السابق، ص 21.

(6) - أندريه لومير، المرجع السابق، ص 57.

## 1. خلق الكون والإنسان:

أ. الخلق عند السومريين: بعد تأملات السومريين في طبيعة الكون ونشأته، ظهر لديهم في حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد مجموعة من المفكرين والحكماء حاولوا وضع إجابات مرضية للتساؤلات العديدة حول تأملهم في الكون والطبيعة جاءت على شكل أساطير وملاحم<sup>(1)</sup>.

يرى السومريون أن الكون ظهر من الإلهة (نمو) والتي رمزوا لها بالرمز (بحر)، وهي الأم التي ولدت السماء والأرض (أن - كي) ومن اتحادهما ولد (انليل) إله الهواء، لكن لا توجد توضيحات أو إشارات فيما يخص خلق البحر<sup>(2)</sup>.

لكن كانوا يعتقدون أن هذا البحر الأول، ولد الجبل الكوي، والمؤلف من السماء والأرض، وورد اسم هذا الجبل في نص الأسطورة السومرية "الماشية والغلة"<sup>(3)</sup>، والتي تتحدث عن وجود "جبل كوي" يضم السماء والأرض متحدتين، وهي تؤكد ماجاء في قائمة الآلهة<sup>(4)</sup> An-Anum بأن الكون كان كتلة واحدة على جبل السماء والأرض.

ويرد في نص مقدمة الأسطورة (الماشية والغلة): "بعد أن خلق (أن) (انو) الإلهة الأنوناكي، بعد أن خلقهم على جبل السماء والأرض"<sup>(5)</sup>.

يبين هذا المقطع من النص أن السماء والأرض على شكل جبل قاعدته الأرض وقمته السماء وقد وردت صيغ أخرى لهذا الجبل مثل (Du6-Ku) الجبل المقدس وربما يكون موضعه

(1)-سيد القمني، المرجع السابق، ص 26.

(2)-صموئيل هنري هوك، المرجع السابق، ص 11.

(3)-أسطورة الماشية والغلة: وتتضمن مشادة كلامية بين الإلهتين لآخار و أشنان تفاخر كل منهما بما لديها من صفات ومميزات، وتوضح هذه الأسطورة أن الإلهتين كانتا تعيشان منذ البدء بعد خلقهما مع الآلهة في "دوكو" وتمدان الآلهة بالمنتجات الحيوانية و الزراعية، للمزيد انظر: اذارد وآخرون، المرجع السابق، ص 157.

(4)-قائمة الآلهة: أقدم القوائم المكتشفة في مدينة "فارا" مدينة شوروباك القديمة ويعود تأريخها إلى 2600 ق.م تقريبا، انظر: اذارد وآخرون، المرجع السابق، ص 154.

(5)-صموئيل نوح كريم، المرجع السابق، ص 162.

في الأفق الشرقي حيث تشرق الشمس، وأنّ سكن الآلهة فوق هذا الجبل يشير إليه مقطع آخر من نفس الأسطورة<sup>(1)</sup>. (الماشية والغلة) .

في بيتهم الخاصّ (دوكو)<sup>(2)</sup> خلق لاهار وأشنان<sup>(3)</sup> وما أنتجه لهار وأشنان أكله أنوناكي (الأتباع) " الدوكو" ولكنهم لم يشبعوا<sup>(4)</sup>.

ومن خلال ملحمة جلجامش وردت الإشارة الى قدسيّة هذا الجبل باعتباره موطننا للآلهة (جبل الآلهة)، ويرد في نصّ اللوح الخامس<sup>(5)</sup> من الملحمة ما يعبر عن ذلك في رحلة (أنكيديو وجلجامش):

وقفا يتأملان الغابة بشجر الأرز يحدقان مليًا به وبارتفاعه بالغابة يحدقان مليًا وبمدخلها،  
وحيث يمشي خمبابا<sup>(6)</sup> ذهابا وإيابا (رسم) دربا (على الأرض) كانت الطرقات مستقيمة،  
والرحلة طيبة رأوا جبل الأرز مقام الآلهة وعرش الآلهة إرنيني ووجه الجبل نفسه وشجر الأرز  
رمز خصبه، كما يرد اسم هذا الجبل في اللوح الرابع<sup>(7)</sup>.

وبعد أن تحيّل الإنسان السومريّ أنّ الكون تحيط به المياه من كلّ جهة وهو يطفو ويسبح  
فوق هذه المياه(التي تمثلها الإلهة السومريّة (نمو) في شكل كرة عملاقة وهي تتشكل من الأقسام  
التالية:

(1) -أحمد لفتة رهمه، دراسة في "قدسية الجبل" و"قصة نمرود"، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 47، 2017، ص 2.

(2) -دوكو: يعني هذا الاسم في اللغة السومرية تل مقدس، وهو مكان تجمع الألهة في المنطقة الجبلية الشرقية المجاورة لبلاد الرافدين، أما في النصوص البابلية فهو المكان الذي يقيم فيه الإله مردوخ في معبده الرئيس في بابل ليقرر مصائر البشر، انظر: ادزارد وآخرون، المرجع السابق، 129.

(3) -لاهار وأشنان: إلهتان سومريتان، وقد يعني اسم الأولى نعجة وهي تجسد قطعان الماشية، أما الثانية "أشنان" فهي إلهة الحبوب "الغلة"، انظر: ادزارد وآخرون، المرجع السابق، ص 157.

(4) -أحمد لفتة رهمه، المرجع السابق، ص 3.

(5) -صموئيل نوح كزيمر، المرجع السابق، ص ص 202، 203.

(6) - خمبابا: هو الاسم الأكادي للوحش الذي أسند إليه الإله "انليل" مهمة حراسة غابات الأرز بحسب المعتقدات الرافدية، يرد اسمه في اللغة السومرية بصيغة "خواوا" ويصور في المشاهد الفنية بمهيئة مخلوق بشع بجسد بشري و مخالب أسد، كما يرد ذكره في نصوص الفأل. للمزيد انظر: نائل حنون، المرجع السابق، ص 111.

(7) -نفس المرجع، ص 141.

أ. العالم الأعلى (العلّي): يمثّله الفضاء الذي فوق السّماء حيث تسكن الآلهة والذي يسمّى "أنونا" والذي يعني بالسومريّة ( بذور الحياة الأُميريّة )<sup>(1)</sup>.

ب. السّماء (أن) (An): عبارة عن سطح صلب على شكل قبة يحيط قرص الأرض الذي تحتها.

ج. الفضاء (إنليل): هو الفراغ بين السّماء والأرض واعتقد السومريّون أنّ الكواكب والنجوم مكوّنة من نفس مادّة (إنليل) وقد وجد السومريّون ثلاثة طرق أو مسارات في هذا الفضاء وهي: طريق أنّ طريق إنليل طريق انكي وتعبر عنها الكواكب الثلاثة: (الزّهرة، القمر، الشّمس)<sup>(2)</sup>.

د. الأرض كي: هي قرص مدوّر منبسط يطفو على محيط مائيّ حوله وتحتّه.

و. العالم الأسفل كور: هو الفضاء الذي يقع تحت الأرض والأبسو وتعيش فيه آلهة العالم السّفلي<sup>(3)</sup>.

وبعد أن حدّد السومريّون بدايات وأصل الكون الذي أساسه الإلهة (نمو) تطرّقوا إلى التّنظيم داخله ووصف الأجسام السّماويّة وجميع العناصر المختلفة في الحضارة السومريّة وكيفيّة تحوّلها إلى كائنات في هذا الوجود، وتذكر أسطورة (العلة والماشية) مولد القمر (نانا) (سين) ابن الإله (إنليل) والذي أغرم بالإلهة (ننليل):

حكيمه كانت كلمات ذلك التّحذير، ومع ذلك في مجرى الماء الصّافي استحمّت ننليل، في مجرى الماء الصّافي، وتنزّهت على طول القناة الإميريّة، والسّيّد ذو النّظر البرّاق، ذو النّظر البرّاق، سلّط عليها عينيه، الجبل الكبير، إنليل المهيب، ذو النّظر البرّاق، سلّط عليها عينيه<sup>(4)</sup>.

(1) -خزعل الماجدي ، المرجع السابق، ص 70، الحسيني الحسيني معدي، المرجع السابق، ص 97.

(2) -خزعل الماجدي ، المرجع السابق، ص 76.

(3) -الحسيني الحسيني معدي، المرجع السابق، ص 98.

(4) -قاسم الشواف، المرجع السابق، ج 1، ص 40.

لكن ننليل ترفض الانقياد للإله (انليل) فيقوم هذا الأخير باختطافها واغتصابها، لكن الآلهة العظام الخمسين ومعظم آلهة المصائر يعتبرون هذا الأمر نوعاً من القسوة والظلم وأصدرت قرارها بنفي (انليل) إلى العالم الأسفل لكن ننليل تفضّل المغادرة واللحاق به وهي حبلى<sup>(1)</sup>.

وعلى بوابة العالم الأسفل يتنكر (انليل) في ثلاث مرّات متتبعاً في المرّة الأولى شخصيّة حارس البوابة وفي الثانیة يتنكر بشخصيّة رجل نهر العالم الأسفل (مفترس البشر) وفي المرّة الثالثة يتحل شخصيّة (سيلوليم) المكلف بموتى العالم الأسفل، ويقنع (ننليل) في المرّات الثلاث (انليل المتنكر) بضرورة مضاجعتها، لكي يخلص بذرة (انليل) إلى العالم الأعلى وتقتنع انليل بذلك، وتلد أربعة آلهة<sup>(2)</sup> وهي:

**الإله (نانا):** إله القمر. **الإله نركار** مسلامتا: إله العالم السفلي، **الإله ننازو:** إله مهم من آلهة العالم السفلي ويعني اسمه (السيد الطيب) و**الإله (اليجيل):** إله النار السفلي، وتعوض هذه الآلهة التي أنجبتها (ننليل) في العالم السفلي الآلهة الثلاثة (انليل، ننليل، نانا) وهو شرط الخروج من ذلك العالم، ويظلّ الإله (نانا) محكوماً عليه بالدخول إلى العالم الأسفل في النهار والخروج في الليل<sup>(3)</sup>.

ويعتبر الإله (أتو) إله الشمس منحدرًا من سلالة (نانا) (سين) وأصبح القمر فيما بعد مؤنثًا وتصوّر السومريّون (نانا) مسافرة في سماء الليل (في قفة وهي الزورق المستدير الشكل المستعمل في الملاحة في نهر الفرات تصاحبها النجوم والأجرام)<sup>(4)</sup>.

تحلّت الآلهة السومريّة بالصفات البشريّة، فقد كان (انليل) القويّ يفكر تفكيراً بشريّاً سواء في مشاعره أو تصرفاته، وكانت الآلهة ترغب، تحب، تأكل، تشرب وتتزوج وتكوّن

(1) -صموئيل هنري هوك، المرجع السابق، ص 13.

(2) -قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 40، 41.

(3) -خزعل الماجدي، متون سومر، المرجع السابق، ص 107، 108.

(4) -صموئيل هنري هوك، المرجع السابق، ص 13.

الأسر، إلى جانب تحليهم بصفات الضّعف البشريّ، كما كانت هذه الآلهة تحبّد الصّفات الحميدة كالعدالة وتنبذ الصّفات غير الأخلاقيّة كالاختطاف والاعتصاب<sup>(1)</sup>.

تناولت الأساطير المختلفة السّومريّة العناصر المختلفة المكوّنة للنّظام الأرضيّ وضمت أساطير كثيرة لتنظيم الكون والذي اعتبر فيه (انليل) كمصدر للخصب والمواشي وأدوات الزراعة وفنون الحضارة وذلك بخلقه مجموعة من الآلهة الذين قاموا بتنفيذ أوامره<sup>(2)</sup>، فجاءت (أسطورة الفأس) والتي تمجّد الإله (انليل) وخلق الفأس. وجاء فيها:

هو الذي جاء بالفأس إلى الوجود وخلق اليوم، هو الذي خلق العمل وقدر المصير، إنّ فأسه من الذهب ورأسها من حجر اللازورد، فأس بيته من الفضة والذهب<sup>(3)</sup>.

وأسطورة (رحلة القمر إلى نفر) حيث مقرّ والد (انليل) في نفر وعند استقباله من طرف هذا الأخير يطلب (نانا) من أبيه أشياء فيقدّمها له :

في النّهر أعطاه فيضا من الماء، في الحقل أعطاه المزيد من القمح، في الأهوار أعطاه العشب والقصب، في الغابة أعطاه، في السّهل أعطاه، في بستان النّخيل وفي مزرعة العنب أعطاه العسل والشّراب<sup>(4)</sup>.

ولتجهيز الأرض بالمواشي والقمح وبناء على اقتراح الإله (انكي) إله الحكمة فقد خلق (انليل) إلهين صغيرين هما (هار) إله الماشية و (أشنان) إله القمح ليجهز الطّعام والملابس للآلهة<sup>(5)</sup> (أسطور هار وأشنان).

"وفي تلك الأيام في حجرة الخلق الخاصّة بالآلهة، وفي بيتهم المسمّى "دوكو" خلق "هار" و "أشنان"<sup>(6)</sup>.

(1)-Samuel Noah kramer, Op.cit, P114.

(2)-صموئيل هنري هوك، المرجع السابق، ص 115.

(3)-صموئيل نوح كريمر، المرجع السابق، ص 199.

(4)-نفس المرجع، ص 200.

(5)-صموئيل هنري هوك، المرجع السابق، ص 113.

(6)-صموئيل نوح كريمر، المرجع السابق، ص 202.

وباقترح من الإله (انكي) يتم إنزال (هار) و(اشنان) من السماء إلى الأرض:

" في تلك الأزمان قال "انكي" للإله (انليل): " يا أبتى (انليل) إنّ (هار) و(اشنان)، اللذين خلقا في "الدوكو"، لتجعلهما يهبطان من ال "دوكو"، وبكلمة (انكي) و(انليل المقدسة، هبط (هار) و(اشنان) من (دوكو)<sup>(1)</sup>.

لقد أنشأ الإلهان (انليل) و(أنكي) للإله (هار) الحظيرة وجعلا له النباتات والأعشاب الوفيرة وأقاما ل (اشنان) بيتا، "وقدّما لها المحراث والثير،" وصار (هار) يقف في حظيرته، وهو الراعي الذي أفاض في خيرات الحضائر، وتقف (اشنان) بين غلاتها<sup>(2)</sup>.

أمّا الإله انكي الموكل (الأبزو)<sup>(3)</sup> فقد عهد إليه (انليل) الذي يضع الخطط لتنظيم الأرض، باعتباره الحكيم المدبر، وأعطت أسطورة (انكي) ونظام العالم) الإله (انكي) وصفا في تنظيم الظواهر الطبيعيّة والثقافيّة، والإله (انكي) هو الذي يقدر مصير بلاد سومر:

" ياسومر" يا أيّها البلد العظيم بين جميع بلدان العالم، " أنت مغمور بالنور الثابت الراسخ، الذي ينشر من مطلع الشمس إلى مغرب الشمس النواميس الإلهيّة بين جميع الناس، إنّ نواميسك المقدسة نواميس سامية لا يمكن إدراكها، قلبك عميق لا يسبر غوره، المعرفة الصحيحة التي تأتي بها.... كالسّماء لا يمكن أن تمسّ والملك الذي تلده متوجّج بالتاج الأبديّ، والسيد الذي تنجبينه يضع التاج على رأسه إلى الأبد، سيّدك سيّد مبجلّ، وملك يجلس مع الإله " أن" على المنصة السماويّة (والأنوناكي) الآلهة العظام اتّخذوا مواطنهم في وسطك<sup>(4)</sup>.

وفي أحراشك الكبيرة يأكلون طعامهم، فيا بيت سومر عسى أن تكثر حظائرك وتتضاعف أبقارك، وعسى أن تكون حظائر أغنامك وفيرة، وماشيتك لا عدّها،...، وعسى أن ترفع

(1) -صموئيل نوح كريمر، المرجع السابق، ص 203

(2) -نفس المرجع، ص 204.

(3) - الأبزو: كلمة سومرية الأصل (مجهولة المعنى) تسربت إلى الأكادية وأصبحت تلفظ (أبسو)، وهي تطلق على مياه المحيط في باطن الأرض ويعتقد أنّها نشأت من المياه الجوفية والسطحية في بلاد الرافدين ووجود المياه العذبة في منطقة السبخات القريبة من الشاطئ، والأبزو تقع تحت سيطرة الإله إنكي الذي اختارها مقرا لسكناه، للمزيد انظر: ادزارد وأخرون، المرجع السابق، ص 59، 60.

(4) - صموئيل نوح كريمر، المرجع السابق، ص 170.



معابدك الثابتة أيديها إلى السماء، وعسى أن يقدر الـ "نوناكي" المصائر في وسطك"، ثم يتوجه انكي بعد ذلك إلى مدينة أور لمباركتها: لقد أتى إلى (أور) إلى المزار، "انكي ملك العمق" يقرر مصيرها قائلاً:

"أيتها المدينة الموفورة الزاد، العميقة المياه، القائمة كالثور القويّ الثابت، أنت منصّة خير البلاد، أنت خضراء كالجبل،" أنت غابة الـ "خاشور" ذات الظلال الوافرة، أنت ذات البطولة فيما وراء....، عسى أن يحسن توجيه نواميسك المقدّسة التي اكتملت، لقد أعلن "الجبل العظيم" أنليل اسمك المتسامي في السماء والأرض أيتها المدينة التي قدر مصائرنا " أنكي" (1).

وبعد أن ينظّم (انكي) دولة سومر وعاصمتها أور نتيجة لتقرير مصير مجموعة من البلدان يتّجه إلى (ملوخا) (الجبل الأسود)، فيبارك أشجارها وقصبها وأبقارها وطيورها وذهبها وبرونزها ونحاسها، وحتى سكّانها من البشر، ثم يتوجه إلى نهري دجلة والفرات فيملؤهما بالمياه ويقوم بتوكيل الإله (اينيلولو) بشؤونهما، ويقوم بعد ذلك بملء الأنهار بالأسماء (التي هي تحت سلطة الإله (ابن كيش) ثم يعهد بتنظيم الخليج العربيّ (يعين لإدارة شؤونه الإله (سارار) ويوكل بأمر الرياح الإله (اشكر)، وينظّم أمر المحراث والنّير والحقول والمزروعات (2).

لقد دبر المحراث والنّير، "الأمير العظيم" انكي "...فتح الأخاديد المقدّسة"، وجعل الغلّة تنمو في الحقول الدائمة، (التي تزرع طيلة أيام السنة)، "هو السيّد، جوهرة السّهل وزينته"، الذي استكمل قوّته، فلاح (انليل)، (انكمدو)، إله القنوات والجداول عيّنه انكي لينظّم شؤونها (3).

ثمّ يقوم (انكي) بتنظيم أمر الفأس وقالب الآجر ويتولّى أمرهما الإله (كبتا)، ثمّ يدبر آلة البناء (جوجن)، ويقوم بوضع الأسس ويبني المساكن (تحت ولاية الإله "مش - دما" (البناء العظيم

(1) -صموئيل نوح كريمر، المرجع السابق، ص180.

(2) -خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 182.

(3) -صموئيل نوح كريمر، المرجع السابق، ص182.

لإنليل) ويقوم بملء السّهول بالنبّاتات والأعشاب والحياة الحيوانية) تحت رعاية الإله "سوجمان" (ملك الجبل)، يشيّد (انكي) في الأخير الحظائر والزرائب ويملؤها باللبن والزبد (تحت سلطة الإله دموزي)<sup>(1)</sup>.

وبعد أن تمّ إنزال (هار) و"أشنان" من السماء إلى الأرض لتجهيز الطّعام والملابس للآلهة، انصرف هذان الإلهان إلى شرب الخمر ودخلا في شجارات كثيرة فاصبحا غير قادرين على تجهيز ماتحتاجه الآلهة، ونتيجة لهذا الوضع خلق الإنسان الذي يسخر لخدمة الآلهة وتخليصهم من مشقة العمل، وتبيّن أسطورة (الغلة والماشية) الأسباب التي أدت إلى خلق الإنسان وتشرح كيفية هذا الخلق<sup>(2)</sup>.

وتتضمّن الأسطورة السومرية القول بأنّ الآلهة لا تستطيع الحصول على الغذاء لأنّ (انكي) يغطّ في نوم عميق، إلا أنّ (نمو) إلهة البحر الأول و أمّ الآلهة تقوم بإيقاظه:<sup>(3)</sup>

عند ذلك نقلت (نمو) الأم البدئية، مولد الآلهة جميعا، نقلت لإبنها (انكي) الشكاوي (قائلة): "أنت تبقى مضطجعا لتفوق دون انقطاع في نومك، لكنّ الآلهة الذين ولدتهم أنا يتهمّون غادر فراشك يابني، مارس مواهبك بذكاء، لتصنع من يحلّ محلّ الآلهة، لكي يتوقفوا عن العمل، لدى استماعه كلمة أمّه "نمو"، غادر انكي فراشه، وبعد أن قام الذكيّ والحكيم والفظن والماهر صانع كلّ شيء، (قام) بإعداد قالب، وضعه بالقرب منه ودسّه بإمعان، وعندما توصل انكي الصّانع بشكل طبيعيّ، توصل إلى إنجاز مشروعه بدقّة<sup>(4)</sup>.

ثمّ يتوجّه (انكي) بالحديث لأمّه:

" يا أمّاه إنّ المخلوق الذي نطقت باسمه موجود، فاربطي عليه صفة الآلهة، " أعجبي لبّ الطينّ الموجود فوق "مياه العمق"، واجعلي الصّانعين المهرة، يكتفون الطين، وعليك أنت

(1)-صموئيل نوح كيرمر، المرجع السابق، ص 183.

(2)-صموئيل هنري هوك أ، المرجع السابق، ص 17

(3)-نفس المرجع، ص 18.

(4)-قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 65.

أن توجدي له الأعضاء والجوارح، وستعمل نمناخ (الأم - الآلهة) من فوق يدك<sup>(1)</sup> وستقوم بجانبك آلهة (الولادة)... في أثناء صنعك، يأمّاه قدري مصيره (أي مصير المولود الجديد)، وستربط نمناخ عليه صورة الآلهة، إنه الإنسان.....<sup>(2)</sup>

وبعد ذلك تنتقل القصيدة من خلق الإنسان الكامل إلى خلق أنواع أخرى من البشر، حيث تأخذ نمناخ حفنة من الصلصال الموجود فوق (الأبسو) وتضع ستة أشخاص، الأول غريب والثاني فيه عاهة والثالث لا يستطيع إيقاف بوله، والرابع امرأة مشوهة، والخامس امرأة عاقرة، والسادس الرجل الخصي، فيختبرهم (انكي) ويقدم لهم الطعام فتأكل منه كل من المرأة العاقرة والرجل الخصي، فيأتي قرار (انكي) بأن توضع المرأة العاقرة كوصيفة في دار النساء، بينما الرجل الخصي في خدمة الملك<sup>(3)</sup>.

وي فشل (انكي) أيضا في خلق إنسان سليم فتدخل الآلهة وتقوم جميعا بخلق الإنسان السليم من طيف المياه العميقة وتبث فيه الروح، وهذا الإنسان يتكون من ذكر وأنثى حتى يتكاثروا دون تدخل الآلهة، وقد تمت عملية التكاثر وصار الإنسان في خدمة الآلهة والأقوياء من البشر<sup>(4)</sup>.

حسب الأساطير السومرية وبعد خلق الإنسان (أصحاب) الرؤوس السوداء والنباتات والحيوانات، تكاثر الخلق والحيوانات ونزلت الملكيّة من السماء الى الأرض وبدأ العمران في خمس مدن أشرف الإله (انليل) على بنائها في أماكن طاهرة وهي: أوريدو، باتيرا، لاراك، سيبار، شروباك، وخصّصها لعبادة خمسة من الأرباب والرّبات، وتأسس المملكة كان من السماء مع اقتراحها بشعاراتها التاج والعرش ثم قضى (انليل) أن يعمّ الفيضان في الأرض بعد أن أعلن عن قرارات في مجلس الأرباب<sup>(5)</sup>.

(1) -صموئيل نوح كريمر، المرجع السابق، ص199.

(2) -نفس المرجع، ص200.

(3) -الحسيني الحسيني معد، المرجع السابق، ص195.

(4) -نفس المرجع، ص195.

(5) -عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص661.

ويعتقد السومريون أنّ النظام الكونيّ يضطرب باستمرار، بسبب الأفعى الكبيرة البدئية التي تهدّد بعودة العالم للعماء نتيجة الأخطاء البشرية والتي يتطهرون منها بمساعدة الشعائر المتنوّعة<sup>(1)</sup>.

وقد تعدّدت قصص خلق الإنسان فهناك أسطورة ترى أنّ الكائنات البشرية الأولى نبتت من الأرض مثل الأعشاب، وأسطورة ثانية ترى أنّ الرّبة أرورو هي خالقة الكائنات البشرية وفي أسطورة ثالثة: إنّ الإنسان صنع من إهين مذبوحين لهذه الغاية<sup>(2)</sup>.

**ب. الخلق عند البابليين:** اتّضحت تصوّرات البابليين في الخلق من خلال أسطورة التكوين البابلية المعروفة (الإنوما ايليش) والتي تعني (عندما في الأعلى)، وهي أقدم الأساطير في العالم القديم، لاقت إقبالا كبيرا من طرف العلماء والباحثين لدراستها، دوّنت بصفة نثرية مميّزة، وتعتبر وثيقة هامّة تبرز معتقدات البابليين<sup>(3)</sup>.

كانت هذه القصيدة تتجدّد روايتها في بداية كلّ عام، وتروي أحداثا ذات معنى، وتروي الألواح من (1-3) ميلاد الآلهة من سلالة (أبسو وتيامات)، واختيار "مردوخ" كرئيس للآلهة بعد انتصاره على (تيامات) في حرب شرسة، وتتناول هذه الألواح في نفس الوقت بدايات تشكّل الكون، حيث ورد فيها<sup>(4)</sup>:

عندما في الأعلى لم تكن السماء قد اتّخذت اسما بعد، وليس للأرض اسم، وأن ولدت من مياه "أبسو" البدئية، فإنّ المولدة "تيامات" التي أنجبتهم كلّهم، امتزجت بالمياه جميعها في كلّ واحد، حيث لم تظهر المراعي والمقاصب، وحين لم تكن الآلهة قد ظهرت بعد، لا اتّخذت اسما ولا قدرا، عندئذ خلقت الآلهة من صدرها، "الخمو" و"الخامو" الذين ظهوروا فإنّهم الأولون الذين اتّخذوا لهم اسما وبعد أن كبروا وتمّ تكوينهم، خلقوا "انشار" و"كيشار" وهم أعظم شأنًا من أولئك، كانت أيّامهم طويلة وأعوامهم مضاعفة، ومن ثمّ كان "أنو" ابنهم السماوي

(1)- ميرسيا إبياد، المرجع السابق، ص 85

(2)- نفس المرجع، ص 83، أنظر: خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 168-171

(3)- فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، ط 1، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1996، ص ص 51، 52.

(4)- جانس بريتكارد، أساطير بابلية (الشرق الأدنى القديم)، د. ط، تر: سلمان التكريتي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، د. ت، ص 28.

لأبويه، جعل "انشار" شبيها له (أنو) ابنه البكر، كما جعل "أنو" "نوديمو" على صورته، أصبح "نوديمو" بمنظر والديه السيّد، أضحي ذا قدرة وإدراك واسعة وبقوى هائلة أمسى حكيما، لم يكن له ندّ بين الآلهة رفاقه<sup>(1)</sup>.

اعتقد البابليّون أنه قبل تشكّل العالم كان عبارة عن فراغ، ووجود عنصرين أساسين فيه، الماء العذب "أبسو" والماء المالح "تيامات"، ومن هذين العنصرين ولدت كلّ الكائنات والتي ظهرت بولادة إلهين هما: "لحمو ولخامو"، وهذان الإلهان بدورهما أنجبا معبودين آخرين هما: "انشار وكيشار"، ومن هذين الإلهين برز الثالوث العظيم للآلهة البابليّة (أنو، أنليل، أيا "نوديمو")<sup>(2)</sup>.

وبامتلاء أعماق الآلهة (تيامات) بالآلهة الجديدة الشّابّة، عمّت الفوضى والاضطراب، ونتج عنه وضع جديد لم تعد عليه آلهة السّكون التي أقلقت راحتها، فحاولت هذه الآلهة (الأولى) السّيطرة على الوضع و الحدّ من نشاط الآلهة الجديدة لكنّها فشلت، فانتهجت طريق العنف بمحاولة "أبسو" وضع خطة للتخلّص منهم، ورغم أنّ "تيامات" عارضته في هذا إلاّ أنّه أصرّ على المضي في خطته، وبوصول الخبر للآلهة الجديدة أصابهم الذّعر، لكن الإله (أيا) استطاع التخلّص من "أبسو" بتعويدة سحرية بعد أن جعله يغطّ في نوم عميق، وينزع عنه العمامة الملكيّة ويضعها على رأسه هو، والتي ترمز لسلطته الجديدة، وكذا اللقب الإلهيّ، ثمّ يقوم بذبحه ويبنى فوقه مسكنا لنفسه، وبانتصار "أيا" أصبح سيّد المياه العذبة والمتحكّم فيها، وهو الذي يفجّر عيون الماء على الأرض من خلال مسكنه في الأعماق<sup>(3)</sup>.

تتطوّر الأحداث بعد ذلك ليظهر الإله مردوخ ابن الإله "أيا" على مسرح الأحداث، وتبرز رغبة "تيامات" في الثأر لزوجها:

اختار (أيا) هيكل المصائر لسكناه، اختار، (أيا) (دام - كينا) الإلهة زوجة له وأنجب

(1) - رينيه لابات وأخرون، المرجع السابق، ص 41.

(2) - محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 216.

(3) - فراس السواح، المرجع السابق، ص ص 52، 53.

منها ولده العظيم مردوخ، شمش كالطود كان مديد القامة، نظراته كالبرق ومشيته كالفحل، عندما رآه "أنو" فرح وامتلاً قلبه بهجة وحبورا، رفع شأنه بين الآلهة<sup>(1)</sup>.

تتواصل استعدادات "تيامات" للثأر لزوجها، حيث تلجأ إلى خلق الكثير من الأفاعي والشياطين في جيشها، وهي مسلحة بأسلحة مدمرة، ونصبت أحد أتباعها والذي أصبح زوجا لها بعد أن زوّده بالسحر، ومنحته ألواح القدر وهَيّأت للحرب، وعند وصول الأخبار للآلهة الأخرى خافت وانتشرت الفوضى بينهم، ورفض كل إله الزّعامه في مواجهة "تيامات"، إلى أن وقع اختيارهم على الإله "مردوخ" ليقود المعركة باسمهم ضدّ "تيامات"، وقد جاء في الأسطورة:

وأقاموا له عرشا فاخرا، فتصدّر المجلس قبالة آبائه الآلهة، وعندئذ بايعوه قائلين: "أنت الأعظم إجلالا بين الآلهة، فقرارك لا يواتيه شيء وأمرك هو أمر السماء"<sup>(2)</sup>.

وتواصل الأسطورة بعد ذلك سرد استعدادات "مردوخ" لمواجهة "تيامات" وهو مزوّد بأسلحته المتمثلة في القوس والحربة، الصّاعقة والإعصار والشبكة والرياح السبعة، ممتطيا مركبة العواصف التي تجرّها الشياطين المجنحة ودارت معركة حامية الوطيس بين الطرفين (مردوخ وتيامات)، واستطاع "مردوخ" الانتصار والإيقاع ب"تيامات" في شبابه رغم أنّها كانت هي أيضا مسلحة بثعابين و كلاب ورجال عقارب وغيرها، وقام "مردوخ" بتسليط الرياح السبعة على وجهها، فتغلّغت داخل جسدها وانهكته ليجهز عليها بضربة قويّة، وقام بحصار جيشها وسلب زوجها "كينغو" ألواح القدر التي أصبحت تحت سلطته، وعمد إلى جسد "تيامات" فشطره إلى شطرين: خلق من الأوّل السماء ومن الثاني خلق الأرض<sup>(3)</sup>.

وقام بعد ذلك بتنظيم الكون بوضعه الكواكب في مكانها، وأعطى "سين" (إله القمر) سلطة قياس الزمن، بعد استشارة والده "أيا"، ومن بزوغ وأفول أبراج النجوم تعيّن السنة والشهر

(1) - خزعل الماجدي، انجيل بابل، المرجع السابق، 1998، ص 17.

(2) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 411.

(3) - مارغريت روتن، تاريخ بابل، ط2، تر: زينة عازار، ميشال أبي فاضل، منشورات عويدات، بيروت، 1987، ص 127.

واليوم<sup>(1)</sup>، وتم تقسيم السنة إلى 12 شهرا، ثم حدّد أيام السنة بواسطة الكواكب التي حدّدها لكلّ شهر<sup>(2)</sup>، وقام بخلق إنسان سمّاه (لولو) - يجهل معنى هذا الإسم - وهذا الإنسان خليط من الطين والعظم والدّم، ومنحته الإلهة (أرورو) زوجة مردوخ الحياة، الذي سيكون في خدمة الآلهة، وبعد هذا الجهد القاسي الذي بذلته الآلهة ركنوا للراحة، وتشير الملحمة إلى أنّ الإله الذي خلق الإنسان من دمه هو "كنغو" زوج تيامات<sup>(3)</sup>.

نجد في الأسطورة البابليّة موضوعين هامّين هما: أسطورة الخليقة، وأسطورة الطوفان "أترخاسيس" والملاحظ أنّ أسطورة الطوفان البابليّة "أترخاسيس" تتضمّن تفاصيل عديدة بالمقارنة مع ما ذكرته النصوص المسماريّة الأخرى، حيث يذكر الرقيم الأوّل، وتحديدًا في منتصفه، أنّ كلّ الآلهة الكبار (أنو، أنليل، أيا)، قرّروا مواجهة التّمرد الذي قادته الآلهة (إيجيجي (Iggi))، والتي كانت مهمّتها إصلاح الأرض وزراعتها، وبعد أربعين سنة تعبت فعصت أوامر الآلهة مطالبة بإيجاد من ينوب عنها في هذه الأعمال الشاقّة وأعلنت التّمرد والعصيان و حاصرت مقر الإله "انليل" في نفر<sup>(4)</sup>، وبعد إجماع الآلهة قررت أن تطلب المساعدة من إلهة النسل "نتو" "NINUTU" "مامي" لتخلق الإنسان، والذي سمّاه النصّ البابلي "لولو" "LULLU"، وجاء في النصّ مايلي:

أنت إلهة الرّحم (تكونيين) خالقة الجنس البشريّ، اخلقيني فانيا، كي يحمل النّير، اجعليه يحمل النّير، عمل انليل، اجعلي الإنسان يحمل حمل الآلهة<sup>(5)</sup>.

وتواصل الأسطورة البابليّة بعد ذلك سرد الأحداث بعد أن تطلب المساعدة من "أنكي"

أسمع أنكى صوته، وخاطب الآلهة العظماء، في الأوّل والسّابع، والخامس عشر من الشهر، سوف اصنع تطهيرا بالغسل، ثمّ يجب ذبح أحد الآلهة، وسوف تتطهر الآلهة

(1) - شارل قيوللو، أساطير بابل وكنعان، د.ط، تر: ماجد خير بك، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1990، ص 20.

(2) - فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، سوريا 1982، ص 214.

(3) - شارل قيوللو، المرجع السابق، ص 20.

(4) - فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المصادر المسمارية، د.ط، رئاسة جامعة بغداد، العراق، د.ت، ص 8.

(5) - ستيفاني دالي، المرجع السابق، ص 36.

بالعماد، وستمزج ننتو الطين بلحمه ودمه، ثم يمزج معاً، رجل، وإله بالطين، ولنسمع بعد ذلك قرع الطبول، ولتأت روح إلى الوجود، من لحم الإله، ولنعلنها إشارة حيّة له<sup>(1)</sup>.

ونذكر هنا أنّ هناك تفاصيل وجزئيات عديدة حول هذه الأسطورة لكننا اكتفينا بما يساير طرحنا، وعليه فإننا نستنتج أنّ الأسطورة السومرية البابلية تشترك في الكثير من النقاط الأساسية حول إيجاد الإنسان منها:

- أنّ الإنسان تمّ خلقه من طين (حسب الأسطورة البابلية)

- أنّ عملية خلق الإنسان كانت بمثابة ختم لمراحل خلق الكون التي سبقته، وأنّه خلق لتحمل مسؤولية رفع التعب عن الآلهة وإسعادها.

- أنّ عملية خلق الإنسان جاءت لتحقيق الرقاه للآلهة خاصة لتوفير الطعام لها.

ويوجد الكثير من التساؤلات المطروحة حول الوسيلة التي يتم بها الإله عملية الخلق، فمن خلال النصوص المسمارية فإنه يمكن الاستنتاج أنّ هذه الآلهة يمكنها أن تحقق ما ترغب فيه عن طريق صنع ما تريد إيجادها، أو ما تحتاجه بطريقة أخرى عن طريق أمر إلهي روحاني مباشرة لتحقيق إرادته، إلا أنّ الباحثين يرون أنّ هذه الطريقة لم توضحها النصوص المسمارية السومرية البابلية، رغم أنّ البعض يرى أنّ كلمة الإله مردوخ البابلي لا يمكنها أن تفعل أي شيء، وعليه لا يملك القدرة الكلية التي كانت ستمكّنه من هزم عدوّه (تيامات)، أو التصدي لها بقوة الكلمة دون الدخول في حرب ضدها.

والملاحظ أنّه في الرقيم (اللوح) الرابع ترد كلمة (كن)، في قصة الخليفة البابلية، ذلك أنّ مردوخ نطق أمام الآلهة فاختفى رداء الآلهة الذي بسط أمامها، ثمّ نطق ثانية فعاد إلى مكانه وهذا ما جعل الآلهة تتوجّه ملكاً عليها ضدّ "تيامات" التي خاطبته قائلة:

ومنذ هذا اليوم ستكون كلمتك ثابتة لا تتغيّر، فمن شئت أن ترفع أو تخفض فأمره منوط بيدك، اجلس ستكون كلمتك هي الصّحيحة وسيكون قرارك معصوماً من الخطأ، ولن يتخطى

(1) - ستيفاني دالي، المرجع السابق، ص 36، 37.



حدودك أيّ من الآلهة، يا مردوخ أنت بالحقّ من يثار لنا، هانحن نبايحك على ملك الكون بأجمعه، وعندئذ تأخذ مكانك في المجلس ستكون كلمتك هي العليا، وسوف لن تقهر أسلحتك بل أنّها ستحطّم أعداءك، ياسيّدي انقذ حياة من وضع ثقته فيك، وعسى أن تزهب حياة كلّ إله اقتترف المعصية<sup>(1)</sup>.

وبعد أن وضعوا الرّداء وسطهم، خاطبوا ابنهم البكر مردوخ قائلين، ياسيّدنا إنّ أمرك حقّاً هو الأوّل بين الآلهة، فانطق سواء بالفناء أو الوجود فإنّه سيكون، افتح فمك ليختفي الرّداء، وانطق ثانية ليعود الرّداء، وبالفعل فبكلمة من فمه اختفى الرّداء، فلما رأى آباؤه الآلهة فعل كلمتها أعلنوا ولاءهم فرحين قائلين "مردوخ هو الملك"<sup>(2)</sup>.

ويعتبرها الباحثون حالة استثنائية، ذلك أنّ عملية الخلق لدى الآلهة تتمّ عن طريق عملية الصّنع، فقد كان خلق الإنسان وفق طريقة صنعتها الآلهة، فالنصوص تذكر أنّ إله الحكمة أخذ شيئاً من الطّين المقدّس، بعد إكمال عملية الغطس و الاغتسال، ثمّ حوّلت إلى الإلهة (نتو) المكلفة بالخلق، وبعدها قرأت تعويذة، ثمّ قطعت الطّين الممزوج بدم الإله إلى 14 قطعة، وقسمتها بالتساوي عن اليمين والشّمال، فنتج عنها سبعة ذكور وسبع إناث، ثمّ خاطبت الآلهة قائلة:

لقد عهدتم لي عملاً فأكملته، فبعد أن ذبحتم إلهما مع (ذكائه)، رفعت عنكم أعمالكم الشّاقة، وفرضت عناءكم على الإنسان، إذا كنتم قد رفعت أصواتكم، من أجل خلق الإنسان فيها أنا قد حللت التّير عنكم وأقمت الحرّية<sup>(3)</sup>.

**ج. الخلق عند العبرانيين:** ممّا تمّ عرضه يتّضح أنّ إشكالية خلق الإنسان والكون في المعتقدات السّومريّة والبابليّة له وقع في التّوراة في الإصحاح الأوّل من سفر التّكوين، فقد

(1) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 411.

(2) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 25.

(3) - ستيفاني دالي، المرجع السابق، ص 38.

أكدت التّوراة أنّ المياه أصل الوجود، كما ذكرت أنّ السّماء والأرض خلقتا بعد عمليّة فصل "بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد"، وهذا ما ذكرته الأسطورة السّومريّة البابليّة، إضافة إلى قدرة الكلمة الإلهيّة على الخلق التي تتّضح في معتقدات العبرانيّين.

فلقد جاء في الإصحاح الأوّل من سفر التّكوين أنّه "في البدء خلق الله السّماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخاليّة وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله: "ليكن نور" فكان نور. ورأى الله أنّ النور حسن. ففصل بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارا والظلمة ليلا. وكان مساء وكان صباح يوما واحدا. وقال الله: ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلا بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك ودعا الله الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا. وقال الله: لتجتمع المياه تحت السّماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة". وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضا ومجتمع المياه دعاه بحارا. ورأى الله ذلك أنّه حسن. وقال الله: لتبت الأرض عشا وبقلا يبذر بذرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بذره فيه على الأرض. وكان كذلك. فاخرجت الأرض عشا وبقلا يبذر بذرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بذره فيه كجنسه. ورأى الله ذلك أنّه حسن. وكان مساء وكان صباح يوم ثالث. وقال الله: "لتكن أنوار في جلد السّماء لتفصل بين النّهار والليل ولكون الآيات وأوقات وأيّام وسنين. وتكون أنوار في جلد السّماء لتنير على الأرض. وكان كذلك. فعمل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النّهار والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم. وجعلها الله في جلد السّماء لتنير على الأرض. ولتحكم على النّهار والليل وتنفصل بين النور والظلمة. ورأى الله ذلك أنّه حسن. وكان مساء وكان صباح يوما رابعا. وقال الله: "لتقض المياه زحافات ذات نفس حيّة وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السّماء. فخلق الله الثنّانين العظام وكلّ نفس حيّة تدبّ التي فاضت بها المياه كأجناسها وكلّ طائر ذي جناح كجنسه. ورأى الله ذلك أنّه حسن. وباركها الله

قائلا: "أثمري وأكثرني واملئي المياه في البحار. وليكثر الطير على الأرض. وكان مساء وكان صباح يوما خامسا. وقال الله: " لتخرج الأرض ذوات أنفس حيّة كجنسها: بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها. وكان كذلك. فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها. ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله: " فعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كلّ الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدبّ على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكر وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: " أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلبوا على سمك البحر وطيير السماء وعلى كلّ حيوان يدبّ على الأرض " (1).

أمّا الإصحاح الثاني فقد ورد فيه: "فأكملت السماوات والأرض وكلّ جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا. هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت يوم عمل الربّ الإله السماوات والأرض " (2).

وباستقراء الإصحاحين الأوّل والثاني من سفر التكوين نجد هناك روايتين للخلق فيه، حيث يصنّف الإصحاح الأوّل، والفقرات الثلاثة الأولى من الثاني في المصدر الكهنوتي، وبقية فقرات الإصحاح الثاني في المصدر اليهودي (3)، وهذا التناقض الواضح يفسّر أنّ الكاتب اعتمد على مصدرين مستقلّين ومختلفين، وقام بالجمع بينهما في كتاب واحد، دون تمحيص وحتى لم يبذل جهدا في التوفيق بينهما للتقليل من حدّة الاختلاف، وفي حين يرى العلماء أنّ قصّة الخلق في الإصحاح الأوّل مستمدة من المصدر الكهنوتي الذي ألفه كتّاب كهنوتيون أثناء السبي

(1) - سفر التكوين، الإصحاح الأوّل: 1 - 28.

(2) - سفر التكوين: الإصحاح الثاني: 1 - 4.

(3) - زلمان شازار، المرجع السابق، ص 134.

البابليّ أو بعده، فإنّ قصّة الخلق في الإصحاح الثّاني تنتمي إلى المصدر اليهوديّ، والذي ألف قبل المصدر الكهنوتي بمئات السّنين<sup>(1)</sup>.

من خلال الإصحاح الأوّل نجد أنّ "ألوهيم" وهو "يهوه" و"رب الجنود" و"أدوناي" كما تسميه النوراة في أماكن مختلفة<sup>(2)</sup>، والذي ترجم في النسخة العربيّة "الله"، هو من قام بخلق السّماوات والأرض، وكلمة "ألوهيم" تعني الآلهة بصيغة الجمع) واستخدمت في هذا الموضع للدلالة على المفرد ولعلّ هذه التسمية اطلقها التّعديّون الذين اعتبروا التّوحيد هو انصهار جميع الآلهة مع بعضها لتشكل إلها واحدا<sup>(3)</sup>، ولا يذكر الكاتب كيف تمّت عمليّة الخلق ولا مادّة الخلق (وهل كانتا متّحدتين أم منفصلتين)، لينتقل بعد ذلك إلى الحالة البدئيّة للكون، فالأرض (خرابة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة)، فكانت بذلك عناصر هذه المرحلة: الفراغ، المياه والظلام بالإضافة إلى السّكون حيث أنّ (روح الله يرفّ على وجه المياه)، لتتواصل عملية الخلق بدءاً من النور بالكلمة والذي استحسنته "ألوهيم"، والذي يبدو أنّه خلقه من الظلام، ليسمي "النور" نهاراً و"الظلام" ليلاً، وينتهي بذلك أوّل أيّام الخلق.

ليواصل "ألوهيم" في اليوم الثّاني عمليّة الخلق، بخلقه "جلدا في وسط المياه"، ومعنى "الجلد" غامض، إلا أنّ اللفظ العبريّ "رقيع" الذي يعني قبة السّماء عموماً، أو السّماء الأولى عند الأقدمين<sup>(4)</sup>، ممّا يوحي بأنّ "ألوهيم" خلق السّماء ذاتها أو قبتها، وقسم بها المياه، والتي لم يذكر أيّ مياه كانت، لكن يفترض أنّها مياه المحيط الأزليّ<sup>(5)</sup>.

(1) - جيمس فريزر، المرجع السابق، ص 27، 28.

(2) - بولس فغالي وأنطوان عوكر، العهد القديم العبري، ترجمة بين السطور -عبري- عربي، ط1، المكتبة البولسية لبنان، 2007، ص 1. وانظر: ليوتاكسيل، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ط1، تر: حسان ميخائيل اسحق، 1994، ص5.

(3) - رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، د.ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2002، ص 40.، وقد وردت صيغة الجمع "ألوهيم" في سفر الخروج 20: 3 "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"، ومفرد "ألوهيم" هو "إلوه" (بفتح الواو) وقد وردت في سفر التثنية 32: 15، وسفر أيوب 10: 2، 11: 5-7.

(4) - ريجي كمال، المعجم الحديث عبري عربي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص، 457.

(5) - كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2006، ص 80.

ليتواصل الخلق بعد ذلك بقيام "ألوهيم" بخلق "اليابسة" الأرض من المياه السفلية وما بقي منها صار "بحارا"، في حين أنّ المياه العليا لم يتطرق لها الكاتب ليواصل عملية الخلق بعد أن استحسن فعله بخلق العشب والشجر.

وبعد فراغه من خلق الأرض وما عليها من عشب وشجر، عمد إلى خلق الأجرام المنيرة في قبة السماء، فبدأ بخلق الشمس والقمر لكن لم يذكرهما الكاتب مباشرة وإنما اتخذ المجاز في التعبير عنهما، ليخلق بعد ذلك النجوم للاستدلال بها على النهار والليل، ليستحسن "ألوهيم" فعله وينتهي اليوم الرابع من أيام الخليفة أمّا اليوم الخامس فخصّصه لخلق الطيور والزواحف و التنانين العظام والكائنات البحرية.

أمّا في اليوم السادس فيخلق "ألوهيم" الحيوانات البرية والوحوش كما تصوّرها، فحسنت في عينه، ليتخذ قرارا أن "يعمل" الإنسان "على صورته كشبهه"، وقد استخدم الكاتب هنا كلمة إنسان للدلالة على النوع البشريّ كلّ، وليس على إنسان بعينه، مع عدم ذكر المادة التي خلق منها هذا الإنسان، بعد اكتمال الخلق كلّ، يفرغ "ألوهيم" في اليوم السابع، الذي استراح فيه وقدّسه.

من خلال هذه الرواية الكهنوتية يتّضح أنّ الإنسان خلق على هيئة "ألوهيم" أي على صورته، لكن المؤلف لم يوضّح طبيعة هذا الشبه، وإعطائه صفة حسية، وهذا يعكس تأثر الديانة العبرية بعقائد أمم الشرق القديم، والتي عاش بينها العبرانيون<sup>(1)</sup>، إضافة إلى وجود إشارات غير مباشرة إلى أنّ هناك مجعاً يرأسه "ألوهيم" يستشيرهم ويطلب منهم العون، يتّضح هذا في الفقرات 16 و26 من الاصحاح الأول (سفر التكوين) والتي تعكس ملامح عن

(1) - كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص 85.

عقائد الشرق الأدنى القديم، حيث كان القمر معبوداً رئيسياً في بلاد الرافدين، والشمس معبوداً رئيسياً في مصر.

أما في الفقرات 11 و24، فيأمر "ألوهيم" الأرض أن تنبت عشباً وبقلاً وشجراً وأن تخرج ذوات الأنفس الحيّة من الحيوانات، ورغم أنّ المؤلف بيّن في الفقرة 25 أنّ "ألوهيم" هو من قام بتلك الأعمال، إلا أنّ الفقرات 11، 12، 24 لم تعطِ إشارات إلى فكرة "ألوهية الأرض" وهي من عقائد بلاد الرافدين التي اعتبرت الأرض هي المسؤولة عن الخلق (نتو، ننخورساج ومامي وغيرها)، أما قرار خلق الإنسان فيوحي باستشارة "ألوهيم" للمجلس الإلهي عند إعلانه لقرار خلقه وورد هذا في الفقرة 26 باستخدامه ضمير الجمع فيه، في حين استخدم صيغة المفرد في الفقرة 27.

وقد يرى البعض أنّ استخدام صيغة الجمع دلالة على التّضخيم والتّعظيم، وأنّ استخدام صيغة المفرد كان في سياق السرد الذي يقوم به مؤلف السّفر، لكن يمكن الرّد على هذا من خلال الفقرة 29، حيث كان "ألوهيم" يتحدّث إلى الكائنات بصيغة المفرد، إنّ استخدام صيغة الجمع متعلّقة بقرار الإعلان عن خلق الإنسان<sup>(1)</sup>، كما أنّ هناك إشارات عديدة في العهد القديم إلى هذا المجلس الإلهي منها:

"هلمّ نزل و نبلبل ألسنتهم...."(2).

"الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي"(3).

"هل تنصت في مجلس الله أو قصرت الحكمة على نفسك"(4).

(1) - كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص 87.

(2) - سفر التكوين 11: 7.

(3) - سفر المزامير 82: 1.

(4) - سفر أيوب 15: 8.

في حين عن قضية خلق الإنسان، فالأسطورة السومرية البابلية مطابقة للنص التوراتي في مصدر الخلق وهو الطين (المصدر اليهودي)، فلقد جاء في التوراة أن الإنسان " جيل الرب الإله آدم ترابا من الأرض"<sup>(1)</sup>، حيث يبدأ الرب و المسمى في هذه الرواية "يهوه" بخلق الإنسان مع ذكر المادة التي خلق منها وهي " تراب الأرض "أما عن الهدف من خلق الإنسان، فإذا كانت الأسطورة السومرية البابلية تهدف إلى أنه يحمل النير بدلا عن الآلهة، وذلك لإعمار الأرض، فإن النصوص التوراتية تحدد مصيرا ماثلا ذلك أن الرب كتب أن " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها"<sup>(2)</sup>، عن طريق فلاحتها وخدمتها .

كما توجد إشارات في العهد القديم إلى صراع الخالق مع التين، وترتبط بالخلقة بشكل ما و قد جاء فيها: "في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لويathan الحية الهاربة. لويathan الحية المتحوية ويقتل التين الذي في البحر"<sup>(3)</sup>، "استيقظي استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب استيقظي كما في الأدوار القديمة. ألسنت أنت القاطعة رهب الطاعنة التين؟"<sup>(4)</sup>، وكذلك "أنت شققت البحر بقوتك. كسرت رؤوس التنانين على المياه. أنت رضضت رؤوس لويathan. جعلته طعاما للشعب لأهل البرية."<sup>(5)</sup>، "أنت سحقته رهب مثل القليل. بذراع قوتك بددت أعداءك. لك السماوات. لك أيضا الأرض. المسكونة وملؤها أنت أسستهما"<sup>(6)</sup>، "بقوته يزعج البحر ويفهمه يسحق رهب. بنفخته السماوات مشرقة وبدا أبدأت الحية الهاربة"<sup>(7)</sup>، "هوذا بهيموت الذي صنعه معك. يأكل العشب مثل البقر. هاهي قوته في متنيه وشدته في عضل بطنه. يخفض ذنبه كأرزة . عروق فخذه مظفورة. عظامه أنابيب نحاس وأضلاعه حديد مطلق. هو أول أعمال الله. الذي صنعه أعطاه سيفه. لأن الجبال تخرج له مرعى وجميع وحوش البر تلعب

(1) - سفر التكوين 2: 7.

(2) - سفر التكوين 3 : 23.

(3) - سفر إشعياء 27 : 1.

(4) - سفر إشعياء 51 : 9.

(5) - سفر المزامير 74 : 13 ، 14.

(6) - سفر المزامير 89 : 10 - 11.

(7) - سفر أيوب 26 : 12 - 13.

هناك تحت السدّرات يضطجع في ستر القصب والغمقة. تظللّه السدّراتبظّلها. يحيط به صفصاف السّواقي. هوذا النّهر يفيض فلا يفرّ هو. يطمئن ولو اندفق الاردن في فمه. هل يؤخذ من أمامه؟ هل يثقب أنفه بخزامة؟<sup>(1)</sup>.

يلاحظ من هذه النصوص وجود إشارات صريحة إلى أنّ العالم خلقه الرّب منها: "أيام القدم"، "الأدوار القديمة"، بالإضافة إلى وجود إشارات لمصارعة الرّب "يهوه" لعدة وحوش "لويثان"، "رهب" "بهموت" وغيرها، والتي تقف أمامه بصيغة النديّة لا كأحد مخلوقاته.

ويرى بعض الباحثين أنّ الألفاظ التي أطلقت على هذه الوحوش ماهي إلا مجازات أطلقت على أمم قويّة كانت في عدااء لـ "يهوه" وشعبه، حيث يمثّل "رهب" و"لويثان" (التنانين) صياغات رمزيّة لمصر والمصريين، وبالتالي التلميح إلى ممالك قويّة، بالإضافة إلى أنّ التّعابير التي استخدمت: الحيّة الهاربة، الحيّة المتحوّية، التّنين، من المحتمل أنّها استعارات تدلّ على أشور(الواقعة على نهر دجلة) أو(بابل الواقعة على نهر الفرات)أو مصر(التي يرمز إليها التّنين في البحر، أي النيل)<sup>(2)</sup>.

نذكر أنّه يوجد اختلاف بين زمن هذا الصّراع، فبعض الباحثين يرون أنّه حدث قبل خلق العالم ودليلهم على ذلك أنّ أفعال الخلق المذكورة مباشرة بعد انتصار "يهوه" في المعركة مستندين على ما جاء في (المزامير 89: 9 - 12) و(74: 12-17)، فخلق العالم والنور والشّمس وتثبيت الأرض وما فيها جاءت بعد ذبح "لويثان ورهب"، بينما يرى آخرون أنّ هذا الصّراع كان بعد الخلق<sup>(3)</sup>.

مما تمّ عرضه نستطيع استخلاص أوجه تشابه عديدة بين ما جاء في الأساطير الرّافدية والتّوراة منها:

(1) - سفر أيوب 40: 15 - 24 .

(2) - ألكسندر هايدل، سفر التكوين البابلي، ط1، تر: سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بغداد، 2007، ص ص 153 - 155.

(3) - الكسندر هايدل، المرجع السابق، ص ص 158، 159 .



- الطَّبِيعَةُ التَّشْبِيهِيَّةُ، فالآلهة الرَّافِديَّةُ اتَّصفت بكثير من الصِّفَات البشريَّة، كذلك الإله في التَّوراة يظهر مثل البشر في كثير من صفاته، وهذه خاصيَّة لدى مجتمعات الشَّرْق الأدنى القديم.

- تشابه ما جاء في أسطورة الخليفة البابليَّة فيما يتعلَّق ب "مردوخ" الذي أصبح الأعلى والأوحد، رغم تعدُّد الآلهة، مع النِّصوص التَّوراتيَّة التي احتلَّ فيها "يهوه" نفس المكانة وأنَّه انفرد عنهم.

- تشترك الديانتان الرَّافدية واليهوديَّة في فكرة المجمع الإلهي "المجلس" حيث يتولَّى زعامته إله أعلى، مع عدم وضوح هذه الفكرة في التَّوراة، عكس الديانة الرَّافديَّة.

- بعض الباحثين يرون أنَّ الصِّراع بين الإله والتَّنين في التَّوراة كان قبل الخلق، هذا يؤدِّي إلى تطابق ما جاء فيها مع صراع "مردوخ" مع "تيامات" ومباشرة بعد ذلك لعملية خلق الكون.

- هناك صفات مشتركة فيما يخصَّ التَّنين بين الطَّرفين، كالشَّكل الأفعواني والارتباط بالمياه، كما أنَّ التَّخلُّص من التَّنين يعدُّ راحة من شروره لكلا الشَّعبين (الرَّافديِّ واليهوديِّ).

## 2. الطَّوفان بين الأساطير الرَّافدية (السُّومريَّة البابليَّة) والنِّصوص التَّوراتيَّة:

اهتمَّ عديد الباحثين من مؤرِّخين و أثريين وهواة بقصَّة الطَّوفان بدءاً بتلك الواردة في القرآن الكريم إلى ما أوردته النِّصوص التَّوراتيَّة، والنِّصوص السُّومريَّة البابليَّة، محولين البحث والتَّحرِّي عن هذه الظَّاهرة، حيث طرحت العديد من التَّساؤلات حولها، فالدَّارس لهذا الموضوع سيجد أنَّ النِّصوص السُّومريَّة البابليَّة أوردته في ثلاث روايات بارزة متشابهة في كثير من التَّفصيل:

-الأولى: كتبت بالسُّومريَّة وبطلها "زيوسدرا" "Ziusudra"، الذي اعتبر أنَّه أنقذ البشريَّة من خطر الفناء أثناء الطَّوفان العظيم الذي شمل الأرض حسب تصوُّر قديم<sup>(1)</sup>.

(1)- ادزارد وأخرون، المرجع السابق، ص38.

– الثانية: جاء في الرقيم الحادي عشر من "ملحمة جلجامش"<sup>(1)</sup>، حيث ذكرت أنّ رجلا اسمه "أوتنابشتم" "Utnapishtim"<sup>(2)</sup>، قام ببناء سفينة ضخمة حمل فيها ما استطاع من الناس والحيوانات والطيور والمتاع<sup>(3)</sup>.

– الثالثة: تعدّ الأكثر تفصيلا، عرفت لدى علماء السومريّات باسم "أتراخاسيس" "ATRAHASIS"، نسبة إلى رجل أدّى دورا يشبه كلاً من "زيوسيدرا، وأوتنابشتم"<sup>(4)</sup>.

وبغض النظر عن اختلاف أبطال الطوفان وبعض الجزئيات، فهناك تشابه بين الروايات الرافدية حول هذه الأسطورة، يتمثل في:

– إجماع الآلهة على تحريض إله الجوّ "انليل" على إحداث الطوفان.

– الإجماع على معاقبة البشر بسبب تكاثرتهم، وإثارتهم للصّخب والضّحيج وعدم ترك الإله ينام.

– بروز إله الحكمة "أيا" "Ea" المحبوب لدى البشر المعارض لإفنائهم، ممّا جعله ينذر أحد الرّجال الأتقياء من مدينة "شروباك" ليعلم البشر بما يتهدّدهم ويستعدّوا لذلك.

وممّا جاء في خطاب إله الحكمة لبطل الطوفان "أوتنابشتم" :

هدّم بيتك وابن سفينة، اترك المال وانشد الحياة، انبذ المال وانقذ النفس، واحمل في السّفينة بذرة كلّ المخلوقات الحيّة، أمّا السّفينة التي سوف تبني، ستكون متوازية الأبعاد<sup>(5)</sup>.

(1)–ملحمة جلجامش: هي الألواح الأثرية التي تم العثور عليها في مواقع مختلفة من العراق وفي أماكن مختلفة من العالم هي قصيدة شعرية طويلة بابلية كتبت باللغة الأكديّة، تتألف من 12 رقيما، اختص الرقيم 11 بقصة الطوفان، تم العثور على القسم الأكبر منها في مكتبة آشور بانينال في نينوى، ترجمت لأول مرة سنة 1872م، تدور أحداثها حول جلجامش أحد ملوك سومر القدماء و الذي كان يبحث عن سر الخلود. أنظر: منصور عبد الحكيم، طوفان نوح في القرآن و الأساطير القديمة، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2012، ص 190.

(2)–أوتنابشتم: هو الملك الأخير الذي حكم شروباك قبل حدوث الطوفان ووالده أوبار. توتو، حسب ماورد في قائمة الملوك السومرية وهي من الوثائق التاريخية الشهيرة التي ورد فيها قائمة لأسماء الملوك فيبلاد الرافدين منذ أقدم الأزمان، للمزيد أنظر:

Thorkild Jacobsen, The Sumerian king List, The University of Chicago, Press, Chicago, 1937, P2.

(3)– جيمس فريزر، المرجع السابق ص 97.

(4)– ستيفاني دالي، المرجع السابق، ص ص 21، 22.

(5)– ستيفاني دالي، المرجع السابق، ص 138.

وتذكر الأسطورة أنّ بطل الطوفان وصله أمر الإله بوجود طاعته، فبدأ في الإعداد لبناء السفينة، وبعد سبعة أيّام متواصلة في البناء يتم إنجازها، وعرفت باسم "NASIRATNAPISHTIAM" في الأكادية أي "منقذة الحياة"، ثم تذكر لنا الأسطورة بطل الطوفان وهو يتحدث عن السفينة و بنائها قائلا: وفي اليوم الخامس أقيمت هيكلها، وكانت مساحة قاعدتها "إيكو"<sup>(1)</sup> "IKU" واحدا، وطول كلّ من جوانب سطحها 12 ذراعا، هكذا حدّد أبعادها وهيكلها، لقد جعلت فيها ستّة فواصل، وبهذا قسمتها إلى سبعة طوابق، ثمّ قسمت أرضيتها إلى تسعة أقسام، وغرزت فيها مسامير (خشب لمنع الماء)، ثمّ زوّدتها بالمرادي والمؤن، وسكبت ستّة سارات من القير في الكور، وجاء حملة السلال بثلاث (سارات) من الزّفت، إضافة إلى (سار) واحد من السّمن استنفد في (فلاحة السفينة)<sup>(2)</sup>.

من هنا يظهر أنّ السفينة كانت على شكل مكعب منظمّ طوله 120 ذراع (60 م) وارتفاعه 120 ذراع، وذات سبعة طوابق، مقسّمة من الأسفل إلى الأعلى بستّة فواصل، كلّ منها فوق الآخر، ويفترض أنّ ارتفاع كلّ طابق ب: 20 ذراع (10 م)، وبعد إنزالها فإنّ ثلثها كان تحت الماء أي ما يعادل 20 مترا، و40 مترا فوقه، أي خمسة طوابق فوق الماء وطابقان تحته، وبعد الانتهاء من بنائها، فإنّ بطل الطوفان حملها بالبشر والحيوانات والمؤن طبقا لتوجيهات إله الحكمة "أيا"، أي أنه حمل بذرة كلّ المخلوقات حسب الرّقيم الحادي عشر من ملحمة "جلجامش"<sup>(3)</sup>.

أمّا الأسطورة البابليّة "أترخاسيس" فتعطي تفاصيل كثيرة عن الموضوع، وتذكر توجيهات الإله "أيا" لبطل الطوفان:

(1) - إيكو: وحدة لقياس المساحات تقدر ب: 3600 متر مربع، انظر: فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 219.

(2) - محمد بيومي مهرا، دراسة حول قصة الطوفان بين الأثار والكتب المقدسة، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، العدد 5، 2018، ص 398.

(3) - طه باقر، ملحمة كلكامش، د.ط، بغداد، د.ت، ص 94.

ترقّب الوقت المحدد الذي سوف أحبرك به، ثم ادخل السفينة واغلق بابها، وزوجتك وصاحبك وقريبك والعمّال الماهرين، أحمل فيه شعيرك وأمتعتك وأموالك، وإني سأرسل إليك حيوان السّهل وكلّ حيوان وحشيّ، يأكل العشب في السّهل، إنّها سوف تنتظر عند بابك<sup>(1)</sup>.

وعن حدوث الطّوفان فإنّه جاء على شكل رعد يشقّ عنان السّماء، وأعاصير مدمرة تعصف، وتزجر مثل نحيق حمار الوحش، فيضان عارم تخور مياهه مثلما يخور الثّور، ظلام حالك، ودمار في كلّ مكان حتّى أنّ الآلهة أصيبت بالخوف، فانتقلت إلى أبعد السّماوات<sup>(2)</sup>، وفي هذا الصّدّد تورّد لنا النّصوص البابليّة نصّاً لأحد الكتّاب البابليين قائلاً:

ولما حان ذلك الوقت المعين، وأنزل الموكل بالشرور في الليل مطر الهلاك، تطلّعت إلى حالة الجوّ، فكان الجوّ مخيفاً للنظر، وعندئذ دخلت السفينة وأغلقت الباب، وأسلمت دفة السفينة إلى الملاح بوزور -أموري (AMURIPUZUR-)، وعند إطلالة الفجر، ظهرت سحابة سوداء في الأفق، كان الإله "أدد" يردد بداخلها، بينما كان "شولات" "SHULLAT" و"خانيش" "HANISH"، يسيران في مقدّمتها، وعندئذ اقتلع الإله "إيراكال" "ERRAKAL" دعائم السّد للمياه السّفلى، وانطلق الإله "نورتا" "NINURTA" بالمشاعل، ورفع "أنوناكي" "ANUNNAKI" المشاعل، ولمّا وصل الرّعب من الإله "أدد" إلى عنان السّماء، وتحطّمت الأرض الواسعة مثلما يتحطّم الإناء، استحال كلّ نور إلى ظلمة، وظلّت ريح الجنوب تهبّ يوماً كاملاً، وتزايدت سرعتها وهي تهبّ حتّى اجتاحت الجبال، وفتكت بالنّاس مثل حرب ضروس، فلم يستطع الأخ أن يرى أخاه، ولم يكن بالمستطاع تمييز النّاس من السّماء حتّى أنّ الآلهة ذعرت لهول الطّوفان، فأخذوا يتراجعون حتّى وصلوا إلى سماء الإلهة "أنو"<sup>(3)</sup>.

ويتواصل هذا الوضع طيلة سبعة أيّام وسبع ليال، حيث قضى الطّوفان على كلّ ما في الأرض من مخلوقات، وتصف أسطورة "جلجامش" أنّ النّاس أصبحوا يملأون البحر كأثم صغار

(1)-فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 82.

(2)-ستيفاني دالي، المرجع السابق، ص 56.

(3)-فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 86.

السّمك" <sup>(1)</sup>، حسب وصف بطل الطّوفان "أوتنابشتم"، وقد كان لما آلت إليه البشريّة من دمار وخراب وقتل أن حزنت الآلهة المحبّة للبشر، كآلهة "عشتار، والإله "انكي"، والملاحظ أنّ أسطورة "أتراخاسيس" تذكر استمرار الطّوفان سبعة أيّام وسبع ليال، في حين تذكر ملحمة "جلجامش" أنّ الطوفان استمر ستة أيّام وفي اليوم السابع خفّت الرّياح .

وبعد أن هدأ البحر والعواصف، وانتهى الطّوفان، يذكر البطل فيه (أوتنابشتم): "أنّ السّكون خيم في كلّ مكان، وأنّ البشر جميعا تحوّلوا إلى طين"، وهنا تظهر الحالة النّفسية التي أصبح عليها بعد أن نجا من الطّوفان، حيث جاء في نصّ الأسطورة مايلي:

ثمّ فتحت نافذة (في السفينة) فسقط النّور على وجهي، فسجدت وجلست باكيا، والدموع تجري على وجهي، ثمّ أخذت أتطلّع إلى سواحل البحر الواسع، فبانت الأرض من مسافة إثني عشر ميلا مضاعفا <sup>(2)</sup>، بعدها استقرّت السفينة على جبل اسمه "نيسير"، وجاء في النصّ أيضا: "ومضت ستة أيّام وجبل نيسير ممسك بالسّفينة، ولا يدعها تتحرّك"، ومن خلال ذلك فإنّ بطل الطّوفان تأكّد من أنّ السفينة قد استقرّت في موضعها، وذلك في اليوم السابع في جبل "نيسير"، وعندئذ أطلق "أوتنابشتم" حمامة، وجاء في النصّ:

وراحت الحمامة ولكنها لم تلبث أن رجعت، لقد رجعت الحمامة لأنّها لم تجد محطّا لها، عندئذ أخرجت السنونو وأطلقتها، وراح السنونو ولكنه لم يلبث أن رجع، لقد رجع السنونو لأنّه لم يجد محطّا له، ومن ثمّ أخرجت الغراب وأطلقتها، وراح الغراب ولكنه عندما رأى أنّ المياه انحسرت أكل وحام ونعق ولم يرجع. <sup>(3)</sup>

وبعد أربعة عشر يوما خرج بطل الطّوفان من السفينة، وأفرغ ماء مقدّسا فوق الجبل، وقدم طعاما قربانا للآلهة، ويضيف ذلك النصّ البابليّ: "فتجمّع الآلهة حول القربان كالذباب"، وبعدها تجتمع الآلهة لتقف على ما لحق بالبشر من خراب ودمار، منددين بخطيئة الإله "انليل"

(1) - نائل حنون، المرجع السابق، ص 224.

(2) - فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 93.

(3) - نائل حنون، المرجع السابق، ص 226.

في حقهم، وتذكر الأسطورة إحساسه بالخطيئة العظمى ضدّ البشر، فمنح بطل الطوفان وزوجته الخلود، وتذكر الأسطورة أنه قال:

ما كان أوتنابشتم قبل الآن إلا بشرا، ولكن من الآن سيكون أوتنابشتم وزوجته مثلنا نحن الآلهة وسيقيم أوتنابشتم بعيدا عند (فم الأنهار)<sup>(1)</sup>.

– الأثر الرافدي في النصوص التوراتية: إنّ قصة الطوفان في وادي الرافدين تركت أثرا واضحا في التّوراة والتّلمود، حيث نقرأ تفاصيل واقية عن الطوفان فيهما، فالدارس للنصوص الرافدية والتّوراتية يجد تشابها واضحا بينهما، وهنا نذكر أمثلة من النصوص التّوراتية والتّلمودية:

"هذه مواليد نوح: كان نوح رجلا بارًا كاملا في أجياله وسار نوح مع الله. وولد ثلاثة بنين: سام وحام ويافث. وفسدت الأرض أمام الله وامتألت الأرض ظلما. ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت إذ كان كلّ بشر قد أفسد طريقه على الأرض. فقال الله لنوح "نهاية كلّ بشر قد أتت أمامي لأنّ الأرض قد امتألت ظلما منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض. اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار. وهكذا تصنعه: ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا و ثلاثين ذراعا ارتفاعه. وتصنع كوا للفلك وتكمله إلى حدّ ذراع من فوق. وتضع باب الفلك في جانبه، مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله. فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كلّ جسد فيه روح من تحت السّماء. كلّ ما في الأرض يموت ولكن أقيم عهدي معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك ونساء بنيك معك. ومن كلّ حيّ وكلّ ذي جسد اثنين من كلّ تدخل في الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكرا وأنثى. من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كلّ دبابات الأرض كأجناسها. اثنين تدخل إليك لاستبقائها. وأنت خذ لنفسك من كلّ طعام يؤكل واجمعه عندك فيكون لك ولها طعاما"<sup>(2)</sup>.

(1) - نائل حنون، المرجع السابق، ص 228.

(2) - سفر التكوين 6: 9 - 21.

وكذلك ما ورد في التلمود: "وعندما كان لاماك بن متوشلح في سنّ المئة ستة وثمانين عاما، مات شيث بن آدم ودفن. وفي هذه الأثناء اتخذ لاماك لنفسه زوجة، وهي أشموع، ابنة إيشوع بن حنوك، وولدا ابنا فسمّاه نوحًا، ونشأ نوح على فضائل الصّلاح وتمسك بقوة بسبل الحقّ التي لقيها إياها متوشلح، غير أنّ النّاس تمادوا في معاصيهم تجاه الله وفشا الغشّ بينهم" (1)، فقال الله: "هي ذي الأرض بأكملها فسدت، أمحو عن وجه الأرض هذا الإنسان الذي خلقت، وكذلك طيور السّماء وبهائم البرّ، لأنّ شرور الإنسان ليست تؤهّله للحياة، وإنّي لآسف على خلقي إياه" (2)، وكذلك قال الرّبّ لنوح: "نهاية كلّ بشر قد أتت أمامي، إذ أفسدوا طرقهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض، أمّا أنت فاصنع لنفسك تابوتا، من خشب قطراني، وهكذا تصنعه، ثلاثة مئة ذراع يكون طوله، وخمسين ذراعا عرضه، وثلاثين ذراعا ارتفاعه وتصنع بابا للتّابوت في جانبه وتكمله إلى حدّ ذراع من فوقه" (3).

من هنا يظهر في سفر التكوين والتلمود التّشابه الكبير بين الروايتين السّومريّة والبابليّة، مع اختلاف الجزئيات التي تعود إلى طبيعة اللّغة التي كتبت بها هذه الأساطير، واختلاف الأزمنة التي كتبت فيها، ممّا يطرح إشكالا آخر وهو تاريخ حدوث الطّوفان، وجغرافيته، ومدته، والتي تبقى للدراسات الأثريّة رأيها الذي يوثق به، ويعطي الدّليل على أحداث الوقائع الواردة في هذه النصوص.

كذلك جاء في الإصحاح السّابع نصّ كامل عن أحداث الطّوفان، حيث جاء فيه: "وقال الرّبّ لنوح: "ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأنّي إياك رأيت بارًا لدي في هذا الجيل. من جميع البهائم الطّاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا و أنثى. لاستبقاء نسل على وجه كلّ الأرض. لأنّي بعد سبعة أيّام أيضا أمطر على الأرض أربعين يوما وأربعين

(1) - أحمد إيش، المرجع السابق، 72.

(2) - نفس المرجع، ص 73.

(3) - نفس المرجع، ص 75.

ليلة. وأمحو عن وجه الأرض كلّ قائم عملته. ففعل نوح حسب كلّ ما أمره الرّب. ولمّا كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض. فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطّوفان " (1).

وجاء في التّلمود: "وحدث أيضا في هذه الأيّام أنّ متوشلح بن حنوك مات بعمر تسع مئة وتسع وستين سنة، وبعد موته قال الرّب لنوح: "فلتدخل التّابوت أنت وأهل بيتك كلّهم، وها أنا مرسل إليك البهائم والطّيور جميعها حول التّابوت. فعليك أن تقف عند مدخل التّابوت، وستتجمّع البهائم و الطّيور أمامك، فما ألقى منها أمامك فليدخلها بنوك إلى التّابوت، وما بقي منها قائما فذرّها" (2).

من خلال هذه النصوص يظهر أنّ مسار أحداث الطّوفان متشابهة في أغلب مراحلها، وكان النصّ البابليّ أكثر تفصيلا، بدءا من أسباب ظهور الطّوفان ومانتج عنه من خراب ودمار.

أمّا الإصحاح الثامن فقد جاء فيه: "ثمّ ذكر الله نوحا وكلّ الوحوش وكلّ البهائم التي معه في الفلك. وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه. وانسدتّ ينابيع الغمر وطاقات السّماء فامتنع المطر من السّماء. ورجعت المياه عن الأرض رجوعا متواليا. وبعد مئة وخمسين يوما نقصت المياه. واستقرّ الفلك في الشّهر السابع في اليوم السابع عشر من الشّهر على جبال أراط. وكانت المياه تنقصنقصا متواليا إلى الشّهر العاشر. وفي العاشر في أوائل الشّهر ظهرت رؤوس الجبال. وحدث من بعد أربعين يوما أنّ نوحا فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها. وأرسل الغراب فخرج متردّدا حتّى نشفت المياه عن الأرض. ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض. فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها فرجعت إليه إلى الفلك لأنّ مياهها كانت على وجه كلّ الأرض. فمدّ يده وأدخلها عنده إلى الفلك. فلبث أيضا سبعة أيّام آخر وعاد فأرسل الحمامة من

(1) - سفر التكوين 7: 1 - 7.

(2) - أحمد ايش، المرجع السابق، ص 75.



الفلك. فأنت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها. فعلم نوح أنّ المياه قد قلت عن الأرض"<sup>(1)</sup>.

وهو بذلك يساير ما جاء في التلمود: "وهطل المطر أربعين يوما وأربعين ليلة بقوة هادرة، حتى أنّ أصحاب التابوت أصابهم الهلع والقلق، من خوفهم ألا يكون تابوتهم قادرا على تحمّل هذا الجبروت الغامر"<sup>(2)</sup>، كذلك: "وأرسل الله ريحا على الأرض فتناقصت المياه، واستقرّ التابوت في الشهر السابع...، على جبل أراط ففتح نوح كوة التابوت، وصرخ قائلا: "يالهِ السّموات والأرض، أطلق أرواحنا من الأسر، حرّنا من الحبس الذي نعيش فيه، فقلوبنا قد أضنتها زفرات الأسي، فأجاب الله نوحا قائلا: "في خاتمة العام يكون لكم أن تخرجوا من التابوت"<sup>(3)</sup>.

### 3. جنّة عدن بين الأصول الرافديّة والنصوص التوراتية:

يعدّ هذا الموضوع من أسس المعتقدات الدينيّة التي ذكرتها النصوص الدينيّة التوحيدية بصراحة ووضوح، بدءا بالقرآن الكريم فالتوراة التي ذكرتها أيضا، إلا أنّ تأصيلها يوجهه الكثير من الباحثين إلى فترة أقدم، حيث يعود حسب العديد من الدراسات إلى أصول رافديّة وبالضبط سومريّة بابلية.

بداية فإنّ كلمة عدن وردت في نصّ سومريّ ب (EDIN) ويعني السهل، الأراضي الزراعيّة السهلة، ويرجعه البعض إلى نصوص سومريّة تعود إلى عصر فجر السّلالات الثالث حوالي (2450 ق.م)، وأنّ هذه الكلمة (Edin) أطلقت على السهل الواقعة جنوبي مدينة (أوما)(جوخة)، وكذا على غربي مدينة (لجش)، حيث نشبت بسببها حروب طويلة بين المدينتين، حسب نصّ وثيقة سومريّة، والملاحظ أنّ التوراة ترى أنّ جنّة عدن مكانها جنوبي وادي الرافدين أي في سومر<sup>(4)</sup>.

(1) - سفر التكوين 8: 1 - 11.

(2) - أحمد ايش، المرجع السابق، ص 75.

(3) - نفس المرجع، ص 76.

(4) - فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 201.

وزيادة على اشتقاقها من السومرية، فإنّ النسخة السومرية لقصة الطوفان، تذكر أنّ الآلهة عندما منحت الخلود لرجل الطوفان (زيوسيدرا) لإنقاذه نسل البشر من الفناء، أسكنته في بلد على البحر في الشرق في "دلمون" "Dilmun"، ويجمع الباحثون على أنّها "البحرين"، وجاءت نصوص أسطورة (أنكي و نخرسك) لتذكر أنّ أحداثها دارت في "دلمون"، حيث تصوّروها جنّة باعتبارها أرضاً مطهّرة مشرقة تحت عناية الإله (إنكي) إله المياه، فجلب لها المياه العذبة، ولقد كانت "دلمون" أرض السلام والطمأنينة<sup>(1)</sup>، وجاء في النصّ السومري:

في بلاد دلمون لا ينقع الغراب الأسود، ولا يصيح طير ال "اتدو" ولا يصرخ، ولا يفترس الأسد، والدّئب لا يفترس الحمل، ولم يعرفوا الكلب المتوحّش الذي يفترس الجدي، ولم يعرفوا.... الذي يفترس الغلّة، ولم توجد الأرملة، والطير في الأعالي، والحمامة لا تحني رأسها، وما من أرمد يشتكي ويقول "عيني مريضة"، ولا مصدوع يقول "في رأسي مرض الصّداع"، وعجوز "دلمون" لا تقول "أنا عجوز"، ولا يقول الشيخ "أنا شيخ طاعن في السن"<sup>(2)</sup>

وبالتالي فقد كانت الآلهة محمّة عندما أسكنت بطل الطوفان في منطقة دلمون، فسكّانها لا يعرفون المرض ولا الشّيوخوخة، وهذه مجمل الصّورة التي جاءت بها النصوص السومرية .

ومّا جاء في سفر أشعياء يطابق محتوى النصوص الرّافديّة (فيسكن الدّئب مع الخروف ويربض النّمر مع الجدي والعجل والشّبل والمسمن معا وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبّة ترعيان. تربض أولادهما معا والأسد كالبقرة يأكل تبنًا، ويلعب الرضيع على سرب الصلّ ويمدّ الفطيم يده على جحر الأفعوان. لايسوؤون ولا يفسدون في كلّ جبل قدسيّ لأنّ الأرض تمتلئ من معرفة الرّبّ كما تعطي المياه البحر. ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسّي القائم راية للشّعوب إيّاه تطلب الأمم ويكون محلّه مجدًا)<sup>(3)</sup>.

(1) -فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 201.

(2) -صموئيل نوح كريمر، المرجع السابق، ص 245.

(3) -سفر إشعياء 11: 6 - 10.

كذلك تذكر التوراة مظهرًا أساسيًا ذكرته النصوص السومرية، وهو شجرة الحياة، والأثمار أيضا، وكذلك ذكر الفنّان الرافديّ الماء و شجرة الحياة كمصدر ورمز للحياة، من ذلك هناك مشهد جاء فيه ذكر أربعة جداول متدفقة المياه وحيواناته الخرافية التي تحرس الشجرة العالّية، ممّا جعل الباحثين يؤكّدون أنّ ذلك يشبه ما جاءت به نصوص التوراة، أثمارها الأربعة والكرويم التي أقامها الرّبّ في جنة عدن لحراسة طريق شجرة الحياة<sup>(1)</sup>.

وهذا ما يؤكّد تأثر التوراة بأفكار السومريين والبابليين الخاصّة بالفردوس، وهناك فكرة ذات علاقة بجنة عدن، حيث تذكر التوراة خلق حواء من أحد أضلاع آدم (فأوقع الرّبّ الإله سباتا فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحما. وبنى الرّبّ الإله الضلع التي أخذها امرأة واحضرها إلى آدم. فقال آدم: "هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت"<sup>(2)</sup>، وهنا يكاد يتطابق مع ما ذكرته الأسطورة السومرية (أنكي و نخرساک) والتي جاء فيها: "يا أخي ما يؤلمك؟ إنّ ضلعي هي التي تؤلمني، لقد أولدت من أجلك الإلهة "نن - تي" أي سيّدة الضلع" أو "السّيّدة التي تحي"<sup>(3)</sup>، وهي الإلهة الأمّ التي تظهر في موضوع حواء، التي أنزل عليها الرّبّ اللعنة لأنّها أكلت من ثمرة الشجرة المحرّمة، حيث كتب عليها عندئذ التعب والوجع عند الحمل والوضع، في حين أنّ الآلهة الأمّ (نخرساک) كانت تلد دون ألم<sup>(4)</sup>، كما أنّ إقدام الإله "إنكي" على أكل النبات وإصابته بالأمراض يوافق ما ذكرته التوراة عندما أكل آدم ثمرة الشجرة المحرّمة عليه<sup>(5)</sup>.

في حين الأمّ حوّاء ظهرت كاسم في العبريّة ويعني (تحبي أي التي تعطي الحياة)، وأيضا خلقت من ضلع آدم، وفي السومرية (NINTI) التي تحبي، وتصورها الأسطورة السومرية على

(1) - سفر التكوين 2 : 7 - 13، انظر كذلك: ليوتاكيل، المرجع السابق، ص ص 13، 14.

(2) - سفر التكوين 2: 21 - 23 .

(3) - صموئيل نوح كيرمر، المرجع السابق، ص 248.

(4) - سفر التكوين 3: 16.

(5) - سفر التكوين 3: 17 - 19.

أثما من ضلع انكي لأثما كانت موكلة بشفاء ضلعه، وكلّ التّفاصيل توردها أسطورة (إنكي ونخرسك) التي تدور حول جنة دلمون<sup>(1)</sup>.

ويذكر الباحثون أسطورة "أدبا" "ADABA"، التي تلتقي روايتها مع قصة آدم في التّوراة، وخاصةً خروجه من الجنة، فمن خلال النّصوص الرّافديّة يظهر أنّ عملية خلق الإنسان جاءت متأخرة، ممّا يعني أنّ مسألة وجوده لم تكن أساسيّة، ذلك أنّه قبل خلقه تمّ خلق السّماء والأرض، الشّمس والأقمار، البحار والأنهار، وأنّ خلق الإنسان جاء بعد أن تعبت بعض الآلهة من الأعمال الشّاقّة التي كانت تقوم بها، وهي إصلاح الأرض وفلاحتها وإعمارها، فخلقت الإنسان لهذه المهمّة، وبالتالي لم يكن أساسيًا في عمليّة خلق الكون، والدّارس لهذه النّصوص الرّافديّة يلاحظ فارقا شاسعا بين الإنسان والآلهة في الجوهر والمنزلة .

فالآلهة وجدت من مياه أزلّيّة، بينما خلق الإنسان على يد الآلهة الكبرى من طين ممزوج بدماء أحد الآلهة، وكذلك الآلهة احتفظت لنفسها بالخلود، بينما جعلت الموت من نصيب البشر، وهي حقيقة واضحة في النّصوص الرّافديّة، وعليه فالموت يلاحق الإنسان، ورغم استسلام الإنسان لهذا القدر المحتوم، وأنّ الخلود للآلهة، إلّا أنه حاول التّغلغل في حتميّة الموت، وخلّد هذا الفكر الأدبيّ السّومريّ والبابليّ شعرا و نثرا، ولقد حاول تحقيق الخلود في ثلاث مناسبات:

- الأولى: عندما قدّم له إله السّماء "ماء الحياة وطعام الحياة"، لكنّه ضيّع هذه الفرصة.
- الثّانية: حصل على الخلود عندما أنقذ نسل البشريّة من الطّوفان.
- الثّالثة: عندما فقد نبات الحياة ليبقى شابا.

وتعدّ أسطورة (أدبا) (ADABA) الحكيم، العاقل العارف، من أهمّ الأساطير الرّافديّة، ونذكر هنا أنّ البعض حاول الرّبط بين كلمة "أدب" و "آدم" إلّا أنّ المختصين لا يرون أنّ بينهما علاقة.

(1) - أسطورة إنكي ونخرسك: أسطورة سومرية تصف حياة إنكي كواهب للمياه العذبة مع الإلهة الأم نخرسك في دلمون، انظر: ادزارد وأخرون، المرجع السابق، ص 99.

وخلاصة هذه الأسطورة أنّ "أدبا" نموذج للإنسان المحب للخير والناس وتقياً يحترم الآلهة ويقدم لها القرابين، إلا أنه في أحد الأيام كان يصطاد السمك، فقلبت الريح الجنوبية قاربه، فغضب وكسر جناحها، ووصل الأمر إلى الإله "أنو" إله السماء، فطلب حضوره، وأخذ في ذلك بأقوال إله الحكمة "أيا"، منها ألا يأكل ممّا يعرض عليه "خبز الموت وماء الموت"، وأن يلبس ما يقدم له من ثياب، وعندما يمثل أمام الإله "أنو"، وتدخل كل من (ديموزي وجازيد) حارسي "أنو"، يتمّ العفو عنه، ويقدم له "خبز الحياة وماء الحياة"، فيرفض أن يشرب أو يأكل، فيأمر "أنو" الحراس قائلاً: "خذوه وردوه إلى أرضه"، إلا أنّ النصّ غير كامل ضاعت منه أسطر فلا يعرف على وجه الدقة نهاية "ادبا" في الأسطورة، ويرجح أنّه ضيّع على البشرية فرصة الخلود<sup>(1)</sup>.

هنا يظهر أنّ الرواية الأسطورية تشبه ما ذكرته التوراة عن خروج آدم من الجنة التي ترد في سفر التكوين: "وأخذ الربّ الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الربّ الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأمّا شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكل منها موتاً تموت"<sup>(2)</sup>، كما جاء في التلمود: "مات آدم لأنه أكل من شجرة المعرفة. وعبر خطيئته هذه ينبغي لذريته من البشر جميعاً أن يذوقوا الموت مثله، كما قال الله"<sup>(3)</sup>.

إنّه رغم بعض الاختلافات بين القصص التوراتي، والنصوص الأسطورية الرافديّة فإنّه يمكننا تحديد نقاط التوافق والتشابه بينهما:

- أنّ "الطعام وماء الحياة" في النصّ الرافدي، و"شجرة الحياة" في النصّ التوراتي من المحرمات على الإنسان وجب عدم الاقتراب منهما.

- تشترك الروايتان في أنّ الإنسان فوّت عليه إمكانيّة الخلود بارتكابه محرماً.

(1) - ستيفاني دالي، المرجع السابق، ص 225 - 229.

(2) - سفر التكوين 2: 15 - 17.

(3) - أحمد إيش، المرجع السابق، ص 70.

- تشتركان في كون الإنسان عاصياً للأوامر الإلهية (فأدبا) الرافدي عصى أوامر الإله "أنو" كبير الآلهة برفضه أكل طعام وماء الحياة، مثل معصية آدم لأوامر الربّ وأكله من شجرة الجنة المحرّمة عليه.

- تشتركان في أنّ معصية "أدبا" الرافدي، و"آدم" لأوامر الإله الربّ تسببت في إلحاق اللعنة بالإنسان والبشريّة.

- تشتركان في أنّ الإله "أنو" الرافدي أمر بأن يعاد "أدبا" إلى الأرض، كما أمر الربّ-في التّوراة- بإخراج "آدم" من جنة "عدن" إلى الأرض.

- تظهر الروايتان الرافديّة والتّوراتيّة أنّ البشريّة لحقتها أضرار وخيمة بسبب عصيان الإنسان للإله والربّ.

- توضّح القصّتان أنّ دوافع العصيان كانت إتباع الإنسان لنصائح الإله "أيا" في النصوص الرافديّة، وفي التّوراة كانت "الحية" السّبب في دفع حواء لعصيان أوامر الربّ.

#### 4. برج بابل بين النصوص الرافديّة، والبحوث الأثريّة، والنصوص التّوراتيّة:

اشتهرت حضارة وادي الرافدين بظاهرة الأبراج المدرّجة وانتشارها في أغلب مدنها، وتعرف لدى الباحثين بـ "الزّقورات"، وتتميّز بميزة معماريّة واضحة وتنفّردها عن بقية العمارة الرافديّة القديمة، حيث أصبحت صفة ملازمة للمعبد الرافديّ القديم، فالبحت الأثريّ يذكر أنّ البرج فيه الزّقورة، وهي المعبد العلويّ، ويليهما المعبد السفليّ الأرضيّ وفيه تقام العبادات وبعض الطّقوس الدينيّة.

إذا أردنا أن نصف المعبد ومميّزاته المعماريّة يمكننا إيجاز ذلك في النقاط التّالية:

- المعبد الأرضيّ جدرانه ذات واجهة مزينة يعود إلى حوالي 4000 ق.م أي أيام حضارة العبيد.

- للمعبد حجرة المدخل تؤدّي إلى فناء المعبد تقام فيها الاحتفالات الدينيّة.

- في السّاحة حجرة الهيكل، وهي الأكثر تقدّيساً في المعبد بها محراب، وعلى دكّته يوضع تمثال الإله.
- حجرة المعبد بها دكّة المذبح، يقدّم فيها الأضاحي والقربان.
- أبواب المعبد باتجاه واحد.
- للمعبد أجنحة تسكنها الآلهة وتوضع بها الأطعمة، ومكتبة لحفظ السّجلات والوثائق.
- المعبد العلويّ مدرّج يعرف بالزّقورة.
- تتألّف من ثلاث طبقات مرّبعة أو مستطيلة.
- هيكلها مبني باللّبن و مغلّفة خارجيًّا بالطابوق<sup>(1)</sup>.

اختلف الباحثون حول الغرض من بناء هذه الأبراج أو الزّقورات، فهي لم تكن مقابر للملوك، بل يرجّح أنّها ظاهرة معماريّة تلازم معابد الآلهة، في حين تذكر التّوراة أنّها ترمز إلى كرسيّ أو عرش إلهيّ "وأنت قلت في قلبك: أصعد إلى السّماوات. أرفع كرسيّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشّمال. أصعد فوق مرتفعات السّحاب. أصير مثل العليّ"<sup>(2)</sup>.

ويعتبر بعض الأثريّين أنّ المعبد العلويّ نقطة استراحة مؤقتة للإله، واعتبرت مدرّجات البرج وسيلة لإيصال المعبدین السفليّ بالعلويّ، وذكرت التّوراة أنّه رمز لسلم بين الأرض والسّماء، ومن أشهرها "زّقورة أور" ذات الثلاث طبقات، قياس السفلى 60 في 45م، وارتفاع 20م، وزّقورة "عرقوق" تقع غرب بغداد على بعد 30كلم، بارتفاع 56م، و"زّقورة بابل"، ذات الطّوابق السّبعة<sup>(3)</sup>.

(1)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 229.

(2)-سفر اشعيا 14: 13-14.

(3)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 230.

أمّا برج بابل، الذي يعني المعبد (مصطبة السماء والأرض)، واسمه (إيتمنانكي ETEmenanki) فيتوسّط مدينة بابل القديمة (شرق الفرات)، مرّبع الشكل، طول ضلعه أكثر من 91.5 م مكوّن من سبع طبقات شيّد في العصر البابليّ الحديث وتعرّض للتّخريب، فأعاد بناءه الملك "نبولاصر"، وأكمّله "نبوخذنصر"، مادّته من اللّبن المغلّف بالآجر، سمكه 15 م، في جنوبه ثلاثة سلاّم، وجنوبه يقع معبد "مردوخ" الشّهير في مدينة بابل والمعروف بمعبد "إيتساكيلا" (المعبد ذو القمّة الشاهقة)، وقد أعجب به العبرانيّون الذين جيء بهم إلى مدينة بابل في فترة حكم "نبوخذنصر"، حيث شهدت المدينة تطوّرًا كبيرًا أثناء حكمه وحكم والده<sup>(1)</sup>.

وهنا يذكر عدد من الباحثين أنّ ميزة هذا البناء الضخمة جعلت العبرانيّين يتأثرون به وترك أثرا في توراتهم، فلقد جاء في التوراة "وأنت قلت في قلبك: أصعد إلى السّماوات. أرفع كرسيّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشّمال. أصعد فوق مرتفعات السّحاب. أصير مثل العليّ"<sup>(2)</sup>.

وبالعودة إلى سفر التّكوين فإنّه ذكر تفصيلات عن برج بابل: "وكانت الأرض كلّها لسانا واحدا ولغة واحدة. وحدث في ارتحالهم شرقا أنّهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك. وقال بعضهم لبعض: "هلمّ نصنع لبنا ونشويه شيّا". فكان لهم اللّبن مكان الحجر وكان لهم الحجر مكان الطّين. وقالوا: "هلمّ نبنا لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسّماء. ونصنع لأنفسنا اسما لئلاّ نتبدّد على وجه الأرض. فنزل الرّبّ لينظر المدينة والبرج اللّذين كان بنو آدم بينوهم. وقال الرّبّ: "هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كلّ ما ينوون أن يعملوه. هلمّ نزل ونبلبل هناك لسانهم حتّى لا يسمع بعضهم لسان بعض"<sup>(3)</sup>.

(1) -فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 231.

(2) -سفر أشعياء 14 : 13 ، 14.

(3) - سفر التكوين 11 : 1 - 7.



وجاء في التلمود: "... وهكذا اجتمعت هذه العشائر واختارت بقعة ملائمة لمدينتها، في سهل شرقيّ بأرض شنعار. ولما كانوا آخذين في البناء، دبّ العصيان في قلوبهم، عصيان في وجه الله، وتخيلوا أنّ بوسعهم اختراق السّماء محاربه...". " ... وهكذا مضوا في البناء سنين عديدة، إلى أن قال الله: " والآن نبلبل ألسنتهم، فإذا بالناس ينسون لغاتهم، وراحوا يخاطبون بعضهم بلغات غريبة...".<sup>(1)</sup>

وهنا يرحّج أنّ ما روته التّورة عن برج بابل، هو ذلك العمل الذي تواصل لبناء وتحديد المدينة وبرجها الذي يرحّج البعض تشييده من قبل العبرانيين في زمن "نبوخذنصر" "605-556 ق.م"، ولكن استنادا إلى النّصّ التّوراتيّ فإنّنا نستنتج مايلي:

- أنّ فترة بناء البرج قديمة بعد الطّوفان و استقرار البشر في سهل شنعار.

- أنّ البرج قديم يعود إلى ما قبل العصر البابليّ الحديث.

- أنّ اسم بابل لا علاقة له ب(بلبله الألسن).

- يرحّج المختصّون أنّ اسم مدينة بابل في السّومريّة (KA-dingir-RA) وفي البابليّة (Bab-ili) ولا يعني سوى بوابة الإله .

## 5. سرجون وموسى في النّصوص الرّافديّة والرّواية التّوراتيّة:

يسجّل الباحثون هذه الظّاهرة التي أثارها عدد من المختصّين وشغلت اهتمام كثير من المثقّفين، على أنّها من المواضيع التي يتوجّب البحث فيها بجزر وموضوعيّة، انطلاقا من المصادر الأساسيّة، فسرجون الأكاديّ (2370-2316 ق.م) يعدّ من القادة والشّخصيّات التي تركت بصماتها في التّاريخ الرّافديّ، والشرق الأدنى القديم بفضل الإنجازات المختلفة التي تحقّقت في عصره، ومن أبرزها توحيد دويلات المدن وتمكّنه من تأسيس إمبراطورية قويّة ومتطوّرة، ولقد

(1) - أحمد ايش، المرجع السابق، ص 78.

توصّل الباحثون إلى أنّ عددا من النصوص ذات العلاقة بهذا القائد سجّلت منجزاته العسكريّة

إلا أنّ ما يهّمنا هي تلك النصوص ذات المدلول التاريخيّ لمولد هذه الشّخصيّة، فلقد عثر الباحثون على نصّين: الأوّل يعود إلى العصر الأشوريّ الحديث (750 ق.م)، والثاني إلى العصر البابليّ الحديث (600 ق.م)، ويرجح الباحثون أنّ النصّين استنسحا من ألواح أقدم، كانت تحمل النصوص كاملة ومضامينها تخصّ هذه الشّخصيّة ومولدها بشكل خاصّ<sup>(1)</sup>.

لقد ذكرت الدّراسات الرّافديّة ثلاثة رقم مهشّمة تتضمّن 30 سطرا، وجاء في النصّ ما قاله سرجون الأكديّ:

"أنا سرجون الملك العظيم، ملك بلاد أكد، كانت أمّي كاهنة عظمى (ENETU بالأكاديّة) وأنا لا أعرف أبي، كان شقيق أبي يحبّ التّلال، ومدينتي أزوبيرانو (AZUpiRANU)، التي تقع على ضفاف الفرات، لقد حملتني أمّي وولدتني سرا، ووضعتني في سلّة من البرديّ ختمت غطاءها بالقيز، ومن ثمّ رميتني في النّهر الذي لم يغمري، فحملني النّهر وأخذني إلى الغرّاف "أكي (AKKI)، فأخذني الغرّاف أكي ابنا له، وجعلني الغرّاف بستانيّا عنده، وعندما كنت بستانيّا منحني عشّار حبّها، فاضطلعت بمهّمة الملوكيّة أربعاً و... سنة، لقد سست (ذوي الرّؤوس السّوداء) وحكمتهم، وقهرت الجبال الشّاهقة بفؤوس قاطعة من البرونز، تسلّقت القمم العليا، وعبرت القمم السّفلى، ووطفت حول بلدان البحر ثلاث مرات، واستولت (يداي) على دلمون، فأبّي ملك كان بعدي، فعسى أن يسوس "ذوي الرّؤوس السّود" ويحكمهم، ويقهر الجبال الشّاهقة بفؤوس قاطعة من البرونز، ويتسلّق القمم العليا، ويعبر القمم السّفلى، ويطوف حول بلاد البحر ثلاث مرات، وتستولي يداه على دلمون، ويقصد مدينة الدّير العظيمة"<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup>-Speinser , «*the legend of sargon* », in ANET , p 119.

<sup>(2)</sup>-فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 235.

من خلال ما سبق نستنتج أنّ أمّه كانت كاهنة، وكانت مجبرة على التخلّص من وليدها غير الشرعيّ، فوضعت في النهر، ومن الناحية الدنيّة كانت زوجة للإله وأنّ اسمها (- NiN DiNgIR) ويعني "السيدة الإلهية"، فلم يكن لها حقّ الزواج ولا الإنجاب حيث فرض عليها التشريع التعقّف وعدم الذهاب إلى الأماكن المشبوهة، حيث أنّها إذا خالفت هذه القوانين، فإنّها ستعرض نفسها للحرق، لذلك أجبرت على التخلّص من ابنها غير الشرعيّ، وتذكر المصادر أنّ أغلب الكاهنات يتمّ اختيارهن من الأميرات (بنات الملوك)، من ذلك ثبت أنّ ابنة الملك "سرجون" الأميرة " (ENHEduanna) كانت كاهنة.

لقد أوردت هذه المعطيات لما لها من وقع وتطابق مع قصّة مولد موسى عليه السّلام الواردة في التّوراة، حيث أنّ الفرعون أمر جميع شعبه قائلاً: "كلّ ابن يولد تطرحونه في النهر لكن كلّ بنت تستحيونها" (1).

وكذلك: "وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي. فحبلت المرأة وولدت ابناً. ولما رآته أنّه حسن خبّأته ثلاثة أشهر. ولمّا لم يمكنها أن تخبّه بعد أخذت له سفظاً من البرديّ وطلته بالحمّر والزّفت ووضعت الولد فيه ووضعت بين الحلفاء على حافة النّهر. ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به. فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواربها ماشيات على جانب النّهر. فرأت السّفط بين الحلفاء فأرسلت أمّتها وأخذته. ولمّا فتحت رأت الولد وإذا هو صبي يبكي. فرقت له وقالت: "هذا من أولاد العبرانيين". فقالت أخته لابنة فرعون: "هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيين لترضع لك الولد؟". فقالت لها ابنة فرعون: "اذهبي". فذهبت الفتاة ودعت أمّ الولد. فقالت لها ابنة فرعون: " اذهبي بهذا الولد وارضعيه لي وأنا أعطي أجرتك. فأخذت المرأة

(1) - سفر الخروج 1: 22.

الولد وأرضعته. ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا ودعت اسمه "موسى" وقالت: "إني انتشلته من الماء"<sup>(1)</sup>.

نستنتج من خلال عرض النصّ التوراتيّ والنصّ السابق له (الرافديّ) ما يلي:

- الطّفان ولدا في وضعيّة خاصّة سمّتها السريّة، ذلك أن والدة سرجون كانت مجبرة من الناحية الدنيّة والقانونيّة على أن تكون الولادة سريّة، ونفس الشيء وقع لأُمّ موسى، حيث أنّ الفرعون أمر بقتل أبناء العبرانيّين.

- وضعيّة الولدين تتشابه بوضعهما في سلّة و إلقائها في النهر.

- تلتقي الروايتان في كيفيّة انتشالهما ورعايتهما، ابنة فرعون في قصّة موسى، والغراف أكي في رواية سرجون.

## 6. الموت والعالم الآخر في الأساطير الرافديّة والنصوص التوراتيّة:

إنّ الدّارس لعقيدة الرافدين سيجد أنّهم اعتقدوا بالخلود للآلهة، والفناء للإنسان مهما كانت قوّته ومكانته، وقد أكّدت ذلك ملحمة "جلجامش"، حيث أنّ بطل الملحمة لم يكن له خيار إلاّ الاستسلام لحتميّة الموت، وأنّه لن يخلد في هذا العالم، رغم أنّ ثلثي مكوّناته من عناصر الآلهة .

كذلك ومن خلاصة النصوص الرافديّة يتّضح أنّهم لم يعتقدوا بنهاية الإنسان المطلقة، إنّما اعتقدوا انفصال الرّوح عن الجسد، فإذا كان الجسد يستقرّ في القبر فإنّ الرّوح تنزل إلى العالم الأسفل أو العالم الآخر، حيث تكون هناك مع الأموات لتبقى هناك إلى الأبد، وعليه فهم لا يعتقدون بوجود قيامة أو عالم آخر فيه حساب وعقاب<sup>(2)</sup>.

(1) - سفر الخروج 2: 1 - 10.

(2) - فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 266.

ومن النصوص التوراتية اعتقد العبرانيون أيضا انفصال الروح فقد روى "سفر الملوك كيف أنّ النبي إيليا دعا الربّ من أجل أن يشفي الولد بإرجاع نفسه إلى جوفه ليعود للحياة:" وصرخ إلى الربّ : أيها الربّ إلهي. أيضا إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها. فتمدّد على الولد ثلاث مرّات، وصرخ إلى الربّ: ياربّ إلهي، لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الربّ لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش" (1).

ومن طقوس الرافديين و معتقداتهم دفن الميت، وتقديم القرابين وإقامة الصلوات على روحه، وإن لم تُقم تلك الطقوس فلن تروح الروح في العالم الجديد (2)، وتؤكد النصوص الرافدية على أنّ بقاء الصلّة وثيقة بين الجسد والروح في العالم الآخر، يعني ضرورة بقاء الجسد مستقرّا حيث تستقرّ الروح بالإطمئنان في عالمها، ونيش القبور يجعلها تتعذب، ولعلّ من أبرز الأدلة على ذلك ما جاء في نصّ الملك الأشوريّ "أشور بانيبال"، وهي إحدى خططه الحربية الانتقامية ضدّ أعدائه العيلاميين "لقد نهب وخرّبت كما عرّضت إلى الشمس قبور ملوكهم الأقدمين والمتأخّرين الذين لم يخشوا بطش سيّدي الإله آشور، والإلهة عشتار والذين أزعجوا آبائي الملوك، وقد سلّطت على أرواحهم القلق وحرمتهم من قرابين الطعام وسكب الماء" (3).

والميت الذي لا يدفن روحه لا تعرف الاستقرار ، فتخرج على شكل شبح وتلحق الأذى بالناس، والملاحظ أنّ من العقوبات الشديدة هي ترك الجثة في العراء دون دفنها، ونسجّل هنا أنّ القانون الأشوريّ في مادّته (53) نصّ جاء فيه: "إذا اسقطت امرأة (ثمرة) رحمها بمحض إرادتها وأثبتت التّهمة ضدّها، فإنّها توأد ولا تدفن، وإذا ماتت بسبب إسقاط (ثمرة) رحمها فإنّها سوف توقد ولا تدفن" (4).

(1) - سفر الملوك الأول 17: 20 - 22.

(2) -AlexanderHeidel ,*The Gilgamesh epic and old Testament Parallels*,University of Chicago Press,1963, p 137.

(3) -Samuel Noah Kramer, *Death and Nether World According to the Sumerian Literary texts*,British Institute for study of Iraq , 1960, p 59 - 68.

(4) -G.R.Driver and jhon C.Miles, *The Assyrian Laws*,University of Michigan Library,2005 , p 42.

في حين تؤكد النصوص التوراتية على ضرورة الدفن مهما كانت طبيعة موت الميت حتى يرضى عليه الرب، فقد جاء في سفر صموئيل: " وأتى رجال يهوذاو مسحوا هناك داوود ملكا على بيت يهوذا. وأخبروا داوود: " إن رجال يابيش جلعاد هم الذين دفنوا شاول، فأرسل داوود رسلا إلى أهل يابيش جلعاد يقول لهم: "مباركون أنتم من الرب إذ قد فعلتم هذا المعروف بسيّدكم شاول فدفتموه" (1).

هذا النصّ التوراتي يوافق ماجاءت به عدّة نصوص رافديّة، منها ماجاء على لسان الملك "أسرحدون" عندما ترك جثث أعدائه في العراء تأكلها الطيور، في العالم الآخر أو عالم الموتى (كور Kur) أو أرض اللارجعة، حيث اعتقدوا أنّ روح الميت تبقى هناك في العالم السفلي وهو مظلّم به سبعة أبواب تحرسها الآلهة حسب أسطورة نزول "أنا، عشتار" إلى العالم السفلي واعتقدوا بوجود بوابات يمكن للمرء أن ينظر منها لهذا العالم السفلي، إحداها في الوركاء والأخرى في مكان غروب الشمس (2).

والملاحظ أنّ الباحث يجد معلومات غزيرة في النصوص الدينيّة الرافديّة السومريّة البابليّة منها: "أسطورة نزول أنا (عشتار) إلى العالم الأسفل، وأسطورة (جلجامش وأنكيدو) والعالم الأسفل)، وهناك نصّ طويل يتحدّث عن العالم الآخر الذي عاش فيه "أنكيدو"، بعد أن نزل ليسترجع صديقه "جلجامش"، إلا أنّ "أنكيدو" لم يلتزم بوصايا صديقه "هديتا".

فأمسكت به " صرخة العالم الأسفل"، ولم يتمكّن من العودة إلى الدّنيا إلاّ شبّحا، وتضمّنت بقايا النصّ أسئلة وأجوبة بين الصّديقين، حيث تعرّفنا على خاتمة الأسطورة من خلال الرّقيم 12، من ملحمة "جلجامش"، وحسب المختصّين فهو ترجمة للأسطورة السومرية حول "جلجامش"، ونزول "أنكيدو" إلى عالم الأموات ومّا جاء فيها:

(1) - سفر صموئيل الثاني 2: 4 - 5.

(2) - صموئيل هنري كوك، المرجع السابق، ص 8.

وتدخل أيا من أجله في القضية، فقال لنركال، البطل الباسل، أيها البطل الباسل، يانركال افتح على الفور ثقباً في العالم الأسفل، من أجل أن تصعد روح أنكيدو من العالم الأسفل، لعله يخبر أخاه بما يحدث في العالم الأسفل، فاستمع نركال البطل الباسل إلى أيا<sup>(1)</sup>.

وتستمرّ الأسطورة في سرد ما دار بين "جلجامش وصديقه، حيث يؤكد نصّ سومريّ أنّ هناك عالماً آخر، وأنّ الخلود للروح وليس للجسد الذي يصبح تراباً، ويظهر خوف "جلجامش" من هول ما سيصبح عليه عندما ينتقل إلى العالم السفليّ<sup>(2)</sup>.

وهنا نجد التوراة تصوّر عالم الأموات (يعرف بشيؤل)، وأنه يقع في باطن الأرض تحت مياه البحر، حيث جاء فيها: "الأرواح ترتعد من تحت المياه وسكانها"<sup>(3)</sup>.

وتذكر أنّ للعالم الأسفل بوابات كالمعتقد الزافديّ، و جاء في النصّ التوراتيّ: "في عز أيتامي اهب إلى أبواب الهاوية. قد أعدمتم بقية سني"<sup>(4)</sup>.

ونسجل هنا خروج شبح صموئيل من عالم الأموات ليكلّم "شاؤول" مثل خروج شبح "أنكيدو" من العالم الأسفل ليكلّم صديقه "جلجامش"، وهذا ما جاء في النصّ التوراتيّ "فتكر شاؤل ولبس ثياباً أخرى. وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلاً. وقال: "اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك". فقالت له المرأة: "هوذا أنت تعلم ما فعل شاؤل. كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض. فلماذا تضع شركاً لنفسك لتميتها. فحلف لها شاؤل بالرب: "حيّ هو الرب انه لا يلحقك اثم في هذا الامر" فقالت المرأة: "من اصعد لك؟" فقال: "اصعدي لي صموئيل" فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم، وقالت لشاؤل: "لماذا خدعتني وانت شاؤل؟" فقال لها الملك: "لا تخافي. فماذا رايت؟" فقالت المرأة لشاؤل: "رايت الهة يصعدون من الارض". فقال لها:

(1) - نائل حنون، المرجع السابق، ص 242.

(2) - نفس المرجع، ص 191.

(3) - سفر أيوب 26 : 5.

(4) - سفر أشعيا 38 : 10.

ماهي صورته؟" فقالت: "رجل شيخ صاعدهو مغطى بجبة". فعلم شاوول أنه صموئيل، فخرّ على وجهه على الارض وسجد. "(1).

كذلك فإنّ التّوراة تجعل من عالم الأموات ملتقى لعظماء الملوك "استراحت إطمأنت كل الأرض. هتفوا ترنما. حتى السّرو يفرح عليك وارز لبنان قائلا: منذ اضطجعت لم يصعد علينا قاطع. الهاوية من أسفل مهتزة لك لاستقبال قدومك منهضة لك الأخيلة جميع عظماء الأرض. أقامت كلّ ملوك الأمم عن كراسيهم. كلّهم يجيبون ويقولون لك: أنت أيضا قد ضعفت نظيرنا وصرت مثلنا؟ اهبط إلى الهاوية فحرك رنة اعوادك. تحتك تفرش الرّمة وغطاءك الدّود. كيف سقطت من السّماء يازهرة بنت الصّبح؟ كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الامم؟" (2)، وذلك على غرار الأسطورة الرّافديّة، ومن خلال هذه النصوص يمكننا أن نستنتج:

- هناك تطابق بين ما جاء في المعتقد الرّافديّ والتّوراتيّ حول معتقد الموت والعالم الآخر - السّفلي -
- تتفق على ضرورة دفن الميت
- الموت عبارة عن انفصال الرّوح عن الجسد
- وجود عالم آخر، هو العالم الأسفل، وهو عالم الأموات مظلم، مخيف وله أبواب
- يعرف هذا العالم لدى الرّافديّين ب: كور (kur)، ولدى العبرانيّين ب: شيؤل.
- باستطاعة شبح الميت أن يخرج من العالم الآخر ليلتقي صديقا في عالم الأحياء، (صموئيل التقى شاؤول)، (أنكيدو إلّتقى جلجامش)

(1) - سفر صموئيل الأول 28: 8 - 15.

(2) - سفر أشعيا 14: 7 - 12.



- العالم السفلي يلتقي فيه كل أصناف البشر على اختلاف طبقاتهم في الدنيا.

وهنا نسجل أنّ هناك تطابقاً بين المعتقدات الرافدية والتوراتية، ممّا يؤكّد على تأثر هذه الأخيرة بالمعتقدات الرافدية، لكن ومع هذا التشابه لا يكون التّطابق في كلّ شيءٍ لأسباب عديدة إلاّ أنّ التأثير الرافديّ واضح في معتقدات العبرانيين الخاصّة بالموت والعالم الأسفل - الأخر.

## الفصل الخامس:

### مظاهر أخرى من التأثير الرافدي

1. التشريع البابلي وأثره في الشريعة التوراتية
2. الوصايا العشر التوراتية والنصوص الرافدية
3. التأثير الوثني و ظهور الكنيس
4. الشئقل الرافدي والشئقل التوراتي
5. يوم السبت
6. الأعياد العبرية وعلاقتها بالرافدية
7. ظهور عقيدة أرض الميعاد

## 1. التشريع البابلي وأثره في الشريعة التوراتية:

يذكر علماء الاجتماع أنّ القانون يعدّ ظاهرة من الظواهر الاجتماعية التي لها صلة بمختلف الظواهر الاجتماعية سواء كانت دينية، اقتصادية، سياسية...، بل إنّ القانون ضرورة اجتماعية لا يمكن لأيّ مجتمع منظم الاستغناء عنها، ذلك أنّ القوانين تنظّم العلاقات بين أفراد المجتمع ومختلف مؤسساته، ويعتبر أساس كلّ تقدّم، وبالتالي فالمجتمع أسبق من القانون في الظهور، ومن هنا نشأت بين أفراد المجتمع حقوق وواجبات فاحتاج هذا الأمر إلى قانون ليقوم بتنظيم هذه الحقوق والواجبات<sup>(1)</sup>.

وبالتالي كلّما ارتقى المجتمع البشريّ في سلّم التطور الحضاريّ كانت الحاجة ضرورية إلى قوانين لتنظيم العلاقات بين الأفراد وبالتالي فالحاجة ازدادت إلى قوانين سواء كان ذلك لدى المجتمعات القديمة أو المعاصرة.

وتعدّ بلاد الرافدين أسبق مناطق العالم القديم في إيجاد قوانين وأنظمة لتنظيم شؤون وأمر سگان هذه المنطقة، وأبرز نموذج على ذلك ما جاءت به مسألة حمورابي.

حمورابي يوصف بالمشرع العظيم، وصاحب أول وأكمل قانون في تاريخ البشرية وهو هنا يقول عن نفسه: "أنا حمورابي الأمير الكريم عابد الآلهة جئت لأنشر العدل في البلاد وأقضي على الشرّ والفتن وأمنع القويّ من إظهار الضّعيف..."<sup>(2)</sup>.

ولقد أثرت القوانين الرافدية على المجتمعات القديمة أنذاك حيث أنّها أخذت عنها الكثير، والملاحظ أنّ قانون حمورابي يعتبر خلاصة القوانين الرافدية القديمة فالنوراة أظهرت نصوص فيها الكثير من التأثير الواضح، والاقْتباس الذي يكاد يكون حرفياً، وفي بعضها اختلاف في الأحكام، ويعود هذا الاختلاف إلى أنّ الأحكام تستقى من البيئة الجغرافية ومن ظروف المجتمع السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة بحيث أنّها تنسجم مع نمط وحيّة

(1) - عبد الرزاق أحمد سنهوري، أصول القانون، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1950، ص ص 3-8.

(2) - فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، د. ط، وزارة الاعلام، العراق، 1979، ص ص 85-88.

السكّان ومشاكلهم، ولا بدّ من وجود تأثيرات سابقة ولدراسة هذا الموضوع أخذت بمنهج المقارنة الذي اتّبعه أغلب الباحثين، أي مقارنة الشرائع الرافدية القديمة ممثلة في قانون حمورابي، وما جاءت به التّوراة، وعليه ففي القانون القديم تمّ تويب وتصنيف المواضيع القانونيّة، حيث قسّمت شريعة حمورابي إلى أبواب وفصول، وكلّ فصل أو باب يحتوي على مجموعة من القوانين التي تتعلّق بعنوان ذلك الفصل، ومقارنتها بما يماثلها في التّوراة.

أ. مميّزات وأهميّة القوانين الرافدية القديمة: يتفق المختصّون والدّارسون للحضارات القديمة وتطوّرها، على أنّ ظهور القوانين والأنظمة الاجتماعية في حضارة ما، تعدّ أهمّ مقياس وأوضح دليل على مدى تقدّم تلك الحضارة، والواقع فحضارة وادي الرافدين خلقت شرائع وقوانين مدوّنة تعدّ أولى وأقدم محاولات الإنسان في مساره الطّويل لتنظيم أولى المجتمعات المتحضّرة قبل أكثر من أربعة آلاف سنة<sup>(1)</sup>.

ويجمع الدّارسون على أنّ الشرائع الرافدية على قدر كبير من النّضج والوعي والرّقي، مقارنة بالشرائع الأخرى القديمة التي عرفت البشرية، فهي سابقة في تدوينها على كلّ الشرائع القديمة بقرون عديدة، فالقانون اليونانيّ لا يتعدّى تاريخ تدوينه القرن السّادس قبل الميلاد، والقانون الرّومانيّ القديم المعروف بالألواح الاثني عشر يعود إلى 450 ق. م، ومجموعة القوانين الرّومانية<sup>(2)</sup>، التي جمعها وفتنّها الامبراطور البيزنطيّ (جوستينان) يعود تاريخها إلى 527-565 م<sup>(3)</sup>. أمّا الفرس فلم تشرّع القوانين لديهم إلّا بعد أن تمّ اتّصالها ببلاد الرافدين، وإطلاعها على القوانين السّائدة هناك، وكان ذلك الجهد الفارسيّ في نهاية القرن 6 ق م<sup>(4)</sup>، أمّا مصر فلم تتعرّف على القوانين المدوّنة إلّا في القرن 5 ق. م<sup>(5)</sup>.

(1) - فوري رشيد، المرجع السابق، ص ص 4-12، انظر كذلك: هورست كلينكل، حمورابي البابلي وعصره، ط1، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، 1990، ص 186.

(2) - عمر ممدوح مصطفى، القانون الروماني، ط2، ج1، مطابع البصير، الاسكندرية، 1954، ص ص 17-68.

(3) - مدونة جستينان في الفقه الروماني، ط1، ترجمة عبد العزيز فهمي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص ص 13-24.

(4) - يريف فيزهوفر، فارس القديمة (550 ق. م-650 م)، ط1، تر: محمد جديد، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص 18.

(5) - محمود سلام زناطي، موجز تاريخ القانون المصري في العصر الفرعوني والبطلمي والروماني، الاسلامي، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998، ص ص 14-51.

والملاحظ أنّ القوانين الرافديّة تتميز بمميّزات نوجزها فيما يلي:

- تمتاز بالشموليّة للمواضيع وعدم وجود قواعد عامّة يمكن اعتمادها في تفسير الحالات المشابهة لتلك التي وردت في الحالات المفترضة أو القريبة منها.

- أنّها ركّزت على بعض القضايا الإجراميّة كالسرقة والاعتصاب والخيانة...، كما ذكرت بعض هذه القوانين بجرائم نادرة الوقوع في تلك المجتمعات، بينما أهملت هذه بعض الجرائم التي يُتوقّع حدوثها في تلك الفترة بالذات والتي قد تهدّد كيان الدولة، مثل الخيانة العظمى، وإثارة الشغب والاضطرابات...، وغيرها.

- تشترك جميع الشرائع في كونها مستمدّة من الآلهة ممّا جعلها تمتاز بالثبات والاستمرار وعدم التغيّر، وأنّها وضعت لجميع الأفراد لتنظيم شؤونهم ممّا جعلهم يتمسّكون بالقواعد القانونيّة.

- تتميز الشرائع الرافديّة بالنضج والرقيّ، وأنّها دوّنت بلغة قانونيّة دقيقة وبأسلوب علميّ حسب المختصّين.

- الملاحظ أنّ هذه القوانين ذات صبغة دنيويّة مقتصرة على الشؤون المدنيّة ولا تتعرّض للعبادات، ودوّنت ببيئة متسلسلة، ولم تستنبط من أيّة شريعة.<sup>(1)</sup>

**ب. حمورابي قوانينه ومسلّته:** يجمع الباحثون على أنّ قانون حمورابي يعدّ من أكمل القوانين وأكثرها تنظيماً في العالم، والملاحظ لدى الدارسين أنّ قوانينه عبارة عن جمع منقّح لمواد الشرائع التي سبقتها، وأنّ حمورابي قد حذف من مواد الشرائع السابقة ما كان لا يتفق وطبيعة عصره، وأضاف إلى شريعته مواد اقتضتها مصلحة الدولة آنذاك، ولا سيّما القوانين الصّارمة<sup>(2)</sup>.

(1) - المرجع الإلكتروني للمعلوماتية، العراق، وهناك مميّزات أخرى: إسرائ جاسم العمران، قانون حمورابي، 2019، ص ص 10-12.

(2) - محمود الأمين، قوانين حمورابي والقوانين البابلية الأخيرة، مجلة كلية الأدب، العدد 3، بغداد، 1961، ص 37.

كتبت شريعة حمورابي باللغة الأكادية، ورتبها ترتيباً متقناً، ونقش تلك الشريعة على مسلة من الحجر الأسود (حجر الديوريتي) أسطوانية يبلغ ارتفاعها 225 سم، وقطرها 60 سم، ومحيطها من الأعلى 165 سم، وقطرها من الوسط 60 سم، ومحيطها من الأعلى 165 سم، ومن الأسفل 190 سم، وقد نحت الجزء العلوي من وجه المسلة نحتاً بارزاً يمثل إله الشمس (شمس) إله الحق والعدالة، جالساً على عرشه، ويده اليمنى (عصا الراعي)، يسلمها إلى حمورابي الواقف أمامه في خضوع المتعبّد<sup>(1)</sup>.

وفي أسفل الصورة تبدأ الكتابة المسمارية المنحوتة على المسلة بأربعة وأربعين حرفاً يفصل بين كل حرف خط واضح لتجمع 282 مادة، وتنقسم المسلة إلى ثلاثة أقسام:

**1. المقدمة:** شملت خمسة حقول، وكتبت بأسلوب أدبي رفيع ويذكر فيها حمورابي الأسباب التي دعت لإصدار شريعته، وهي اختيار الآلهة له لكي ينشر العدل في البلاد حتى "يقضي على الشر والخبث ولكي لا يستعبد القوي الضعيف، ولكي ينير البلاد"<sup>(2)</sup>.

**2. المواد القانونية:** اشتملت على 282 مادة عالجت مختلف شؤون المجتمع.

**3. الخاتمة:** ذكر فيها "الأحكام العادلة التي أصدرها حمورابي الملك العظيم للبلاد فازدهر فيها العدل والحكم الصالح"<sup>(3)</sup>.

ثم يسرد ألقابه وحب الآلهة له، ويعلن لكل من أصابته ضلالة أن يمثل أمام صورة الملك العظيم ملك العدل فيقرأ شريعته<sup>(4)</sup>، بعد ذلك يوجه النصائح للأجيال القادمة أن تتدبر أحكامه وتقدر أعماله، وتسير بموجب أحكام شريعته العادلة، ويعدّد لعنات الآلهة على كل من يحرف شريعته، أو يزيل مسلته، ويمحو أثارها بعد ذلك<sup>(5)</sup>.

(1)- V. Scheil, *Mémoires de la délégations en perse, IV*, Cambridge University Press, 2011, p216.

(2)- فوزي رشيد، المرجع السابق، ص ص 85-87.

(3)- نفس المرجع، ص ص 138-142.

(4)- عبد الحكيم الذنون، *التشريعات البابلية*، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2000، ص 42.

(5)- فوزي رشيد، المرجع السابق، ص ص 138-142.

ويذكر المختصون<sup>(1)</sup> أن هناك أدلة على أن كتاب النصوص التوراتية كانوا مطلعين على مختلف الشرائع التي وضعها المشرّعون في مختلف الحضارات التي سادت آنذاك، كالمصريّة والرّافديّة (السّومريّة، البابليّة، الأشوريّة) مؤكّدين على أن شريعة حمورابي كانت محور اهتمامهم، حيث اقتبسوا منها الكثير، خاصّة وأنهم كانوا في بلاد الرّافدين بمناسبة سببهم من قبل البابليين والأشوريين، وسنحاول هنا أن نبين أوجه التشابه في بعض تشريعات حمورابي والشرائع التوراتية.

### الباب الأوّل: القضاة والشهود

#### المادة (1) من قانون حمورابي:

أ. عقوبة الاتّهام الكاذب: إذا اتّهم سيّد سيّدًا وأقام عليه دعوى بالقتل ولكنه لم يستطع إثباتها فإنّ متهمه يعدم<sup>(2)</sup>.

وفي التوراة "إذا قام شاهد زور على إنسان يشهد عليه بزيغ. يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة أمام الرب، أمام الكهنة والقضاة الذين يكونون في تلك الأيام، فإن فحص القضاة جيّدًا وإذا الشاهد شاهد كاذب قد يشهد بالكذب على أخيه، فافعلوا كما نوى أن يفعل به فتتزعون الشر من وسطكم" <sup>(3)</sup>.

والملاحظ أن عقوبة الاتّهام الكاذب في شريعة حمورابي أقسى من شريعة التوراة.

#### المادّة (2) من قانون حمورابي:

ب. حول عقوبة السّحر: إذا القرار حلّ على رجل بتهمة ممارسة السّحر، ولكنه لم يثبتها، فإنّ على الذي اتّهم بالسّحر أن يذهب إلى النّهر، وعليه أن يرمي نفسه في النّهر، فإذا غلبه النّهر فإنّ على من اتّهمه أن يستولي على بيته، فإذا أثبت النّهر أنّ الرّجل بريء، وخرج منه سالمًا، فإنّ الذي اتّهمه بالسّحر متهمه<sup>(4)</sup>.

(1) - محمد الأمين، المرجع السابق، ص 118، عبده حسن الزيات، ترجمة قوانين حمورابي، مجلة القضاء 1935-1936، ص 48، عبد المسيح وزير،

ترجمة قوانين حمورابي، مجلة اليقين، 1923-1924، ص 67.

(2) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 89.

(3) - سفر التثنية 19: 16-20.

(4) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 89.

وأما التّوراة فتذكر: "لا تدع ساحرة تعيش" خروج<sup>(1)</sup>، وكذلك "لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا يعرف عرّافة عائق، ولا متفائل، ولا ساحر، ولا من يرمي رقبة ولا من يسأل جانا أو تابعة، ولا من يستشير الموتى، لأنّ كلّ إلهك طاردهم من أمامك تكون كاملا إلى الرّبّ إلهنا." (2).

والملاحظ أنّ اتّهام شخص بممارسة السّحر حسب قوانين حمورابي يحكم (بالاختبار النهريّ)، أمّا في التّوراة فقد حكمت على السّاحر والسّاحرة بالقتل، وكان من يمارس هذا العمل أو ما يشابهها من أعمال مكروها عند الرّبّ.

### الباب الثّاني: يتعلّق بالجرائم التي تقع على الأموال كالسرقة والنّهب

أ. مادّة (7) من قانون حمورابي: "إذا اشترى رجل أو استلم على سبيل الأمانة فضّة أو ذهباً أو عبداً أو أمة أو نقوداً...، أو أيّ شيء آخر من يد ابن رجل أو عبد رجل بدون شهود وعقود، فإنّ ذلك الرّجل سارق ويجب أن يعدم." (3)

والتّوراة تذكر في سفر اللاويين: "إذا أخطأ أحد وخبان خيانة بالرّبّ وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبا أو اغتصب من صاحبه أو وجد لقطعة وجحدها وحلف كاذبا على شيء من كلّ ما يفعله لإنسان مخطئاً به فإذا أخطأ أو أذنب يردّ المسلوب الذي سلبه أو المعتصب الذي اغتصبه أو الوديعة التي أودعت عنده أو اللّقطعة التي وجدها أو كلّ ما حلف عليه كاذبا يعوّضه برأسه ويزيد عليه خمسة إلى الذي هو له يدفعه يوم ذبيحة إثمه..." (4)

أي أنّ كلّ من يتسلّم أموالاً منقولة بدون شهود يعتبر سارقاً بحسب شريعة حمورابي، وتفرض عليه عقوبة السّارق، أي الموت، أمّا في شريعة التّوراة فتكتفي بالتّعويض خمسة أضعاف المبلغ مع تقديم ذبيحة للرّبّ.

(1) - سفر الخروج: 22: 18.

(2) - سفر التثنية 18: 10-13.

(3) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 89.

(4) - سفر اللاويين 6: 3-7.



ب. المادّة (14): "إذا سرق رجل ابنا صغيراً لرجل آخر يجب أن يعدم"<sup>(1)</sup>.

ولدى شريعة التّوراة في سفر الخروج "ومن سرق إنساناً وباعه أو وجد في يده يقتل قتلاً"<sup>(2)</sup>.

نلاحظ أنّ الشريعتين متشابهتان في هذا الحكم الخاصّ بسرقة الابن الصّغير، حيث اعتبر المشرّع الرافديّ الابن الصّغير ضمن الأموال المنقولة، وخاصّة وأنّ العادات الشائعة آنذاك أنّ تبني طفل صغير يكون مقابل مبلغ من المال ووفق شروط معيّنة.

ج. المادّة (21): "إذا أحدث رجل ثغرة في دارٍ ما من أجل (السّرقة) فعليهم أن يعدموه

أمام تلك الثّغرة، ويقيموا عليه الجدار" "أي يدفنوه داخل الجدار"<sup>(3)</sup>.

أمّا التّوراة فتذكر "إن وجد السّارق وهو يثقب فضرِب ومات فليس له دم، ولكن إن أشرقت عليه الشّمس فله دم - إنه يعوض - إن لم يكن له يبع بسرّفته"<sup>(4)</sup>.

### الباب الثالث: يتعلّق بشؤون الحقل والبساتين

المادّة (55): "إذا تقاعس رجل أثناء فتح جدوله للسّقي فنزل الماء يغمر حقل جاره فعليه

أن يدفع حبوباً (لصاحب الحقل المتضرّر) بقدر (ما ينتجه) حقل جاره"<sup>(5)</sup>.

المادّة (57): "إذا لم يتفق راعٍ مع صاحب الحقل على رعي الغنم من العشب ولكنّه ترك

الغنم ترعى في الحقل بلا (موافقة) صاحب الحقل (فعندما) يحصد صاحب الحقل حقله فعلى

الراعي الذي ترك الغنم ترعى في الحقل دون (موافقة) صاحب الحقل أن يعطي لصاحب الحقل

زيادة (على ما جناه صاحب الحقل من فعلته) عشرين كوراً من الحبوب لكلّ بوراً من مساحة

الحقل"<sup>(6)</sup>.

(1) - فوزري رشيد، المرجع السابق، ص 92.

(2) - سفر الخروج 21: 16.

(3) - فوزري رشيد، المرجع السابق، ص 93.

(4) - سفر الخروج 21: 2 - 3.

(5) - فوزري رشيد، المرجع السابق، ص 99.

(6) - نفس المرجع، ص 99.

وجاء ما يقابلها في التّوراة "إذا رعى إنسان حقلاً أو كرمًا وسرح بمواشيه فرعت في حقل غيره فمن أجود حقلهوأجود كرمه يعوّض. إذا خرجت نازٌ وأصابت شوكا فاحتزقت أكراس أو زرع أو حقل فالذي أوقد الوقيد يعوّض"<sup>(1)</sup>.

نلاحظ أنّ مبدأ التّعويض ورد في الشّريعتين، إلّا أنّ التّوراة، عوّضت العقوبات المفروضة على الأضرار التي تحدث بالزّرع من جرّاء المياه بعقوبات أخرى مفروضة في الأضرار التي يحدثها أشخاص نتيجة الحرق، وهذه الاستعاضة عن الأضرار النّاتجة عن اشتعال النّار بدلاً من الأضرار النّاتجة عن المياه والتي أوجدها المشرّع اليهوديّ بسبب عدم وجود ريّ في أرض كنعان وفلسطين.

### الباب الرّابع: ويتعلّق بالائتمان والودائع

أ. المادّة (117): "إذا أُخرج رجل بسبب حلول موعد استحقاق الدّين وباع (نتيجة ذلك) زوجته أو ابنته مقابل نقود أو أنّه وضعهم تحت عبوديّة (دائنه) فعليهم أن يعملوا في بيت من أشتراهم واستعبدهم ثلاث سنوات وتعاد لهم حديثهم في السنّة الرّابعة"<sup>(2)</sup>.

أمّا في التّوراة فنذكر "إذا اشترت عبداً عبرانيّاً فستّ سنوات يخدم، وفي السّابعة يخرج حرّاً مجاناً"<sup>(3)</sup>، أي أنّ مدّة إبقاء الدّين عند حمورابي ثلاث سنوات، وفي شريعة التّوراة سبع سنوات.

ب. المادّة (125): "إذا أعطي رجل شيئاً للمحافظة عليه وفقدت حاجاته حيث أودعها مع حاجات صاحب البيت عن طريق اختراق الجدار أو تسلّق الدّار (وكان ذلك) بسبب إهمال البيت فعليه (صاحب البيت) أن يعوّض ما أعطي له للمحافظة عليه وسرق (منه) وعلى صاحب البيت أن يستمر في البحث عن مسر وقاته ويأخذها من سارقه"<sup>(4)</sup>.

(1) - سفر الخروج 22: 5-6.

(2) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 110.

(3) - سفر الخروج 21: 1.

(4) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 111.

أما التّوراة فتذكر: "إذا أعطى إنسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفاظ وسرقت من بيت الإنسان فإنّ وجد السّارق يعوّض الاثني وإن لم يوجد السّارق يقدّم صاحب البيت إلى الله ليحكم هل لم يمدّ بيده إلى ملك صاحبه"<sup>(1)</sup>.

### الباب الخامس: ما يتعلّق بالأحوال الشّخصيّة والشؤون العائليّة

#### أ. اتّهام امرأة أو فتاة بالفحشاء دون إثبات:

المادّة (127): "إذا نسب شخص إلى امرأة الفحشاء، ولكن لا يثبت عليها ذلك فيجب جلب الرّجل أمام القضاة ويعلموا جبينه قصّاً"<sup>(2)</sup>

أما التّوراة فتذكر "إذا اتّخذ رجل امرأة وحين دخل عليها أو بغضها ونسب إليها أسباب كلام، وأشاع عليها اسماً رديئاً، وقال هذه المرأة اتّخذتها، ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة يأخذ الفتاة أبوها وأمّها ويخرجان علامة عن عذريّتها إلى شيوخ المدينة إلى الباب، ويقول أبو الفتاة للشيوخ أعطيت هذا الرّجل ابنتي زوجة فأبغضها وهذه علامة عذرة ابنتي ويبسطان الثّوب أمام الشيوخ، ويأخذ شيوخ تلك المدينة الرّجل ويؤدّبونه، ويغرّمونه بمئة من الفضة، ويعطونها لأبي الفتاة لأنّه أشاع اسماً رديئاً عن عذراء من اسرائيل فتكون له زوجة لا يقدر أن يطلقها كلّ أيامه"<sup>(3)</sup>.

ب. الزّواج بأكثر من امرأة واحدة: يلاحظ أنّ القوانين الرّافديّة اهتمّت بتنظيم العلاقات الاجتماعيّة، ووضع الحدود والضوابط لتلك العلاقات ومن دراسة المواد القانونيّة المختلفة وأحكامها يظهر لنا أنّ الأساس في الأسرة الرّافديّة القديمة هو الزّواج من امرأة واحدة مع وجود بعض الاستثناءات الخاصّة، وهذا ما نسجّله في المواد التّاليّة مع مقارنتها بما جاء في التّوراة.

المادّة (137): "إذا قرّر رجل أن يطلق (الشوكيتوم) التي ولدت له أولاداً، أو أن يطلق (النّاديتوم) التي جهّزته بالأولاد فعليه أن يعيد إليها هديّتها أي ما جلبته من بيت أبيها (أي هديّة الزّوج)، ويعطوها نصف محصول الحقل والبستان، ونصف الأموال المنقولة عليها

(1) - سفر الخروج 22: 7-8 .

(2) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 112.

(3) - سفر التثنية 22: 13-20.

لتربية أولادها، وبعد تربيتها أولادها عليهم أن يعطوها حصّة وريث واحد من كلّ شيء أعطوه أولادها" (1).

**المادة (144):** "إذا تزوّج رجل (ناديتوم) وأعطت هذه النّاديتوم لزوجها أمة (وبذلك) نسبت في أن يكون لها شوكتيوم حلا يسمح لذلك الرّجل بالزّواج، وعليه أن يتزوّج الشّوكيتوم" (2).

**المادة (145):** "إذا تزوّج رجل ناديتوم، ولم تجهزه بأولاد، وعزم أن يتزوّج الشّوكيتوم فيمكنه تزوّج الشّوكيتوم، ويدخلها بيته، ويجب على الشّوكيتوم هذه أن لا تساوي نفسها مع النّاديتوم" (3).

**المادة (146):** "إذا تزوّج رجل ناديتوم، وأهدت النّاديتوم لزوجها أمة فولد (منه) أطفالا، وبعد ذلك ساوت الأمة نفسها مع سيّدتها، فبسبب إنجابها لا يحقّ لسيّدتها أن تبيعها بالمال، ولكن لها أن تضع عليها (علامة العبوديّة وتفد من الإماء" (4).

**المادة (147):** "فإذا لم تنجب الأمة أطفالاً فلسيّدتها أن تبيعها بالمال" (5).

أمّا التّوراة فجاء في نصوصها ما يقابل مواد قانون حمورابي المذكورة، فجاء فيها:

"وأما ساراي امرأة إبرام فلم تلد له، وكانت لها جارية مصريّة اسمها هاجر، فقالت ساراي لإبرام هوذا الرّب قد أمسكني عن الولادة أدخل على جاريّتي لعليّ أرزق منها بنين، فسمع إبرام لقول (ساراي)، فأخذت ساراي امرأة إبرام هاجر المصريّة جاريّتها من بعد عشر سنين لإقامة إبرام في أرض كنعان، وأعطتها لإبرام رجلها زوجة له فدخل على هاجر فحبلت، ولما رأت أنّها حبلت صغرت مولاتها في عينها فقالت ساراي لإبرام ظلمي عليك أنادفت جاريّتي إلى حضنك فلمّا رأت أنّها حبلت صغرت في عينها يقضي الرّب بيني وبينك، فقال إبرام

(1) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 113.

(2) - نفس المرجع، ص 115.

(3) - نفس المرجع، ص 115.

(4) - نفس المرجع، ص 115.

(5) - نفس المرجع، ص 115.

لساراي هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينك. فأذلتها ساراي فهربت من وجهها فوجدها ملاك الربّ على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور، وقال يا هاجر جاريتك ساراي أين أنتي وإلى أين تذهبين. فقالت: "أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها ملاك الرب: "ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يدها"<sup>(1)</sup>،

إنّ المتمعن في المواد: 144-145-146-147 يرى أنّها تعالج حقّ الزوج بالزوجة الثانية، وخاصة إذا لم ينتج الزواج أولادًا فكان باستطاعة الزوج أن يختار إحدى اثنتين، إمّا أن يأخذ زوجة أخرى تكون منزلتها بعد الزوجة الأولى، أو أن يطلق الأولى مع دفع مبلغ من المال، وقد تعتمد الزوجة أحيانًا لحلّ المشكلة بأن تقدّم لزوجها سرّيّة من إمائها لتنجب له أطفالاً، وإذا ما ولدت هذه السرّيّة فإنّها تصبح حرّة، وهذا ما نلاحظه بين إبراهيم وهاجر حين ولدت له أولادًا.

ج. الزنا بالمحارم: يلاحظ أنّ شريعة حمورابي عاقبت مرتكبي الزنا بصرامة وهي عقوبة الموت في جميع حالاتها، ونفس العقوبة أكّدت عليها شريعة التوراة.

المادة (129): "إذا ضبطت زوجة رجل مع رجل ثان فعليهم أن يربطوهما معا ويرموهما في الماء، فإذا رغب الزوج في الإبقاء على حياة زوجته، فالمملك يبقى على حياة خادمة كذلك (الرجل الثاني)"<sup>(2)</sup>.

وفي التوراة: "إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الإثنين، الرجل المضطجع مع المرأة، والمرأة فتنزع الشّر من إسرائيل"<sup>(3)</sup>.

(1) - سفر التكوين 16: 1 - 9.

(2) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 112.

(3) - سفر التثنية 22: 22.

**المادة (155):** إذا اختار رجل عروساً لابنه واتصل ابنه (جنسياً) بها وقبضوا بعدئذ على الرجل وهو نائم في حضنها فعليهم أن يوثقوا هذا الرجل ويرموه في الماء<sup>(1)</sup>.

وفي التوراة: "وإذا اضطلع رجل مع كته فإثما يقتلان كلاهما، قد فعلا فاحشة"<sup>(2)</sup>.

**د. مبدأ التبني:** يذكر الدارسون أنّ ظاهرة التبني عرفت لدى المجتمعات منذ القديم وفي تشريعات حمورابي اعتبرها ظاهرة شرعية حيث تقتضيها مصلحة الناس، لذلك نظم أحكاماً لحماية حقوق الأطفال المتبنين، وحقوق والدي الأطفال الطبيعيين، والوالدين بالتبني، وكان من الأسباب الرئيسية التي تدفع الأشخاص إلى التبني هي توفير الأطفال لمن لا يستطيع الإنجاب، وكذلك الحصول على الأيدي الفتية العاملة، حيث كان يؤخذ الأطفال ويدربون منذ الصغر على بعض الحرف، وكان أيضاً الدافع الذي يدفع الآباء والأمهات لإعطاء أطفالهم للتبني هي حالتهم المعاشية المزريّة.

الملاحظ أنّ ظاهرة التبني لم تقتصر على الأطفال فقط بل شملت الكبار أيضاً، فكان بعض المسنين مثلاً يتبنون رجلاً بالغاً أو امرأة بالغة ليقوموا بمداراتهم، وتيسير أعمالهم في حياتهم والإشراف على دفنهم بعد مماتهم.

**المادة (191):** من قانون حمورابي "إذاتبني رجل طفلاً ورباه وبنى له بيتاً، وحصل (المتبني) بعد ذلك على أولاد (ومن ثم) قرّر (الرجل) التخلّي عن (ابنه) المتبني فلا يذهب الإبن (خالياً) فعلى الوالد الذي رباه أن يعطيه ثلث ميراثه من أمواله، ويذهب ولا يعطيه أية (حصّة) من الحقل أو البستان أو البيت"<sup>(3)</sup>.

وذكرت التوراة "فقال إبرام أيّها السيّد الربّ ماذا تعطيني وأنا ماضي عقيماً ومالك بيتي أليعازر الدمشقيّ، وقال إبراهيم أيضاً إنك لم تعطيني نسلًا وهوذا ابن بيتي وارث لي. فإذا كلام الربّ إليه قائلاً: لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك"<sup>(4)</sup>.

(1) - فوزري رشيد، المرجع السابق، ص 117.

(2) - سفر اللاويين 20: 12.

(3) - فوزري رشيد، المرجع السابق، ص 125.

(4) - سفر التكوين 15: 2 - 4.

## الباب السادس: مبدأ العين بالعين والسن بالسن وما يتعلق بإيذاء الأشخاص:

يلاحظ أنّ مبدأ القصاص يعدّ الأكثر انتشاراً في العرف البابليّ، حيث أنّ بعض الحالات المذكورة في قانون حمورابي وصلت حدّ التطرّف بالنسبة لما يعرف بطبقة (الأويلم) في حين اتّبع القانون نفسه مبدأ التعويض في جوانب أخرى خاصّة وإن كان المدعى عليه من طبقة (المشكيتوم) أو الرّقيق.

## أ. مبدأ العين بالعين والسن بالسن:

المادّة (196): "إذا سيّد فقاً عين ابن أحد الأشراف فعليهم أن يفتقأوا عينه"<sup>(1)</sup>.

المادّة (197): "إذا كسر رجل عظم رجل آخر فعليهم أن يكسروا عظمه"<sup>(2)</sup>.

المادّة (200): "إذا خلع رجل سنّ رجل من طبقتهم فعليهم أن يقلعوا سنّه"<sup>(3)</sup>.

ولقد جاء في التّوراة نفس هذه المبادئ: "وإن حصلت أذية تعطي نفس بنفس"<sup>(4)</sup>.

## ج. مبدأ التعويض:

المادّة (199): "إذا كان المجنيّ عليه من طبقة المشكيتوم، فإذا فقاً عين عبد رجل أو كسر عظم عبد رجل فعليه أن يدفع نصف قيمته"<sup>(5)</sup>.

والتّوراة تذكر "إذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته فأتلّفها يطلقه حرّاً عوضاً عن عينه، وإن أسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حراً عوضاً عن سنّه"<sup>(6)</sup>.

(1) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 126.

(2) - نفس المرجع، ص 126.

(3) - نفس المرجع، ص 127.

(4) - سفر الخروج 21: 23.

(5) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 126.

(6) - سفر الخروج 21: 26-27.

## الضرب غير المعتمد:

جاء في المادة (206): "وإذا ضرب رجل آخر في شجار وسبب له جرحًا فعلى ذلك الرجل أن يقسم (لم أضربه متعمدًا) وعليه أيضا أن يدفع للطبيب" (1).

وجاء في التّوراة "وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو لكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش، فإذا قام وتمشى خارجًا على عكّازه يكون الضّارب بريئًا إلا أنه يعوّض في عطلته وينفق على شفائه" (2).

## الاعتداءات المقصودة يكون حكمها حسب الضّرر:

المادة (209): "إذا ضرب رجل بنت رجل آخر وسبب لها إسقاط ما في جوفها (جنينها) فعليه أن يدفع عشر شقيقات من الفضة لإسقاطه ما في جوفها" (3).

المادة (210): "وإذا توفيت تلك المرأة فيجب قتل ابنته" (4).

وتذكر التّوراة "وإذا تخاصم رجال وصدّموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرّم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاة، وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس وعينًا بعين وسنًا بسنّ ويدا بيد، ورجلا برجل، وكيا بكيا وجرحًا بجرح ورضًا برض" (5).

## الباب السابع: ما يتعلّق بأجور الحيوانات والأشخاص ومسؤوليّة أضرارهم:

المادة (245): "إذا استأجر رجل ثورًا فأماته بإهمال أو الضّرب فعليه أن يدفع ثورا مثل الثور الذي استأجره لصاحب الثور" (6).

(1) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 127.

(2) - سفر الخروج 21: 18 - 19.

(3) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 128.

(4) - نفس المرجع، ص 128.

(5) - سفر الخروج 21: 22 - 25.

(6) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 133.



وفي التّوراة: "وإذا استعار إنسان من صاحبه شيئاً فانكسر أو مات، وصاحبه ليس معه يعوّض، وإن كان صاحبه معه لا يعوّض، إن كان مستأجراً أتى أجرته".<sup>(1)</sup>

**المادّة (250):** "إذا نطح ثور أثناء سيره في السّوق رجلاً فأماتته فإنّ هذه القضيّة لا تحتاج إلى إقامة دعوى"<sup>(2)</sup>.

**المادّة (251):** "وإذا نطح ثور رجلاً نطاحاً واعلمته إدارة بلدته أنّه نطّاح ولم يقصّ قرنه أو لم يراقب ثوره، فإذا نطح هذا الثور ابن رجل فأماتته فعليه أن يعطي نصف المنا من الفضة"<sup>(3)</sup>.

**المادّة (252):** "فإذا كان عبداً رجل فعليه أن يعطي ثلث المنا من الفضة"<sup>(4)</sup>.

وجاء في التّوراة: "ولكن إذا كان ثوراً نطّاحاً من قبل، وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرحم وصاحبه أيضاً يقتل، وإن وقعت فدية يدفع فداء نفسه لكلّ ما يوضع عليه، وإذا نطح ابناً أو نطح ابنة. وبحسب هذا الحكم يفعل به، إن نطح الثور عبداً أو أمة يعطي سيّده ثلاثين شاقل فضّة والثور يرحم"<sup>(5)</sup>.

وباعتبار التّلمود مجموعة من الشّرائع اليهوديّة التي نقلت من طرف أحبار اليهود والذين قاموا بتفسير وشرح التّوراة مستنبطين بذلك من أصولها أحكاماً، يلاحظ وجود تشابه كبير بين المدوّنات البابليّة والكتابات السّومريّة و التّلمود البابليّ، حيث نجد في قسم الزّروع من التّلمود شروحا وافية و إرشادات متعلّقة بالزّراعة الإروائيّة وضبط العلاقات بين المزارعين وما يترتّب عن ذلك من حقوق وواجبات<sup>(6)</sup>.

(1) - سفر الخروج 22: 14-15.

(2) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 133.

(3) - نفس المرجع، ص 133.

(4) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 133.

(5) - سفر الخروج 21: 29-32.

(6) - التّلمود، ترجمة متن التّلمود، القسم الأول (زراعيّ - الزّروع)، المرجع السابق، ص 71-76.

ذكر التلمود شرحاً لطرق الإرواء والزراعة والحراثة والسقي والحصاد ومواسم الزراعة مع ذكر أنواع المحاصيل الزراعيّة الشتويّة والصيفيّة إلى جانب توضيح كيفية زراعة النخيل وتربية الحيوانات وإنشاء المراعي ونظام الأرض والضرائب المترتبة عنها، وهناك عدّة دلائل تبين اقتباس اليهود في تلمودهم مجموعة من الشروح والإرشادات الزراعيّة التي تركز على الريّ من كتابات قديمة سابقة لعهد التلمود، حيث عثر الأثريّون في مدينة "نيبور" على تقويم لأحد المزارعين السومريّين يضمّ نصائح وإرشادات وجهها المزارع لابنه حول أنجع الطرق الواجب اتّباعها في تنظيم وإدارة شؤون مزرعته ليتحصّل على أوفر المحاصيل الزراعيّة، كتهيئة الأرض ومباشرة عمليّة الحرث ونثر البذور والقيام بتنظيم عمليّة الريّ والاستعداد لعملية الحصاد ثمّ دراسته، وذرّوه وتجميعه، ويعود تاريخ هذا التقويم حسب الأثريّين إلى أكثر من أربعة آلاف سنة وقد وجد على رقيم من الطين يتكوّن من 108 أسطر بالخطّ المسماريّ وهو أقدم تقويم زراعيّ في الحضارات القديمة<sup>(1)</sup>.

وقد أولى التلمود عناية بيساتين النخيل وظهر مثله في المدونات السومريّة والبابليّة التي بيّنت مدى اتقان سكّان بلاد الرافدين العناية بها واستثمارها في المجال الاقتصاديّ بكثرة، كما تبين ذلك وثيقة سومريّة تعود إلى عهد الملك "شوسن" من سلالة أورتشير إلى حقل من نخيل معبد إله أوما<sup>(2)</sup>، كما نصّت عدّة قوانين من شريعة حمورابي على زراعة النخيل والمعاملات الواجبة في هذا المجال<sup>(3)</sup>.

من خلال ما سبق تؤكّد لنا النصوص التشريعيّة الرافديّة مدى تطوّرها ونضجها، وهي دليل على التطوّر الذي بلغه الفكر الحضاريّ الرافديّ، حيث فرض اجتهاده على المشرّع القديم والحديث، كما أكّدت المقارنة مدى تأثير النصّ الرافديّ على النصوص التوراتيّة بل تكاد تكون نفسها.

(1) - أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، المرجع السابق، ص 214.

(2) - نفس المرجع، ص 215، 214.

(3) - المواد من شريعة حمورابي: 59، 60، 65. انظر: عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 54، 55.

يُتضح من المقارنات، وبناءً على المصادر الأصلية المتاحة، أنّ الحضارة الّرافديّة قد انتقلت في سلسلة متّصلة من الاقتباسات من الحضارات القديمة، وساهمت في رقيّها، وهنا نجد تأثير حضارة بلاد الّرافدين في الأدب التّوراتيّ واضحًا حيث نقل كتابها روايات بكاملها إليها من الأدب الّرافديّ القديم مثل قصّة الخليقة البابليّة وقصّة الطّوفان... هذا إضافة إلى الكثير من الشّرائع الّرافديّة القديمة، وعلى رأسها شريعة حمورابي، التي ألبسوها بلباس النّبيّ موسى عليه السّلام، خاصّة والتّوراة تشير إلى علاقة اليهود بالنّبيّ إبراهيم عليه السّلام، وأنّه هاجر من بلاد الّرافدين رفقة زوجته سارة، وابن أخيه لوط، ولكن حسب الدّراسات التّاريخيّة فقد عاش حمورابي في القرن التّاسع عشر قبل الميلاد، وفي هذا التّاريخ لم يكن لليهود وجود أصلا، ممّا ينفي هذا عنهم وصلتهم بالنّبيّ إبراهيم عليه السّلام.

## 2. الوصايا العشر التّوراتيّة والنّصوص الّرافديّة:

يصف المختصّون الوصايا العشر بأنّها وصايا إيمانيّة عقديّة وأخلاقيّة عاليّة المضامين، كتوحيد اللّهِ، وعدم الشّرك به، وطاعة الوالدين، والنّهي عن القتل، والزّنا، والسّرقة...، إضافة إلى ما تشكّله من قيم إنسانيّة رفيعة، حيث تمثّل روح وأساس الأديان، بل وتعتبر بمثابة قوانين ارتكز عليها الإنسان لتنظيم شؤونه الاجتماعيّة العامّة، دون الأخذ في عين الاعتبار الإنتماء الديني، بل ويعتبرها البعض موضع التقاء أساسيّ بين الأديان والتّقارب بينها، ولقد تناولت الموضوع دراسات عديدة في الدّيانات الثلاث التّوحيدية (اليهوديّة، المسيحيّة، والإسلام)، وقبل التّعرّض للمقارنات بين النّصّ التّوراتيّ والّرافدي، نعرض تعريف الوصيّة.

أ. الوصيّة لغة: يذهب علماء اللّغة إلى أنّ الوصيّة ما أوصيت به، وسمّيت وصيّة لانتصاها بأمر الميت، وأوصى الرّجل ووصّاه: عهد إليه، وأوصيت له بشيء، وأوصيت إليه إذا جعلته وصيتك، والوصاية بالكسر والفتح، وتواصى القوم، أي أوصى بعضهم بعضاً<sup>(1)</sup>.

(1) - أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، د.ط، ح6، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د.ت، ص160.

ب. الوصايا العشر اصطلاحاً: هي الوصايا التي عهد بها الله تعالى إلى نبيّه موسى عليه السّلام على جبل سيناء، واعتقد البعض أنّها أساس الشريعة، ولقد ذكر الكلمات العشر في سفرية من أسفار توراة موسى<sup>(1)</sup>، كما عرضت باسم كلمات العهد، ولوحي الشّهادة، حيث أشارت التّوراة إلى أنّ الوصايا كتبت على لحي حجر، وتتضمّن حكمة اجتماعية وروحية، وإرشادات وتوجيهات للحياة الصّالحة، وهي ملخّص تعاليم العهد القديم، ويذكر المختصّون أنّه يجب التّمييز بينها وبين الوصايا الطّقسية أو الشعائرية المذكورة في التّوراة والتي تبلغ المئات، والواضح أنّ صياغة الوصايا جاءت في نموذجين الأوّل (سفر الخروج 20: 1-17)، والنّموذج الثّاني (سفر التّثنية 5: 6-21)، ولقد اختلفت الرّوايتان في ذكرهما ليوم السّبت، ففي سفر التّثنية شهد على ضرورة استراحة العمال والبهائم إعتراقاً بخروج الشّعب من أرض العبودية، في حين سفر الخروج يؤكّد على تقديس يوم الرّبّ بالانقطاع عن العمل والاستراحة لأنّ الله خلق العالم في ستّة أيّام، واستراح في اليوم السّابع<sup>(2)</sup>.

ونذكر أنّ الوصايا العشر<sup>3</sup> هذه لها أهميّة في الكتاب المقدّس:

- أنّها كتبها الله حسب التّوراة من ذلك " وقال الرب لموسى: اصعد إليّ الجبل، وكن هناك، فأعطيك لحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم"<sup>(4)</sup> وهناك نصّ آخر "ولما انتهى الله من مخاطبة موسى على جبل سيناء سلّمه لحي الشّهادة، لوحيين من حجر مكتوبين بأصبع الله"<sup>(5)</sup>.

(1) - سفر الخروج 20: 1-7، سفر التّثنية 5: 6-21.

(2) - سفر الخروج 20: 8-10.

-تسمّى الوصايا العشر بالكلمات العشر، وتدعى كلمات العهد، ولوحي الشّهادة، وقد ورد نص الوصايا مرتين، مرة في سفر الخروج، ومرة أخرى في سفر التّثنية، والفارق بينهما أن النص في سفر الخروج قدم تبريراً لوصية تقديس السبت أن الله استراح بعد الخلق في اليوم السابع، أما في سفر التّثنية فارتكز على أنه في ذلك تذكّار للخلاص من أرض العبودية والدخول إلى الإستقلال، والوصايا قصيرة وموجزة، ولقد أعاد موسى عليه السلام هذه الوصايا مرة أخرى في سفر التّثنية تذكيراً لبني إسرائيل بالوعد الذي وعده الله لهم سابقاً بعد خروجهم من أرض مصر، فهي تكرر للوصايا التي نطق بها الله تعالى لجميع بني إسرائيل على جبل سيناء، ولهذا أطلق على هذا السفر سفر التّثنية أي التكرار. للمزيد انظر:

(3) - جواد محمد أبو القاسم الخوي، الوصايا العشر في القرآن الكريم والعهدين، دراسة مقارنة، دارعمان للموروث، 2010، ص ص 25-30.

(4) - سفر الخروج 24: 12.

(5) - سفر الخروج 31: 18: التّثنية 5: 12.

- كذلك يذكر النصّ التّوراتيّ أنّها الوحيدة التي وضعت في تابوت العهد بأمر الله تعالى على أنّها أساس الميثاق والعهد بين الله وبني إسرائيل، حيث جاء في النصّ التّوراتيّ في ذلك الوقت قال لي الربّ: "أمنت لك لوحين من حجر كالأولين...، واصنع تابوتًا من خشب...، وضعهما في التّابوت" (1).

- وفي سفر الملوك الأوّل جاء: "ولم يكن في التّابوت إلاّ لوحا الحجر اللّذان وصفهما فيه موسى في حوريب حيث عاهد الربّ بني إسرائيل عند خروجهم من مصر" (2).

- كذلك أنّ هذه الشريعة جاءت معبّرة عن المؤمنين بالله، جاء في المزامير "طوبى لمن لا يسيّر على مشورة الشّريرين ولا يتوقّف في طريق الخاطئين ولا يجلس في مجلس السّاخرين" (3).

وللتذكير فإنّه رغم أهميّة هذه الوصايا، إلاّ أنّ موسى حين عاد من الجبل حيث مكث أربعين يوما في حضرة الله إلى بني إسرائيل، وجدهم يعبدون العجل، فغضب وكسر اللّوحين، وتنتهي الرّواية إلى أنّ اللّوحين وضعهما في تابوت العهد.

والملاحظ هنا أنّ تقسيم الوصايا كان على حسب مضامينها، حيث قسّمت إلى لوحين، احتوى الأوّل على أربع وصايا، والثاني على ستّة وصايا، ونسجّل هنا أنّ الكنيسة الرّومانيّة الكاثوليكيّة، والكنيسة اللّوثريّة اتّبعت تقسيم أوغسطين في تقسيمها للوصايا العشر، حيث أصبحت الوصايا الثّلاث الأولى بعد دمج الأولى والثانيّة لتصبح وصيّة واحدة في اللّوح الأوّل، والوصايا السّبع الأخيرة في اللّوح الثاني بعد تقسيم الوصية العاشرة إلى وصيّتين، وعليه فاللّوح الأوّل يتكوّن من ثلاث وصايا، تضمّنت واجبات الإنسان تجاه الله، واللّوح الثاني احتوى على سبع وصايا تضمّنت واجبات الإنسان تجاه الإنسان.

(1) - سفر الخروج 34 : 1، 25 : 10 .

(2) - سفر الملوك الأوّل 8 : 9.

(3) - سفر المزامير 1.

وهذه الوصايا العشر تلتقي في الكثير إن لم نقل في أغلب أفكارها مع ما جاءت به شريعة حمورابي الذي يعدّ من أعظم ملوك بلاد الرافدين (1793-1750 ق. م)، فلقد أُنجز في سنوات حكمه الأولى إلى إصلاح داخلي واسع بهدف ترقية حياة السكّان، وإقامة المشاريع لكسب ودّ الناس ورضاهم، ثمّ انصرف إلى الإصلاح الإداري والقضاء على الرّشوة، ورفع المظالم وتثبيت الأسعار، والاهتمام بفتح الطّرق وبناء السّدود، وتقوية الجيش، والعمل على تحقيق العدل<sup>(1)</sup>.

### قوانين حمورابي:

صنّفت إلى اثني عشر قسمًا<sup>(2)</sup>:

القسم الأوّل: يحتوي على المواد: من 1-5 وتعلّق بالقضاء والشهود.

القسم الثّاني: يحتوي على المواد: من 6-25 تتعلّق بالسّرقة والنّهب.

القسم الثّالث: يحتوي على المواد: من 26-41 تتعلّق بشؤون الجيش.

القسم الرّابع: يحتوي على المواد: من 42-100 ويتعلّق بشؤون الحقل والبساتين والبيت.

القسم الخامس: يحتوي على المواد من 100-107 تتعلّق بمخازن البيع بالجملة، ودكاكين التّجار والرّهينة والتّعامل مع صفار الخمر.

القسم السّادس: تحتوي على المواد: 108-111، ويتعلّق بالخمر.

القسم السّابع: يحتوي على المواد: من 112-126 تتعلّق بالبيع.

القسم الثّامن: يحتوي على المواد من 127-195، يبحث في شؤون العائلة، وحقوقها وعلاقات أفرادها فيما بينهم.

(1) - محمود الأمين، شريعة حمورابي، ط1، دار الوراق للنشر، لندن، 2007، ص ص 17 - 23.

(2) - محمود الأمين المرجع السابق، ص ص 81-82.

القسم التاسع: يحتوي على المواد من 196-227 تبحث في عقوبات التعويض، وغرامات نقص الاتفاقيات والعقود والتعهدات.

القسم العاشر: يحتوي على المواد من 228-240، تتعلق بالأسعار وتعيين أجور بناء البيوت والقوارب وأثاثها.

القسم الحادي عشر: يحتوي على المواد من 241-277، تتعلق بأجور الحيوانات والأشخاص.

القسم الثاني عشر: يحتوي على المواد 278-282 تتعلق بتعيين حدود الرقيق وحقوقهم وواجباتهم<sup>(1)</sup>.

من هنا عُدَّت هذه القوانين من أقدم وأشمل التشريعات في العالم شملت كلّ مناحي حياة المواطنين وواجباتهم كلّ حسب وظيفته ومسؤولياته.

وفي الخاتمة أكد حمورابي على أهمية الأحكام القانونية المنظمة والتي شرّعها لنشر العدل بين المواطنين كافة، ويدعو الناس إلى التمسك بها، واللّعنات التي تلحق من يحرف أو يزيل نصوصها<sup>(2)</sup>.

ومن خلال المقارنات فإننا نجد أنّ هناك الكثير من التشابه بين الوصايا العشر وقوانين حمورابي ممّا يوحي بمدى عمق التأثير الرافديّ في النصوص التوراتية، ونعرض فيما يلي الوصايا العشر والنصوص الرافدية حسب سفر الخروج:

الوصية الأولى: جاء في النصّ التوراتي: "أنا الربّ إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"<sup>(3)</sup>، وأمّا النصّ الرافديّ فذلك ما ذكرته

(1) - اعتمدنا على عدة دراسات محلية رافدية ومنها:

- فوزي رشيد، المرجع السابق.

- عبده حسن الركيبات، ترجمة قوانين حمورابي، مجلة القضاء، 1935-1936.

وهناك عشرات المقالات والدراسات لمختلف اللغات تناولت هذه القوانين.

(2) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص ص 79-142.

(3) - سفر الخروج 20: 2-3، .

شريعة حمورابي، حيث أنه مجد آلهته، وعظم آلهة المدن، وأورد في مقدّمته لآلهة العظام، والتي فوّضت الأمر إلى الإله مردوخ إله مدينة بابل لكي ينشر العدل في البلاد<sup>(1)</sup> وبإدخاله تمجيد الآلهة في تشريعه ذلك أكسبه قدسيّة مطلقة أساسها مجمع الآلهة الرافديّ القديم.

وفي النصّ التوراتيّ يلاحظ تمجيد الإله صاحب السّلطة على المجتمع الدينيّ، والذي يستمدّ قوّته من الله صاحب الشريعة والقوانين. هذه الأخيرة اكتسبت طابع القداسة.

**الوصيّة الثّانية:** " لا تضع لنفسك تمثالاً، ولا صورة"<sup>(2)</sup>.

نستنتج أنّ هذا النصّ يدعو إلى عدم الإشراف بالله، وقياساً على ذلك عدم تغيير المعتقدات، وما يشبهها جاء في ختام شريعة حمورابي حيث أكد على أهميّة قوانينه وكيفيّة الاستفادة منها، وضرورة اتّباعها وعدم مخالفتها، وإلاّ نزلت اللّعنات على كلّ من يحاول تخريبها، أو ينسب مصدرها إلى نفسه أو يزيل المسلّة أو أثرها.

**الوصيّة الثّالثة:** يذكر نصّ الوصيّة: " لا تنطق باسم الرّبّ إلهك باطلاً"<sup>(3)</sup>.

ويذكر النصّ الرافديّ على لسان حمورابي قائلاً عن نفسه: " كتبت كلماتي القيّمة على مسلّتي وثبّتها على تمثالي أنا الملك البارز بين الملوك، كلماتي مختارة وقدرتي ليس لها مثيل بإرادة الإله شماش، قاضي السّماء والأرض العظيم، عسى أن تسود عدالتي البلاد، وبإرادة الإله مردوخ سيّدي "عسى أن يشوّه أحد تعليماتي"<sup>(4)</sup> أي لا تحلف باسم الرّبّ باطلاً أو كذبا لأنّ الرّبّ لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً حسب النصّ التوراتيّ.

**الوصيّة الرّابعة:** يذكر نصّ الوصيّة: "أذكر يوم السّبت لتقدّسه"<sup>(5)</sup>.

(1) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص ص 79-142.

(2) - سفر الخروج 20: 4.

(3) - سفر الخروج 10: 7.

(4) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص ص 138، 139.

(5) - سفر الخروج 20: 8.



يلاحظ أنّ التّقويم البابليّ كان عماده الأسبوع وتقسيم الشّهر إلى أربعة أسابيع، ولقد اهتمّ البابليّون كثيرا باليوم السّابع من الشّهر القمريّ للعرافة والتّنبؤ وقراءة الطّالع، ثمّ تطوّرت فيما بعد فأصبح هناك جمع بين التّقويم البابليّ والعبرانيّ. وكان يوم السّبت العبرانيّ مرتبطا بقصّة خلق العالم في ستّة أيّام حسب التّوراة، وأنّ اليوم السّابع هو يوم إشرافه أي سبتا، ويوم السّبت هو الثّبات في العبريّة ويعني الرّاحة، لأنّه اليوم الذي استراح فيه الرّب، وبالتالي فهو يوم مقدّس لديهم، في حين كانت عادة البابليّين أنّهم يطلقون على هذه الأيّام أيّام (الحرام)، وأيّام الصّوم والدّعاء (بيشتو)<sup>(1)</sup>.

ويوافق ذلك النّصّ التّوراتيّ من أنّ يوم السّبت هو يوم الرّب "لأنّ في ستّة أيّام صنع الرّب السّماء والأرض، والبحر وكلّ ما فيها واستراح في اليوم السّابع. لذلك بارك الرّب يوم السّبت وقدّسه"<sup>(2)</sup>. وبالتالي يشترك الرّافديّون مع العبرانيّين في تقديس هذا اليوم، إلّا أنّ عادة التقديس هذه كانت لدى البابليّين أقدم ممّا يؤكّد تأثر يهود السّبيّ بها واستمرارهم في تقديس هذا اليوم.

### الوصيّة الخامسة: جاء النّصّ التّوراتيّ: "أكرم أباك وأمك"<sup>(3)</sup>.

وفي النّصّ التّشريعيّ الرّافديّ المادّة 169<sup>(4)</sup>، "إذا اقترف الابن إثما كبيرا يستوجب الحرمان من الإرث"، وفي المادّة 192<sup>(5)</sup>: "إذا قال ابن تابع للقصر أو ابن حريم القصر - بالتبني - لأبيه الذي ربّاه، أو أمّه التي ربّته: أنت لست والدي أو أنت لست والدي عليهم أن يقطعوا لسانه"، وفي المادّة 195<sup>(6)</sup> "إذا ضرب ابن أباه فعليهم أن يقطعوا يده". من هنا يظهر أنّ النّصّ التّوراتيّ يدعو إلى احترام الوالدين والاعتناء بهما، كما دعا إلى تقديس الأسرة باعتبارها أساس البنية

(1) -سهيل قاشا، أثر المدونات، المرجع السابق، ص ص 57، 59.

(2) -سفر الخروج 20: 8.

(3) -سفر الخروج 20: 12.

(4) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 119.

(5) -نفس المرجع، ص 126.

(6) - نفس المرجع، ص 126.

الاجتماعية، ويذكر الباحثون أنّ نظام الأسرة لدى العبرانيين نظام أبويّ تميّز بنظام اقتصادي وسياسي واسع السيطرة، حيث تمتّع الأب بنفوذ مطلق على أسرته.

أمّا في النظام الرافديّ، ومثال ذلك البابليّ فقد جاءت تشريعاتهم لتؤكد على ضرورة احترام الوالدين، وتمنحهم سلطة مطلقة على الأبناء الذين يرتكبون الآثام، وبالتالي يشتركان في هذه المبادئ الأخلاقية، وفي تطهيرها القانوني والاجتماعي.

### الوصية السادسة: تذكر التوراة: "لا تقتل"<sup>(1)</sup>.

أمّا النصوص الرافدية فقد أكّدت تشريعاتها على دور مبدأ العقاب والقصاص، وبشكل تفصيلي في المواد (195-214)<sup>(2)</sup>، فإذا كانت التوراة قد أوصت بتجنّب القتل كمبدأ يصفه البعض بالمثاليّ فإنّك تقرّ في أسفار العهد القديم الكثير من أحداث القتل، بل وحتى أعمال التدمير، من هنا فدعوة الرافديين لتجنّب القتل كانت صارمة عقوبتها ومضمونها أخلاقيّ، أمّا في دعوة التوراة فظاهرها أخلاقي لكنها متناقضة مع نصوصها اللاحقة من أسفار العهد القديم الذي أخذ فيما بعد بمبدأ العقاب والقصاص الرافديّ.

### الوصية السابعة: يذكر النصّ التوراتي: "لا تزني"<sup>(3)</sup>.

أمّا في النصوص الرافدية فإنّنا نجد قوانين حمورابي سمحت للرجل بالزواج بأكثر من واحدة، إذا كانت زوجته عاقراً، ولقد خصّص حمورابي العديد من المواد التي تعالج مختلف قضايا الزنى مثل: المواد 130، 129، 133، 141، 143، 153، 158<sup>(4)</sup>.

والملاحظ أنّ المجتمع الرافديّ القديم كان يوصي المرأة بأن تصون نفسها وأن تحافظ على عقبتها ولا تعرّض نفسها للزنى<sup>(5)</sup>، في حين اعتبرت التوراة مختلف أنواع الزنى من المحرّمات، ودعت

(1) - سفر الخروج 20: 13.

(2) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 126-128.

(3) - سفر الخروج، 20: 14.

(4) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص ص 112، 113، 114، 115، 116، 117، 119، 128.

(5) - نفس المرجع، ص ص 118 - 119.

للحفاظ على سلامة الأسرة، واعتبرت الزواج أساسها، والأسرة أساس المجتمع، ويجب على الفتاة أن تثبت عذريتها يوم زواجها، وإلا ترحم حتى الموت<sup>(1)</sup>، إلا أن المختصين<sup>(2)</sup> يؤكدون أن الزنى كان منتشرًا بين اليهود، وسمح للزوج الثري أن يتزوج بأكثر من واحدة، وكذلك إذا كانت الزوجة عاقراً، ويسمح له بأن يتخذ خليفة.

**الوصية الثامنة:** جاء في النص التوراتي: "لا تسرق"<sup>(3)</sup>، أما في النصوص الرافدية فإننا نجدها مجسدة في قوانين حمورابي في المواد 6-25<sup>(4)</sup>، وعليه انتهجت النصوص التوراتية نفس المنهج بحيث أنها جاءت بقوانين وتوضيحات شملت مختلف أنواع السرقات مع تحديد عقوبات كل منها، وتمثل هذا في الرفض القاطع لكل أنواع جرائم السرقة وتشديد معاقبة مرتكبيها، بحيث كان للقوانين الرافدية الصدى العميق في النصوص التوراتية.

**الوصية التاسعة:** جاء في النص التوراتي: "لا تشهد على قريبك بشهادة زور"<sup>(5)</sup>، أما لدى الرافديين فقد عرفت بالشهادة الكاذبة أو الاهتمام الكاذب وكان حكماً شديداً في شريعة حمورابي من ذلك ما جاء في المادة 3<sup>(6)</sup>: إذا أدلى سيد شهادة كاذبة في دعوى ما لم يثبت صحة الكلمات التي نطقها فإن كانت تلك الدعوى تتعلق بدعوى حياة، فإن ذلك السيد يعدم، وعليه فالوصية التوراتية تطلب من الشهود أن يكونوا عادلين وصادقين في شهادتهم، وشهادة الزور يعاقب صاحبها بنفس العقاب الذي كان للمتهم أن يناله، وهنا أيضاً نجد صدى القوانين الرافدية في النصوص التوراتية.

**الوصية العاشرة:** يذكر النص التوراتي ما يلي: "لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا ماله، ولا شيئاً ما لقريبك"<sup>(7)</sup>، في حين جاء في النص

(1) - سفر التثنية 22: 22.

(2) - علي سداد جعفر جواد، الزنا وعقوبته في تشريعات التوراة مقارنة مع قانون حمورابي، كلية الآداب، جامعة بابل، العراق، 2016، ص 78.

(3) - سفر الخروج 20: 15.

(4) - فوزي رشيد، المرجع السابق، المواد 6-25، ص 90 - 93.

(5) - سفر الخروج 20: 16.

(6) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 79.

(7) - سفر الخروج 20: 17.

الرافديّ حكم صارم مثل المادة 25<sup>(1)</sup> حيث تقول: "إذا شبت نار في دار سيّد وذهب سيّد لإطفائها فحطّ عينه على أموال (حاجة) صاحب البيت فإنّ هذا الرجل يلقي في النار هذه"، وعليه فإنّه يظهر أنّ الوصيّة تعتبر المرأة نوعاً من المتاع، في حين المرأة الرافدية كان لها وضع أفضل ومكانة اجتماعيّة رفيعة، وتمتعت بالكثير من الحقوق والامتيازات مقارنة بالمرأة العبرانيّة، لكنّهما تشتركان في سيطرة النّظام الأبويّ عليهما، كما أنّنا نسجّل أنّها دعوة ذات مضمون أخلاقيّ، كالتفوّق واجتناب النّظرة الشّهوانيّة والحسد في كلّ شيء، كذا عدم التّعدي على حقوق الغير، والدّعوة إلى العمل لتحقيق المبتغى، وعليه فصدى التأثير الرافديّ واضح في هذه المعالم والمبادئ والأحكام.

### 3. التأثير الوثنيّ وظهور الكنيس:

ظهر التأثير الوثنيّ للديانة البابليّة على اليهود منذ العهد الأشوريّ واتّضح ذلك في تبنيّ "منسي" ابن الملك اليهوديّ "حزقيا" (643-687 ق.م) للطّقوس الأشوريّة بتركه لعبادة "يهوه"<sup>(2)</sup>، وسار على نهجه ابنه "عمون" الذي لم يحكم إلّا سنتين (639-638 ق.م) والذي أدخل الطّقوس الأشوريّة على الديانة اليهوديّة<sup>(3)</sup>، وباندماج اليهود في المجتمع البابليّ بدأوا يتنكّرون لعبادة "يهوه" والشّرك في عبادته بعبادة الرّبّ البابليّ "مردوخ"، وقد تمتّع المسيّون بحرية التّنقل والزّواج وامتلكوا الأراضي والقرى فقد جاء في سفر أرميا: "هكذا قال ربّ الجنود إله إسرائيل لكلّ السّبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل. ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنّات واكلوا ثمرها. خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنينكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات وأكثروا هناك و لا تقلّوا"<sup>(4)</sup>.

(1) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 93.

(2) - عصام كامل مخيمر، المرجع السابق، ص 129.

(3) - سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، د. ط، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، د. ت، ص 230.

(4) - سفر ارميا 29: 4-6.

شعر الكهنة اليهود بخوف وقلق كبيرين لانحراف اليهود المسيبيين واندماجهم في المجتمع الجديد البابلي فبدأوا يثون الروح الإثنية بينهم وأصبحوا من أشدّ المتمسكين والمدافعين عن يهوديتهم، خاصة وأنّ الكلدانيين قاموا باسكان المسيبيين في منطقة إقليم واحد فأدى هذا إلى التواصل فيما بينهم فنشأ بذلك مجتمع يهودي متماسك، وقام الكهنة بتأسيس الكنيس في بابل للتعبّد ومجاعة لفكرة الهيكل (بيت الربّ الأبدى في أورشليم)، واتخذوا من بابل عاصمة مؤقتة بديلة من سفر الشريعة (سفر التثنية) دستوراً لهم<sup>(1)</sup>.

وتغيّر المجتمع اليهودي في المنفى فبعد ما كان مجتمعاً يقوم على تقديم القران في الهيكل الواحد الذي لا بديل له أصبح مجتمعاً يقوم على التمسك بالتراث والقانون<sup>(2)</sup>، وقد مثل هذا الاتجاه الذي ربط بين النبوة وتقنين الكهنوت النبي حزقيا (الكاهن)<sup>(3)</sup>، الذي أظهر شعوراً بالمثل العليا الأخلاقية وكان معاصراً لأرميا<sup>(4)</sup>، وقد استمرّ العمل في الكنيس حتى بعد العودة من بابل وإعادة بناء الهيكل باعتباره مكاناً قدّم الكثير لليهود في المنفى.

#### 4. الشّيقل الرافدي والشّيقل التوراتي:

تعتبر النقود إحدى الظواهر الاقتصادية القائمة على التبادل، وتعرف بأنّها المعادل العامّ للسلع ووسيلة للتبادل وأداة لقياس القيم ووسيلة ادّخارها، وأداة لدفع الحسابات وتسيويتها، وباستقرار الإنسان عند اكتشافه الزراعة ظهر التخصّص في الإنتاج، فنشأ وتطوّر النظام النقديّ في العالم القديم مع تطوّر المجتمع فيه، وقد انتقل سكان بلاد الرافدين من أسلوب المقايضة إلى استعمال السلعة الوسيطة<sup>(5)</sup>، والتي تمثّلت في منتج الشعير الذي تظهر قيمته الكبيرة باستخدامه وسيطا في تقييم البضائع من جهة وكأجور للعمّال من جهة أخرى، لتحتلّ الفضة في مرحلة لاحقة مكان الشعير بالإضافة إلى معادن أخرى كالذهب والبرونز

(1) - إسماعيل ناصر الصمادي، المرجع السابق، ص 16، 15. وكذلك انظر: إسماعيل فاروق راجي، المرجع السابق، ص 8.

(2) - نفس المرجع، ص 9.

(3) - سبتينو موسكاني، المرجع السابق، ص 153.

(4) - رمضان عبده علي، الشرق الأدنى القديم وحضارته، ط 1، ج 2، دار تحفة الشرق، القاهرة، مصر، 2002، ص 269.

(5) - جورج كونتينو، المرجع السابق، ص 158.

والنحاس، وهناك العديد من النصوص المسماريّة التي أشارت إلى استخدام هذه السلعة البديلة في عمليّات التبادل التجاريّ وكأجور للعمال<sup>(1)</sup>، فقد ورد في شريعة أورنمو المادّة 5: "إذا أزال رجل بكاراة أمة رجل آخر بالإكراه، عليه أن يدفع (كغرامة) خمسة شيقلات من الفضة<sup>(2)</sup>. ليتكرّر ذكر هذه العملة الوسيطة في نصوص أخرى من نفس الشريعة في المواد: 15، 14، 13، 11، 10، 7، 6، 16، 17، 18، 19، 21، 25، 28، وقد ورد مصطلح الشّيقل في نصوص شريعة "لبت عشتار" التي تتكوّن من 37 مادّة، فجاء في المادّة 9 منها: "إذا دخل رجل بستانا يعود لرجل آخر وقبض عليه متلبّسا بالسّرقة فعليه أن يدفع كغرامة عشر شيقلات من الفضة"<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى المواد القانونيّة: 13، 33، أمّا في شريعة "أشنونا" التي تتكوّن من 61 مادّة فقد جاء في المادّة 1 منها: "كور شعير واحد سعره شيقل واحد من الفضة"، كما ذكر في المادّة 3 منه أيضا<sup>(4)</sup>، وفي شريعة حمورابي ورد ذكر الشّيقل في المواد: 209، 204، 211، 213، 215، 216، 221، 222، 223، 228، 259، 260، 277<sup>(5)</sup>

وقد كان سنحاريب يقوم بسكّ النقود، فقد استعمل "الشّيقل" كوحدة للوزن وكوحدة نقدية<sup>(6)</sup>، وقد ورد ذكر "الشّيقل" في التّوراة، فقد جاء في سفر التّكوين: "يا سيّدي اسمعني. أوصي بأربع مئة شاقل فضة هاهي بيني وبينك فأدفن ميتك. فسمع إبراهيم لعفرون ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث. أربع مئة شاقل فضة جائزة عند التّجار"<sup>(7)</sup>.

(1) - قيس حاتم هاني الجنابي، دراسة في نشأة النقود في بلاد ما بين النهرين، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 2014، 16، ص 31.

(2) - شقلو (شيقالو): بمعنى وزن في الأكديّة، وهي وحدة وزن استعملت في بلاد الرافدين، انظر: قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 32.

(3) - فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 17 - 19.

(4) - نفس المرجع، ص 42 - 46.

(5) - نفس المرجع، ص 61، 62.

(6) - نفس المرجع، ص 110، 111.

(7) - سهيل قاشا، أثر الكتابات، المرجع السابق، ص 51.

(8) - سفر التكوين 23: 15، 16.

كما ورد ذكره في سفر الخروج: "هذا كلّ ما يعطيه كلّ ما اجتاز للمعدودين: نصف الشاقل بشاقل القدّاس (الشاقل عشرون جيرة) نصف الشاقل تقدمة للرّب"<sup>(1)</sup>، كما ورد نفس السّعر في الآية 15. "الغني لا يكثر والفقير لا يقلل عن نصف الشاقل حين تعطون تقدمة الرب للتكفير عن نفوسكم"<sup>(2)</sup>.

كما تحتوي المشنا على فصل كامل عن الأحكام الخاصّة بالشاقل وما زال يوجد في العبادة اليهوديّة احتفال "نصف الشاقل" الذي يعقد في ليلة "عيد النّصيب"<sup>(3)</sup> ويتميّز باحتفاليّات تعود إلى أيّام السّبي البابلي<sup>(4)</sup>، ويطلق عليه اليهود "عيد حتّى لا تميز شيئاً" وما زال الاحتفال بهذا العيد إلى اليوم وذلك بتلاوة قصّة "أستير" التي قامت بإنقاذ يهود فارس من القتل المحقّق<sup>(5)</sup>.

## 5. يوم السّبت:

قدّس اليهود يوم السّبت حيث جاء في سفر الخروج: "وأما اليوم السّابع ففيه سبت الرّب إلهك. لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيّمتك ونزيبك الذي دخل أبوابك. لأنّ في ستّة أيّام صنع الرّب السّماء والأرض والبحر وكلّ ما فيها واستراح في اليوم السّابع. لذلك بارك الرّب يوم السّبت وقرّسه"<sup>(6)</sup>، كما أكّد العهد القديم ميزة هذا اليوم وقداسته، فقد جاء في سفر العدد: "ولمّا كان بنو إسرائيل في البريّة وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السّبت. فقدهم الذين وجدوه ليحتطب حطباً إلى موسى وهارون وكلّ الجماعة. فوضعوه في المحرس لأنّه لم يعلم ماذا يفعل به. فقال الرّب لموسى: قتلاً يقتل الرّجل برجمه بحجارة كلّ الجماعة خارج المحلّة"<sup>(7)</sup>.

(1) - سفر الخروج 30: 13.

(2) - سفر الخروج 30: 15.

(3) - عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 224. وكذلك انظر: ترجمة متن التلمود، القسم الثاني (مواعيد - الأعياد، المرجع السابق، ص 173.

(4) - أحمد شليبي، المرجع السابق، ص 384.

(5) - غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط 1، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسفية، عمان، الأردن، ص 14.

(6) - سفر الخروج 20: 10، 11.

(7) - سفر العدد 15: 32، 35.

يقول ول ديورانت: لعلّ تسميّة هذا اليوم بل العادة نفسها قد جاءت من البابليين، فقد كان هؤلاء يطلقون على أيّام الدّعاء والصّوم "شبتو"<sup>(1)</sup>، فيكون يوم السّبت عند اليهود من الأيّام المقدّسة التي حرّم العمل فيها كأيّام الأعياد التي يحتفل بها بنو إسرائيل وذلك تمجيدا لها وتقديسا<sup>(2)</sup>، ويرجع تقسيم الشّهر إلى أربعة أسابيع إلى التقويم البابلي، حيث كان سكان بلاد الرّافدين يولون أهميّة كبيرة لملاحظة اليوم السّابع من الشّهر القمريّ مستخدمين إيّاه في التنبؤ وتبيان طوابع السّعد والنّحس، فقاموا بتقسيم الشّهر القمريّ إلى أربعة أقسام متميّزة (أربعة أسابيع)، لتتطور فكرة الأسبوع في القرون اللاحقة وقبل الميلاد بقليل ليصبح الأسبوع وحدة متواصلة يشترك فيها التقسيم البابلي ومبدأ السّبت العبراني<sup>(3)</sup>.

## 6. الأعياد العبريّة وعلاقتها بالرّافديّة:

يتعرّض الشعب اليهوديّ للأسر في فترات مختلفة أثر هذا على الفكر الدينيّ لديهم، ففي بلاد الرّافدين ارتبط الفكر الدينيّ القديم بالطبيعة والكون، وبظهور الفكر الدينيّ الجديد القائم على الوحي و الذي يتمّ فيه إخضاع الفكر القديم لعمليّة تاريخيّة خضعت فيه الطبيعة للتاريخ وأطلق على هذه العمليّة "تأريخ الطبيعة والأسطورة" وتحويل الفكر الطبيعيّ إلى فكر تاريخيّ<sup>(4)</sup>، فنلاحظ أنّ التّوراة وسفر التكوين ظهر فيهما هذا المجهود الذي سعى إلى تأريخ مادّة الطبيعة لجعلها تفهم فهما تاريخيّا، فكلّ الأعياد اليهوديّة القديمة اقتبست من الثقافات الكنعانيّة والبابليّة، وقامت الدّيانة اليهوديّة بتغيير المعنى الأساسيّ فيها بأن زادت أو انتقصت منها شيئا وغيّرت تفسيره الطبيعيّ بتفسير تاريخيّ<sup>(5)</sup>.

فعيد الفطير (الفصح) و موسم الحجّ وفيه يتمّ تقديم الأضحية (حمل، شاة أو جدي) ويسمى أيضا عيد "الفسخ" أي الفرج، وإذا نظرنا إلى معناه الطبيعيّ فهو يمثّل عيد

(1) -ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، المرجع السابق، ص373.

(2) -ألقت محمد جلال، العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود، ط1، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1954، ص98.

(3) -سهيل قاشا، المرجع السابق، ص58، 59.

(4) -محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص89.

(5) -محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص90.



الرَّبيع، ويكون العبور فيه من الشتاء إلى فصل الرَّبيع، أصبح يُؤرخ له بذكرى عبور موسى عليه السَّلام البحر وهو عيد الخروج من مصر ونجاة بني إسرائيل من العبودية<sup>(1)</sup>، بالإضافة إلى عيد الحصاد (وهو خاصٌّ بالاحتفال بأبكار الغلات والتي تزرع في الحقل)، حوله الفريسيون إلى عيد خاصٍّ بإعطاء التَّوراة، أمَّا عن رأس السنَّة فيحتفل به للتذكير بخلق العالم، وتمَّ اختيار رأس السنَّة الواقع في الخريف خلافاً لاحتفال البابليين به في فصل الرَّبيع، وكان اختياريهم ليوم السَّبت الذي اختاره الرَّبُّ للرَّاحة وله علاقة ببداية التَّاريخ وأصله فلكيِّ بابليِّ والمتعلِّق بالقمر وأقسامه<sup>(2)</sup>.

ويعتبر عيد البوريِّ بدعة من أيَّام السَّبي البابليِّ عندما وعد الملك "قورش" اليهود في حالة مساعدته ضدَّ البابليين بالسَّماح لهم بالعودة إلى أورشليم وبممارسة فيه اليهود مجموعة من التَّقاليد الشَّعبية، فيسرفون في شرب الخمر ويرتدون الأقمعة والملابس التَّنكريَّة<sup>(3)</sup>، وهكذا غدت الأعياد الدِّينية الرَّئيسية عند اليهود استجابة لوحي الإله في تاريخ هذا الشَّعب وهذا عكس المعتقدات والأعياد في الدِّانات الطَّبيعية.

## 7. ظهور عقيدة أرض الميعاد:

كُرِّست التَّوراة وأعطت حقًّا لليهود في أرض كنعان (فلسطين) بناءً على الوعد بين الله وإبراهيم عليه السَّلام، حيث جاء في سفر التَّكوين "وأخذ ابرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وكلَّ مقتنياتهما التي اقتنيا والنَّفوس التي امتلكا في حرَّان وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى أرض كنعان، واجتاز ابرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرَّبُّ لابرام وقال: "لنسلك أعطي هذه الأرض"<sup>(4)</sup>.

من خلال هذه النصوص يتَّضح أن الله قد وعد نسل إبراهيم بأرض كنعان دون تحديد الحدود، ليتحوَّل هذا الوعد إلى ميثاق "في ذلك اليوم قطع الرَّبُّ مع ابرام ميثاقا

(1) -غازي السعدي، المرجع السابق، ص 15، 14، كذلك انظر: سبتيو موسكاني، المرجع السابق، ص 149.

(2) -محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص 191.

(3) -أحمد شلي، اليهودية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986، ص 337.

(4) -سفر التكوين 12: 5-7.

قائلا: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"<sup>(1)</sup>، لتحديد الحدود من خلال هذا النصّ وهي من مصر إلى نهر الفرات، ليتجدّد هذا الوعد لنسل إبراهيم عليه السّلام في أرض كنعان: "وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديًا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كلّ أرض كنعان ملكا أبديًا وأكون إلههم"<sup>(2)</sup>، ليستثنى إسماعيل عليه السّلام من هذا الوعد، وتخصّ التّوراة بهذا الوعد إسحاق عليه السّلام ليكون لهم الحقّ وحدهم في هذه الأرض، وينقل بذلك العهد من إبراهيم إلى إسحاق وإقصاء إسماعيل منه: "وقال إبراهيم: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا تدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهدا أبديًا لنسله من بعده"<sup>(3)</sup>.

ليتواصل بهذا العهد مع يعقوب عليه السّلام ولد إسحاق وعلى لسان هذا الأخير إذ يقول: "والله القدير يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك فتكون جمهورا من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التي أعطها الله لإبراهيم"<sup>(4)</sup>، ليتحلّى الله ليعقوب ويغيّر اسمه ويباركه ويجدّد معه عهد الأرض: "وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدّان آرام وباركه وقال له الله: "اسمك يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل. فدعا اسمه إسرائيل وقال له الله: "أنا الله القدير أثمر وأكثر أمة وجماعة أمم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها ولنسلك من بعد ذلك أعطي الأرض"<sup>(5)</sup>.

(1) - سفر التكوين 15: 18.

(2) - سفر التكوين 17: 8، 7، في عام 1947م، قدم الحاخام " فيشمان" عضو الوكالة اليهودية إلى لجنة التحقيق الدولية التي شكلتها هيئة الأمم المتحدة خريطة مستمدة من مشروع هرتزل ووعود التوراة حدد فيها أبعاد الدولة اليهودية، والتي تبدأ حدودها من مدينة الاسكندرية أي من نهر مصر إلى نهر الفرات لتشمل إقليم الدلتا و الحوض الشرقي لنهر النيل، و الصحراء الشرقية وسيناء من مصر والقسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية، انظر: أحمد ربيع أحمد يوسف، أرض الميعاد بين الحقيقة و المغالطة، د. ط، جامعة قطر، كلية الشريعة و القانون و الدراسات الإسلامية، د. ت، ص 411، 410.

(3) - سفر التكوين 17: 18 ، 10.

(4) - سفر التكوين 28: 3 ، 4.

(5) - سفر التكوين 35: 9-12.

من هذه النصوص نستخلص مايلي:

- أن الوعد بالأرض جاء برؤيا مباشرة ليعقوب

- تم تغيير اسم يعقوب إلى اسرائيل

- أن يعقوب هو الوريث الوحيد للأرض التي أعطيت لإبراهيم واسحاق عليهم السلام

- أن نسل يعقوب هم الورثة لهذه الأرض.

كانت النصوص التوراتية الأساس والقاعدة التي اعتمد عليها سياسة إسرائيل في المطالبة بحقهم في أرض الميعاد، يقول حايم وايزمان<sup>(1)</sup> في هذا الشأن: "إنّ مبنى حقّ اليهود في فلسطين إنّما هو وعد الله لهم بأرض فلسطين"، كما يقول ابن غريون<sup>(2)</sup> في هذا الصدد: "إنّ الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بمرتزل ومؤتمر بال ولا بوعد بلفور ولا بقرارات الأمم المتحدة سنة 1948م، ولكنها بدأت يوم وعد الله أبانا إبراهيم وعده<sup>(3)</sup>".

ثمّ يعرج ابن غريون إلى تعريف الدولة اليهودية وبعد إعلان استقلالها: "إنّ دولة إسرائيل هي ذلك المكان الذي ولد فيه اليهودي، وإنّ أرض إسرائيل هي العهد الذي تكوّنت فيه الخصائص الروحية والدينية والقومية للشعب اليهودي، في تلك الأرض كتبت التوراة التي قدّمها الإله هدية إلى الإنسانية، وفي تلك الأرض تكوّنت الحضارة اليهودية ذات الطابع القومي العالمي في آن واحد... إنّ اليهود لا يعودون إلى أرضهم فاتحين، وإنّما يعودون إلى الأرض الموعودة من

(1) - حايم وايزمان: زعيم صهيوني وأول رئيس لدولة إسرائيل، ساهم في تأسيس الجامعة العبرية التي من خلالها يمكن تحويل فلسطين إلى مركز روحي يشع قيما روحية يهودية، تلقى تعليما دينيا وعلما نيا ، للمزيد انظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 429.

(2) - ابن غريون: هو دافيد بن غريون رئيس حكومة اسرائيل الأول في الخمسينيات من القرن العشرين، كان قارئا مخلصا للعهد القديم ونجح في استخدامه بذكاء كقائد ومخطط سياسي، أدرك بإمكانية تحول الكتاب المقدس إلى كتاب علماني قومي ومرجعا يساهم في تحويل مئات الآلاف من المهاجرين الجدد في اسرائيل إلى شعب موحد ويربط الأجيال الشابة بالأرض، ففي منظوره التاريخي كانت اسرائيل الجديدة التي تأسست في 1948 هي مملكة الهيكل، انظر: شلومو ساند، إختراع الشعب اليهودي، ط1، تر: سعيد عياش، الأهلية للنشر و التوزيع، الأردن، 2011، ص 147.

(3) - فتحي محمد الزغبي، المرجع السابق، ص 378.

أجل صالح الإنسانية، نحن اليهود وقد أعيدت لنا حقوقنا سوف نظلّ أوفياء إلى وظيفتنا الإنسانية التي كانت وسوف تظلّ وظيفة شعب التّوراة<sup>(1)</sup>.

أما جولدا مائير (رئيسة الحكومة الإسرائيلية من 1969 حتى 1974) فقالت، "وجد هذا البلد تنفيذًا لوعد الرب ذاته ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحًا عن شرعية ذلك الوجود"<sup>(2)</sup>

وهكذا يتفق الصهاينة الإسرائيليون على اختلاف مشاربهم السياسية و العسكرية و الدينية ويقدمون أدلة وذرائع من التوراة يجعلونها الأساس في المطالبة بالأرض، باعتبار نصوصها وحيًا إلهيًا وأن هذه الإدعاءات حقيقة ليست خاصة فقط باليهود، لذا يقف الغرب المسيحي خلف اسرائيل انطلاقًا من فكرة وعد الرب بأرض الميعاد.

(1) - أحمد ربيع أحمد يوسف، المرجع السابق، ص ص 415، 416.

(2) - نفس المرجع، ص 416.

## الفصل السادس:

### أثر الأدب الديني الرافدي على النصوص التوراتية

1. لمحة عن الأدب الرافدي القديم
  2. لمحة عن الأدب العبري القديم
  3. أثر الأدب الديني الرافدي على النصوص التوراتية
1. أثر أدب الحكمة الرافدي في النصوص التوراتية
    - أ. بين حكمة أحيكار ونصوص سفر الأمثال
    - ب. بين حكمة أحيكار وسفر الجامعة
    - ج. بين حكمة أحيكار وسفر يشوع بن سيراخ
    - د. بين حكمة أحيكار وسفر طوبيا
  2. أثر أدب الرثاء الرافدي على النصوص التوراتية

إنّ الدّارس للنّصوص التّوراتيّة، والتّراث الأدبيّ الدّينيّ الرّافديّ أو حتّى المصريّ والفينيقيّ وبعد أن يقوم بعملية مقارنة، يجد أنّ مادّة الكتاب التّوراتيّ مأخوذة من أفكار وقصص ومعانٍ تضمّنتها آداب وثقافات وأساطير حضارات شعوب الشّرق الأدنى القديم، والتي سبقت ظهور النّبّي موسى عليه السّلام.

ومن هنا فإنّ استعراضنا للمادّة الأدبيّة التّوراتيّة من خلال نصوص أسفارها، والبحث في أصول بعض أفكارها ومضامين مواضيعها وقصصها، يجعلنا نتأكّد من عدم أصالتها وأنّ مصادرها بشريّة، وقد دلّت على ذلك المكتشفات الأثريّة خلال فترة القرنين السّابقين، حيث تمكّن علماء الآثار واللّغات القديمة من فكّ رموز الكتابات الهيروغليفيّة والسّومريّة، والرّسوم والنّصوص المسماريّة القديمة، وتمكّن المؤرّخون من إعادة قراءة تاريخ أديان المنطقة، وحدث إجماع<sup>(1)</sup> على أنّ ما جاءت به أسفار التّوراة هو إمّا نسخ أو نقل أو اقتباس أو تحريف عن نصوص أدبيّة دينيّة بمختلف صورها (شرائع، أساطير... قصص...) ومرتبطة بتاريخ وثقافات وحضارات شعوب الشّرق الأدنى القديم كالسّومريّين والبابليّين والمصريّين والفينيقيّين وغيرهم، بل إنّ هناك إجماعاً<sup>(2)</sup> بين المختصّين على أنّ أساسات النّصوص التّوراتيّة هي تلك النّصوص الأدبيّة الدّينيّة الرّافديّة، مثل قصّة الطّوفان، قصّة الخلق وآدم وحواء، وقابيل وهابيل والشّرائع والحكم.

ومن خلال هذه الحقائق التي انكشفت للعلماء والأثريّين والمؤرّخين، فإنّ علماء اللاهوت التّوراتيّين اعترفوا بهذه الحقيقة حيث نجد في مقدّمة الطّبعة الجديدة للتّوراة في المدخل إلى سفر التّكوين ما يلي:

"لم يتردّد مؤلّفو الكتاب المقدّس، وهم يروون بداية العالم والبشريّة أن يستقوا معلوماًهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشّرق الأدنى القديم، ولا سيّما من تقاليد ما بين النّهرين ومصر والمنطقة الفينيقيّة الكنعانيّة، فالاكتشافات الأثريّة منذ أكثر من قرن تدلّ على وجود

(1) - عبد الله جمعة، ملحة جلامش قراءة في الأدب السومري، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، لبنان، 2012، ص 28.

(2) - شونا دولاشكي، الأدب البابلي والكتب المقدسة، ط1، تر: سهى الجندي، جامعة كارتون، أوتاوا، كندا، 2019، ص 18.

كثير من الأمور المشتركة بين الصّفحات الأولى من سفر التّكوين، وبين بعض النّصوص الغنائيّة والحكميّة الخاصّة بسومر وبابل وطيبة<sup>(1)</sup> وأوغاريت<sup>(2)</sup>"<sup>(3)</sup>.

ولقد أكّد العالم الأثريّ الإسرائيليّ زئيف هيرتزوج في عدّة دراسات زيف وعدم أصالة النّصوص التّوراتيّة سواء في جانبها الدّينيّ أو الأدبيّ، حيث فنّد ارتحال بني إسرائيل إلى مصر أو خروجهم منها وأنّهم لم يحتلّوا الأرض ولا وجود لمملكة داوود وسليمان ولا ذكر لمصدر إيمان بإله بني إسرائيل<sup>(4)</sup>.

إنّ المادّة الأدبيّة التّوراتيّة وما تضمّنته من أفكار، وبراءة موسى منها بما فيها الأسفار الخمسة قد أكّد علماء الغرب وباحثوهم<sup>(5)</sup> عدم أصالتها، وأنّها اشتملت على تراث ثقافيّ لشعوب الشرق الأدنى القديم، أمّا التّوراتيون المتعصّبون فإنّهم يعمدون للقول أنّ المكتشفات الأثريّة جاءت مطابقة للنّصوص التّوراتيّة<sup>(6)</sup> متجاهلين الاقتباس والاستنساخ من الأقدم وهو تراث حضارات الشرق الأدنى القديم.

وبعضهم كان جريئاً معترفاً بأنّ المضمون الحاليّ لنصوص التّورا لا يعدّ أصيلاً وليس متّسقا مع ما جاء به النّبّيّ موسى عليه السّلام<sup>(7)</sup> وأنّ مادّتها الأدبيّة ليست سابقة للنّصوص التّوراتيّة، ومّا جاء في الكتاب المقدّس من الطّبعة الكاثوليكيّة لعام 1960 ما يلي: "فما من عالم كاثوليك في عصرنا يعتقد أنّ موسى ذاته كتب تلك البانتاتيك منذ قصّة الخلق إلى قصّة موته، كما أنّه لا

(1)- طيبة: عرفت عند المصريين القدماء باسم واست (مدينة الصولجان)، وهي مدينة مصرية قديمة تقع على نهر النيل على بعد 800 كلم جنوب البحر المتوسط، تقع أطلالها داخل مدينة الأقصر، كانت عاصمة مصر خلال عصور المملكة الوسطى و الحديثة، للمزيد انظر: سمير أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، د. ط، مكتبة الاسكندرية، 1997، ص ص 121، 153.

(2)- أوغاريت: مدينة سورية تعود آثارها إلى أزمنة قديمة، اكتشف موقعها سنة 1928 صدفة في رأس شمرا على بعد 1200 كم من شاطئ البحر المتوسط و 12 كم شمال اللاذقية، انظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص ص 163، 164.

(3)- أنطونيوس فهمي، الكتاب المقدّس، مقدمة في سفر التكوين، ط 1، الكنيسة القبطية، مصر، 2019، ص 7، وكذلك انظر: جان باتيرو، بابل و الكتاب المقدس، د. ط، وزارة الخارجية الفرنسية وقسم الخدمات الثقافية في السفارة الفرنسية، سوريا، 1994، ص 236..

(4)- زئيف هيرتزوج، أعمال آباء التورا الخرافية، تر: سمير زين العابدين، موقع الحوار المتمدن (عن جريدة هآرتس الإسرائيلية)، 1999.

(5)- ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، د. ط 2، دار البصائر للتوزيع و النشر، الجزائر، 2010، ص 358.

(6)- جون إيدر، المرجع السابق، ص 13.

(7)- يحيى ربيع، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ط 1، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 1994، ص 72.

يكفي أن يقال أن موسى أشرف على وضع النصّ الذي دوّنه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة، بل يجب القول أنّه يوجد ازدياد تدريجيّ في الشرائع الموسويّة سببته مناسبات العصور التّالية الاجتماعيّة والدينيّة<sup>(1)</sup>.

والملاحظ حسب دراسات مختصّة<sup>(2)</sup> أنّ كتبة التّوراة وأتباعهم من المنتسبين ما كان لهم أن يكتبوا هذه النّصوص قبل وجودهم في بابل، والتأثر بحضاراتها والاختلاط بشعوبها، فالجماعة اليهوديّة التي تمّ سببهم إلى بلاد الرّافدين لم يكونوا قبل ذلك التاريخ مثقّفين ومختصّين ليكتبوا توراة في شكلها الحالي، بل يصفهم المؤرّخون بأنهم عبارة عن جماعات مختلفة حضاريا إلى حدّ الهمجيّة مقارنة بالبابليين والكنعانيين الذين كانوا شعوبًا على قدر كبير من الرّقيّ والتّحضّر والتّمدن<sup>(3)</sup>.

بل إنّ المؤرّخ البريطانيّ هربرت جورج ولز (Herbert. G. Wells (1866–1964) ذكر في كتابه "أنّ اليهود ذهبوا إلى بابل همجًا، ولا شك أنّ ذلك يعكس واقعهم الحقيقيّ المتخلّف والهامشيّ في بلاد كنعان"<sup>(4)</sup> وبالتالي لم يكونوا أصحاب ثقافة وفكر وحضارة ولم يكن لديهم ما يضيفونه للحضارة البابليّة والكنعانيّة، ومن هنا يتّضح أنّ ما نسب لتلك الجماعات المسيّية في تلك الفترة هو محلّ شكّ وتساؤل، فهذه النّصوص التّوراتيّة منتحلة أو مستنسخة من التّراث الأدبيّ لهذه الحضارات الشّرقية القديمة.

يكاد يجمع الباحثون على أنّ الأساسات الأدبيّة للنّصوص التّوراتيّة مثل قصّة الطّوفان، وقصّة الخلق، وقصّة آدم وحواء، وغيرها من القصص والشرائع والأحكام بنيت على نصوص أدبيّة

(1) - اسماعيل الصمادي، نقد النص التوراتي، ط1، منشورات علاء الدين، سوريا، 2005، ص 83.

(2) - سبينوزا، المرجع السابق، ص 29، كذلك انظر: سهيل زكار، التوراة - ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف سنة، ط1، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، 2007، ص 7.

(3) - سبينوزا، المرجع السابق، ص 127. وكذلك انظر: زلمان شازار، المرجع السابق، ص 21، فاضل الربيعي، حقيقة السي البابلي، ط1، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، 2011، ص 21.

(4) - هربرت جورج ولز، معالم تاريخ الإنسانية، ط1، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 22.



مستنسخة أو مقتبسة من التراث الأدبي لحضارات الشرق القديم، وخصوصا الكنوز الرافدية القديمة<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أنّ كتبة النصوص التوراتية اكتفوا بذكر الخلاصات أو النتائج الخاصة بكل قصة، بل ولكل ما هو موجود في حضارات وثقافات الآخرين، مع وجود النسخ الحرفي لكثير من الإصطلاحات وال فقرات، والنتائج، ذلك أنهم لو قاموا بالنقل الحرفي الكامل لكل تلك النصوص والتوسع في نقلها لكتبوا مجلّدات فيها الكثير من التفاصيل وعندها لا تصلح لأن تكون كتاباً منزلاً، من ذلك قصة قابيل وهابيل، والطوفان عند السومريين والبابليين جاءت في ملاحم واسعة بتفصيلات متعدّدة لكنّ كتبة التوراة أخذوا من كل منها بضعة أسطر أو خلاصات ناقصة على شكل نتائج مبتورة فقط<sup>(2)</sup>.

إضافة إلى تلك النصوص المستنسخة، فإننا نجد مضامينها مملوءة بالمتناقضات والخلط التاريخي والاختلاف، وعبارات الفساد والتّمييز والعنف، ممّا يؤكّد أنّ هذه المادّة غير أصليّة، رغم ذلك شكّلت ديانة سماوية في حين هي لا تصلح لأن تكون حتّى ديانة ضعيفة<sup>(3)</sup>.

### 1. لمحة عن الأدب الرافدي القديم:

يجمع الباحثون والمؤرّخون على أنّ أقدم أدب عرفته البشريّة هو أدب حضارة واديالرافدين<sup>(4)</sup>، وبالتالي فهو أقدم أدب عرفه العالم القديم والحديث، بل هو الأساس للأداب العالميّة، ولقد ظهر ذلك بناء على مقارنات قام بها مختصّون قارنوا فيها الأدب الرافدي بمختلف فنونه بأداب مختلف الحضارات القديمة، ورغم أنّ ألواح الأدب السومري والبابلي لا تتجاوز الألف الرابع قبل الميلاد، إلّا أنّ هذا الإبداع الأدبي تطوّر في الألف الثانيّة قبل الميلاد، ورغم ذلك فمقارنته بالأداب القديمة الأخرى تؤكّد أنّ الأدب الرافدي هو الأقدم زماناً من

(1) - محمود عبد الرحمان قده، المرجع السابق، ص 329,330.

(2) - سهيل زكار، المرجع السابق، ص 45.

(3) - عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 120.

(4) - سامي الطائي، أدب الحكمة في وادي الرافدين، ندوة تاريخية عن أدب الحكمة في وادي الرافدين قديماً، البصرة، العراق، 2018، ص 17.

حيث الإنتاج والتدوين، فالأدب المصري القديم لم يذكر شيئاً من عصر الأهرامات وهو عصر ازدهارها ونضجها<sup>(1)</sup>.

وكذلك عند اكتشاف المنقبين مدينة أوغاريت ظهر أن أدبها لم يتعدّ حدود تدوينه منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وهو ما ينطبق على الأدب العبراني، فهو متأخر عن الأدب الرافدي بشكل كبير، إذ لا يتعدى تدوينه مابين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، ونذكر على سبيل المثال لا المقارنة بين الإلياذة والأوديسة المنسوبتين إلى هوميروس (ملحمتان يونانيتان)، واللّتان تمثلان أقدم نماذج الأدب الإغريقي وملحمة "رج فيدا" الممثلة للأدب الهندي القديم و"الأفستا" الممثلة لأقدم أدب فارسي، وبين آداب الرافدين، فإنّ المختصين يذكرون أن هذه الآداب القديمة المذكورة، قد دوّنت جميعها تقريباً في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد أي أن زمن تدوين الأدب الرافدي قد سبقها بأكثر من ألفي سنة<sup>(2)</sup>.

### مميّزات الأدب الرافدي:

من أهمّ ما ميّز الأدب الرافدي القديم عن بقية الآداب العالميّة القديمة الأخرى، هو أنّ جميع ما ذكر من آداب العالم قد تعرّضت للكثير من التحوير والتّغيير والإضافة على يد النّسّاخ، والجامعين لهذه النّصوص وكذا الشّارحين، إلّا الأدب الرافدي السومريّ البابليّ فقد وصل إلينا على هيئته الأصليّة غير المحوّرة، أي كما كتب ودوّن بأقلام الكتبة السومريّين، والبابليّين على ألواح الطّين<sup>(3)</sup>.

أجمع الدّارسون على أنّه أقدم المنتجات الأدبيّة التي أنتجتها هذه الحضارة، حيث دلّت النّصوص المختلفة على أنّها أولى المحاولات الإنسانيّة للتعبير عن الحياة وقيمها ومعانيها بأسلوب فنيّ أدبيّ، بالرغم من تأخر تدوينها الذي لا يتجاوز الألف الثالثة ق. م إلّا أنّ تلك الإبداعات الأدبيّة

(1) - مثنى الشلال، نبذة عن آداب وادي الرافدين القديم، دراسات في التاريخ والتراث واللغات، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2416، 2008، ص 6. وكذلك:

Silvestro.F, *The development of Assyro-babylonian literature*, University of Oklahoma press, 1965, p29.

(2) - مثنى الشلال، المرجع، ص 7. وكذلك أنظر: عامر عبد زيد الوائلي، الأدب الأسطوري والملحمي "الأدب العراقي أنموذجاً"، مجلة المثقف، العدد 4542، استراليا، فيفري 2019، ص 7.

(3) - كاظم جبر سلمان الكركاوي، أدب بلاد الرافدين القديمة، محاضرة، قسم الآثار كلية الآداب، جامعة بابل، 6، 7، 2011.

ظلت متداولة شفهيًا قبل تدوينها عبر الأجيال قبل ذلك التاريخ بكثير، في حين أنّ الأدب العبرانيّ مُمثلاً في التّوراة لم يدوّن إلاّ في القرن السّادس ق. م<sup>(1)</sup>.

كذلك تميّز الأدب الرّافديّ بخاصيّة تدوينه، حيث جاء في هيئته الأصليّة كما دوّن بأقلام الكتبة على ألواح الطّين قبل نحو 4000 سنة في حين بقيّة الآداب العالميّة تعرّض معظمها للكثير من التّحوير والتّغيير<sup>(2)</sup>.

### كثافة عدد النّصوص الرّافديّة:

إنّ النّصوص أو الألواح المكتشفة قدّرها البعض بأكثر من مليون لوح موزّع على مختلف المتاحف العالميّة، في حين لا يزال الكثير منها مطموراً في الأطلال القديمة المنتشرة في ربوع العراق اليوم<sup>(3)</sup>، وحتى في جواره الجغرافيّ، وتتّصف النّصوص الرّافديّة بوضوح الموضوع والفكرة التي يعبر عنها النّصّ وكذا طبيعة الأسلوب الأدبيّ والفنيّ سواء كان شعراً أو نثراً، والمميّز بطراز خاصّ من النّظم والتّأليف المؤثّر في مشاعر القارئ أو السّامع<sup>(4)</sup>.

كذلك تميّز الأدب الرّافديّ بالازدواج اللّغويّ، ويتعلّق ذلك باللّغة التي دوّنت بها تلك النّصوص، وهي اللّغة السّومريّة والبابليّة وهي الفرع الشّرقيّ من اللّغات السّاميّة، ممّا جعلها نصوصاً لا يرقى إليها الشّك<sup>(5)</sup>.

كما تميّز الموروث الأدبيّ الرّافديّ بسعة وكثافة المنتج ودلّت على ذلك الفهارس والسّجلات والمكتبات، وهذا يؤكّد تفرّد الأدب الرّافديّ بكثرة تدوينه والذي شمل جميع الميادين، فقد تجاوزت الألواح الطّينيّة المليون من مختلف العصور التاريخيّة، ومثال ذلك حسب المختصّين عصر سلالة أور الثالثة (2112-2004 ق. م) حيث عثر على نحو 30.000 إلى

(1) - أحمد ناجي سبع، "الطين مادة كتابية" محاضرة قسم الآثار، جامعة بابل، 28، 12، 2019. وكذلك انظر: كريستوفر لوكاس، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ط1، تر: يوسف عبد المجيد ثروت، مكتبة آشور بانبيال، بغداد، 1980، ص20.

(2) - علي سداد جعفر جواد، التدوين التاريخي في الحضارات القديمة (محاضرة)، قسم الآثار، جامعة بابل، 09، 12، 2017.

(3) - صموئيل نوح كريم، من ألواح سومر، المرجع السابق، ص 17.

(4) - رحيم هادي الشمخي، الشعر القديم في أدب وادي الرافدين، مجلة أدب وفن، العراق، عدد أكتوبر 2008، ص 9.

(5) - علي شحيلات، عبد العزيز إلياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق القديم، د.ط، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ص 230.

40.000 لوح، وأمّا العصر البابليّ القديم (2000-1500 ق. م) فقد عثر على نحو 50.000 إلى 70.000 لوح، وبالنسبة للعصر الأشوريّ الحديث تمّ العثور على نحو 80.000 لوح<sup>(1)</sup>.

أمّا عن الفهرسة فقد اكتشف في مدينة نمر لوجان أحدهما في اللوفر بباريس يحتوي على 68 عنواناً، واللّوح الثاني موجود في جامعة فيلادلفيا ويحتوي على 62 عنواناً، وبينهما 43 عنواناً مشتركاً، فيصبح عدد العناوين المسجّلة 87 عنواناً، منها 28 مؤلفاً كاملاً<sup>(2)</sup>.

وما يلفت الانتباه أنّ هناك أسماء لأشخاص ذكروا في نهاية بعض النصوص الأدبيّة، فاعتبر الباحثون أنّها من تأليفهم، من ذلك أن أحد جامعي ملحمة جلجامش ورد اسمه في إحدى نسخ الملحمة وهو (سين، ليقني، أونيني)، ويحتمل أنّه هو كاتب الصّيغة للملحمة سنة 1250 ق. م<sup>(3)</sup>. وكذلك مؤلّف أسطورة الطّاعون (إيرا) ذكر اسمه (كيتي، إيرني، مردوخ)، وكذلك مؤلّف قصّة العدل الإلهي هو (ساكل، كينام، أوب) <sup>(4)</sup>، ومؤلّف قصة الطّوفان البابليّة هو (كو، آي) من زمن أحد ملوك سلالة بابل الأولى وهو (عمي، صادوقا)، ولقد جاء الأدب الرافديّ نثرًا وشعرًا<sup>(5)</sup>.

توسّع المختصّون في دراسة الأدب الرافديّ القديم من كلّ الجوانب، حيث ظهرت دراسات عديدة متخصصة فيه، لكننا نكتفي بهذه اللّحمة خدمة للموضوع.

## 2. لمحة عن الأدب العبريّ القديم:

يلاحظ أنّ المختصّين في الأدب اليهوديّ قسموا أدبهم إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأوّل عرف بالمرحلة القديمة أو مرحلة أدب العهد القديم التي تميّزت بطغيان الأدب الدينيّ الدنيويّ، وتمثّل ذلك في الكتابات الدينيّة اليهوديّة المقدّسة فقط، سواء تلك التي اهتمّت بالعهد

(1) - مثنى الشلال، المرجع السابق، ص 9، وكذلك انظر:

Jeremy Black And other, *the Literature of Ancient Sumer*, Oxford University press, 2005, p 60.

(2) - مثنى الشلال، المرجع السابق، ص 10.

(3) - علي شحيلات، المرجع السابق، ص 227.

(4) - نفس المرجع، ص 229.

(5) - نفس المرجع، ص ص 246 - 248.

القديم، أو تلك التي تناولت مواضيع خارجة عن نصوصه، والقسم الثاني عرف بالمرحلة الثانية الوسطية حيث ظهر فيه تنوع بين الأدب الديني اليهودي والديني، ويرى المختصون أنّها تمثل أزهى مراحل الأدب اليهودي الذي ظهر في عزّ الحضارة الإسلامية في الأندلس، حيث عرفت هذه المرحلة بـ (العصر الذهبي للأدب والفكر اليهودي) والقسم الثالث تضمّن الفترة المعاصرة حيث كان في معظمه دنيويًا، مع قليل من الأدب الديني<sup>(1)</sup>.

الدارس لتاريخ الأدب اليهودي يجد أنّ هناك إجماعًا على صعوبات عديدة في دراسته والتأريخ له، خاصّة في ظلّ عدم وجود نصوص أصليّة لأنّه قد جرى تعديلها، وتثبيتها ووصفها بالتاريخ منذ قرابة 1000 ق. م وتكوّنت من نصّ جرائ عمليّة طويلة بوصفه نصًّا وحيدًا وملزمًا، كذلك أنّ نصّ العهد القديم ظلّ شفويًا حتى القرن 6 ق. م ومن ثمّ فصياغته في شكل مكتوب لم تكن إلّا بعد مدّة طويلة، وهو ما جعل عمليّة البحث والتأريخ الأدبي لهذا الموروث الشفهي أمرًا بالغ الصعوبة<sup>(2)</sup>.

وعليه فالمختصون يرون أنّ أدب العهد القديم لا يمثّل أدب بني إسرائيل بل بقايا الموروث الشفهيّ لهذا الأدب<sup>(3)</sup>، الذي حاول العلماء تجميعه في وحدات أدبيّة متنوّعة متماسكة، رغم أنّ هذا الأدب ينتمي زمنيًا لحقبة تمتدّ لألف عام، وينتمي جغرافيًا إلى مناطق عدّة ولهجات مختلفة أبرزها الأرامية، أمّا خلفيات أدب بني إسرائيل فأبرزها وأولها خلفيّة أدب الشّرق الأدنى القديم، حيث تتشابه معه بشكل أساسيّ في أشكال التعبير والأنماط الأدبيّة المستخدمة، إذ وجدت بهذا الأدب الموضوعات والموروثات الأدبيّة للشّرق الأدنى القديم، لكن تحت تأثير مضامين الديانة اليهوديّة<sup>(4)</sup>.

(1) - جورج فورر، تاريخ أدب بني إسرائيل وبدايات الأدب اليهودي، ط1، ترجمة أحمد محمود هويدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ص 70.

(2) - نفس المرجع السابق، ص 72، وكذلك أنظر: صبري جرجس، التراث اليهودي الصهيوني، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1970، ص ص 85، 86.

(3) - جيزج فورر، المرجع السابق، ص 79.

(4) - صموئيل نوح كيرمر، المرجع السابق، ص 159.

والملاحظ أنّ أبرز التّماذج على ذلك حسب المختصّين -تأثير أدب الشرق الأدنى القديم- تظهر في الأمثلة "السردية" الموجودة في متون العهد القديم ممثلة في الملحمة والأسطورة، وهي ذات أصول سومرية، حيث ساد هذا النوع الأدبيّ إلى غاية الألف الثالثة ق.م في بلاد الرافدين، إضافة إلى الأدب المصريّ القديم حيث ظهرت أساطيره في الطقوس والترانيم وأقوال السّحر<sup>(1)</sup>.

كذلك يضيف المختصر بأدب "التقارير" والذي يتضمّن التسلسل الزمنيّ لقوائم الملوك في بلاد الرافدين، وهو منهج إعداد التقارير في العهد القديم الذي كان منتشرًا في أدب الآشوريين وحولياتهم، إضافة إلى الحثيين الذين كانت لهم منجزات كبيرة في مجال "التقارير" خاصّة تلك التي اهتمّت بالملوك، وإجمالاً فإنّ تاريخ أدب بني إسرائيل يعود إلى فترة ما قبل تأسيس الملكية في بلاد كنعان، حيث تضمّنت موروّثات أسياذ بني إسرائيل مثل: إبراهيم، إسحاق ويعقوب عليهم السّلام، وموروّثات أخرى تعود إلى عصر موسى عليه السّلام، وكذا حكايات القضاة، وتعدّ الأسفار الخمسة التوراتية جوهر الأدب العبريّ القديم<sup>(2)</sup>.

إضافة إلى ظهور عدد من الملاحم والأساطير مثل ما جاء في سفريّ التكوين والخروج، ونصوص قانونية وأحكام قضائية في سفر القضاة، وقوائم أنساب بني إسرائيل، وتميّزت مرحلة (1030-930 ق.م) بظهور أدب دينيّ مرفق بازدهار ثقافيّ عرف باسم (عصر التّنوير السليمانّي)، نسبة إلى النبيّ سليمان عليه السّلام، حيث ظهرت في هذا العصر أسفار المزامير والأمثال والجامعة، ونشيد الإنشاد المنسوبة للنبيين داوود وسليمان عليهما السّلام<sup>(3)</sup>.

وبين سنتي (930-700 ق.م) ظهر عدد من الحكايات الأدبية ناقشت عصر الملكية المبكر، تضمّنها سفرا صموئيل الأوّل والثاني في شكل (رؤى)، وكذا اكتمل سفر التّثنية بعد ضمّ سفر العدد إليه وهو أحد الأسفار القانونية، إضافة إلى ظهور صنف أدبيّ -أدب

(1)- ألّفت محمد جلال، المرجع السابق، ص ص 11، 55.

(2)- Adolphe, Loos, *Histoire de littérature Hébraïques et juifs*, Lemont Public Library, Paris, 1982, p13-14

(3)- سفر التكوين الاصحاح 1، 2، سفر مزامير إصحاح 2، 3، 4، سفر الأمثال اصحاح 1، 2، 3، 4.

النّبوءات- تضمّن حكايات سفر الملوك الأوّل والثاني، وهو ما ظهر في النصوص الأدبية الموروثة عن النبيّ إيليا في شكل طرائف وأساطير<sup>(1)</sup>.

ونؤكّد هنا على ظهور الأدب اليهوديّ في فترة السّبي البابليّ ممثلاً في الشّعْر كنوع أدبيّ جديد، وخاصة في سفر المراثي الذي تضمّن أناشيد شعر، وتمّ تأديتها كنجيب على زوال أورشليم، والتّمعنّ في سبب هذا الزّوال، وكان المزموران 9 و 10 مستمدّين من هذه الأناشيد<sup>(2)</sup>.

وفي الزّمن الفارسيّ نشأت أعمال أدبية هامة مثل الكتب التي مجّدت داود واللاويين، وسفر أيوب، ومجموعة من الحكم في سفر الجامعة، إضافة إلى سفر (روث) وهو عبارة عن ملحمة شعبية في قالب قصصيّ أدبيّ يهدف إلى تعميق الرّؤية الدّينية اليهودية، أمّا في العهد الرّومانيّ والهلينستيّ فلقد ظهرت كتابات تبنت أشكال الأدب الهلينستيّ وأفكاره، وكذلك حوالي 45 عملاً أدبيّاً دينيّاً يهوديّاً. مع استمرار أشكال أدبية مثل السّرد التّاريخيّ، وأدب الحكمة، وشعر المزامير وغيرها بحيث اعتبر المختصّون أنّ الإنتاج الأدبيّ اليهوديّ الهلينستيّ في مصر كان الأكثر إسهاماً وثراءً آنذاك<sup>(3)</sup>.

وباعتبار الآرامية لغة راسخة عامّة، والعبرية لغة أدبية ترجمت النصوص إلى الآرامية بهدف القراءة التعبيرية ممّا أدّى إلى ظهور (التّرجوم)، وهو التّرجمة الآرامية للعهد القديم وعلى أساسها أجريت ترجمة العهد القديم في مصر في القرن الثالث الميلاديّ، كما نشأ كذلك أدب دينيّ يهوديّ باللّغتين الآرامية واليونانية، وفي مقابل ذلك نشأ أدب دينيّ يهوديّ معاد للأدب اليهوديّ الهلينستيّ من ذلك كتاب (قمران). وفي هذه الفترة ظهرت بعض الأسفار المتبقية، بعضها ضمّ إلى العهد القديم، وبعضها ضمّ للأسفار غير القانونيّة (أبو كريف). وهي أسفار دانيال، وإستير،

(1) - سفر صموئيل الأوّل: 1، 2، 3، سفر صموئيل الثاني 10: 10، 11.

(2) - سفر مراثي إرميا، الإصحاح 1، 2، 3، 4، 5، وسفر المزامير، المزمور الثامن والتاسع.

(3) - Rutten manguevit, *la mesopotamie et la bible .le monde de la bible*, 1990, p 15

وطوبيت، ويشوع بن سيراخ، ويهوديت، ورسالة أرسطياس، وكتابات أخرى عرفت باسم الكتابات السريّة، كتبت بتأثير يوناني روماني، واعتبرت وحيًا إلهيًا<sup>(1)</sup>.

ومن هذه اللّمة العابرة والسريّة نخلص إلى الأخذ برأي أحد الباحثين المختصين حول العهد القديم العبري "يتميز هذا الكتاب بالتنوع والتعدّد، ويفتقر للاستمرارية والتجانس وبسبب التنوع والتصادم في نصوصه نجد لزماً علينا أن نتكلم عن إسرائيليات متعددة متنوّعة-أي أدبيّات مختلفة- بدلاً من الافتراض الوهمي القائم على وجود أدب إسرائيلي ديني موحد منسجم<sup>(2)</sup>.

### 3. أثر الأدب الديني الرافدي على النصوص التوراتية:

#### 1. أثر أدب الحكمة الرافدي في النصوص التوراتية:

يلاحظ أنّ العديد من الأسفار التوراتية والعهد القديم قد حملت الكثير من الحكم والأمثال الرافدية، ويضيف إليها نقاد التّورة ما يعرف بالوصايا، والدارس يلاحظ ذلك في سفر الأمثال، وأسفار يشوع، والحكمة والجامعة، كما يجزم عديد الباحثين استنساخ كتبة التّورة ما جاء في سفر طوبيا كلّ من الحكم والأمثال الرافدية يضاف إليه ما جاءت به نصوص الحكمة المصرية والفينيقية.

ويجمع قرّاء<sup>(3)</sup> النصوص الرافدية أنّ حكمة أحيقار Ahigar معظمها مستنسخ في النصوص التوراتية ذات الطابع الأدبيّ الديني، والملاحظ هنا أنّ حكمة أحيقار تمثّل محور الحكمة الرافدية من سومرية وبابلية وأشورية، والتي هي أقدم حكمة موثقة توصل إليها الإنسان القديم

(1) - وليد يوسف عطو، عولمة اليهودية في العصر الهلنستي، مجلة الحوار المتمدن، العدد 5018، 2015، ص ص 7-37.

- Bezalel Bar-Kochva, *The Image of the Jews in Greek Literature, the Hellenistic Penode*, univ California, U.S.A, 2016, p 36.

(2) - ألفت محمد جلال، المرجع السابق، ص 58.

(3) - فولوس غبريال، اللغة السريانية، ط 1، ج 3، منشورات الجامعة اللبنانية، 1979، ص ص 100-107.

- النص السرياني نشره المطران يوحنا دولباني عن مخطوط كيمريج المرقمة ب 2002 ونشر عام 1962.



عموماً والرافديّ خصوصاً وكانت مواضيعها متنوّعة، منها ما هو ذو طابع سياسيّ وما هو أخلاقيّ أو اجتماعيّ.

ويلاحظ عدد من الدارسين في مجال الآداب القديمة أنّ أبطال الحكمة وشخصياتها سواء الحقيقية منها أو المفترضة في نصوص الآداب الأخرى أيالخاصّة بالحضارات القديمة الأخرى قد تأثروا بحكمة أحيقار منها الحكمة الهندوسية حيث ظهرت في قصّة كليلة ودمنة، وكذلك في حكمة لقمان الحكيم، وتذكر بحوث أثرية أنّه تمّ اكتشاف البعض من نصوص حكمة أحيقار الرافديّة في جزيرة الفيلة في مصر سنة 1906م تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد وكانت الآرامية الأشورية هي لغة كتابتها<sup>(1)</sup>.

ولقد ذكرت هذه النصوص أسماء آلهة، وشخصيات آشورية أكادية، أمّا عن شخصية أحيقار فلقد كتب حولها الكثير من ذلك أنّه كان مستشاراً، وحسب البعض وزيراً أصله آشوريّ وكان وزيراً في عهد سرجون وابنه سنحاريب، وكان يتعلّم ومتأثراً بالحكم والأمثال، ويذكر المختصّون في لوحة مسمارية من العهد الهلنستي رفقة عدد من المشاهير أنّه عاش في القرن السابع قبل الميلاد، ولقد اهتم الكثير من الكتاب والمؤرّخون بحكمة أحيقار، ويقول في مقدّمة قصّته "أنا أحيقار كاتب الملك سنحاريب وحامل أختامه تبنيت نادان ابن أخي وعلمته الحكمة، وتدبير الملك ليخلفني في خدمة أسرحدون من بعد موت أبيه سنحاريب..."<sup>(2)</sup>.

وفي أثناء مطالعتنا ومقارنتنا فإنّنا نقدّم نماذج من مختلف مواضيع حكمة أحيقار، وما جاءت به نصوص التّوراة والعهد القديم، حيث اخترنا نماذج من حكمة أحيقار وما يقابلها في النصوص التّوراتية والعهد القديم.

(1) - سهيل فاشا، أحيقارحكيم من نينوى وأثره في الآداب العالمية، بيسان، بيروت، 2005، صص 44-45.

(2) - سهيل فاشا، حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس، دار الشرق، بيروت، 1996، ص 15. وكذلك :

أ. بين حكمة أحيكار ونصوص سفر الأمثال: يذكر المختصون في أدب اللغات القديمة أنّ لغة سفر الأمثال قد تتجاوز قدمًا الفترة التي نسبت إلى النبي سليمان عليه السلام، حيث ساد هذا الفن الأدبي ذو الطابع الديني لدى عدد من القرى القديمة وحكامها كالأشوريين والمصريين، لقد كان سفر الأمثال التوراتي من أقدم النصوص التي تضمنت حكما وأمثالا جدّ ماثورة، واعتبرت الكشوفات الأثرية أنّ المدينة السومرية والآشورية هي الأقدم، ولقد تمكّن الباحثون والأثريون من العثور على المدينة السومرية الآشورية حيث تمّ العثور على أمثال ووصايا كانت سابقة لسفر الأمثال التوراتي<sup>(1)</sup>.

وهناك نصوص كثيرة قديمة سبقت الزمن التوراتي، ويذكر المختصون في الأدب الديني الرافدي القديم أنّ الحكمة الرافدية تضمنتها النصوص السومرية والبابلية، ثمّ انتقلت إلى الفكر الأدبي الآشوري سواء تلك المترجمة أو الأصلية، وهناك إجماع على أنّ حكمة أحيكار تمثل خلاصة الحكمة الرافدية عبر مختلف مراحلها التاريخية، وأنّ نصوصها جاءت حاملة للحكمة السومرية والبابلية بنفس ذلك التأثير العميق، وبنفس تلك الروح التي جاءت بها تلك النصوص<sup>(2)</sup> وذلك يبرز صدق انتقالها عبر الأجيال.

ومن هنا فإنّ النصوص التوراتية الواردة في سفر الأمثال تعدّ واحدة من الأمثلة التي سنسوق نماذج منها وعن غيرها من الأسفار لنؤكد على أنّ مضمونها احتوى على عناصر عديدة من الحكمة الرافدية، ونبدأ ببعض نصوص سفر الأمثال:

### 1. ضرورة تأديب الطفل:

أ. يذكر نصّ حكمة أحيكار: "يا بني لا تحرم ابنك من الضرب (التأديب) لأنّ الضرب للصبي كالسّماد للبهتان وكاللّجام للبهائم، وكالقيّد في رجل الحمار"<sup>(3)</sup>، ويذكر أيضا "يا بني اخضع ابنك مادام صغيرا قبل أن يفوقك قوّة ويتمرد عليك فتخجل من مساوئه"<sup>(4)</sup>.

(1) - سهيل قاشا، الحكمة في وادي الرافدين، ط2، دار الرافدين للطباعة والنشر و التوزيع، العراق، 2006، ص 89.

(2) - أنيس فريحة، أحيكار حكيم من الشرق الأدنى القديم، د.ط، جامعة بيروت الأمريكية، لبنان، 1962، ص 22.

(3) - المطران غريغوريوس، أحيكار الحكيم، د.ط، مطبوعات اللغة السريانية، بغداد، د.ت، رقم النص 22.

(4) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 23.

ب. وجاء في نصّ سفر الأمثال<sup>(1)</sup>: "في فم شفّي العاقل توجد حكمة، والعصا لظهر الناقص الفهم"، كما جاء أيضا "من يمنع عصاه يمقت ابنه، ومن أحبه يطلب له التأديب إلى تأديبه"<sup>(2)</sup>، "الجهالة مرتبطة بقلب الصّبيّ. عصا التأديب تبعدها عنه"<sup>(3)</sup>.

## 2. الدّعوة إلى حبّ الحكماء وحكمهم:

أ. جاء في حكمة أحيقار: "يا بنيّ مع الحكيم لن تفسد، ومع الفاسد لن تكون حكيما، وكذلك "يا بني عايش الحكيم تصبح حكيما مثله، ولا تعاشر الوقح المهذار لئلا تحسب نظيره"<sup>(4)</sup>.

ب. وجاء في نصّ سفر الأمثال: "مساير الحكماء<sup>(5)</sup> يصير حكيما، ومؤانس الجهال يصير شريرا".

## 3. الدّعوة إلى احترام الجار:

أ. جاء في نصّ سفر الأمثال: "لا تترك صديقك، ولا صديق أبيك، ولا تدخل بيت أخيك في يوم بؤسك، جار قريب خير من أخ بعيد"<sup>(6)</sup>.

ب. وجاء في نص حكمة أحيقار: "يا بني صديق قريب خير من أخ بعيد، والاسم الجيد خير من الجمال الباهر، لأن الاسم الجيّد يدوم إلى الأبد، والجمال يزول"<sup>(7)</sup>.

كما جاء أيضا "يا بني لا تقف حيث الخصومة، لأنّ الخصام ينتج القتل<sup>(8)</sup>، وذكر أيضا ما نصّه: "يا بنيّ لا تتعد عن صديق أبيك فرّما لا يصلك صديقك"<sup>(9)</sup>.

(1) - سفر الأمثال 10: 13.

(2) - سفر الأمثال 13: 24.

(3) - سفر الأمثال 22: 15.

(4) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 11، 12.

(5) - سفر الأمثال 13: 20.

(6) - سفر الأمثال: 27: 10.

(7) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم 49.

(8) - نفس المرجع، نص رقم 55.

(9) - نفس المرجع نص رقم 57.

## 4. الدّعوة إلى حسن اختبار المرأة:

أ. جاء في نصّ حكمة أحيقار: "يا بنيّ، لا توقع نظرك إلى امرأة متبرجة متكحلة، ولا تشتهيها في قلبك، لأنّك إن أعطيتها كلّ ما ملكت يداك لن تجد فيها خيرا، وترتكب إثما أمام الله"<sup>(1)</sup>، كذلك يذكر أحيقار: "يا بنيّ لا تفسق بامرأة صاحبك، لئلا يفسق الآخرون بامرأتك"، وكذلك "يا بنيّ، لا يغرينك جمال المرأة، ولا تشتهيها في قلبك، لأنّ جمال المرأة ذوقها، وبهاؤها نطقها"<sup>(2)</sup>.

ب. وجاء في سفر الأمثال ما نصّه: "ولا تهيم يا بني بالأجنبيّة أو تحتضن الغريبة"<sup>(3)</sup>، وذكر كذلك: "لكي تحفظك من المرأة الشريرة، من تملق لسان الغريبة"<sup>(4)</sup>، كما جاء أيضا: "لا تشبّبك بقلبك جماها، ولا تفتنك بجفنيها، فإنّ المرأة الزانيّة يصرار إلى عوز رغيف خبز، وذات البعل تصطاد النّفس الكريمة، أيأخذ إنساناً ناراً في حجره ولا تحترق ثيابه؟ أم يمشي أحد على الجمر، ولا تكتوي قدماه؟ هكذا في الداخل<sup>(5)</sup> على امرأة قريبة، كلّ من مسّها لا يكون ذكياً".

كما جاء في نصّه: "لا يجنح قلبك إلى طرفها، ولا تهيم في مسالكها"<sup>(6)</sup>، كذلك "فإنّها طرحت كثيرين جرحى، وكلّ من قتلته كان من الأقوياء"<sup>(7)</sup>، وذكر ما نصّه "المرأة الفاضلة، أكليل لرجلها، وذات الفضائح كنخر في عظامه"<sup>(8)</sup>.

(1)- المطران عزيزغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 5.

(2)- نفس المرجع، رق النص 19.

(3)- سفر الأمثال 5: 20.

(4)- سفر الأمثال 6: 24.

(5)- سفر الأمثال 6: 25-30.

(6)- سفر الأمثال 7: 25.

(7)- سفر الأمثال 7: 26.

(8)- سفر الأمثال 12: 4.

## 5. الدّعوة إلى ذكر الحسن، والنّعم، والقناعة:

"يا بنيّ الزّبد الذي في يدك خير من الدّهن الذي في يد الآخرين، ونعجة قريبة خير من بقرة بعيدة، وعصفور في يدك خير من ألف عصفور طائر، والفقر الذي يجمع خير من الغنى الذي يبدّد"<sup>(1)</sup>، كما جاء أيضا: "يا بنيّ عين الإنسان هي كينبوع ماء، لا تشبع من الأموال حتّى تمتلئ بالتراب"<sup>(2)</sup>.

أما في سفر الأمثال فقد جاء: "الصيت أفضل من الغنى الكثير، والنعمة خير من الذهب والفضة"<sup>(3)</sup>.

## 6. الدّعوة إلى التّمييز في الصّدقة:

أ. يذكر في نصّ أحيقار: "يا بنيّ إنّ الأثيم يسقط ولا ينهض، والبار لا يتزعزع، لأنّ الله معه"<sup>(4)</sup>.

ب. وجاء في نصّ سفر الأمثال: "فإنّ الصّدق يسقط سبع مرات وينهض، أمّا المنافقون فيقعون في العطب"<sup>(5)</sup>.

## 7. الدّعوة إلى الحكمة مع الأعداء:

أ. يذكر أحيقار في حكمته: "يا بنيّ، لا تفرح إذا مات عدوك"<sup>(6)</sup>.

ب. وذكر سفر الأمثال: "يا بنيّ، كن حكيما، وفرّح قلبي، فأجيب معبّري بكلمة"<sup>(7)</sup>.

(1) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 51.

(2) - نفس المرجع، رقم النص 66.

(3) - سفر الأمثال 22 : 1.

(4) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 21.

(5) - سفر الأمثال 24 : 16.

(6) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 26.

(7) - سفر الأمثال 27 : 11.

## 8. الدّعوة إلى تجنّب سوء الأخلاق:

أ. جاء في حكمة أحيقار: "كنت لي يا بني، كالحطب الذي دخل في فرن الخزّاف ليتدفأ، وبعد أن دفئ نهض لينتج على الخزّافين"<sup>(1)</sup>.

ب. وذكر نصّ سفر الأمثال: "ككلب عائد على قيئه هكذا الجاهل المكرّر سفهه"<sup>(2)</sup>.

## 9. الدّعوة إلى الحذر وتجنّب العين الشريرة:

أ. جاء في حكمة أحيقار: "يا بني إنّ الكلب الذي تأكل صيده يصبح من فصيلة الذئب، واليد التي لا تجتهد تقطع من أصلها والعين التي لا تبصر تقتلها أفراخ الغربان"<sup>(3)</sup>.

ب. وذكر سفر الأمثال ما نصّه: "العين المستهزئة بالأب والمستخفة بطاعة الأم، تفقأها غربان الوادي، وتأكلها فراخ النسر"<sup>(4)</sup>.

ج. وجاء في نصّ حكمة أحيقار: "يا بني صديق قريب خير من أخ بعيد، والاسم الجيّد خير من الجمال الباهر، لأنّ الاسم الجيّد يدوم إلى الأبد، والجمال يذوب ويزول"<sup>(5)</sup>.

ب. بين أدب حكمة أحيقار وسفر الجامعة: يصف المختصّون سفر الجامعة بكونه أكثر الأسفار غموضاً، من ذلك أنّ مؤلّفه يذكر أنّه ابن ملك أورشليم، ويشبه في ذلك النّبّي سليمان (عليه السّلام) وذو مال وحكمة وغنى، إلا أنّ المؤلّف يكتفي باسم (الجامعة)، وهو اسم آخر له، ويبدو أنّه يعني اسم وظيفة في إطار الجامعة، كذلك النصّ الأصليّ كتب بالعبريّة ونصوصه حسب العلماء<sup>(6)</sup> المختصّين لا تعود للنّبّي سليمان عليه السّلام، بل تعود إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، ونذكر هنا للمقارنة نماذج من هذا السّفر.

(1) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 27

(2) - سفر الأمثال 26: 11.

(3) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 28.

(4) - سفر الأمثال 30: 17.

(5) - المطران عريغوريوس، المرجع السابق، رقم 49.

(6) - مكسيموس صموئيل، تفسير سفر الجامعة لسليمان الحكيم، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، د.ت، ص 4.

**1. المرأة السيئة الأخلاق:**

- أ. جاء في حكمة أحيقار: "يا بني لا ترفع نظرك إلى امرأة متبرجة متكحلة، ولا تشتتها في قلبك، لأنك إن أعطيتها كل ما ملكت يداك، لن تجد فيها خيراً، وترتكب إثماً أمام الله"<sup>(1)</sup>.
- ب. وذكر سفر الجامعة: "فوجدت أنّ ما هو أمرّ من الموت المرأة التي قلبها أحبولة، وشبكة، ويدها قيود، من كان صالحاً أمام الله ينجو منها، وأمّا الخاطئ فينتقص بها"<sup>(2)</sup>.

**2. الحكمة في التعامل مع الجاهل:**

- أ. جاء في نصّ أحيقار: "ثقل الحجارة مع رجل حكيم أفضل من شرب الخمر مع رجل جاهل"<sup>(3)</sup>.
- ب. وجاء في سفر الجامعة: "سماع الانتهاز من الحكيم خير من سماع نزيم الجهّال"<sup>(4)</sup>.

**3. مكانة الإنسان في الفقر والغنى:**

- أ. جاء في حكمة أحيقار: "يا بني من كان ملاّن اليد يدعى حكيماً ومحترماً ومن كان فارغاً يدعى مسيئاً ووضيعاً"<sup>(5)</sup>.
- ب. وذكر سفر الجامعة: "فقلت إنّ الحكمة خير من القوّة ومع ذلك، فحكمة المسكين مداراة، وكلامه غير مسموع"<sup>(6)</sup>.

**4. بين الجاهل والحكيم:**

(1) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 8.  
(2) - سفر الجامعة 7: 27.  
(3) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 9.  
(4) - سفر الجامعة 7: 5.  
(5) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 44.  
(6) - سفر الجامعة 9: 16.

أ. جاء في نصّ أحيقار: "يا بنيّ خير لك أن يضربك الحكيم عصياً كثيرة من أن يدهنك الجاهل بطيب العطر"<sup>(1)</sup>.

ب. ذكر نصّ الجامعة: "قلب الحكماء في بيت النّياحة وقلب الجهّال في بيت الفرح"<sup>(2)</sup>.

ج. بين حكمة أحيقار وسفر يشوع بن سيراخ: يعدّ هذا السّفر من الأسفار الأكثر قرباً من سفر الأمثال، وأوسع كتب الحكمة الأخرى، يتضمّن حكماً قصيرة وأخرى طويلة، ويرى المختصّون<sup>(3)</sup> في الآداب القديمة أنّه أخذ الكثير من الأدب الرّافديّ، وكذا من آداب الشّعوب القديمة الأخرى في المنطقة، وأنّ النصّ الأصليّ كتبه ابن سيراخ في الفترة الواقعة بين سنتي 190 و170 ق. م، وترجم إلى اليونانيّة سنة 130 ق. م، وإلى الآراميّة.

يلاحظ حسب الدّراسات المقارنة أنّ كاتب هذا السّفر مطلع على حكمة أحيقار، ذلك أنّه بعد اطلاعنا وجدنا فعلاً أنّ هناك توافقاً بينه وبين نصوص حكمة أحيقار، ونذكر نماذج منها تضمّنت عدّة مواضيع:

### 1. الاعتناء بتربيّة الأبناء:

أ. يذكر نصّ أحيقار: "يا بنيّ، لا تحرم ابنك من الضّرب لأنّ الضّرب للصّبيّ كالسّماد للبلستان، وكاللّحام للبهائم، وكالقيّد في رجل الحمار"<sup>(4)</sup>.

ب. وجاء في سفر يشوع ما نصّه: "إنّ دلّلت ابنك روّعك، وإنّ لاعتبه أحزنك، لا تضاحكه لئلاّ يغمّك، وفي أواخرك يأخذك صريف الأسنان، لا تجعل له سلطاناً في صباه، ولا تهمل جهالاته، إحن رقبتة في صباه، وأرضض أضلاعه ما دام صغيراً، لئلاّ

(1) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 73.

(2) - سفر الجامعة 7: 4.

(3) - بولس الفغالي، حكمة يشوع بن سيراخ، المكتبة البولسية، لبنان، 2005، صص 17-24.

(4) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 22.



يتصلّب فيعصبك، فأخذك وجع القلب، أدّب ابنك واجتهد في تهذيبه، لئلا يسقط في ما ينجلك" (1).

## 2. الدّعوة إلى حسن المعاملة:

أ. جاء في نصّ حكمة أحيكار: "يا بني ابهر لسانك حلوا وكلامك عذبا، فإنّ ذنب الكلب يطعمه خبزاً، وقد يكسبه رجماً (ضرباً)" (2)، كما جاء أيضا: "يا بني، لا تدع صاحبك يدوس برجلك، لئلا يدوس عنقك" (3).

ب. وجاء في نصّ يشوع بن سراخ: "الفمّ العذب يكثر الأصدقاء، اللطيف يكثر المؤانسات" (4)، كما ذكر أيضا "وتكشف له أسرارها ويجمع فيه كنوزا من العلم وفهم البر" (5).

## 3. الدّعوة لحفظ الأسرار:

أ. جاء في حكمة أحيكار: "يا بني، احصد الكلمة في قلبك تسعد، لأنك إذا بدلت كلامك، فقرت صديقك" (6) وكذلك: "يا بني، لا تطلق الكلمة من فمك حتّى ترونها في قلبك، لأنّه خير للرجل أن يعتبر في قلبه من أن يعثر في لسانه" (7).

ب. وجاء في سفر يشوع: "احبس قصّتك وذهنك، واجعل كلامك ميزانا، ومعياراً، ولفمك باباً، ومزلاجاً، واحذر أن تنزل به فتسقط أمام الكامن لك" (8).

## 4. الدّعوة إلى الحكمة في علاقات الصّداقة:

(1) - سفر يشوع 30: 9-13.

(2) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 37.

(3) - نفس المرجع، رقم النص 39.

(4) - سفر يشوع 6: 5.

(5) - سفر يشوع 4: 21.

(6) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 52.

(7) - نفسه المرجع، رقم النص 53.

(8) - سفر يشوع 28: 29-30.

أ. ذكرت حكمة أحيكار ما نصّه: "يا بني حامي صديقك أمام السلطان، لكي يمكنك أن تحاميه أمام الأسد"<sup>(1)</sup>.

ب. ورد في نصّ سفر يشوع: "لا تقاطع صديقك، القديم فإنّ الحديث لا يماثله"<sup>(2)</sup>.

##### 5. حسن معاملة الأتقياء:

أ. أوردت حكمة أحيكار: "يا بني، من أنعم الله عليه، فاحترمه أنت أيضا"<sup>(3)</sup>، وكذلك: "لاتوتر قوسك، ولا تطلق سهمك على الصديق لئلا تفرغ الآلهة لمساعدته فتزد الضرب عليك"<sup>(4)</sup>.

ب. وذكر نصّ يشوع: "أحسن إلى التّقيّ فتنال جزاء، فإن لم يكن من عنده، فمن عند العليّ"<sup>(5)</sup>.

##### 6. الدّعوة إلى الحكمة في التّعامل مع مختلف أصناف النّاس:

أ. يورد نصّ أحيكار: "يا بني لا تقاوم من كان في أوجّ قوّته، ولا تناحر النّهر في طغيانه"<sup>(6)</sup>، وكذلك: "الأسد يفترس الأيل وهو كامن في... ويسفك دمه، ويأكل لحمه، وهكذا هي معاشرّة النّاس"<sup>(7)</sup>.

ب. أمّا نصّ يشوع فيذكر: "لا تستح أن تعترف بخطاياك ولا تغالب مجرى النّهر، ولا تتدلّل للرّجل الأحمق، ولا تحاب وجه المقتدر"<sup>(8)</sup>.

(1) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 59.

(2) - سفر يشوع 9: 14

(3) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 64.

(4) - نفس المرجع، رقم النص 126.

(5) - سفر يشوع 12: 2.

(6) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 65.

(7) - نفس المرجع، رقم النص 88-89.

(8) - سفر يشوع 4: 31-32.

## 7. حقيقة النفس البشرية:

أ. جاء في نصّ حكمة أحيقار: "يا بنيّ إنّ عين الإنسان هي ينبوع ماء، ولا تشبع من الأموال حتّى تمتلئ بالتراب" (1).

ب. أمّا نصّ يشوع فيذكر: "عين البخيل لا تشبع من حطّه، وظلم الشرير يضني نفسه" (2).

## 8. الحكمة في معاملة الأقوياء:

أ. تنصّ حكمة أحيكار على ما يلي: "يا بنيّ لا تقتحم بستان العظماء، ولا تقرب بنات الكبراء" (3). كذلك يورد ما يلي: "لا تقاوم من هو أعلى منك منزلة، ولا تنافس من هو أقوى منك، لأنّه سيأخذ نصيبك، يضيفه إلى نصيبه، فانظر إلى هذه حالة الضعيف مع القويّ" (4).

ب. أمّا نصّ يشوع فيذكر: "من رمى حجراً إلى فوق رماه على رأسه، والضربة بالمكر تخرج الماكر" (5).

د. بين حكمة أحيكار وسفر طوبيا: هذا السّفر حسب المختصّين عبارة عن قصّة وحكم أحيقار في طابع وشكل يهوديّ، ولقد دار جدل واسع بينهم حول أصول هذا السّفر وعلاقته بأحيقار الرّافديّ، حيث نلاحظ تشابهاً كبيراً في الجانب الأخلاقيّ الذي جاء في النّصّين سواء لدى أحيقار أو سفر طوبيا، وكذا من حيث النّصائح والحكم التي يقدّمها فإنّها تكاد تكون حرفيّة، إلّا أنّ ما يجعل قصّة طوبيا يهوديّة، هي أنّه يصّر على التّزوج من بنات

(1) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 66.

(2) - سفر يشوع 14: 9.

(3) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 58.

(4) - نفس المرجع، رقم النص 60.

(5) - سفر يشوع 27: 28.

القوم لا من الأجنبية، ويذكر طوبيا ابنه أنّ أحبار اليهود القدامى سافروا الأميال الشاسعة ليتزوّجوا يهوديات، فلا يجوز الزواج من خارج القبيلة اليهودية.<sup>(1)</sup>

والملاحظ أيضا أنّ طوبيا عاش في نينوى أيام السبي، وأحيقار عاش وخدم أسرحدون وسنحاريب، وأنهما سجنا ظلما وأنّ صداقتهما بختهما من الموت حسب النصين الواردين في قصّتهما، وكانا ذلك في فترة حكم الأشوريين<sup>(2)</sup>. وفي ما يلي نقدّم مقارنات بين نماذج من نصوص سفر طوبيا وحكمة أحيقار في عدّة مواضيع:

### 1. الدّعوة إلى الإحسان والبرّ والتّقوى:

أ. جاء في حكمة أحيقار: "يا بنيّ، إنّ الأثيم يسقط، ولا ينهض، والبارّ لا يتزعزع لأنّ الله معه"<sup>(3)</sup>.

ب. ويذكر سفر طوبيا: "لأنّ الصّدقة تنجي من كلّ خطيئة، ومن الموت، ولا تدع النّفس تصير إلى الظّلمة"<sup>(4)</sup>.

### 2. مراعاة حرمة الموتى:

أ. يقول أحيقار: "يا بنيّ، أسكب خمرك على قبور الصّدّيقين ولا تشربها مع الأثمة"<sup>(5)</sup>.

ب. يذكر طوبيا: "ضع خبزك وخمرك على مدفن البارّ، ولا تأكل ولا تشرب مع الخطاة"<sup>(6)</sup>.

### 3. تقوى الله:

(1) - الأنبا مكاريوس، تفسير سفر طوبيا، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، د.ت، ص ص 4،5.

(2) - درويش أبو عجرة، حكمة بابل والتوراة والحكيم الآشوري أحيقار نموذجا، مجلة الحوار المتمدن، العدد 5693، 2017، ص 120.

(3) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 21.

(4) - سفر طوبيا 4: 11.

(5) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 10.

(6) - سفر طوبيا 4: 18.

أ. **ينصّ في حكمته على:** "يا بنيّ لا تجدّف على الله يوم محنتك لئلا يغضب عليك حين يسمعك"<sup>(1)</sup> وكذلك يقول: "يا بني، إذا كنت كاهن الله فاتّقه، وأظهر لحضرتة طاهرًا، ولا تبرح من أمامه"<sup>(2)</sup>.

ب. **أما طوبيا فيقول:** "وأنت فليكن في قلبك جميع أيّام حياتك، واحرز أن ترضى بالخطيئة، وتتعدّى وصايا إلهنا"<sup>(3)</sup>.

#### 4. الدّعوة للابتعاد عن الخطايا:

أ. **جاء في نصّ أحيقار:** "يا بنيّ، لا ترفع نظرك إلى امرأة متبرّجة متكحلة، ولا تشتتها في قلبك، لأنّك إن أعطيتها كلّ ما ملكت يداك لن تجد فيها خيرًا، وترتكب إثما أمام الله"<sup>(4)</sup>.

ب. **ويذكر نصّ طوبيا:** "احذر لنفسك يا بنيّ من كلّ زنى، ولا تتجاوز امرأتك مستبيحًا معرفة الإثم أبدًا"<sup>(5)</sup>.

#### 5. الدّعوة إلى تبني الحكمة في التربيّة:

أ. **يذكر نصّ احيقار:** "اسمع يا بنيّ نادان، وتفهمّ تعليمي واذكر كلامي ذكرك لكلام الله"<sup>(6)</sup>.

ب. **أما طوبيا فيقول:** "اسمع يا بنيّ، كلماتي واجعلها في قلبك مثل الأساس"<sup>(7)</sup>.

#### 2. أثر أدب الرّثاء الرافديّ على النّصوص التّوراتيّة:

(1) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 33.

(2) - نفس المرجع، رقم النص 63.

(3) - سفر طوبيا 4: 6.

(4) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 5.

(5) - سفر طوبيا 4: 13.

(6) - المطران غريغوريوس، المرجع السابق، رقم النص 1.

(7) - سفر طوبيا 4: 2.

لقد أدّى الوجود اليهودي في بلاد الرافدين جرّاء عمليّة السبي واستيطانهم بالمنطقة واحتكاكهم بمكونات المجتمع الرافديّ إلى تأثرهم بلغتهم ومعتقداتهم الدينيّة وعاداتهم وتقاليدهم وإنجازاتهم الحضاريّة، وموروثهم الأدبيّ الدينيّ، من ذلك تأثرهم بشعر الرثاء الرافديّ الدينيّ.

أ. أدب الرثاء البابليّ: لقد كان الرثاء الدينيّ من المواضيع التي ميّزت الأدب السومريّ البابليّ، ولقد صنّف المختصّون<sup>(1)</sup> قصائد الرثاء الدينيّ الرافديّة إلى ثلاثة أصناف:

1. رثاء الأقارب: ومن ذلك قصيدتان للشاعر السومريّ (لودينغرا) كتب إحداها في رثاء زوجته (ناوتيرتم)، والثانيّة في رثاء أبيه (نانا)<sup>(2)</sup>.

2. رثاء النفس: ومن أمثلتها قصيدة سمّاهها الباحثون: "أيوب السومريّ"، وقصيدتان بابليّتان عنوان إحدهما "العدل الإلهي" وعنوان الأخرى "الحكمة".

3. رثاء المدن: ومن أمثلتها قصيدتان كتبهما شاعران بابليّان باللّغة السومريّة إحداها في رثاء مدينة "أور" والأخرى في رثاء مدن بلاد سومر وأكد، مثل: كيش، ومرد، وأيسن، ونفر، وأدب، وأوروك، ولكش، وأريدو،<sup>(3)</sup>...

ونسجّل هنا أنّ ما يهّم موضوعنا هو الصنف الثاني والثالث، فشعر هذين الصنّفين هو الذي كان له تأثير مباشر في النّصّ الرثائيّ التوراتيّ، فرثاء النفس نجد تأثيره في سفر أيّوب الذي هو نتاج تأثير مباشر لقصائد رثاء النفس السومريّ البابليّ، فسفر أيّوب مكّون من خمسة أقسام أساسيّة<sup>(4)</sup>.

(1) -حكمت بشير الأسود، أدب الرثاء في وادي الرافدين في ضوء المصادر المسماوية، ط1، دار الزمان للطباعة و النشر والتوزيع، الموصل، العراق، 2008، ص 15.

(2) -سامي مهدي، نظرات جديدة في أدب العراق القديم، ط1، دار أزمنة للنشر و التوزيع،الأردن، 2007، ص ص 64-67.

(3) - سامي مهدي، هل تأثرت المراثي التوراتية بالمراثي البابلية، جريدة الدستور، بغداد، 2009، ص 15.

(4) - سفر أيّوب 22.

القسم الثاني منها يتضمّن حوار أيّوب مع أصدقائه الثلاثة، وهو قسم كتبه مؤلّف واحد وهو من يهود السّبي البابليّ حاول أن يعيد إنتاج قصيدة "أمدحن ربّ الحكمة"<sup>(1)</sup>، وقصيدة "العدل الإلهي" في نصّ شعريّ واحد، فالأشعار من الأولى فكرتها ومضمونها عامّ، وشكلها حواريّ، ونزعتها تدميريّة ساخطة، واستعان بالثانيّة في تفصيل ما يشكو منه، ثمّ جاء مؤلّفون آخرون أخذوا عن قصيدة "العدل الإلهي"<sup>(2)</sup> منحأها الإيماني، ونهايتها السّعيدة فيما أضافوه لنصوص هذا السّفر.

إنّ ما بين سفر أيّوب والقصيدتين البابليّتين من أوجه الشّبه في اسم البطل في القصة ومؤلفها (أويب - أيّوب)<sup>(3)</sup> وفي فكرتها الوعظيّة، ومضمونها العامّ، وكذا في تفاصيل هذا المضمون، والشّكل الحواريّ الذي كتب به، كلّ ذلك هو ميزة اطلاع مباشر على القصيدتين البابليّتين والتّفاعل معهما والتأثّر بهما.

أمّا الصّنف الثالث، وهو رثاء المدن<sup>(4)</sup>، فتأثيره واضح فيما نسب إلى (أرميا) من أناشيد في رثاء أورشليم، إلا أنّ الدّراسات اليهوديّة تذكر أنّ أرميا لم يسب مع من سبي في أورشليم، وكان خياره البقاء، لكن أثره اختفى، وهناك من قال أنّه رحل إلى مصر، لكن كيف تأثّر بشعر الرّثاء البابليّ؟

أمّا عن سفر أرميا فالباحثون يؤكّدون أنّ تسميته هذه لا تعني أنّه مؤلّفه، ذلك أنّ المراجع اليهوديّة والمسيحيّة المختصّة<sup>(5)</sup> ومن خلال دراساتها توضّح أنّ هذا السّفر مرّكب تركيبي، مثل الكثير من الأسفار، لذلك يجد المؤرّخون رجال الدّين صعوبات كبيرة في إيجاد صورة متكاملة، أو إضفاء نوع من التماسك عليه وكذا في نسبه كلّه أو بعضه إلى أرميا، فذكروا ملاحظات

(1) - سفر أيّوب، الإصحاح 12، طه باقر، مقدّمة في أدب العراق القديم، جامعة بغداد، العراق، 1976، ص 96.

(2) - سفر أيّوب 51، غسان عبد صالح، العدل الإلهي في العراق القديم، من خلال نصوص مختارة، مجلة كلية التربية، العدد 14، 2013، ص 171-178.

(3) - عبد الفاضل عبد الواحد، صبر أيّوب بين النصوص المسامرية والتّوراة، مجلة الأدب، جامعة بغداد، 1998، ص 517-538.

(4) - تادرس يعقوب ملطي، تفسير مرآتي أرميا، ط 1، المجمع المقدس، مصر، 2019، ص 5-20.

(5) - مكسيموس صموئيل، تفسير سفر أرميا، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، د. ت، ص 2.

وتحفظات عليه سواء من حيث<sup>(1)</sup> تأليفه أو تنسيقه، نظرا لتعدد مواد السفر، فالإصحاحات 36-44 كلها نثرية، مما يدل على أنه لم يؤلفها، أما نبوءاته فلم يكن كاتبها، بل أملاها على تلميذه باروخ، وكان بعض ما أملاه قد أحرق بأمر من (يهو ياكين) ملك يهودا، فطلب من باروخ إعادة كتابته كما أملاه عليه<sup>(2)</sup>.

ويذكر باروخ نفسه أنه أضاف إلى مقولاته مقولات مماثلة كثيرة، أما ما جاء في السفر عن حياة أرميا فهي من ذكريات تلاميذه حسب المراجع اليهودية<sup>(3)</sup> ثم جمعت هذه المواد بعد وفاته مع إضافات تاريخية، ورتبت بالقدر الذي يجعلها منسجمة، ولا يشعر الباحثون<sup>(4)</sup> أنه لحقها تعديلات وتنقيحات فيما بعد، ليصبح على الشكل الذي هو عليه الآن، وبالتالي ليس لأرميا منه إلا القليل.

لقد شكك العديد من المختصين في نسبة هذه المرثي إلى أرميا مرجحين نسبتها إلى غيره، ذلك أنها لم تنسب إليه إلا في الترجمة اليونانية للتوراة، في حين لا تحمل اسمه في التوراة العبرية<sup>(5)</sup>، وهي تقع ما بين سفر راعوت وسفر الجامعة، وهما حديثان نسبيا بالنسبة لزمان أرميا، وهذان السفران يقفان في التوراة العبرية في السلسلة المعروفة باسم (الكتوبيم)<sup>(6)</sup>، وبالتالي فالمرثي يجب أن تكون ضمنها، باعتبارها من الأسفار المشكوك فيها، إضافة إلى أن (الكتوبيم) تقع في الدرجة الثالثة من حيث القداسة، أي بعد الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى (البناتيك) ثم أسفار النبئين (النبيم)<sup>(7)</sup> من حيث القداسة لأنها نبوءات لا يعرف مؤلفها ونسبتها غير مؤكدة، إلا أنها ضمت إلى التوراة، باعتبارها جزءا من التراث اليهودي الديني، وهي مفيدة لأعراف وعظيمة، وهناك من نسبها لتلميذه باروخ<sup>(8)</sup>.

(1) - القمص يوانس الأنبا بولا، أرميا وباروخ تلميذه، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر 2019، ص 39.

(2) - مكسيموس صموئيل، تفسير سفر أيوب، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، 2017، ص 37.

(3) - تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر أرميا، ط 1، سانتا مونيكا، كاليفورنيا، 1994، ص 33.

(4) - محمود شاهين، أسفار التوراة، قراءة نقد وتعليق (إشعيا، إرميا مرثي إرميا، بنودة باروخ، حزقيال)، ط 1، السيدة العذراء، مصر، 2015، ص 87.

(5) - بولس فغالي، ترجمات الكتاب المقدس، ط 1، مصر، 1994، ص 34.

(6) - داود رياض، هل تطابقت السبعينية مع الأصل العبري، مدونة النقد النصي للعهد القديم، 20 أكتوبر، 2013.

(7) - عيسى بن ضيف الله حداد، نظرات في إشكالية التوراة مقاربات ورؤى، مصر، 2018، ص 38.

(8) - Samuel Rolles Driver, *Introduction of the literature of the Old Testament*, USA, 1902, p 92.



وهناك من يرى أنّ نظم هذه المراثي يعود لشاعر من المسيّين كان يتذكّر أورشليم في خلواته في المنفى، ويتألّم ممّا حلّ بها، والمراثي هي من أصداء هذا الألم، فهي تدبّ بشكل منظوم بإحساس فرديّ، ولكنّه يعبر في نفس الوقت عن مشاعر جماعيّة، وأسلوب نظم المراثي يدلّ على أنّها تعود إلى شاعر واحد، وموضوعها ولغتها وزخماها الشعريّ يدفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد أنّها تعود لحزقيال، وأنّه نظمها في منفاه<sup>(1)</sup>.

ويضيف بعض الباحثين أنّ حزقيال أشهر المتنبّئين اليهود، وأوسعهم خيالاً وقدرة على التّصوّر، وأنّ بإمكانه أن ينظم مثل هذه المراثي، وأنّه كان من المتنبّئين في زمن غزوة نبوخذ نصر الأولى 598 ق.م، وعاش في المنفى حيث توفي، وضريحه يقع قرب بابل اليوم، في بلدة الكفل، حيث سميت باسمه الإسلامي (ذو الكفل)<sup>(2)</sup>.

ومهما كانت اختلافات نسبة هذه المراثي، فإنّها تدكّرنا بمراثي بابل، حيث أنّ تدمير المدن ظاهرة من ظواهر تاريخ بلاد الرّافدين، ورتاء المدن تقليد بابليّ أصيل، والملاحظ أنّ عدداً من المؤرّخين يؤكّدون أنّ رتاء أورشليم فكرة بابليّة، وأساس هذه الفكرة أنّ هذا النوع من الرّثاء على تدمير المدن، وتشريد سكانها عقاب إلهيّ، وعلى هذا الأساس قامت المراثي التّوراتيّة، والملاحظ أنّ هذه المدن المدمّرة منها من أعيد إعمارها، والبعض يذكر أنّ ذلك يكون بعد أن يكفّر أهلها عن ذنوبهم وترضى عنهم آلهتهم، ومن ذلك عودة اليهود المسيّين وإعادة بناء أورشليم<sup>(3)</sup>.

إنّ وصف ما حلّ بأورشليم حسب المراثي، يشبه صوّر دمار مدن سومر ودلّ على ذلك ما جاء في القصائد البابليّة، كدمار أور على أيدي العيلاميين حيث دمّرت كلّ هياكلها العمرانيّة ومنشآت المياه، وأتلفت الحقول والبساتين، وشردّ سكانها، ونهبت ممتلكاتها، وأخذ ملكها (أبي-سين) إلى عيلام مكبلاً بالأغلال<sup>(4)</sup> مثل ما اقتيد ملك يهوذا (صدقيا) إلى بابل<sup>(5)</sup>، وكانت

(1) - تادرس يعقوب ملطي، تفسير إصحاحات سفر حزقيال، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، د.ت، ص 3.

(2) - ذكر في القرآن الكريم سورة الأنبياء الآية 85، وسورة ص الآية 48.

(3) - محمد يسري، هيكّل سليمان: قصة المبنى المقدّس الذي أثار الجدل عبر العصور، ط1، مصر، 2017، ص ص 2-8.

(4) - فاضل الربيعي، المرجع السابق، ص ص 17-20.

(5) - نفس المرجع، ص ص 20، 21.

الآلهة قد رضيت عنها فأعيد تعميرها، وعاد إليها سكّانها، كما عاد اليهود المسييون إلى أورشليم، حيث أعيد بناؤها، ونعرض نماذج من هذه المراثي:

### – أمثلة من المراثي الرافدية:

"لكي يغيّر الأجل المحدد، ونلغي الخطط الموضوعة - تجمّعت العواصف للهجوم كالطوفان - لكي تغيّر نواميس سومر الإلهية- ويعاد الحكم السديد إلى موضعه - لكي تدمّر المدينة ويهدم المعبد - وتخرب حظائر الماشية وزرائب الأغنام - لكي لا تقف الثيران في حظائرها - ولا تتكاثر الأغنام في زرائبها - لكي لا تتدفق أنهار البلاد بمياه مرّة - وتنمو الأعشاب الضارة في الحقول الخصبية - وتنمو نباتات في السهول الخصبية، - وتنمو نباتات الخزن في السهول - لكي لا تبحث الأم عن طفلها - ولا يقول الأب يا زوجتي العزيزة - لكي لا تفرح الزوجة الفتية في أحضانه - ولا يشبّ الطفل قويًا على ركبته - ولا المرضعة - لكي يغير موضع الملوكة - والحقوق والنواميس - وتؤخذ الملوكة بعيدًا عن البلاد - لكي تشمل العاصفة هياكل البلاد - وتلغى كل النواميس الإلهية بأمر من آن وإنليل - كل ذلك حدث بعد أن أطلّ آن بوجه عابس على كل البلاد - ونظر إنليل بعين الرضا إلى البلاد المعادية<sup>(1)</sup>.

كما جاء أيضا:

"أور التي كان عمادها أبطالها الأسود وقعت في مذبحه - أهلها وقعوا فريسة في قبضة الأعداء - فمن لم يمت بسلاح مات جوعًا - أور في داخلها موت وفي خارجها موت - في داخلها موت من الجوع - وفي خارجها تقتل بأسلحة العيلاميين - نعم حطّموا مزليج أبوابها وهي مازالت مشرّعة حتى اليوم - اكتسحوها من أمواج عاتية متدفقة - حطّموا أور مثلما يحطّم الفخار"<sup>(2)</sup>.

أمّا عن النصوص التوراتية فإننا نذكر بعض النماذج منها:

(1)-حكمت بشير الأسود، المرجع السابق، ص ص 1-12.

(2)-نفس المرجع، ص 12.

يذكر الإصحاح الثاني من مرثي أورشليم:

"محقّ السيّد جميع مساكن يعقوب ولم يشفق هدم بسخطه حصون بنت يهوذا وأصقها بالأرض، نجس الملك والرؤساء<sup>(1)</sup>.

- قطع شدّة عصبة كلّ قرن لإسرائيل، ردّ يمينه إلى الورا من أمامهم<sup>(2)</sup> العدو، وأضرم في يعقوب مثل نار ملتهبة أكلت ما حولها.

- غاصت في الأرض أبوابها ودمّروا لهم مزاليجها، ملكها ورؤساءها بين الأمم، لا شريعة، حتّى أنبيائها لا يصادقون رؤيا من لدن الربّ<sup>(3)</sup>.

- شيوخ بنت صهيون جلسوا على الأرض صامتين، ألقوا رمادًا على رؤوسهم، وشدّوا مسوحًا، عذارى أورشليم طأطأن رؤوسهنّ الأرض<sup>(4)</sup>.

- جميع عابري الطّرق صقّقوا عليك بالكفّين، صقّروا وهزّوا رؤوسهم على بنت أورشليم. أهذه هي المدينة التي يدعوها كاملة الجمال بهجة الأرض كلّها<sup>(5)</sup>.

- قد صنع الربّ ما قصده وحقّق القول الذي أوكد به منذ أيّام القدم، فأشمت بك العدو، وأعلى قرن مضايقتك<sup>(6)</sup>.

- صرخت قلوبهم إلى السيّد يا أسوار بنت صهيون أجري الدّموع كالنهر نهارًا وليلاً، لا تهدئي، ولا تسكت حدقة عينك<sup>(7)</sup>.

(1) - سفر أرميا 2: 2.

(2) - سفر أرميا 2: 3.

(3) - سفر أرميا 2: 9.

(4) - سفر أرميا 2: 10.

(5) - سفر أرميا 2: 15.

(6) - سفر أرميا 2: 17.

(7) - سفر أرميا 2: 18.

- قومي أنجي ليلاً في أول الهجمات، أريقي كالماء قلبك قبالة وجه السيّد، ارفعي إليه كفيك لأجل<sup>(1)</sup> نفوس أطفالك الذين غشي عليهم من الجوع في رأس كلّ شارع.

- انطرح على الأرض في الشوارع الصّبيّ والشيخ عذارى وشبّاني سقطوا بالسيف، إنك قتلت في يوم غضبك، ذبحت ولم تشفق<sup>(2)</sup>.

من خلال ما تقدّم من الأمثلة نلاحظ تشابهاً واضحاً في الصّور، برغم التّكّيّف والإيجاز في مرثي أورشليم والأسباب والتّفصيل في المرثي الرّافديّة، وليس مؤكّداً لدى الباحثين أنّ جيش نبوخذ نصر دمرّ أورشليم على النّحو الذي أدّى إلالتأثر والاقْتباس من صور الدّمار في المرثي الرّافديّة، إلاّ أنّ الحروب القديمة كانت هذه ميزاتها وهي تدمير المدن بل وحتىّ اليوم<sup>(3)</sup>.

رغم أنّ هناك تشابهاً في عدّة صور بين نصوص المرثي الرّافديّة والتّوراتيّة، لكنّنا لم نذكرها كلّها لطولها، من ذلك أيضاً ما نجده في قصائد بابليّة كقصيدة "إيرا"<sup>(4)</sup>، كذلك مرثي أورشليم جاءت منظّمة بطريقة تشبه تلك الطّريقة التي نظمت بها القصيدة البابليّة المعروفة بقصيدة "العدل الإلهي"<sup>(5)</sup>، التي تعود إلى فترة الألف الأولى قبل الميلاد، بحيث أنّها نظمت على شكل أدوار بلغ عددها سبعة وعشرين، وكلّ دور يبدأ بحرف من حروف اسم مؤلّفها ولقبه وحرفته، فتشكّل اسمه على النّحو التّالي: "أنا ساكيل، تينم، أويب، كاهن المشمشو عابد الإله والمملك"<sup>(6)</sup>.

في حين جاءت مرثي أورشليم على هذا النّحو، حيث نظمت أناشيدها الأربعة الأولى بداية كلّ مقطع من مقاطعها حرف من حروف الأبجدية العبريّة، في حين النشيد الخامس نظم في

(1)- سفر أرميا 2: 19.

(2)- سفر أرميا 2: 21.

(3)- سامي مهدي، المرجع السابق، ص ص 11، 12.

(4)- علي السعدي، "قصيدة رثاء تحولت دينا"، صحيفة المثقف، العراق، العدد 2632، نوفمبر، 2013، ص 3.

إبوا: إله معروف منذ العصر الأكادي القديم كتب اسمه دون شارة الألوهية إلى غاية العصر البابلي القديم، ويعرف كإله حرب ومختص في نشر الأوبئة، للمزيد انظر: إدزارد وآخرون، المرجع السابق، ص ص 64، 64.

(5)- غسان عبد صالح، المرجع السابق، ص ص 171-198.

(6)- طه باقر، مقدمة، ج 1، المرجع السابق، ص ص 30-36.

22 بيتا حسب حروف هذه الأبجدية، وتعرف هذه الطريقة لدى المختصين في الصناعة الشعريّة بمصطلح (Acroshic)، وهي طريقة ابتكرها البابليون الكهنة، ثم ظهرت في عموم الشعر العبري (كالمزمور 119)<sup>(1)</sup>.

من هنا يتضح أثر أدب بلاد الرافدين في الأدب التوراتي في الألف الأولى للميلاد، ولقد عمل الكثير من الباحثين اليهود على تجاهل هذا التأثير المهم، أو التقليل من شأنه إلا أن المادة التاريخية الرافدية الغزيرة بالمعلومات دلت على عراقية أدب بلاد الرافدين وقدمه، بدءاً من الحضارة السومرية.

وسعى الباحثون على تثبيت المادة التاريخية التي توضح أثر أدب بلاد الرافدين على الأدب التوراتي بالعودة إلى المصادر ذات العلاقة بالمصادر الأدبية والآثرية خاصة عقب عملية الترحيل المعروف بالسبي الأشوري البابلي، حيث كان لاتصالهم المباشر بالحضارة الرافدية أن تركت أثرها بكتابة التوراة والتلمود اللذين يعدان المصدر الرئيسي لتاريخهم وشريعتهم، ولعل من أشهر الدراسات الموسعة، والتي تتجاوز التخصص هي تلك التي ظهرت مؤخراً في عديد المواقع، والتي حاولت أن تعطي تغطية لتطور الأدب الرافدي والعبري القديم وحتى الفترة المعاصرة، والتي كان من نتائجها إعطاء قراءة أدبية جديدة .

(1) - سفر المزامير 119.

الخاتمة

يتميز تاريخ بلاد الرافدين بالسبق الزمني والثراء المتنوع والطابع المتميز، وترابط التطور في مجال الفكر والمادة معا، وكان للاكتشافات الأثرية وماورد عن الأشوريين والبابليين في النصوص التوراتية وعلاقتهم بمناطق الكنعانيين (الفلسطينيين) والعبرانيين، وما سجل من خلال كتابات الرحالة والمؤرخين الإغريق والرومان الكلاسيكيين دور في تمهيد الطريق لكثير من الباحثين في بداية العصر الحديث إلى محاولة لاستكشاف آثار بلاد الرافدين والتعرف على تاريخها القديم منذ أواخر القرن الثامن عشر، حيث لفت انتباههم بقايا النصوص المسمارية الرافدية، التي سعى الكثير من اللغويين لنسخها ونشرها ومحاولة قراءتها لفك رموزها منذ أوائل القرن التاسع عشر.

ليشهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر بداية الاهتمام بالدراسات الأثرية بالنصف الجنوبي من بلاد الرافدين، إيدانا بالكشف عن حضارات السومريين والأكديين في مدن مثل: كيش، أور، الوركاء، نفر، لجش، نيبور، لتمتد هذه البحوث الأثرية في الجنوب والشمال معا في القرن العشرين، ليتسم بعضها بالطابع العلمي الدقيق في الكشف عن الآثار وقراءة النصوص وتحليلها، ليتمتد هذا الاهتمام إلى آثار فترة فجر التاريخ في النصف الجنوبي مثل: العبيد وجمدة نصر، وفي النصف الشمالي مثل: تل حلف حسونة وغيرها، الأمر الذي استوجب دراسة كل فترة من فترات الحضارات الرافدية القديمة الممتدة من العصر الحجري القديم الأسفل حتى نهاية العصر الكلداني الأخير بصفة مستقلة ومستفيضة.

وبدراسة النصوص المسمارية القديمة السومرية، البابلية، الأشورية والكلدانية، فقد أزاحت النقاب عن فترات من التاريخ المقارن لشعوب وقبائل تعاملت مع الأشوريين والكلدانيين (البابليين) تعاملًا حضاريًا في بعض الأحيان وحربيًا في أحيان كثيرة.

ولأن الترجمة ضرورة لتلاقح أفكار المجتمعات، والتي كانت في بداياتها الأولى مقتصرة على الترجمة الشفوية للموروث الحضاري السائد آنذاك، فكانت هذه الترجمة تفي بعملية التواصل الاجتماعي وعلاقات الناس بجيرانهم وما تقتضيه من تعاملات ومبادلات، لكن باكتشاف الكتابة

واختلاف اللغات أصبح لزاما فرض الترجمة كوسيلة تبادل حضاري، وأصبح تدوين الفكر الديني السومري سببا من أسباب ظهور الحاجة إلى الترجمة التحريرية، فكانت النصوص الأولى المترجمة قد تضمنت التعاليم الإلهية، وبقيام الدولة الأكديّة نقل غالبية الانتاج الحضاري السومري إلى اللغة الأكديّة، وخلال الترجمة أُجريت بعض التعديلات والتحويلات، وأضيفت وحذفت بعض الفقرات كل ذلك لتتماشى مع الأفكار الأكديّة والبابليّة والأشورية ومعتقداتهم ومفاهيمهم، فعدلت القصص الدينيّة وغيرت أبطالها بما يتفق والمكانة التي وصل إليها كل من الآشوريون والبابليون، مرتكزين على مبدأ التفضيل والتفريد في المعتقدات الدينيّة، باعتبار أية أمة لا تستطيع أن تعيش بمعزل عن الأمم الأخرى بسبب التمازج الحضاري.

احتوت التوراة معلومات تاريخية هامة عن منطقة بلاد الرافدين، بحكم الاحتكاك بين الشعب اليهودي وسكان هذه المنطقة، فقد أخذ اليهود الكثير من الأساطير والقصص والمعارف الرافديّة وضمّنها في توراتهم وتلمودهم، فلم تكن التوراة والتلمود مدونين لدى اليهود في بابل، وحتى أنّهما غير موجودين لديهما أثناء السبي البابلي بعد تدمير نبوخذنصر لهيكل سليمان، وضياع نسخة التوراة المحفوظة في تابوت العهد، ولأن اليهود تمتعوا بحرية كبيرة أثناء هذا الأسر، خاصة في مجال الدين بممارسة شعائهم وطقوسهم ليتضح جليا أثر البابليين على الديانة اليهودية، ليتأسس دين جديد في هذه المرحلة متأثرا بمختلف مصادر الثقافة البابليّة.

فقد تشكلت التوراة من تدوينات متعاقبة لأصول من موروثات شفوية قديمة، ومجموعة من القصص الشعبيّة والأساطير والملاحم التي انتقلت من جيل إلى جيل، نقحوا فيها عبر تاريخهم الطويل، وكان لإطلاعهم على المعتقدات البابليّة أثناء الأسر البابلي، وخلال حكم الملك الفارسي قورش (538 ق.م) الذي سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين، فجاء الانتاج الكبير لليهود في فترة السبي بتصنيفهم للتلمود البابلي وبداية تحرير نصوص التوراة.

بعد استعراض لحثيات الموضوع وقيامي بالتحليل والمقارنة توصلت للنتائج التالية:



- تعد منطقة بلاد الرافدين مهدا حضاريا راقيا قديما، ومنتجا للعديد من المنجزات الحضارية شملت كل الميادين وأثرت الفكر الإنساني، مما جعل هذه المنطقة تستقطب الكثير من الشعوب والمجموعات البشرية التي أصبحت مستقرا لها، ولقد كان للتأثير الحضاري الدور البارز في ذلك، تجلّى أثره حينما وصلت التوسعات الأشورية البابلية.

فقد ساهمت الحضارة الرافدية في إثراء الحضارة الإنسانية، وفي الرفع من قيمة الإنسان الرافدي، وكان لعنصر الدين الأهمية القصوى في البناء السياسي والتطور الفكري الرافدي القديم بفضل دور المعبد ورجال الدين الذين كان لهم الدور الأكبر في التأسيس للمنظومة السياسية الرافدية القديمة بل وفي الابداع الحضاري لهذه المنطقة بظهور نظام دولة المدينة.

بانتهاج الأشوريين والبابليين سياسة التوسع نحو الساحل الفينيقي أدى ذلك إلى اصطدامهم بالعبرانيين الذين كانوا يشكلون تهديدا للمصالح الرافدية، فتعرضوا للسي مرتين على يد الأشوريين، بالإضافة للسي البابلي الكبير على يد نبوخذ نصر، ليتعرض الكثير من اليهود للتهجير الاجباري إلى مناطق مختلفة من بلاد الرافدين لينبهروا في بابل بحضارة راقية نهلوا منها الكثير على مايتفق عليه المؤرخون، ونسجل هنا اختلاف الباحثين حول العدد الحقيقي للمسبيين العبرانيين الذين تم ترحيلهم إلى بابل.

علما أن اليهود كانت لهم الحرية في بابل في ممارسة شعائهم وحقوقهم الدينية ويجمع الكثير من العلماء أن كتابة أهم فصول التوراة والتلمود البابلي كان في بابل، وتؤكد الدراسات المقارنة أن الديانة اليهودية قد ولدت أسرارها الأولى أثناء الأسر البابلي، فقد ساهمت معرفة أحبار اليهود الواسعة للنصوص السومرية البابلية من اطلاعهم المباشر على الوثائق السومرية المدونة باللغة السومرية خاصة ما تعلق بخلق الإنسان والكون، الموت، الثواب والعقاب، الخير والشر، وكان لعزرا الدور الكبير في ذلك، حيث قام بتأليف التنبؤات وإعطائها طابع المصدقية والقداسة.

كانت فكرة أسطورة خلق الإنسان واجهة لكل المواضيع التي تناولتها الأساطير السومرية البابلية والتوراتية فيما بعد، تجلّى تأثير المعتقدات السومرية البابلية في الاصحاح الأول والثاني من سفر التكوين لتتطابق الرواية البابلية والتوراتية حول مصير الإنسان، ليظهر التأثير أيضا

في محاربة قوى الشر، فالرافديون اعتقدوا أن خلق الكون تم بعد حرب طاحنة بين القوى الخيرة والشريرة ليعم الهدوء والسلام بعد ذلك، ليقتبس الأحبار قصة التكوين والخليقة في أسفارهم، فامتزجت الأساطير البابلية بأسفار التوراة من ذلك محاربة الرب للقوى الشريرة مثلما فعل الإله مردوخ في قصة الخليقة.

تؤكد نصوص الألواح السومرية التي تعود للألف الثالثة قبل الميلاد أن هناك جنة أبدية بلا خطيئة ولا أمراض ولا أوجاع ولا شيخوخة، عرفت بالحياة الأبدية، ويحتمل أن يقصد بها جنة عدن، كما اقتنع السومريون بأن أرض دلمون هي أرض الفردوس والتي كانت مقرا لبطل الطوفان بعد انحسار هذا الأخير، على أن الصورة الأشد وضوحا لجنة عدن السومرية تظهر في سفر اشعياء.

كما أن قصة الطوفان السومرية تشبه ماورد في قصة الطوفان العظيم في سفر التكوين، بالإضافة إلى تشابه السفينة في النموذج البابلي مع النموذج العبري في ملحمة جلجامش، من حيث أن الرجل المخترار تلقى تحذيرا من الإله، وبنى سفينة ضخمة مكونة من عدة طوابق، وطلاها بالقار والقطران حتى لا تتسرب إليها المياه، وأدخل فيها أسرته وكل صنف من الحيوانات، ونفس الحال بالنسبة لملحمة أترخاسيس.

وفي مجال التشريع انتحلت التوراة القوانين البابلية (شريعة حمو رابي) والأشورية، على أن الفرق بين القوانين الرافدية والعبرانية، أن الأولى عبارة عن قوانين مدنية بينما الشرائع التوراتية شريعة كهنوتية يتدخل فيها الرب والكهنة في حل قضايا مدنية، بالإضافة إلى اعتماد العبرانيين يوم السبت كاستراحة عن البابليين، حيث كان البابليون يرتاحون في يوم السبت لمصالحة الآلهة، ففي الأيام (21، 14، 28) لا يأكل فيها راعي الشعوب العظيمة لحما مشويا ولا بيدل ثيابه ولا يقدم قربانا ولا يركب الملك عربته، ولا تنطق الكاهنة بنبوءة، حتى الطبيب لا يضع يده على المريض، في حين أن يوم السبت عند العبرانيين هو يوم استراحة الرب من عملية الخلق.

وقد أظهرت وثائق الشرق الأدنى القديم على أن نظام المكييل والمقاييس والأوزان التي تضمنتها التوراة مأخوذة من تراث وحياة سكان المنطقة السابقة، حتى أن الشاقل (العملة الإسرائيلية الحالية) يعود إلى منطقة بلاد الرافدين، فكان وحدة للوزن تستخدم في مجال السلع والنقود.

أما فيما يخص الأعياد والتقويم، فقد اعتمد البابليون التقويم القمري المرتبط بظاهرتين قمريتين هما: شبطوم (القمر بدرا)، وبيولوم (القمر محاقا) (هذه الظاهرة الأخيرة ذات فآل خطير على المجتمع كالحروب والمجاعات والكوارث...) فيتجه الناس إلى الصلاة والصيام وتقديم القرابين، أما في حالة القمر هلالا فهو إيذانا ببدء شهر جديد ومناسبة لأداء طقوس البذور، فنجد هذه المعتقدات منتحلة في التوراة (سفر أشعيا) وفي التلمود.

كما أن سلسلة الروائع الرافدية التي أخذت منحى اجتماعي - إنساني مثل عبارات: لا تقتل، لا تزني، لا تسرق...، نقلت حرفيا إلى التوراة ( الوصايا العشر) وهي موجهة للعبرانيين فقط عند التعامل فيما بينهم، لكن في المقابل استباحة كل شيء مع غير اليهود.

تعد نصوص الشرق الأدنى القديم أقدم من الناحية التاريخية من نصوص التوراة، وظهر معظمها قبل ظهور جد العبرانيين - ابراهيم عليه السلام-، فأقدم مصدر للتوراة هو المصدر اليهودي (وهو على الغالب الرواية الشفهية للتوراة) والذي يعود تاريخه إلى منتصف القرنين العاشر أو التاسع قبل الميلاد، وكان أول تدوين للعهد القديم كان بعد وفاة موسى -عليه السلام- في حوالي القرن السابع قبل الميلاد، ولم يكتمل التدوين إلا في القرن الثاني قبل الميلاد باحتوائه على سفر دانيال الذي يرجع تاريخه إلى سنة 165 قبل الميلاد، في حين أن الوثائق الأشورية والبابلية فتؤرخ من بداية القرن الثالث والعشرون قبل الميلاد إلى غاية القرن العاشر قبل الميلاد، ومن هنا يتضح أن هذه الأخيرة أقدم بكثير من النصوص التوراتية، فلا يمكن القول إذا أن هناك اقتباسات لنصوص سابقة من نصوص لاحقة، على أننا نسلم بوجود توراة صحيحة أنزلت على موسى -عليه السلام- ولا نتصور أن تكون هذه التوراة التي بين أيدينا التي تلقاها موسى -عليه السلام- لتدخل كتاب العهد القديم واقحامهم لأساطير الشرق الأدنى القديم

# قائمة المصادر والمراجع

1. المصادر:

I. الدينية:

1. التلمود البابلي، مج1، ط1، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2011.
2. التلمود، ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الأول - زراعيم: الزروع، تر: مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط1، دار طيبة للطباعة، الجيزة، 2008.
3. \_\_\_\_\_، ترجمة متن التلمود، القسم الثالث، ناشيم: النساء، تر: مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط1، دار طيبة للطباعة، الجيزة، 2008.
4. \_\_\_\_\_، ترجمة متن التلمود، القسم الثاني، موعيد: الأعياد، تر: مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط1، دار طيبة للطباعة، الجيزة، 2008.
5. \_\_\_\_\_، ترجمة متن التلمود، القسم الخامس - قداشيم: المقدسات، تر: مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط1، دار طيبة للطباعة، الجيزة، 2008.
6. \_\_\_\_\_، ترجمة متن التلمود، القسم الرابع - تريقين (الأضرار)، تر: مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط1، دار طيبة للطباعة، الجيزة، 2008.
7. \_\_\_\_\_، ترجمة متن التلمود، القسم السادس - طهاروت - الطهارات، تر: مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط1، دار طيبة للطباعة، الجيزة، 2008.
8. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، مكتبة ومطبعة المجلد العربي، القاهرة، 2010.
9. الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، ط8، دار الكتاب المقدس في مصر، القاهرة، 2012.
10. الكتاب المقدس، ط2، دار الكتاب المقدس، الشرق الأوسط، الأردن، 1993.

II. الكلاسيكية:

أ. باللغة العربية:

1. هيروودوت، تاريخ هيروودوت، الكتاب الأول، د.ط، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1996.
2. يوسيفوس فلافيوس، ضد ايون، آثار اليهود القديمة، ط1، ج1، تر: محمد حمدي ابراهيم، الكتاب المصري للمطبوعات، القاهرة، 2007، تاريخ اليهود، ط1، تر: الراهب انطونيوس الأنطوني، شركة الطباعة المصرية، 2006.

ب. باللغة الأجنبية :

1. Polybius, *Histoire General*, Livre v, tra: M.felix Bouchot, Paris, 1847.
2. Strabon, *La Géographie*, Livre XVI, tra: Amédée Tardieu, Hachette, Paris, 1980.

### III. الوسيطية:

1. الجوزية ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، د.ط، ج2، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، 2010.

### 2. قائمة المراجع:

أ. باللغة العربية:

1. إبراهيم محمد، حياة، نبوخذ نصر الثاني، د.ط، المؤسسة العامة للتراث، بغداد، العراق، د.ت.
2. ابن عماد الحنبلي أبي العلا عبد الحي، شذرات في أخبار من ذهب، د.ط، ج2، بيروت، 1996.
3. أبو الصوف بهنام، التاريخ من باطن الأرض، آثار وحضارات وأعمال ميدانية، د.ط، المكتبة الوطنية، الأردن، 2009.
4. أبوطالب عماد عبد العظيم، تاريخ العراق القديم، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2015.
5. الأحمد سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ط1، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013.
6. الأحمد سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، د.ط، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، د.ت.
7. إدوارد، كييرا، كتبوا على الطين، ط2، تر: محمود حسين الأمين، بغداد، 1964.
8. أديب سمير، تاريخ وحضارة مصر القديمة، د.ط، مكتبة الاسكندرية، 1997.
9. اسبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ط1، تر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005 م.
10. إسماعيل أحمد، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي، ط3، دار دمشق، 1994.

11. اسماعيل حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته (بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية)، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1997.
12. الأسود حكمت بشير، أدب الرثاء في وادي الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، ط1، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، الموصل، العراق، 2008.
13. آل جاسم محمد علي رضا، الإثتمان والصيرفة في العراق القديم، ط1، بمطابع دار التضامن، بغداد، 1964.
14. الأمين محمد حسين، اكتبو أو رأس السنة البابلية وعقيدة الخلود والبعث بعد الموت، ط1، آشور بانبيال للكتاب، بغداد، 2018.
15. الأمين محمود، قوانين حمورابي والقوانين البابلية الأخيرة، مجلة كلية الأدب، العدد 3، بغداد، 1961.
16. الأنبا بولا القمص يوانس، أرميا وباروخ تلميذه، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر 2019.
17. ايش أحمد، التلمود كتاب اليهود المقدس، تقديم: سهيل زكار، د.ط، دار قتيبة، دمشق، د.ت.
18. ايمار أندريه وأوبوايه جانين، تاريخ الحضارات العام، ط1، ج1، تر: فريدم. داغر وفولدرج أبوريجان، منشورات عويدات، بيروت، 1986.
19. باتيرو جان، بابل والكتاب المقدس، د.ط، وزارة الخارجية الفرنسية وقسم الخدمات الثقافية في السفارة الفرنسية، سوريا، 1994.
20. \_\_\_\_\_، بلاد الرافدين (الكتابة، العقل، الآلهة)، ط1، تر: ألبير أبونا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1990.
21. بارندر خيفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب، الكويت، 1978.
22. باقر طه، مقدمة في أدب العراق القديم، جامعة بغداد، العراق، 1976.
23. \_\_\_\_\_، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، ج1، شركة بيت الورق للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2009.
24. البدراوي رشدي، أنبياء بني اسرائيل، ط1، ج5، مصر، 2001.

25. بدوي أحمد زكي، تاريخ التطور الديني، د.ط، القاهرة، 1945.
26. برستيد جيمس هنري، انتصار الحضارة، د.ط تر: أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، مصر، 2011.
27. بريتكارد، جانس، أساطير بابلية (الشرق الأدنى القديم)، د.ط، تر: سلمان التكريتي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، د.ت.
28. البقلوطي الحبيب، بلاد الرافدين القصر المعبد والمجتمع من العصور الحجرية إلى حمورابي، د.ط، مركز النشر الجامعي، تونس، 2007.
29. بنيامين الثاني، خمس سنوات في الشرق 1846-1881، مشكان، العراق، 2010.
30. بوكاي موريس، التوراة والانجيل والقرآن، ط3، تر: الشيخ حسن خالد، الكتب الاسلامية، بيروت، 1990.
31. بوكاي موريس، أصل الانسان بين العلم والكتب السماوية، د.ط، تر: فوزي شعبان، منشورات دار سيجار، فرنسا، 1981.
32. بيلافسكي و ف.أ، أسرار بابل، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 2008.
33. بيومي مهران، محمد، بنو اسرائيل، د.ط، ج1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.
34. تاكسيل ليو، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ط1، تر: حسان ميخائيل اسحق، 1994.
35. توينبي أرنولد، الحضارة الهلينية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003.
36. جان كلود مارغرون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ط1، تر: سالم سليمان العيسى، منشورات علاء الدين، سوريا، 1999.
37. الجبوري صلاح سلمان رميض، أدب الحكمة في وادي الرافدين، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000م.
38. جرجس صبري، التراث اليهودي الصهيوني، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1970.
39. جلال ألفت محمد جلال، العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود، ط1، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1954.



40. جمعة عبد الله، ملحمة جلجامش قراءة في الأدب السومري، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2012.
41. الجنابي قيس حاتم هاني، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2012.
42. جنزيرج لويس، أساطير اليهود، ط1، تر: حسن حمدي، دار الكتاب العربي، دمشق، 2007.
43. جواد علي سداد جعفر، الزنا وعقوبته في تشريعات التوراة مقارنة مع قانون حمورابي، كلية الآداب، جامعة بابل، العراق، 2016.
44. جورج فريزر جيمس، الغصن الذهبي، ط1، تر: نايف الخوص، دار الغرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2014.
45. جون إدر، الأحجار تتكلم، (علم الآثار يؤيد الكتاب المقدس)، ط4، تر: عزت زكي، دار النشر الأسقفية، القاهرة، مصر، 2000.
46. الجوهري محمد، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ط1، ج1، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، 1978.
47. الحبوبي شيماء ماجد، الآلهة وصفاتها في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العدد الأول، 2017م.
48. حتي فليب، تاريخ سوريا لبنان فلسطين، ج1، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1957.
49. حتي فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، د.ط، ج1، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، 1951.
50. حداد عيسى بن ضيف الله حداد، نظرات في إشكالية التوراة مقاربات ورؤى، مصر، 2018.
51. حسن محمد خليفة حسن، التفكير التاريخي والحضاري عند الشعوب العربية السامية، د.ط، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، 2000م.
52. حسين مازن محمد، الأسطورة في بلاد الرافدين، مجلة بابل للدراسات الانسانية، المجلد6، العدد4، 2016.
53. حنون، نائل، ملحمة جلجامش، ط1، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق، 2006.

54. خان ظفر الإسلام، التلمود تاريخه وتعاليمه، ط7، دار النفائس، بيروت، 1989.
55. خلف جاسم محمد، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1965.
56. الخوئي جواد محمد أبو القاسم، الوصايا العشر في القرآن الكريم والعهدين، دراسة مقارنة، دارعمان للموروث، 2010.
57. دالي ستيفاني، أساطير من بلاد ما بين النهرين - الخليقة، الطوفان، كلكامش، وغيرها، ط1، تر: نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، 1975.
58. الدباغ تقي، البيئة الطبيعية والإنسان (حضارة العراق)، د.ط، ج1، بغداد، 1985.
59. الدوري رياض عبد الرحمان أمين، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، منشورات الهيئة العامة للآثار والتراث، بغداد، 2009.
60. دولاشكي شونا، الأدب البابلي والكتب المقدسة، ط1، تر: سهى الجندي، جامعة كارتون، أوتاوا، كندا، 2019.
61. دياكوف ونوفاليف، الحضارات القديمة، ط1، ج1، تر: نسيم واكيم اليازجي، منشورات علاء الدين، دمشق، د.ت.
62. ديشان هوبير، الديانات في إفريقيا السوداء، د.ط، تر: أحمد صادق حمدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
63. ديلايورت. ل، بلاد ما بين النهرين، ط2، تر: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.
64. ديليتش فريديريك، بابل والكتاب المقدس، ط1، تر: إيرينا داود، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1998.
65. ديوان امرؤ القيس، ط2، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2004.
66. ديورانت ويل، قصة الحضارة، ط2، ج2، تر: محمد مروان، دار الجيل للطبع، بيروت، 1973.
67. الذنون عبد الحكيم، التشريعات البابلية، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2000.
68. ربيع يحيى، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1994.

69. الربيعينيل، تاريخ يهود العراق (859ق.م-1973م)، ط1، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 2017.
70. الربيعي فاضل، حقيقة السبي البابلي، ط1، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، 2011.
71. رشيد فوزي، الشرائع العراقية القديمة، د.ط، وزارة الاعلام، العراق، 1979.
72. رشيد، الخيزن، الأديان والمذاهب بالعراق، ط1، بغداد، 2005.
73. رشيد، عبد الوهاب حميد، حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا-، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، 2004.
74. روتن مارغريت، تاريخ بابل، ط2، تر: زينة عازار، ميشال أبي فاضل، منشورات عويدات، بيروت، 1987.
75. ريدفور دونالد، مصر وكنعان واسرائيل في العصور القديمة، ط2، تر: بيومي قنديل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.
76. ريفر كلورد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، ط1، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.
77. زايد عبد الحميد، الشرق الخالد، د.ط، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
78. الزحيلي محمد، وظيفة الدين في الحياة، ط1، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بيروت، 1991، السايح أحمد عبد الرحيم، بحوث في مقارنة الأديان، ط1، دار الثقافة، الدوحة، 1991.
79. الزغبى فتحي محمد، تأثير اليهودية بالأديان الوثنية، ط2، دار النشر للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، 1994.
80. زكار سهيل، التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف سنة، ط1، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، 2007.
81. زناتي محمود سلام، موجز تاريخ القانون المصري في العصر الفرعوني والبطلمي والروماني، الاسلامي، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1998.
82. ساكرز هاري، عظمة آشور، ط1، تر: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار رسلان، سوريا، 2008.

83. ساند شلومو، إختراع الشعب اليهودي، ط1، تر: سعيد عياش، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
84. ستروس كلود ليفي، الأنثروبولوجيا البنيوية، د.ط، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1977 .
85. السعدي غازي كامل، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط1، دار الجليل، الأردن، 1994م.
86. السعدي غازي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط1، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسفية، عمان، الأردن .
87. سعفان كامل، معتقدات آسيوية (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان)، ط1، دار الندى، مصر، 1999.
88. سعفان كمال، اليهود تاريخ وعقيدة، د.ط، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ت.
89. السقا أحمد حجازي، نقد التوراة، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2005م.
90. سليم أحمد أمين، تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى، د.ط، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2000.
91. \_\_\_\_\_، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، د.ط، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2000.
92. سليمان توفيق، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، ط1، دار دمشق، سوريا، 1985.
93. سنهوري عبد الرزاق أحمد، أصول القانون، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1950.
94. سنيوبوس شارل، تاريخ حضارات العالم، ط1، تر: محمد كرد علي، الدار العالمية للكتب والنشر، الجيزة، مصر، 2012.
95. السواح فراس، دين الإنسان، ط4، منشورات علاء الدين، سوريا، 2002.
96. \_\_\_\_\_، مغامرة العقل الأولى، ط1، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1996.

97. \_\_\_\_\_، موسوعة تاريخ الأديان، ط4، تر: عبد الرزاق العلي وآخرون، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، دمشق، 2017.
98. \_\_\_\_\_، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، د.ط، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، د.ت.
99. سوسة أحمد، أبحاث في اليهودية والصهيونية، د.ط، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، 2003م.
100. \_\_\_\_\_، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، د.ط، بغداد، 2000.
101. \_\_\_\_\_، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986.
102. أحمد سوسة أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ط2، العربي للإعلان والنشر والطباعة، العراق، د.ت.
103. سولاف، كيف نما الشعب اليهودي، ط1، بغداد، 2015.
104. شازار زلمان، تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، د.ط، تر: أحمد محمود هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000.
105. الشامي رشاد، اليهود واليهودية في العصور القديمة (عن كتاب فون ناجوت جلوب: السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين)، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2001.
106. شاهين محمود، أسفار التوراة، قراءة نقد وتعليق (إشعيا، إرميا مراثي إرميا، بنودة باروخ، حزقيال)، ط1، السيدة العذراء، مصر، 2015.
107. شتاينسالتر ادين، مدخل إلى التلمود، ط1، تر: فنيئا الشيخ، دار الفرقد، بيروت، 2006.
108. شحيلات علي، عبد العزيز إلياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق القديم، د.ط، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.
109. شلي أحمد، مقارنة الأديان اليهودية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، 1988.
110. \_\_\_\_\_، اليهودية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1988.
111. \_\_\_\_\_، اليهودية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986.
112. شهباني رؤوف، تاريخ الأديان القديم، ط1، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، 2011.

113. الشواف قاسم، ديوان الأساطير، ط1، ج1، دار الساقى، بيروت، 1996.
114. صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، ط1، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2012.
115. الصمادي اسماعيل، نقد النص التوراتي، ط1، منشورات علاء الدين، سوريا، 2005.
116. صموئيل مكسيموس، تفسير سفر أرميا، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، د.ت.
117. \_\_\_\_\_، تفسير سفر الجامعة لسليمان الحكيم، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، د.ت.
118. \_\_\_\_\_، تفسير سفر أيوب، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، 2017.
119. الطائي سامي، أدب الحكمة في وادي الرافدين، ندوة تاريخية عن أدب الحكمة في وادي الرافدين قديماً، البصرة، العراق، 2018.
120. طعمية صابر، التاريخ اليهودي العام، ط3، ج1، دار الجيل، بيروت، 1991.
121. طومسون توماس ل.، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ط1، تر: صالح علي سوداح، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.
122. الظالمي رشيد باني، الميثولوجيا في النص التاريخي والديني، ط1، مؤسسة العارف للمطبوعات، دمشق، 2011.
123. عباد بولس، الأراميون في الشرق الأردني، د.ط، منشورات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، لوس أنجلس، كاليفورنيا، 1986م.
124. عبد الحكيم منصور، طوفان نوح في القرآن والأساطير القديمة، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2012.
125. عبد الرزاق مصطفى، الدين والوحي والإسلام، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.
126. عبد العال حمدي، الملة والنحلة في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1989م.
127. عبد العليم مصطفى كمال، اليهود في العالم القديم، ط1، دار القلم بيروت، 1995.
128. عبد الله دراز محمد، الدين، د.ط، دار التعليم، الكويت، 1998.

129. عبيزة ادريس، البابليون والأشوريون، دين، حضارة (آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات)، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 200.
130. عرابي رجاء عبد الحميد، سفر التاريخ اليهودي، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2004.
131. عزيز كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط1، ج2، مكتبة النافذة، الجيزة، 2006.
132. \_\_\_\_\_، أساطير التوراة الكبرى، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2006.
133. عطار أحمد عبد الغفور، الديانات والعقائد في مختلف العصور، ط1، ج1، مكة المكرمة، 1981.
134. علي جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، ج1، جامعة بغداد، العراق، 1993.
135. علي ختام عدنان، آلهة بابل العظيمة، ط1، آشور بانبيال للثقافة، العراق، 2018.
136. علي رمضان عبده، الشرق الأدنى القديم وحضارته، ط1، ج2 دار نهضة الشرق، القاهرة، مصر، 2002.
137. علي سداد جعفر، بابل والتوراة، جامعة بابل، كلية الآداب.
138. علي فاضل عبد الواحد، الطوفان في المصادر المسمارية، د.ط، رئاسة جامعة بغداد، العراق، د.ت.
139. علي فاضل عبد الواحد، سومر أسطورة وملحمة، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 2000.
140. علي فاضل عبد الواحد، من سومر إلى التوراة، ط2، وزارة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1996.
141. علي فؤاد حسين، التوراة الهيروغليفية، د.ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
142. علي محمد عبد اللطيف محمد، تاريخ العراق القديم، د.ط، مكتبة الاسكندرية، 1977.
143. عيد يحي أسامة، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دراسات وأبحاث، ط1، آشور بانبيال للكتاب، العراق، 2015.

144. عيد، خالد موسى، إبراهيم الخليل، بين أور الكلدانية والدولة دراسة في النصوص التوراتية، جامعة الكوفة، كلية الآداب، د.ت.
145. غارودي روجي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، د.ط، تر: قصي اتاسي وميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، د.ت.
146. غبريال فولوس، اللغة السريانية، ط1، ج3، منشورات الجامعة اللبنانية، 1979.
147. غريغوريوس المطران، أحيقار الحكيم، د.ط، مطبوعات اللغة السريانية، بغداد، د.ت.
148. غنيمة يوسف رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924.
149. الغوري اميل، فلسطين عبر ستين عاما، ط2، دار النهار للنشر، لبنان، 1972.
150. الفاروقي اسماعيل راجي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، د.ط، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1968م.
151. فرانكفورت هنري، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، د.ط، تر: ميخائيل خوري، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
152. فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سوريا، 1982.
153. فرنجي فؤاد يوسف، لارسا مدينة سومرية عادت إله الشمس، الاثنين 16 فبراير 2009.
154. فريجة أنيس، أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم، د.ط، جامعة بيروت الأمريكية، لبنان، 1962.
155. فريزر جيمس، الفلكور في العهد القديم، د.ط، تر: نبيلة ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972.
156. فسكي زينون كاسيدو، الواقع والأسطورة في التوراة، ط1، تر: حسان ميخائيل إسحاق، دمشق، 1990.
157. فغالي بولس، ترجمات الكتاب المقدس، ط1، مصر، 1994.
158. الفغالي بولس، حكمة يشوع بن سيراخ، المكتبة البولسية، لبنان، 2005.
159. فنكللشتاين ونيل إشرسيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، د.ط، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2007.



160. فهمي أنطونيوس، الكتاب المقدس، مقدمة في سفر التكوين، ط1، الكنيسة القبطية، مصر، 2019.
161. فوررجورج، تاريخ أدب بني إسرائيل وبدايات الأدب اليهودي، ط1، ترجمة أحمد محمود هويدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018.
162. فيزهوفر ييزف، فارس القديمة (550ق.م-650م)، ط1، تر: محمد جديد، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
163. الفيل محمد رشيد، اليهود وعلم الأجناس، ط1، بغداد، 1994.
164. قاشا سهيل، أحيقار حكيم من نينوى وأثره في الآداب العالمية، بيسان، بيروت، 2005.
165. \_\_\_\_\_، حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس، دار الشرق، بيروت، 1996.
166. \_\_\_\_\_، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، 1998.
167. \_\_\_\_\_، الحكمة في وادي الرافدين، ط2، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 2006.
168. قدح محمود عبد الرحمان، الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم، عرض ونقد، مجلة الجامعة الإسلامية الشارقة، العدد 111.
169. القريشي صالح جبار، دراسة في مقارنة الأديان في المعتقدات العراقية، د.ط، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، د.ت.
170. قطب محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ط10، دار الشروق، القاهرة، 1993.
171. القفاري ناصر عبد الله والعقل ناصر بن عبد الكريم، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط1، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1992.
172. القمني سيد، النبي ابراهيم والتاريخ المجهول، د.ط، مؤسسة مدبولي الصغير، مصر، د.ت.
173. القمني سيد، قصة الخلق أو منابع سفر التكوين، د.ط، المركز القومي لبحوث الحضارة، 1999.
174. قيروللو شارل، أساطير بابل وكنعان، د.ط، تر: ماجد خير بك، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1990.

175. القيسي محمد فهد، قصة الخليفة بين الألواح المسمارية والكتب المسموية، ط1، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2011.
176. ك ماتيف .ك وسازونوف. أ، حضارة ما بين النهرين، د.ط، تر: حنا آدم، دار المجد، دمشق، 1991.
177. كامل مراد، الكتب التاريخية للعهد القديم، د.ط، معهد البحوث والدراسات العربية، فلسطين، 1968.
178. كانبجيك. إيفاء، تاريخ الآشوريين القديم، ط1، تر: فاروق إسماعيل، دار الزمان، سوريا، 2008.
179. كلينكل هورست، حمورابي البابلي وعصره، ط1، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، 1990.
180. كلينكل هورست، حمورابي البابلي وعصره، ط1، تر: محمد وحيد خياطة، دار المنارة للدراسات والنشر، سوريا، 1990.
181. كوريه يعقوب يوسف، يهود العراق تاريخهم، أحوالهم هجرتهم، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998.
182. كونتينو جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ط2، تر: سليم طه التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986.
183. لابات رينيه وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، ديانا الشرق الأوسط، ط2، تر: مفيد عرنوق، منشورات علاء الدين، دمشق، سوريا، 2006.
184. لوبون غوستاف، الآراء والمعتقدات، ط1، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 201.
185. \_\_\_\_\_، حضارة بابل وأشور، د.ط، تر: محمد خيرت المحامي، بغداد، د.ت.
186. لوكاسكريستوفر، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ط1، تر: يوسف عبد المجيد ثروت، مكتبة آشور بانيبال، بغداد، 1980.
187. لويد سيتون، آثار بلاد الرافدين في العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ط1، تر: محمد طلب، دار دمشق، سوريا، 1993.
188. الماجدي خزعل، متون سومر، ط1، ج1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998.

189. \_\_\_\_\_، المعقّدات الأمورية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.
190. \_\_\_\_\_، إنجيل بابل، ط1، منشورات الأهلية، الأردن، 1998.
191. \_\_\_\_\_، علم الأديان، ط1، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 2016.
192. مامات ابراهام، تدمور حيم، العبرانيون وبنو اسرائيل في العصور القديمة، ط1، تر: رشاد عبد الله الشامي، المكتتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001.
193. ماير ف. ب.، حياة ابراهيم وطاعة الإيمان، د. ط، تر: القس مرقس داود، مكتبة المحبة، مصر، د. ت.
194. محمد حياة ابراهيم، نبوخذ نصر الثاني، د. ط، المؤسسة العامة للتراث، بغداد، العراق، د. ت.
195. محمد خليفة حسن محمد، تاريخ الشرق الأدنى وحضارته، د. ط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، 1998.
196. مدونة جستينان في الفقه الروماني، ط1، ترجمة عبد العزيز فهمي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
197. مصطفى عمر ممدوح، القانون الروماني، ط2، ج1، مطابع البصير، الاسكندرية، 1954.
198. معدي الحسيني الحسيني، الأساطير السومرية، ط1، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.
199. معروف خلدون ناجي، الأقلية في العراق، 1921 - 1952، ط1، ج1، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، 1975.
200. المغربي السموأل بن يحيى، افحام اليهود، وقصة إسلام السموأل، د. ط، تح: محمد عبد الله الشراوي، مكتبة الزهراء، جامعة القاهرة، د. ت.
201. مكاريوس الأنبا، تفسير سفر طوبيا، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، د. ت.
202. مكاريوس شاهين، تاريخ الاسرائيليين، د. ت، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.
203. مكسيموس وصفي، المرشد الجغرافي للعهد القديم، د. ط، كنيسة السيدة العذراء، الإسكندرية، 1994.
204. ملطي تادرس يعقوب، تفسير مراثي أرميا، ط1، المجمع المقدس، مصر، 2019.

205. \_\_\_\_\_، تفسير إصحاحات سفر حزقيال، د.ط، كنيسة السيدة العذراء، مصر، د.ت.
206. ملطي تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر أرميا، ط1، سانتا مونيك، كاليفورنيا، 1994.
207. مهدي سامي م، نظرات جديدة في أدب العراق القديم، ط1، دار أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.
208. مهران محمد بيومي، تاريخ العراق القديم، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
209. \_\_\_\_\_، إسرائيل، ط1، ج2، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999م.
210. مورتكات انطون، تاريخ الشرق الأدنى القديم، د.ط، تر: توفيق سليمان علي عساف، مكتبة المهتدين الاسلامية، د.ت.
211. موسكاني سبتينو، الحضارات السامية القديمة، د.ط، تر: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، 1986م.
212. مويال شمعون، التلمود أصله وآدابه، ط1، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2004.
213. ناصر الصمادي اسماعيل، التاريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية، ط1، ج3، منشورات علاء الدين، سورية، 2005.
214. ناظم سلوى، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، د.ط، العراق، 1988.
215. نسيم رشوان، موجز تاريخ العراق، أورشليم، القدس، ط1، بغداد، 1998.
216. نعناعه محمود، تاريخ اليهود، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن، 2001.
217. هايدل ألكسندر، سفر التكوين البابلي، ط1، تر: سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بغداد، 2007.
218. هرتزل ثيودور، الدولة اليهودية، د.ط، لندن، 1896.
219. هنري هوك صموئيل، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، د.ط، تر: يوسف داوود عبد القادر، دار الجمهورية، بغداد، 1968م.
220. وافي علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط1، ج3، مكتبة نخضة مصر بالفجالة، مصر، 1964م.

221. ولز هربرت جورج، معالم تاريخ الإنسانية، ط1، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.
222. ولسن كولن، الإنسان وقواه الخفية، ط2، تر: سامي خشبة، دار الآداب، بيروت، 1978.
223. ولفنسون اسرائيل، تاريخ اللغات السامية، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1929.
224. ياسين باقر، شخصية الفرد العراقي، (ثلاث صفات خطيرة التناقض التسلط، الدموية)، ط3، دمشق، 2013.
225. يسري محمد، هيكل سليمان: قصة المبنى المقدس الذي أثار الجدل عبر العصور، ط1، مصر، 2017.
226. اليهود آلان، وعقائدهم الدينية وعبادتهم، ط1، تر: عبد الرحمان الشيخ، مصر، 2004.
227. يوسف أحمد ربيع أحمد، أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة، د.ط، جامعة قطر، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، د.ت.

ب. قائمة المراجع بالفرنسية:

1. Chiarini L'abbé. L, *Le Talmud de Babylone*, Vol1, Lyon, 1831.
2. De vaux . R, «*les patriarches Hébreux et l'histoire*», Revue Biblique, 72, Paris, 1965.
3. Dhorme (Edouard), *Les religion De Babylonie Et D'Assyrie*, 2ed, PUF, Paris, 1979.
4. Georges Roux. *Ancient Iraq*. Third édition, Iraq. 2000.
5. Grouset René, *Histoire de l'Asie*, Presses Universitaires de France, Paris, 1944.
6. Lenormant Francois, *Histoire Ancienne de L'Orient jusqu'aux Guerres Medique*, 9<sup>ème</sup> Edition, A Levy Libraire Editeur, Paris, 1887.
7. Lods Adolphe, *Les Prophètes d'Israël et les débuts du Judaïsme*, Editions Albin Mechel, Paris, 1969.
8. Loos Adolphe, *Histoire de littérature Hébraïques et juifs*, Lemont Public Library, Paris, 1982.
9. manguevit Rutten, *la Mésopotamie et la bible, le monde de la bible*, 1990.

10. Ménant Joachim, *Babylone et la Chaldée, Maisonneuve et Ce*, Paris, 1874.
11. Oppert MM .J et.Menant. J, *Documents Juridique de L'Assyrie et de la Chaldée, Maisonneuve et libraires*, Paris, 1977.
12. Paul Radin ' *la religion primitive (son nature et son origine)*, traduit par: Metraux Gallimard, 5<sup>ème</sup> édition, paris, 1941.
13. Scheil .V, *Mémoires de la délégation en perse*, IV, Cambridge University Press, 2011.

ج. باللغة الانجليزية:

1. A Somervil Barbara l, *Empire of Ancient Mesopotamia*, Chelsea House Publications, USA, 2009.
2. Bar-Kochva Bezalel ,*The Image of the Jews in Greek Literature, the . Hellenstic Penode*, univ California, U.S.A, 2016.
3. Black Jeremy And other, *the Literature of Ancient Sumer*, Oxford University press, 2005 .
4. Braten Morten, *Ancient Kingdom Mesopotamia*, wizards of the Coastin, Canada,2004.,
5. Burgan Michael, *Empire of Ancient Persia, Chelsea House*, USA, 2009.
6. Burns. E.M, *Wedtern civilisation*, N Y, Norton,1982.
7. Clio, *California*, USA, 2004,
8. Cross Frank Moore, *Canaanite Myth and Hebrew Epic Essay in the History of the Religion of Israel*,Harvard University Press, USA, 1773.
9. Danby Herbert, *The Mishnah: Translated from the Hebrew with Introduction and Brief Explanatory Notes*, Clarendon Press, Oxford, 1933.
- 10.Dever William G ,*Archeology Review.The Westerne Culturaltraditions is at risk*, The BAS Library, 2006.
11. Driver G.R.Driver and C.Miles jhon, *The Assyrian Laws*, University of Michigan Library, 2005 .
12. Driver Samuel Rolles, *Introduction of the literature of the Old Testament*,USA, 1902.

13. F. Silvestro, *The development of Assyro- babylonian literature*, University of Oklahoma press,1965 .
14. Gilbert Klaperman and Libby, *The Story of the Jewish People*,Published byberhman house inc,U.S.A,1969.
15. Healy Mark, *The ancient assyrians*, Osprey Publications, Britain, 1991.
16. Heidel Alexander, *The Gilgamesh epic and old Testament Parallels*, University of Chicago Press,1963.
17. J. Pritchard, *Archaeology and old testament*, Princeton, 1952.
18. Kramer Samuel Noah, *The Sumerians*, The University of Chicago Press, 1963.
19. Kramer Samuel Noah, *The Sumerians*;University of Pennsylvania Press, 1961.
20. Kramer Samuel Noah, *Death and Nether World According to the Sumerian Literary texts*,British Institute for study of Iraq , 1960.
21. KellerWerner, *the bible as history*, London, 1983.
22. Lau Robert Julius, Langdon B.D Stephen, *The Annals of Ashurbanapal - Ashurbanipal (King of Assyria )*,University of Toronto, 1903.
23. Layard and Other,*The Babylonia Story of The Deluge and The Epic Gilgamish*, British Museum, 1920.
24. Mackenzie Donald A, *Myths of Babylonia and Assyria*, The Gresham Publishing Company, London,1920 .
25. Magnus Lady, *Outlines of jewish History*, Jewish Memorial Council, London,1931 .
26. McIntosh Jane, *Ancient Mesopotamia*, New Perspectives, ABC.
27. Rowley H.H., *The Growth of the Testament*, Hutchinson University Library, London,1967.
28. Smith George, *The Chaldean Account of Genesis*, London, 1977.
29. *The Bible new Rivesed Standard version The Hebrew Bible with Apocryphal*, Deuterocanonical books, Zaine Ridling,Ph D Editor, United States of America 1989.
30. ThorkildJacobsen, *The Sumerian king List*, The University of Chicago,Press, Chicago,1937.



31. Wilson, *Babylonian and Assyrian Literature*, Echo library, 2006.
32. Wooley Sir Leonard, *Ur Excavations VIII, The Kassite period and the period of the assyrian king*, trustees of the two museums, London, 1965.

3. القواميس والمعاجم والموسوعات:

أ. اللغة العربية

1. الحقين عبد المنعم، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1980.
2. المسيري عبد الوهاب، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، مصر، 1975.
3. سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، ط1، ج9، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.
4. بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ط15، مجمع الكنائس بالشرق الأدنى، بيروت، 2011.
5. علي فاضل عبد الواحد، المعتقدات الدينية (موسوعة الموصل)، ط1، مج1، دار الكتابة والطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، 1991.
6. إدازرد و آخرون، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين، د.ط، ج1، تر: محمد وحيد خياطة، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت.
7. كريم صمويل نوح، الديانة البابلية (موسوعة تاريخ الأديان)، تر: محمود منقذ الهاشمي، ط4، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2017 م.
8. الحموي ياقوت، معجم البلدان، د.ط، مج4، دار صادر، بيروت، د.ت.
9. هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، جروس بروس، طرابلس، لبنان، 1991.
10. نعمة حسن، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، د.ط، دار الفكر اللبناني، د.ت.
11. كريدي موسى، الموسوعة الصغيرة، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992.
12. كورتن أرثر، قاموس أساطير العالم، د.ط، تر: سهى الطريحي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، العراق، 2010.



13. حماد حسن فهد، موسوعة الآثار التاريخية القديمة، د.ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن 2003.
14. الجبوري علي ياسين، قاموس اللغة الأكديّة - العربية-، د.ط، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، د.ت.
15. الكاتب سيف الدين، أطلس التاريخ القديم، ط6، المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية، سوريا، 2012.
16. ابن منظور، لسان العرب، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 3003.
17. يورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 1991.
18. شتينزلتس عادين، معجم المصطلحات التلمودية، ط19، تر: مصطفى عبد المعبود السيد، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، مصر، 2006.
19. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، د.ط، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
20. حمودي صبحي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت، 2000.
21. آبادي الفيروز، القاموس المحيط، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
22. لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، مج3، ط2، تر: أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001.
23. جعفر علي سعد، الفكر الديني البابلي مترجم في نصوص التوراة، موسوعة الحلة، كلية الآداب، جامعة بابل.
24. الأصفهاني الراغب، المفردات في غريب القرآن، د.ط، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية د.ت.
25. بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ط1، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.
26. هيلينيس جون، معجم الأديان، ط1، تر: هاشم أحمد محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
27. الجهني مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مج1، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2003.

28. فغالي بولس فغالي وعوكر أنطوان، **العهد القديم العبري**، ترجمة بين السطور -عبري- عربي، ط1، المكتبة البولسية لبنان، 2007.
29. الشامي رشاد، **موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية**، د.ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2002.
30. كمال ربحي، **المعجم الحديث عبري عربي**، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.
31. بن زكريا أبي الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، د.ط، ج6، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د.ت.

ب. باللغة الفرنسية:

1. le grand Danielle, «*Dictionnaire chronologique d'histoire Universelle De L'Antiquité et du moyen Age*».
2. Pierre Larousse، «*Grand dictionnaire Universel du XIX siècle*»، TB، Administration du grand dictionnaire Universel، paris ,1875.

4- المجالات:

1. أبو عجرة درويش، **حكمة بابل والتوراة والحكيم الآشوري أحيقار نموذجاً**، مجلة الحوار المتمدن، العدد 5693، 2017.
2. الأحمد سامي سعيد، **بلاد بابل تحت الحكم الآشوري**، مجلة سومر، العدد 44، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1985-1986.
3. الأعرجي سعدون عبد الهادي الأمير، **حسين سيد نور، العبادة السياسية في العراق القديم**، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد 26.
4. آل عمر محمد بن علي بن محمد آل عمر، **عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد**، ط1، مجلة البيان، الكويت، 2003.
5. إياد أبو مشقر، **اليهود في العالم العربي، يهود العراق**، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، 1994.
6. باقر طه، **معابد العراق القديم**، مجلة سومر، مج3، ج1، الحكومة العراقية، 1948.

7. توفيق عماد طارق، القبائل الأمورية ودورها التاريخي في بلاد الرافدين والشام، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 2014.
8. الجنابي قيس حاتم هاني، دراسة في نشأة النقود في بلاد ما بين النهرين، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 2014، 16.
9. حسين مازن محمد، الأسطورة في بلاد الرافدين، مجلة بابل، مج 6، العدد 4، 2016.
10. حسين مازن محمد، الفكر الأسطوري الرافدي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 6، 2016.
11. الخفاجي سرحان نعيم، التحليل الجيومورفولوجي لمراحل تكون السهل الرسوبي، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، مج 1، العدد 61، 2010.
12. رهمة أحمد لفته، دراسة في "قدسية الجبل" و"قصة نمرود"، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 47، 2017.
13. زقزوق محمد حمدي، العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان، مجلة الأزهر المجانية، رجب، 1415هـ.
14. السعدي علي، "قصيدة رثاء تحولت ديناً"، صحيفة المثقف، العراق، العدد 2632، نوفمبر، 2013.
15. سليم عباس، تأثير المعارف البابلية في الفكر الديني اليهودي، التلموذ أنموذجاً، مجلة الآداب، ج 1، كلية الفنون، جامعة بغداد، 2018.
16. سوسة أحمد وآخرون، "اليهود العراقيون لمحات تاريخية"، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد 22، جامعة بغداد، 1977.
17. شاكر فاتن موفق، الملوك المؤهلون في العراق القديم، مجلة التربية والعلم، العراق، المجلد 20، العدد 4.

18. الشلال مثنى، نبذة عن آداب وادي الرافدين القديم، دراسات في التاريخ والتراث واللغات، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2416، 2008.
19. الشمخي رحيم هادي، الشعر القديم في أدب وادي الرافدين، مجلة أدب وفن، العراق، عدد أكتوبر 2008.
20. عبد الواحد عبد الفاضل، صبر أيوب بين النصوص المسمارية والتوراة، مجلة الأدب، جامعة بغداد، 1998.
21. عطو وليد يوسف، عولمة اليهودية في العصر الهلنستي، مجلة الحوار المتمدن، العدد 5018، 2015.
22. علوان أحمد معاذ، أثر عزرا في الديانة اليهودية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الشارقة، المجلد 23، العدد 2008، 75.
23. فيصل عبد الكريم، يهود العراق ماضيهم، مستقبلهم، مجلة دنيا الوطن، فلسطين، العدد 12، 2004.
24. قدح حمود عبد الرحمان، الأسفار المقدسة وأثرها في انحرافهم، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد 11.
25. مخيمر عصام كامل، مملكة يهوذا بين التدمير والسبي في ضوء الرواية التوراتية والرواية البابلية، مجلة جامعة الشارقة، المجلد 14، العدد 1، 2017.
26. مرعي عيد، الأموريون ومملكة الأمورو، مجلة مهد الحضارات، العدد 11، 12، مركز الباسل للبحث والتدريس الأثري، سوريا، 2010، ص 17.
27. مهدي سامي، هل تأثرت المراثي التوراتية بالمراثي البابلية، جريدة الدستور، بغداد، 2009.
28. مهران محمد بيومي، دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، العدد 2018، 5.

29. الوائلي عامر عبد زيد، الأدب الأسطوري والملحمي " الأدب العراقي أنموذجا"، مجلة المثقف، العدد 4542، استراليا، فيفري 2019.

#### 5. المحاضرات:

1. جواد علي سداد جعفر، التدوين التاريخي في الحضارات القديمة (محاضرة)، قسم الآثار، جامعة بابل، 12-09-2017.

2. سبع، أحمد ناجي، "الطين مادة كتابية" محاضرة قسم الآثار، جامعة بابل، 28-12-2019.

3. الكركاوي، كاظم جبر سلمان، أدب بلاد الرافدين القديمة، محاضرة، قسم الآثار كلية الآداب، جامعة بابل، 6-7، 2011.

#### 6. المواقع الالكترونية:

1. حسين إياد محمود، أثر المعتقدات البابلية على التوراة، شبكة البصرة، 2006.

2. رياض داود، هل تطابقت السبعينية مع الأصل العبري، مدونة النقد النصي للعهد القديم، 20 أكتوبر، 2013.

3. السقاف علوي بن عبد القادر، موسوعة الملل والأديان، موقع الدرر السنية، 1433هـ المرجع الالكتروني للمعلوماتية، العراق.

4. هيرتزوج زئيف، أعمال آباء التوراة الخرافية، تر: سمير زين العابدين، موقع الحوار المتمدن (عن جريدة هاآرتس الإسرائيلية)، 1999.

فهارس

جدول الخرائط

رقم الصفحة	رقم الخريطة
21	الخريطة رقم (01)
25	الخريطة رقم (02)
30	الخريطة رقم (03)
33	الخريطة رقم (04)
40	الخريطة رقم (05)
46	الخريطة رقم (06)
51	الخريطة رقم (07)

جدول الأشكال

الصفحة	رقم الشكل
37	الشكل رقم (01)
65	الشكل رقم (02)
65	الشكل رقم (03)
67	الشكل رقم (04)
69	الشكل رقم (05)
71	الشكل رقم (06)
78	الشكل رقم (07)
80	الشكل رقم (08)
81	الشكل رقم (09)
83	الشكل رقم (10)
84	الشكل رقم (11)

(أ)

اسرائيل: 45، 46، 47، 113، 114، 115، 116، 120، 121، 122، 123، 124، 126،  
 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 162، 169، 170، 231، 233، 241،  
 248، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 265، 266.

أرام النهرين: 21، 151، 173.

أرض شنعار: 21، 211، 212.

أريحا: 163.

أور: 31، 38، 39، 40، 41، 43، 49، 54، 79، 85، 86، 172، 173، 180، 211،  
 238، 264، 282، 286، 291، 308.

أورشليم: 115، 116، 119، 120، 138، 139، 155، 159، 162، 163، 164، 166،  
 168، 169، 173، 248، 249، 253، 267، 274، 283، 285، 286، 287، 288.

أوروك: 21، 67، 282.

أوريدو: 31، 67، 73، 101، 182.

أوما: 31، 32، 80، 205، 238.

أسيا: 22، 24، 26.

أسيا الصغرى: 27، 46، 49.

إفريقيا: 24، 168.

أوغاريت: 259، 262.

أوروبا: 24، 54.

أرمينيا: 22، 27.

أكد: 22، 34، 35، 36، 43، 50، 213، 282.

إيسن: 40، 41، 42، 54، 86، 282.

الخابور: 27.



- الأبزو (الأبسو): 72، 179.
- الأردن: 118، 153، 154، 194.
- الأناضول: 25، 27.
- البحر الأحمر: 153.
- البحر المتوسط: 24، 25، 26، 28، 40.
- الجزيرة: 22، 25، 43.
- الجزيرة العربية: 28، 29، 34، 43، 152، 168.
- الخليج العربي: 22، 24، 27، 29، 180.
- السامرة: 114، 116، 157، 158، 159.
- الشرق الأدنى القديم: 20، 49، 51، 54، 106، 192، 195، 213، 258، 259، 265، 266.
- 295.
- الدلتا: 26، 29، 154.
- الصحراء السورية: 23.
- المنطقة الجبلية: 24.
- العبيد: 30، 77، 86، 133، 167، 210، 291.
- العراق: 21، 22، 25، 29، 106، 119، 137، 138، 144، 149، 150، 151، 161، 152، 168، 173، 263.
- الفرات: 20، 21، 22، 23، 25، 26، 27، 28، 34، 73، 161، 177، 180، 195، 211.
- 254، 213.
- القوقاز: 30.
- الهند: 24، 304.
- الوركاء: 21، 30، 32، 35، 37، 38، 94، 217، 291.

إيراك: 22.

إيران: 21، 22، 23.

(ب/ت/ث)

بابل: 30، 40، 41، 42، 43، 44، 46، 51، 53، 54، 77، 81، 82، 93، 103، 104،  
112، 114، 117، 118، 120، 121، 138، 139، 140، 142، 143، 153، 159، 162،  
163، 164، 165، 166، 168، 169، 195، 211، 212، 248، 249، 259، 260، 264،  
285، 292، 293.

بغداد: 20، 25، 138، 161، 211.

برج بابل: 53، 92، 172، 209، 211، 212.

بلاد بابل: 21، 22.

بلاد سومر: 20، 22، 30، 31، 73، 179، 282.

بلاد آشور: 21، 22، 41، 45، 150.

بلاد الرافدين: 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 28، 29، 30، 32، 33، 36، 37، 38،  
39، 40، 42، 43، 45، 49، 50، 51، 54، 55، 64، 67، 75، 76، 77، 78، 79، 80،  
83، 87، 89، 91، 92، 93، 95، 97، 98، 100، 101، 102، 105، 106، 108،  
109، 110، 116، 122، 138، 142، 149، 150، 151، 152، 158، 160، 165، 166،  
170، 173، 192، 193، 223، 224، 227، 238، 239، 242، 249، 259، 260، 266،  
282، 285، 291، 292، 293، 295.

بلاد الشام: 25، 173.

بلاد النهرين: 25، 30، 34.

بلوطة مورة: 253، 326.

تركيا: 23.

(ج/ح/خ)

جبال أرازاط: 203، 204.

جبل الشيخ: 155.

جبال زجروس: 28.

جبال طوروس: 26، 28، 41.

جنة عدن: 123، 172، 194، 204، 205، 206، 208، 294.

(د/ذ/ر/ز)

دجلة: 20، 21، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 73، 180، 195.

دلمون: 30، 73، 74، 205، 207، 214، 294.

دمشق: 45، 52.

زقورة: 39، 92، 210، 211.

(س/ش)

سورة: 138.

سوسة: 144.

سوريا: 23، 40، 41، 122، 161.

سومر: 20، 22، 28، 30، 31، 40، 49، 50، 54، 73، 179، 180، 205، 259، 285،

286.

سيبار: 34، 35، 182.

شوروباك: 31، 143.

شكيم: 57، 253.

(ص/ض)

صور: 52، 159.

(ط/ظ)

طبرية: 137.

طبية: 155، 164، 175، 259.

(ع/غ)

عدن: 123، 172، 194، 204، 205، 206، 208، 209، 294.

عيلام: 30، 40، 42، 46، 285.

(ف/ق)

فلسطين: 45، 47، 52، 54، 115، 122، 137، 139، 140، 149، 153، 155، 157،

160، 166، 167، 168، 173، 230، 253، 255، 292.

(ك/ل/م)

لبنان: 23، 28، 155، 219.

لارسا: 40، 41، 54، 86.

كنعان: 121، 123، 143، 149، 150، 151، 152، 230، 232، 253، 254، 266.

كيش: 35، 180، 282، 291.

لجش: 31، 32، 37، 38، 80، 86، 205، 291.

ماري: 41، 69، 173.

مجدو: 143، 173.

مصر: 40، 46، 51، 113، 123، 145، 150، 153، 154، 155، 156، 158، 159،

160، 161، 162، 164، 168، 169، 195، 224، 241، 243، 253، 254، 259،

267، 269، 283.

ميتاني: 44، 45.

مملكة اسرائيل: 47، 114، 116، 158.

مملكة يهوذا: 51، 114، 116، 117، 152، 156، 159، 161، 162، 163، 169.

مؤآب: 52، 121.

ميزوبوتاميا: 20.

(ن/ه/و/ي)

نهر الخابور: 27.

نفر: 70، 73، 178، 186، 264، 282، 291.

نيبور: 33، 70، 238، 291.

نينوى: 48، 106، 144، 160، 280.

(أ)

أبا أريخا: 138.

أش: 138.

إبرام: 153، 232، 233، 234، 253، 254.

إبراهيم: 123، 125، 149، 150، 151، 152، 153، 172، 233، 239، 250، 253،

254، 255، 266، 295.

أترخاسيس: 186، 198، 294.

أخاب: 116.

أرميا: 114، 162، 163، 169، 248، 249، 283، 284.

أستير: 132، 167، 251، 268.

أسرحدون: 48، 160، 164، 217، 269، 280.

أشعيا: 103، 116، 159، 205، 294.

أشور بانيبال: 50، 106.

أشنان: 175، 178، 179، 181.

أدد: 44، 46، 96، 108، 199.

أدم: 62، 123، 193، 202، 206، 207، 208، 209، 212، 258، 260.

اسحاق: 125، 151، 153، 254، 255، 266.

اسماعيل: 254.

أوتنابشتم: 197، 200، 201.

إلوهيم: 191، 192، 193.

أوتو: 75.

أورنمو: 38، 39، 250.

- أرورو: 69، 183، 186.  
أمرؤ القيس: 22.  
أميل مردوخ: 53  
أمون: 160.  
أن (أنو): 66، 174، 176.  
انكي: 66، 69، 72، 73، 74، 75، 77، 84، 96، 105، 176، 178، 179، 180،  
181، 182، 186، 200، 205، 206، 207.  
أنكيدو: 175، 217، 218، 219.  
أنليل: 66، 67، 68، 69، 71، 72، 73، 75، 77، 80، 82، 83، 84، 95، 107،  
108، 174، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 184، 186، 197، 200،  
286.  
أنوناكي: 72، 75، 174، 175، 179، 199.  
إنانا: 75، 76، 217.  
انشار: 83، 183، 184.  
أيا: 7، 72، 84، 95، 100، 101، 184، 185، 186، 208، 209، 218.  
إيجي: 79، 75، 186.  
ايليا: 114، 116، 216، 267.  
أيوب: 282، 283.  
الإيدوميين: 51، 161.  
البابليون: 40، 49، 76، 96، 97، 103، 108، 184، 245، 289، 292، 294، 295.  
السومريون: 30، 31، 34، 39، 65، 66، 69، 74، 75، 77، 92، 108، 174، 176، 295.  
السموأل: 118، 120.

الشعوب السامية: 24، 29، 34.

العبرانيون: 112، 192، 211، 216.

الكاشيون: 41.

الكلدانيين: 21، 48، 50، 149، 160، 249، 291.

الأشوريين: 29، 42، 43، 45، 49، 51، 83، 97، 108، 116، 157، 159، 160، 168،

227، 266، 270، 280، 291، 293.

الأموريين: 29، 40، 49، 277.

(ب/ت/ث)

بابا: 80، 202.

باروخ: 284.

برام: 153.

تجلات بلاصر الثالث: 46، 157، 158.

تيامات: 82، 102، 103، 183، 184، 185، 186، 187، 196.

بوزور -أموري: 199.

(ج/ح/خ)

جوديا: 37.

جوجن: 180.

جلجامش: 67، 106، 143، 144، 173، 175، 197، 198، 199، 200، 215، 217،

218، 219، 264، 294.

حام: 200، 201.

حزقيال: 115، 159، 160، 164، 285.



حمورابي: 41، 44، 50، 54، 81، 82، 87، 94، 106، 142، 144، 223، 224، 225،

226، 227، 228، 230، 232، 233، 234، 235، 238، 239، 242، 243.

حواء: 206، 207، 209، 258، 260.

(د/ذ/ر/ز)

دارا: 54.

داوود: 154، 155، 156، 157، 169، 217، 259، 266.

دانيال: 268، 295.

زيوسدرا: 73، 196.

(س/ش)

ساراي: 151، 232، 233، 253.

سارة: 125، 153، 239، 254.

سام: 153، 201.

سترابون: 20، 50.

سرجون الأكادي: 32، 91، 93، 213.

سرجون الثاني: 47، 48، 157، 158، 159.

سليمان: 104، 116، 154، 155، 156، 157، 163، 169، 259، 266، 270، 274،

292.

سنحاريب: 48، 152، 159، 160، 164، 250، 269، 280.

سومر - أبوم: 40.

سيمو: 72.

شاؤول: 154، 218، 219.

شلمنصر الثالث: 46.

شلمنصر الخامس: 47، 157، 158.

(ص/ض)

صدقيا: 117، 161، 162، 163، 285.

صموئيل: 138، 217، 218، 219، 266.

(ط/ظ)

(ع/غ)

عابر: 153.

عاموس: 114، 169.

عشتار: 77، 94، 103، 108، 162، 200، 213، 216، 217، 250.

عزرا: 117، 118، 119، 120، 122، 167، 293.

(ف/ق)

فرعون: 123، 154، 156، 158، 214، 215.

فلافيوس: 117.

قورش: 53، 120، 165، 166، 167، 253، 292.

(ك/ل/م)

كاتوم دوك: 69، 80.

كيشار: 183، 184.

لاماك بن متوشلح: 202.

لاوي: 126، 214.

لوط: 125، 151، 153، 239.

مار صموئيل: 138.

مامي: 69، 186، 193.

مار -دوكو: 82.

مردوخ: 53، 54، 71، 72، 77، 81، 82، 83، 100، 101، 102، 103، 108.

مردوخ بلادان: 51، 159، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 196، 211، 244،

248، 264، 294.

موسى: 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 122، 123، 124، 125،

126، 140، 150، 151، 152، 153، 154، 157، 163، 169، 213، 214، 215،

239، 240، 241، 251، 253، 258، 259، 260، 266، 284، 295.

منسى: 160، 248.

ميخا: 114.

(ن/ه/و/ي)

نبو لاصر: 51، 161، 211.

ناحوم: 114.

نبوخذ نصر: 42، 49، 51، 53، 77، 115، 116، 117، 126، 143، 161، 162، 163،

166، 285، 288، 292، 293.

نانا: 75، 76، 176، 177، 178، 217، 282.

نرام-سين: 36، 37، 85، 87.

نركال: 80، 108، 218.

نسابا: 80.

نوح: 62، 143، 153، 201، 202، 203، 204.

نمو: 69، 174، 181.

ننتو: 69، 186، 187، 188.

ننكرسو: 80، 81.

نمرود: 172.

ننخرساک: 105، 205، 206، 207.

ننماخ: 69، 182.

ننلیل: 107، 176، 177.

نرکال: 80، 108، 218.

هوشع: 157، 158، 169.

هوميروس: 262.

هیرود: 156.

یرعام: 116، 157.

یعقوب: 114، 115، 123، 151، 152، 153، 169، 254، 255، 266، 287.

یوحنا: 117.

یوسف: 123، 154، 169، 308.

یوشع: 114.

یوشیا: 117، 160.

یهودیت: 268.

یهودا هناسي: 128، 137.

یهوه: 118، 156، 170، 191، 193، 195، 196، 248.

## الفهرس العام

إهداء

شكر وعرهان

مقدمة.....أ-ز

مدخل:

### الإطار الجغرافي والبشري لبلاد الرافدين

1. الإطار الجغرافي.....18
- أ. أصل التسمية.....18
- ب. الموقع الجغرافي.....20
- ج. التضاريس.....22
- د. المناخ.....24
- و. الأنهار.....24
2. الإطار البشري.....27
- أ. السومريون.....28
- ب. العناصر السامية.....32
1. الأكاديون.....32
2. البابليون.....38
3. الآشوريون.....41
4. الكلدانيون.....48

### الفصل الأول:

#### المعتقدات الدينية الرافدية

1. تعريف المعتقد والدين.....55
2. الآلهة السومرية البابلية الرئيسية.....61
3. الآلهة الممثلة للسلطة السياسية.....74
4. تأليه الملوك لأنفسهم.....82

85.....	5. المعبد ودوره.....
90.....	6. الكهنة والنظام الكهنوتي.....
93.....	7. العرافة.....
95.....	8. السحر.....
101.....	9. الأساطير.....
103.....	10. خصائص الديانة الرافديّة.....

## الفصل الثاني:

### التوراة قراءة في التاريخ والمضامين

109.....	I. التوراة.....
109.....	1. المصطلح.....
110.....	2. تاريخ التوراه.....
115.....	3. أثر عزرا في كتابة التوراة.....
118.....	4. لغة التوراة.....
119.....	5. الأسفار الخمسة.....
121.....	6. موقف القرآن الكريم والمسلمين من التوراة.....
123.....	II. التلمود.....
123.....	1. تعريفه.....
124.....	2. أقسام التلمود.....
134.....	3. أنواع التلمود.....
134.....	III. لمحة عن الفكر الديني البابلي في النصوص التوراتية.....

## الفصل الثالث:

### اليهود في بلاد الرافدين من السبي إلى الاستقرار

#### (الاستيطان) فالعودة

145.....	1. عقيدة اليهود بين التوحيد والوثنية.....
150.....	أ. الحياة السياسيّة ظهور الممالك اليهودية.....

1. مملكة النبي داوود عليه السلام.....150
2. مملكة النبي سليمان عليه السلام.....152
- ب. السبي الآشوري وانحيار المملكة الشماليّة.....153
- ج. أوضاع اليهود الأسرى في العهد الآشوري.....156
- د. السبي البابلي وسقوط مملكة الجنوب.....157
- هـ. أوضاع اليهود في العهد البابلي (الكلداني).....160
- و. اليهود في ظلّ الحكم الفارسي في بلاد الرّافدين.....161
- ي. عودة اليهود من السبي.....163

### الفصل الرابع:

#### مظاهر أثر المعتقدات الدينيّة الرّافديّة في النصوص التّوراتيّة

1. خلق الكون والإنسان.....170
2. الطّوفان بين الأساطير الرّافديّة (السّومريّة البابليّة) والنصوص التّوراتيّة.....192
3. جنّة عدن بين الأصول الرّافدية والنصوص التّوراتيّة.....200
4. برج بابل بين النصوص الرّافديّة والبحوث الأثريّة والنصوص التّوراتيّة.....205
5. سرجون وموسى بين النصوص الرّافديّة والرّواية التّوراتيّة.....209
6. الموت والعالم الآخر في الأساطير الرّافديّة والنصوص التّوراتيّة.....211

### الفصل الخامس:

#### مظاهر أخرى من التأثير الرافدي

1. التّشريع البابلي وأثره في الشريعة التّوراتيّة.....218
2. الوصايا العشر التّوراتيّة والنصوص الرّافديّة.....234
3. التأثير الوثني وظهور الكنيس.....243
4. الشّيقل الرافدي والشّيقل التوراتي.....244
5. يوم السّبت.....246
6. الأعياد العبريّة وعلاقتها بالرّافديّة.....247
7. ظهور عقيدة أرض الميعاد.....248

## الفصل السادس:

### أثر الأدب الديني الرافدي على النصوص التوراتية

1. لمحة عن الأدب الرافديّ القديم.....256
2. لمحة عن الأدب العبريّ القديم.....259
3. أثر الأدب الدينيّ الرافديّ على النصوص التوراتية.....263
  1. أثر أدب الحكمة الرافديّ في النصوص التوراتية.....263
    - أ. بين حكمة أحيكار ونصوص سفر الأمثال.....265
    - ب. بين حكمة أحيكار وسفر الجامعة.....269
    - ج. بين حكمة أحيكار وسفر يشوع بن سيراخ.....271
    - د. بين حكمة أحيكار وسفر طوبيا.....274
  2. أثر أدب الرثاء الرافديّ على النصوص التوراتية.....277
- الخاتمة.....286
- قائمة المصادر والمراجع.....292
- فهرس الخرائط والأشكال.....318
- فهرس الأعلام.....319
- فهرس الأعلام والآلهة.....325
- الفهرس العام.....332